أبحاث
المؤتمر السنوي الخامس
لتاريخ العلوم عند العرب

المنعقد في جامعة حلب

باشـراف

معهد التراث العلمي العربي

و

كلية الآداب

٢٠ ــ ٢١ رجب ١٤٠٢ هـ

١٢ ــ ١٤ ايار (مايو) ١٩٨١ م

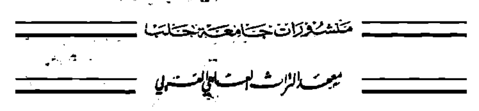
تحرير

الدكتور خالد ماغوط

محمد علي خياطة

١٩٨٣

بمناسبة حلول القرن الخامس عشر الهجري



أبحاث
المؤتمر السنوي الخامس
لتاريخ العلوم عند العرب

المنعقد في جامعة حلب

بإشراف

معهد التراث العلمي العربي

و

كلية الآداب

٢٠ ـ ٢١ رجب ١٤٠٢ هـ

١٣ ـ ١٤ أيار (مايو) ١٩٨١ م



تحرير

الدكتور خالد ماغوط

محمد علي خياطة

١٩٨٣

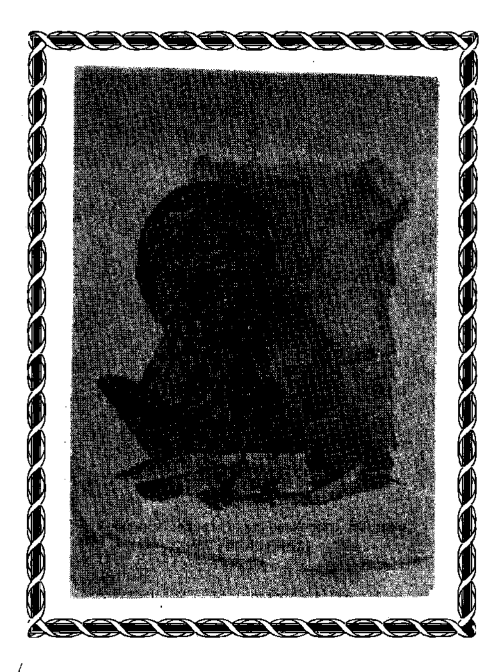

al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

أبحاث
المؤتمر السنوي الخامس
لتاريخ العلوم عند العرب



الطبعة الاولى ١٩٨٣

معهد التراث العلمي العربي ــ جامعة حلب



الشيخ الرئيس ابو علي الحسين بن عبد الله

ابن علي بن سـينا

ولـد عام ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م

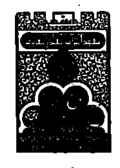
توفي عام ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م

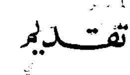


أبحاث

المؤتمر السنوي الخامس

لتاريخ العلوم عند العرب





ان احتفال معهد التراث العلمي العربي والجمعية السورية لتاريخ العلوم بحلول القرن الخامس عشر الهجري يتم في نطاق الاهداف العلمية لكل منهما فالحضارة الاسلامية متعددة المظاهر واحد المظاهر الفنية لهذه الحضارة هو التراث العلمي ومن هنا فان الابحاث المقدمة للمؤتمر يجب أن تقع ضمن تخصصات المعهد والجمعية وهو البحث في المنجزات العلمية في الحضارة العربية الاسلامية والمقصود بالموضوعات العلمية هو البحث في موضوعات العلوم الدقيقة أو التطبيقية او الطبية من مختلف أوجهها •

وتنفيذا لخطة جامعة حلب ومعهد التراث العلمي العربي بنشر تراثنا العلمي العربي وتحقيقا لرسالة معهد التراث العلمي العربي بالتعريف بكنوز أجدادنا العلمية ، نقدم بكل سرور أبحاث المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب الذي عقد يومي ١٣ ـ ١٤ أيار سنة ١٩٨١ •

معلومات عامة
عن المؤتمر السنوي الخامس
لتاريخ العلوم عند العرب

انعقد في جامعة حلب تحت رعاية السيد الدكتور عبد الرؤوف الكسم رئيس مجلس الوزراء المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب خلال يومي ١٣ ـ ١٤ أيار ١٩٨١ وقد مثل السيد الدكتور محمد علي حورية رئيس جامعة حلب ، السيد الدكتور رئيس مجلس الوزراء في حفل الافتتاح ·

وكان الهدف الاساسي لانعقاد المؤتمر التعريف بالاسهام الذي قدمه العرب للحضارة الانسانية وتم تسليط الاضواء على الموضوعات التالية :ـ

- ـ الاحتفال بحلول القرن الخامس عشر الهجري ·
- ـ ذكرى مرور ألف عام على ولادة ابن سينا ·
- ـ تاريخ العلوم الاساسية ·
- ـ تاريخ العلوم الطبية ·
- ـ تاريخ العلوم التطبيقية ·

وقد شكلت لجنة للاشراف على تنظيم المؤتمر وتحقيق أهدافه من :

الدكتور نجاتي منجد — امين فرع جامعة حلب لحزب البعث العربي الاشتراكي

الاستاذ الدكتور محمد علي حورية رئيس جامعة حلب

كما شكلت اللجنة العلمية من :

رئيس المؤتمر :

الاستاذ الدكتور محمد علي حورية رئيس جامعة حلب

رئيس المقررين :

الاستاذ الدكتور خالد ماغوط	وكيل جامعة حلب للشؤون العلمية
الدكتور غازي الحريري	وكيل جامعة حلب للشؤون الادارية
الدكتور عبد الكريم شحادة	الاستاذ في كلية الطب ـ جامعة حلب

[illegible]

الدكتور محمد ألتونجي — الاستاذ في كلية الآداب [illegible]

الدكتور محمد نذير سنكري — الاستاذ في كلية [illegible]

الدكتور نشأت حمارنة — الاستاذ في كلية الطب ـ جامعة دمشق

الدكتور [illegible] الاستاذ في كلية [illegible] جامعة حلب [illegible]

- الاستاذ محمد امام [illegible]
- الاستاذ محمد [illegible]
- الدكتور محمد تذير سنكري [illegible] عضوا
- الاستاذ سعد زغلول الكواكبي [illegible] عضوا
- الاستاذ [illegible] عضوا

المشاركــون في المؤتمــر

الدكتور محمد التونجي	كلية الآداب ـ جامعة حلب
الاستاذ محمد امام	جامعة حلب
الدكتور حسان امام	طبيــب
الاستاذ جورج انطاكي	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الدكتور عبد الرحيم بدر	باحث ـ الاردن
الدكتور حنا بشور	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الآنسة حياة تادفي	جامعة حلب
الدكتور عارف تامر	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الدكتور كنعان الجابي	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ فريد جحا	مديرية التربية بحلب
الاستاذ محمود حريتاني	مديرية الآثار والمتاحف بحلب
الدكتور غازي الحريري	جامعة حلب
الاستاذ حسين عمر حمادة	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الدكتور نشأت حمارنة	كلية الطب ـ جامعة دمشق
الدكتور عبد الرزاق حمامي	كلية الطب ـ جامعة حلب
الدكتور محمد علي حورية	جامعة حلب
الاستاذ صلاح الدين الخالدي	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ محمد علي خياطة	معهد التراث العلمي العربي
الاستاذ صلاح الخيمي	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الدكتور فايز الداية	كلية الآداب ـ جامعة حلب
الآنسة أمل رفاعي	جامعة حلب
الدكتورة أمل زاعور	طبيبة
الدكتور محمد مروان السبع	كلية الزراعة ـ جامعة حلب
الاستاذ محمد نصرت سماني	جامعة حلب

الدكتور محمد نذير سنكري	كلية الزراعة ـ جامعة حلب
الدكتور عبد الكريم شحادة	كلية الطب ـ جامعة حلب
الاستاذ كمال شحادة	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ حمزة الشراق	جامعة حلب
الاستاذ صلاح الدين شوشان	جامعة حلب
الدكتور صالح عمر	معهد التراث العلمي العربي
الاستاذ محمد فؤاد عنتابي	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الدكتور صلاح غانم	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الدكتور مؤنس غانم	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ محمود فاخوري	جامعة حلب
الاستاذ محمد كامل فارس	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ محمد سمير قمتد	معهد التراث العلمي العربي
الاستاذ ابراهيم نامي كاتب	جامعة حلب
الاستاذ شحادة لافي كرزون	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ سعد زغلول الكواكبي	رئيس جمعية العاديات
الدكتور طه اسحق الكيالي	كلية الطب ـ جامعة حلب
الدكتور ريتشارد لورش	معهد التراث العلمي العربي
الدكتور خالد ماغوط	جامعة حلب ـ معهد التراث العلمي العربي
السيدة سليمة محجوب	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الآنسة صفاء مسلاتي	معهد التراث العلمي العربي
الدكتور شاكر مطلق	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الدكتور نجاتي منجد	جامعة حلب
الاستاذ مصطفى موالدي	معهد التراث العلمي العربي
الدكتور محمود ناظم النسيمي	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ رشيد نيشلي	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
الاستاذ وجيه هبراوي	جامعة حلب
الدكتورة نوال يحيى	طبيبة


كلمات حفل الافتتاح

كلمـــة الدكتـــور محمـــد علي حوريـــة رئيس جامعـة حلب

ممثــل السيد رئيس مجلس الــوزراء

ايها الحفل الكريم ،

يسعدنا جدا أن نحتفل معكم بافتتاح الاحتفال بحلول القرن الخامس عشر الهجري ، وذكرى مرور ألف عام على مولد الفيلسوف والطبيب العربي الشيخ أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا ، ومع انعقاد المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب • هذه المناسبات التاريخية الثلاث التي شاركت بها مؤسسات جامعة حلب : كلية الآداب ، ومعهد التراث العلمي العربي ، والجمعية السورية لتاريخ العلوم • ان هذه المناسبة تحملني مسؤولية خاصة نظرا لاهمية المناسبة ولكوني أحظى بشرف رعاية الحفل نيابة عن الرفيق الدكتور عبد الرؤوف الكسم رئيس مجلس الوزراء وبتفويضه •

ان استرجاع الاحداث والتاريخ الذي انقضى خلال الاربعة عشر قرنا المنصرمة ، والظروف القاسية التي رافقت بعضها أحيانا ، لتذكرنا بأصالة ونبالة شعبنا ونبالة رسالته الخالدة التي حملها عبر تلك القرون المنصرمة وعبر تلك الايام والسنين الصعبة التي تخللت بعضها الاخيرة • كما أن الامجاد التي تخللت القرون الاولى منها يجب أن لا تتركنا نجتر الماضي فقط ونعيش عليه ، بل يجب أن ندرس ذلك الماضي ونحلل أحداثه لنتجنب عوامل تشكل الكوارث والمآسي ونصوغ المستقبل المتطور الثابت كما هو في الدول المتقدمة حضاريا •

أما إذا بقيت العاطفة واللاموضوعية والانفعالية اللاعقلانية تسيطر على تفكيرنا وعلى سلوكنا فاننا سنتعرض دوما وحتما لقدر من المتاعب والصعوبات أكثر وأكبر وأعمق من تلك التي تعرض لها شعبنا في القرون الماضية أو التي يتعرض لها انسان آخر يفهم ويدرك قيم العلم التجريبي ويتكيف معها • وان ما تتعرض له سورية والاقطار العربية حاليا من هجمة صهيونية امبريالية في الجبهة اللبنانية ضد محاولة بلدنا من أجل الحفاظ على وحدة لبنان وحرية شعبه وعدم التدخل في شؤونه الداخلية والحفاظ على الفلسطينيين في ذلك القطر العربي الشقيق • وليس ما يحدث في لبنان حاليا هو صراع طوائف وفئات كما يبدو للمراقب وانما ابتدأت الازمة في لبنان في نيسان من عام ١٩٧٥ لصرف النظر والانتباه عن اتفاقية سيناء آنذاك ولتخفيف الضغط عن اسرائيل بعد حرب تشرين ١٩٧٣ من أجل استرجاع واستكمال تسليحها ثم لنقل الحرب الاهلية الى القطر العربي السوري من أجل تمزيقه داخليا كما مزق لبنان مؤقتا •

بالاضافة لهدف آخر وهو محاولة تدمير وافناء الفلسطينيين فيه · الا أنه باستمرار تلك الحرب لوحظ أن لها آثارا اقتصادية وهي انتقال آلاف البلايين من الدولارات التي تشكل الاستثمارات العربية في مصارف لبنان الى مصارف دول أوربا وكندا وأمريكا واليابان · زد على ذلك تلك الاعباء الاقتصادية والعسكرية الباهظة الملقاة على عاتق شقيقتها سورية من جراء مشاركتها في قوات الردع العربية · وما تأزيم الموقف حاليا أيها السيدات والسادة الا لجذب كل اهتمامات سورية الاقتصادية والعسكرية بعيدا عن قضيتها الاولى وهي تحرير الاراضي العربية المحتلة ·

وما المشكلة الفلسطينية والحرب الايرانية العراقية والمشكلة اللبنانية حاليا الا مشاكل في مسلسل المشاكل والمآسي التي يتعرض لها شعبنا منذ قرون خلت كما ذكرت في البداية وسيستمر التعرض لامثالها ـ نظرا للاهمية الاستراتيجية للمنطقة ولغناها بالثروات والموارد الطبيعية ما لم يغير شعبنا في تفكيره وسلوكه الفردي العاطفي والانفعالي غير الموضوعي الى سلوك غيري عقلاني علمي · لذلك ينبغي الاهتمام بدراسة وسائل وطرق جديدة للتعليم والتعلم والاعداد تتناسب وشخصيتنا ووضعنا اذا كان لنا أن نتجنب الانتظار لمدة نصف قرن قبل ان نستطيع اعداد علماء وباحثين وفنيين ومعلمين باعداد في مدى جيل واحد واذا كان من غير الممكن تحسين مستويات التعليم بدرجة كبيرة وسريعة ورفعها بطريقة يصبح معها تقدير قيمة العلم والتكنولوجيا عاملا أساسيا في حياة شعبنا فان الفرصة ضعيفة في امكانية تطبيق العلم والتكنولوجيا في حياتنا بطريقة فعالة ، أما الدول الصناعية المتقدمة فقد أدركت تماما أهمية وضرورة العلم والتكنولوجيا والبحث فيهما من أجل التنمية الاقتصادية الشاملة بعد أن كان يعتقد أن العلم هو نتيجة الرخاء الاقتصادي منذ أصبح واضحا ومدركا تماما الان ، ان العلم والتكنولوجيا هما سبب القوة والرخاء الاقتصادي وبالتالي هما سبب القوة في السلم والدفاع لغيرنا ولنا سواء في تحرير الارض أو في المحافظة عليها ضد كل اعتداء خارجي وداخلي ·

وكما هو واضح حاليا أيها السادة من أننا لا نواجه التحديات الصهيونية من أجل الارض فحسب وانما من أجل البقاء كما أننا مثل غيرنا نواجه وقع الاضطرابات والاختلالات الاقتصادية العالمية مثل مشاكل التضخم والبطالة والانكماش الاقتصادي وغيره على اقتصادنا ·

أيها السيدات والسادة ،

ان مؤسساتنا العلمية في الوطن العربي أينما وجدت ومنها جامعات قطرنا ومعاهده المتوسطة ومدارسه الفنية وغيرها ومراكز البحوث فيه هي رأس الحربة في قيادة ذلك التطور لرفاهية شعبنا ومساهمة منا في الحضارة الانسانية ،

ولمواجهة تلك التحديات وغيرها في المستقبل ٠ وقد كان لتوجيه الرفيق حافظ الاسد الامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي رئيس الجمهورية ولمقررات مؤتمرات الحزب وقيادته دور كبير في تطوير التعليم بكافة أشكاله ما قبل الجامعي والتعليم العالي في قطرنا ٠ فقد تم افتتاح عدد كبير من المدارس بمختلف أنواعها وأشكالها وتم مؤخرا اقرار احداث خمسين مدرسة فنية مهنية موزعة على جميع محافظات القطر ٠ والدولة جادة باقامة عدد مماثل في العام القادم رغم ضخامة العمل والمسؤولية ٠

أما التعليم العالي فلم يكن أقل حظا فقد كانت له رعاية خاصة فبالاضافة لجامعتي دمشق وحلب الموجودتين سابقا أحدثت جامعة تشرين في اللاذقية ، والبعث في حمص وحماه ٠ وكلية للزراعة ووحدتان تعليميتان في دير الزور تتبعان جامعة حلب حاليا وهما نواة لجامعة دير الزور في المستقبل ووحدة تعليمية في درعا وأخرى في طرطوس والدولة جادة باستكمال الدراسات لاحداث وحدة تعليمية في مجال هندسة الري في مدينة الرقة لتتبع جامعة حلب كما أن هناك حاليا دراسة ذات جدوى حول افتتاح وحدات تعليمية في ادلب ٠ هذا بالاضافة للكليات والاختصاصات الجديدة التي افتتحت في الجامعات الحالية والاخرى التي هي قيد الدراسة من أجل تأسيسها لتتمكن جامعاتنا من تخريج الاختصاصيين واجراء البحوث في جميع الاختصاصات ومن أجل خلق فرص جديدة للتعليم والتعلم وتحقيقا لديمقراطية التعليم اذ أن الحق في العلم وفي التطور هو جزء متمم من حقوق الانسان العامة وعلينا أن نضمن حق كل انسان في التعلم والتطور لا من الناحية الشكلية فحسب بل يجب تهيئة الظروف والشروط الاجتماعية والتربوية اللازمة لتحقيق هذا الحق فبالاضافة الى الكليات والاختصاصات الجديدة التي أحدثت والتي في طريقها الى الاحداث أدخلت تطويرات نوعية أخرى على التعليم العالي مثل الدراسات العليا ، وتأمين الكتاب الجامعي مطبوعا لكل طالب – كما تعلمون حاليا برنامج الكتاب الجامعي – والاهتمام بأعضاء الهيئة التعليمية لتأمين شروط التعليم فهناك ندوة للتفرغ في هذا الشهر ستعقد لمراجعة قانون التفرغ كما أن هناك دراسة لاعادة النظر بالقانون رقم (١) لعام ١٩٧٥ من أجل تطويره وهناك العديد من التشريعات التي هي قيد الدراسة من أجل الاهتمام بالاستاذ والطالب والاداري والمكان وحاجات المجتمع بكافة أوجهها ويمكنكم بزيارة خاطفة لمجمع جامعة حلب الضخم والحديث أن تروا بأعينكم التطور البارز في هذه الجامعة كنموذج لتطور مؤسسات التعليم العالي ٠

أيها السيدات والسادة ،

ان عملية التنمية في قطرنا بالرغم من الصعوبات التي تواجهنا تستهدف التعجيل بالنمو بكافة أشكاله والقضاء على الفقر والطبقية والهدفان السابقان

مترابطان على الرغم من أن الكثير من الحكومات الاخرى في العالم تستسلم أحيانا غرام السعي الى أحدهما دون اعطاء اهتمام واف الى الآخر وهذا فهم ينتهي آخر الامر بالفشل فالسعي الى النمو دون الاهتمام بحدود المعقول بحاجـات المواطن يؤدي الى الاختلال الاقتصادي · وان ما تحتاج اليه وتريده جماهير شعبنا هو ما يحتاجه ويطمح اليه كل منا رفاهية لشعبنا ومستقبلا أفضل لاطفالنا ونهاية للظلم والعدوان واستردادا للارض وحقوق الشعب العربي وبداية للامل على طريق الوحدة والحرية والاشتراكية ·

أيها السادة الباحثون : والسيدات والسادة المشاركون بالاحتفال : ان شعورا خاصا يشدني اليكم والى حفلكم هذا والى مؤتمركم خلال هذين اليومين لانكم تنقبون بالماضي السحيق وتظهرون ما أخفته تلك الحقبة المنصرمة من الزمن ، وان مكتشفاتكم ستظهر للعالم حقيقة ما قدمه أجدادنا للحضارة وللانسانيـــة وبمساعدتكم ومساعدة الباحثين في جميع مجالات العلم والتكنولوجيا تـكون الجامعات من أكبر المؤسسات القادرة على تحقيق عملية التنمية الشاملة ·

انني أتمنى لمؤتمركم كل توفيق ونجاح ولبحوثكم كل قبول وفائدة فبوركت جهودكم وجهود كل من شارك بالاعداد لهذا المؤتمر والترتيبات له والسلام عليكم ·

كلمة مدير معهد التراث العلمي العربي ورئيس الجمعية السورية لتاريخ العلوم الدكتور خالد ماغوط :

الاستاذ الدكتور محمد علي حورية رئيس الجامعة ممثل السيد رئيس مجلس الوزراء راعي المؤتمر

ايها السيدات والسادة :

يسعدني ، باسمي وباسم جامعة حلب ومعهد التراث العلمي العربي ، أن أرحب بكم في ربوع جامعتنا ، بهذه المناسبة الغالية التي نحتفل فيها بافتتاح المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب ، كما نحتفل خلال هذا المؤتمر بحلول القرن الخامس عشر الهجري وبذكرى مرور ألف عام على ولادة ابن سينا .

ان هذه المؤتمرات التي تنظمها جامعة حلب من خلال معهده ؛ معهد التراث العلمي العربي ، ليست الا نشاطا من نشاطات هذا المعهد ، تمشيا مع الاهداف التي أنشىء من أجلها . وقد واصل معهد التراث مسيرته في سبيل تحقيق هذه الاهداف بتشجيع الكشف عن تراثنا العلمي المجيد وتحقيقه ونشره ، وتأهيل الباحثين في هذه الميادين . كما أن جامعة حلب تفخر باحتضانها الجمعية السورية لتاريخ العلوم التي تساهم بكافة أعضائها في اغناء البحوث التي تكشف عما تركه العلماء الذين انتجتهم الحضارة العربية من كنوز علمية خالدة كانت حجر الاساس في التطور العلمي الحديث . وما تطلعنا نحو الماضي الا نظرة أمل نحو مستقبل علمي مشرق لامتنا العربية القادرة على العطاء والابداع كما كانت سابقا وكما ستبقى دائما وأبدا .

ايها السيدات والسادة ،

لقد قام معهد التراث العلمي العربي خلال السنوات الخمس من عمره بكثير من المنجزات بفضل توجيه الجامعة له وتشجيع الوزارة والدولة ومؤازرة جميع الباحثين المؤمنين بغايات هذا المعهد ، من عرب وأجانب . فقد قام المعهد بنشر حوالي عشرين كتابا ، ويصدر أربع دوريات كما بدأ بتكوين نواة لمتحف لتاريخ العلوم والتكنولوجيا . كما قام بتنظيم ندوتين عالميتين بالاضافة الى مؤتمراته السنوية التي نحتفل اليوم بافتتاح خامسها . وقد باشر المعهد

بالدراسات العليا بافتتاح الدبلوم في تاريخ العلوم العربية الذي بدأ التدريس به في هذا العام • كما يواصل المعهد اتصالاته الدولية مع أهم مراكز البحوث العالمية التي تهتم بتاريخ العلوم •

ولا يسعني بهذه المناسبة الا أن أعبر عن جزيل تقديري للاستاذ الدكتور أحمد يوسف الحسن الذي كان له الفضل الاكبر في المبادرة بانشاء معهد التراث العلمي العربي ولا يزال يواصل عن بعد اهتمامه ونشاطاته في سبيل انجاح العمل العلمي الذي يقوم به المعهد •

ايها السيدات والسادة ،

أشكركم جميعا على تفضلكم بحضور حفلة الافتتاح هذه واشكر جميع الباحثين المشاركين في هذا المؤتمر متمنيا لمؤتمرنا هذا كل النجاح والسلام عليكم •

كلمـــة الباحثـــين المشاركـــين

الدكتور عبد الكريم شحادة
كلية الطب ـ جامعة حلب

السيد رئيس الجامعة ، ممثل رئيس مجلس الوزراء راعي الحفل ،

السادة والسيدات ،

يسعدني ويشرفني أن أرحب بكم في رحاب جامعة حلب ، باسم الباحثين ، وان أشكركم على تلبيتكم الدعوة للمشاركة بهذه التظاهرة العلمية الرائعة التي درج معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب والجمعية السورية لتاريخ العلوم في القطر العربي السوري على اقامتها في كل عام ·

وان جامعة حلب لتفخر باحتضانها هذا المؤتمر الذي يعتبر هدفه الاساسي التعريف بالدور الذي لعبه العرب في تقدم الحضارة العالمية وما قدموه للانسانية في شتى مجالات العلوم ، فلعل هذه التظاهرات العلمية والندوات الفكرية التي يجتمع فيها الباحثون من هذه المدينة وغيرها من مدن القطر والاقطار العربية والدول الاجنبية ، ليقدموا حصيلة بحوثهم وانتاجهم الفكري ، لعلها تكون حافزا للتعرف الى باحثين جدد ، وبخاصة ممن يسري في عروقهم دم الشباب ، والذين نهيب بهم أن يضطلعوا بهذا الدور الذي تفرضه عليهم قوميتهم وانتماؤهم لامتهم ·

نحن لا نبغي من مؤتمراتنا هذه ان نجتر مآثر التراث العربي القديم الذي أنتجه أجدادنا ، أو أن نتغنى بالامجاد ، كما يحلو للمتخاذلين من أبناء هذه الامة أن يصمونا به ، وكما يطيب لاعداء هذه الامة أن يصوروه لهم ، بل نبتغي من وراء ذلك كشف خفايا هذا التراث الذي يقبع في زوايا الاهمال والنسيان ، واظهاره للملأ بأقلام عربية صادقة وأفكار نظيفة مخلصة ، وذلك لنستخلص منه دروسا تدفعنا الى العمل الجدي لنواكب الحضارة الانسانية ·

وانه لمن دواعي الاعتزاز والفخر أن تتوافق هذه المناسبة العلمية الكبرى وذكرى عزيزة غالية على قلب كل عربي عاش فوق هذا الثرى وأظله سماء هذا الوطن ، ذكرى حلول القرن الخامس عشر الهجري التي تذكرنا ببزوغ شملة الاسلام التي قادت العروبة الى أمجاد خالدة ، وانتشلتها من غياهب الجهالة والضلال ·

ويضاعف سرورنا ويشحذ هممنا مناسبة كريمة أخرى ، هي احتفالنا بذكرى مرور ألف عام على ولادة عبقرية عربية اسلامية خالدة قلما يجود الزمان بمثلها ٠

ولئن تنافست ، في هذه الايام ، أمم كثيرة ، ومنها أمتنا ، وبعض الامم الاسلامية ، وراحت كل واحدة تدعي شرف انتماء هذه العبقرية الفذة اليها ، لما لا شك فيه ولا خلاف عليه أنها ترجع في أصولها الى الحضارة العربية الاسلامية ، وان جذورها تستقي من معين تلك الحضارة الفياض ، وان شهرة صاحبها تتأتى من كتاباته وتآليفه باللغة العربية ٠

فباسم جميع الزملاء الباحثين المشاركين في هذا المؤتمر أحيي جامعة حلب التي أتاحت هذا اللقاء العلمي الكبير ٠ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

توصيات المؤتمر

التأكيد على تدريس مادة تاريخ العلوم العربية في كليات الجامعة ، وكذلك رفد المدارس الثانوية ببعض المختصين من معهد التراث العلمي لتدريس مادة التاريخ بشكل علمي ٠

الطلب من وزارة التربية وضع المقدمات التاريخية للكتب العلمية (كالرياضيات والكيمياء الخ ٠٠) التي تصدرها للمرحلة الثانوية أو التوسع فيها بحيث يتضح فيها دور العلماء في تقدم تلك العلوم مع شرح مبسط لبعض النظريات التي وضعها العلماء في تلك المجالات ٠

الطلب من جامعات القطر توجيه بعض مشاريع تخرج الطلاب لدراسات تتعلق بتاريخ العلوم العربية ٠

متابعة العمل على تجميع أو تصوير المخطوطات العربية العامة من المكتبات الخاصة الموجودة في سورية وحث المواطنين على تقديمها لمعهد التراث العلمي العربي لحفظها وترميمها ودراستها أو تصويرها ، وذلك بالتعاون مع الوسائل الاعلامية ٠

الطلب من وزارات الدولة وخاصة الصناعة تقديم بعض نماذج الآلات والادوات والمواد لمتحف تاريخ العلوم ٠

تشجيع المواطنين على متابعة البحوث والدراسات الجارية في مجال العلوم العربية وضرورة نشرها بشكل مبسط ٠

نشر الابحاث والدراسات التي ألقيت خلال المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب ضمن مجلد واحد ٠

ضرورة اعلام اعضاء الجمعية السورية لتاريخ العلوم بالمؤتمرات والندوات بشكل فوري وتسهيل اجراء المراسلات اللازمة لحضورهم تلك التظاهرات العلمية ٠

الطلب من المديرية العامة للآثار والمتاحف اخضاع المخطوطات الاثرية للتسجيل المتبع في أحكام قانون الآثار العامة ٠

الابحاث

الابحاث المتعلقة بالقرن الخامس عشر الهجري

قال الله تعالى :

« وسخر الشمس والقمر ، كل يجري
الى أجل مسمى » ــ صدق الله العظيم ــ

جذور التقويم العربي
في ذكرى القرن الخامس عشر الهجري

الدكتور محمد ألتونجي
كلية الآداب ــ جامعة حلب

عشرات القرون مضت من عمر البشرية ، وما زال العالم يسير على غرار الاقدمين في مسألة التقويم والتأريخ · ولم يجد انسان « الكومبيوتر » بديلا عما اخترعه القدماء ، ايمانا منه بدقتهم وابداعهم · وما زلنا نعتقد بأن أبرز القضايا الفلكية الحديثة تعتمد على مكتشفات القدماء ولا سيما الساميين ·

من هذا المنطلق يتوجه العلماء نحو دراسة التقويم في العالم ، ليصلوا الى مكانة الامم السامية في هذا الميدان ، والى دقة العرب في تقويمهم الهجري · [محاولين ابراز عبقرية الانسان الاول في كشف ما كان يحتاج اليه] ، ولن ننسى مطلقا ان الامم السامية كانت الاولى في هذا الميدان · [وما احتفالنا في هذا العام بالقرن الخامس عشر الهجري الا جزء من تقديرنا للانسان السامي الذي أراحنا فارخ لنا ، وقوم معرفتنا للايام] ·

ولعل صفاء سماء الجزيرة العربية سبب كاف في تسهيل عملية الاكتشاف الفلكي · فالتقويم أصلا يعتمد على الكواكب الثابتة والسيارة · ولا تتم معرفة تحركاتها بدقة اذا لم تكن السماء صافية ليلا ونهارا ·

ولقد عرف ابن منظور كلمة التقويم بقوله : قام بمعنى وقف · وقام قائم الظهيرة أي قيام الشمس وقت الزوال [والمعنى ان الشمس اذا بلغت وسط السماء أبطأت حركة الظل الى أن تزول الشمس ، فيحسب الناظر المتأمل أنها وقفت وهي سائرة] · [ويقال : قام ميزان النهار ، فهو قائم ، أي اعتدل] · والتقويم باللاتينية Calendarium ، ومعناها البيانات الهامة ، وهي مشتقة من كلمة قبلها هي Calendar ، أي اليوم الاول من الشهر الروماني ، وهو حدث هام عندهم ، يعني بدء السوق أو بعض الاعياد ·

فالتقويم وسيلة لضبط أزمنة الحياة العامة، والطقوس الدينية، والزراعة ، والاحداث التاريخية ، والعلمية ، والبشرية ٠

ولا يمكن أن يعزى التقويم الى شخص معين ، ولا الى عصر عرف به ٠ وليس هناك أمة ينسب اليها ابتداع كل شيء عن التقويم ٠ لأن التقويم عمل بشري ، احتاج اليه الانسان في زمان أدرك فيه ما حوله من حركات فلكية ، بشكل جزئي ٠ فكان يقدر حركة الشمس والقمر أمامه ، كما كان يحسب عدد الليالي أو عدد الانهر ٠ وحين اضطر الى التحديد والتعداد نقش على صخرة ، ثم جمع عيدانا صغيرة ، وخصص عودا واحدا لزوال كل يوم ، أو لكل صباح ، وهذا ما كان يفعله الهنود الحمر ٠

اليـــوم :

لم يكن الانسان القديم يقدر دقائق الساعة حق قدرها ٠ ولعل همه كان منصبا على اليوم ، لانه حدث كبير ووحدة بارزة بالنسبة اليه ٠ ولكن الامم اختلفت في بدء اليوم ٠ فالبابليون وتلاهم الاغريق اعتبروا بدء اليوم شروق الشمس وانتهاءه الشروق الثاني ٠ وعد العرب واليهود أول اليوم غروب الشمس وانتهاءه الغروب الثاني ٠ [ولهذا يفطر المسلمون على الغروب ، أي ايذانا بزوال اليوم] ٠ غير أن أمما أخرى تعد منتصف الليل بدءا وانتهاء ، كالرومان ، وسار عليه الغرب ٠

ومن عد غروب الشمس أو شروقها أصلا أسمى يومه « اليوم الشمسي » ، ومن رأى بروز القمر أساسا أسمى يومه « اليوم القمري » ٠ ومن عد دورة بعض النجوم ، ومرورها بخط الزوال أسمى يومه « اليوم النجمي » ٠ واليوم الشمسي أطول الايام ، واليوم القمري أقصرها ٠

لكن الانسان لا يكتفي بما يكتشف ، فهو طموح الى المعرفة فاتجه نحو التحديد ، فرأى أن يقسم اليوم الى أجزاء صغيرة ثابتة ٠ والسومريون هم أول من قسم اليوم الى ٢٤ ساعة ؛ ١٢ ليلا و ١٢ نهارا ٠ ولم تكن الساعة محدودة بالمدة التي تعرفها ، فالسومريون قسموا ذلك اليوم الى ٦ ساعات ؛ ثلاث للنهار وثلاث لليل ٠ وكانت الساعة يختلف طولها بين الصيف والشتاء ؛ فساعات النهار كانت أطول في الصيف ، وساعات الليل كانت أطول في الشتاء ٠ وتبعهم البابليون والاغريق ٠

أما العربي فلم يكتف بتقسيم اليوم الى ساعات ، ولعله ــ وهو صاحب البلاغة ــ لم يرتض بالارقام تعبيرا ٠ فقسم اليوم الى أجزاء ، وأسمى كل جزء منه بما يناسبه في المعنى ٠ فساعات النهار هي : الدرور ، ثم البزوغ ،

ثم الضحى ، ثم الغزالة ، ثم الهاجرة ، ثم الزوال ، ثم الدلوك ، ثم العصر ، ثم الاصيل ، ثم الصبوب ، ثم الحدود ، ثم الغروب • أما ساعات الليل فهي : الشاهد ، فالغسق ، فالعتمة ، فالفحمة ، فالموهن ، فالقطع ، فالجوسر ، فالعبكة ، فالتباشير ، فالفجر الاول ، فالمعترض ، فالاسفار •• وكان لها أسماء أخرى بحسب القبائل •

فالتقويم عرف عند قدماء الامم السامية أولا ، ولا سيما من كانت بين النهرين ، ثم تطور عندهم واستقام لدى المصريين • كما عرف عند العرب بناء على مراقبتهم للكواكب ، فحددوا اليوم والشهر والسنة • وما وصل الينا دل على دراية العرب بالانواء والتوقيت • وسيرهم في الصحراء ، وخوض عرب الجنوب البحار كان يتطلب منهم معرفة بحركات النجوم • وقد قال تعالى : « وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر » •

الشــهر :

أدرك الانسان السامي بعد حين أن اليوم الذي يبدأ ثم ينتهي لا بد أن يضمه في مجموعة ثابتة تعينه على تقدير فكرته • ورأى القمر خير معين له على ذلك • فها هو ذا القمر يولد ، ثم يكبر شيئا فشيئا ، حتى يغدو بدرا • حتى اذا اكتمل عاد الى ما كان عليه من الصغر شيئا فشيئا •

فأسموا هذه الدورة القمرية شهرا • وكلمة « شهر » حديثة نسبيا • وهي مرادفة لكلمة « ورخ » لدى عرب الجنوب ، وفي القتبانية « ورفس » ، والسين هنا علامة التنكير كالتنوين • وفي العبرية « Yarah ـ يراح » بمعنى القمر والشهر معا • وكان اليهود كذلك يعتمدون على الهلال في تقويم الشهر ، يثبته تسميتهم للهلال بـ « Hodesh ـ حوديش » أي الحديث ، والهلال ، والشهر • وفي البابلية « أرخو ـ Arhu » وفي الآرامية « Arha ـ أرخا » •

وهكذا نلاحظ أن نطق الكلمات : شهر ، قمر ، تأريخ متشابهة المعنى قديما • وقيل سموا الشهر قمرا لانهم كانوا يؤقتون به ، ثم نسوا المعنى ، وأثبتوا الكلمة أسما • وسموا القمر شهرا لشهرته وظهوره • قال تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ، أي القمر والهلال • والاهلال : رؤية الهلال ، وهو دليل على أن العرب كانوا يبدؤون تقويمهم الشهري بولادة الهلال • ولذا لم يبد لهم خرجوا لمراقبته •

وتأثرت الامم المجاورة بما كان متداولا عند العرب • فالفرس كانوا يسمون الشهر والقمر معا اسما واحدا هو « ماه » • ومنها جاءت الى عاميتنا كلمة ماهية أي الشهرية أو القمرية •

وهكذا بدؤوا يحسبون الدورة القمرية شهرا ، ولاحظوا أن دورته تتبدل على التوالي ، فأخذوا يربطون تبدل الطقس بعدد دورات القمر ، واستفادوا من هذا التعداد في أمورهم الزراعية :

١ ــ فمنهم من أسمى الشهور بالارقام ، فقالوا : الشهر الاول ، الثاني ٠٠ وهكذا سار اليهود ، الى أن وقعوا أسرى لبابل ، فاقتبسوا منهم أسماء شهورهم ، وما زالوا عليها ٠ وكذلك الرومان ساروا على الارقام فقالوا : سبتمبر أي السابع ، نوفمبر أي التاسع ٠٠٠

٢ ــ ومنهم من أسمى الشهور بالشخصيات البارزة مثل : شهر أغسطس ، يوليوس ٠٠

٣ ــ ومنهم من أسماها بأسماء بعض الآلهة ، مثل : تموز ٠٠

٤ ــ ومنهم من أطلق عليها دلالات دينية ، مثل « ورخ ذا الالت » في السبئية ، و « ذو عثتر » ، نسبة الى الالهة « عثتر » ، و « ذو شمس » ٠٠

٥ ــ ولبعضها دلالة على الزراعة والاجواء ، مثل : « ذو دثا » ، و « دثا » في المسند معناه الربيع ٠ و « ذو خرف » ، و « ذو قيظن » و « ذو صربن » و « رمضان » ، و « جمادى » ٠ وكلها ذات مدلولات طقسية وزراعية ٠

ورأت الامم أن عدد الاشهر اثنا عشر شهرا ، وأثبته ما جاء في الذكر الحكيم : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله ، يوم خلق السموات والارض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ٠ وهذا هو التقسيم الشائع لدى الساميين جميعا ٠ وتبعهم في ذلك عدد من الامم المجاورة كالفرس واليونان ٠

أسماء الشهور :

اتفقت الامم السامية على عدد الشهور في السنة القمرية ، لكنها اختلفت في تسمياتها ٠ من ذلك :

الاشهر البابلية :

١ ــ نيسانو	Nisanu
٢ ــ أيارو	Ayaru
٣ ــ سيمانو	Symanu

٤ ـ دو وزو	Du'uzu
٥ ـ ايلولو	Ululu
٦ ـ تشريتم	Tashritum
٧ تشريتو	Tashritu
٨ ـ آراخما	Arakhamma
٩ ـ كيسليمو	Keslimu
١٠ ـ تيبيتو	Tebetu
١١ ـ شاباتو	Shabatu
١٢ ـ آدارو	Adaru

أشهر العرب العاربة :

١ ـ المؤتمر : (اسم فاعل) الذي يأتمر بكل ما تأتي به السنة ٠

٢ ـ الناجر : من النجر ، وهو شدة الحر ٠

٣ ـ الخوان : من الخيانة ٠

٤ ـ الصوان : من الصيانة ٠

٥ ـ الزباء : الداهية العظيمة ، سمي بذلك لكثرة القتال منه ٠

٦ ـ البائد : يبيد فيه كثير من الناس ٠ يستعجلون فيه بالثأر والغارات قبل دخول شهر رجب ٠

٧ ـ الاصم : يكفون فيه عن القتال ، فلا يسمع فيه صوت للسلاح ٠

٨ ـ الواغل : الداخل على شراب ولم يدعوه ٠

٩ ـ الناطل : مكيال الخمر ، سمي كذلك لافراطهم فيه بالشرب ٠

١٠ ـ العادل : من العدل لانه من أشهر الحج ٠

١١ ـ الرنة : كانت النعام ترن فيه لقرب النحر ٠

١٢ ـ البرك : سمي لبروك الابل اذا أحضرت للنحر ٠

الاشهر السبئية القديمة :

١ ـ ذا بهي
٢ ـ ذا دتم
٣ ـ ذا نسور
٤ ـ ذا سحر
٥ ـ ذا فلسم
٦ ـ ذا قيضنن
٧ ـ ذا الالت
٨ ـ ذا دثا
٩ ـ ذا عثتر
١٠ ـ ذا موصم
١١ ـ ذا صربن
١٢ ـ ذا ملت

المعينيـون :

١ ـ ذو أبهى
٢ ـ ذو آبرهن
٣ ـ ذو أثرت
٤ ـ ذو عثيرة
٥ ـ ذو دثا
٦ ـ ذو حضر
٧ ـ ذو طنفت
٨ ـ ذو نور
٩ ـ ذو سمع
١٠ ـ ذو شمس
١١ ـ ذو سحر
١٢ ـ ذو خرف

الاشهر العبرية :

اقتبسوها عن البابليين فقالوا :

١ ـ أبيب
٢ ـ أيارا
٣ ـ سيوان
٤ ـ تموز
٥ ـ آب
٦ ـ أيلول
٧ ـ تشري (أو تشرينو)
٨ ـ مرشوان
٩ ـ كسلو
١٠ ـ تبت (أو تمطرو)
١١ ـ شبات
١٢ ـ آدار

الاشهر لدى العرب الشماليين :

ضنت المراجع بذكر الاسماء الشمالية القديمة ؛ فهم كانوا يعددونها بالارقام ، ثم أخذوا يسمونها بحسب المواسم وتقلبات الجو ، أو على مواعيد رحلاتهم ، أو معتقداتهم ، ثم زالت هذه المفاهيم • ومن الشماليون بمرحلة اقتبسوا فيها الاسماء البابلية مع تغيير طفيف في كيفية نطقها • وبعد حين من الزمان عزف العرب عن الاسماء المقتبسة المذكورة ، واستحدثوا أسماء خاصة بهم ؛ نبعت من بيئهم ، وعاداتهم ، ومعتقداتهم • وسنحاول تعدادها وشرح معانيها ، وماذا يقابلها لدى العرب العاربة :

١ ـ المحرم : (المؤتمر) وتحرم فيه الحرب سنة وتحلل سنة • وكان يسمى شهر الله • كما كان يسمى صفر الاول • وقد فرض صومه في أول سنة

الهجرة ، ثم نسخه صوم رمضان • وتؤدي اللفظة معنى الحرمان والتقديس • والظاهر ـ كما يقول أنيس فريحة ـ أن لكل قبيلة شهرا محرما ، ثم جمعت الاشهر الحرم فكانت أربعة •

٢ ـ صفر : (الناجر) لخلو منازلهم منهم لحرب أو سفر في هذا الشهر القاسي فيرحلون بحثا عن الكلأ ، فتصفر مواطنهم منهم • وكان ينعت بالخير والمظفر على التيمن ، كان من أشهر النحس •

٣ ـ ٤ ـ شهرا ربيع : (الخوان والوبصان) • كان يكثر فيهما الزهر والنور ، وتنزل فيهما الامطار ، وينمو العشب • وكان شهر ربيع يسمى « الشريف » •

٥ ـ ٦ ـ شهرا جمادى : (الحنين وملحان) ، وكانا يأتيان شتاء ، فتجمد فيهما الماء • كما كانوا يسمون فصل الشتاء « جمادى » للبرد الذي يقع فيه •

٧ ـ رجب : (الاصم) سموه بذلك لتعظيمهم اياه في الجاهلية • وكانوا لا يستحلون فيه القتال • ومضر أكثر القبائل تعظيما له ، فسمي « رجب مضر » •

٨ ـ شعبان : (العاذل) لتشعب القبائل فيه للغارة • وينعت بالمعظم والشريف ، وكان يقع صيفا •

٩ ـ رمضان : (الناتق) كانت الحجارة ترمض فيه ، أي تسخن من شدة الحر • وينعت بالمبارك والاصم لعدم سماع الصوت فيه • وهو الشهر الوحيد الذي ورد ذكره في القرآن الكريم : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس •• » •

١٠ ـ شوال : (الوعل) وهو من شهور الصيف حيث ترتفع الحرارة ثم تدبر ، ويسمى لهذا السبب ، أو لان الابل تشيل بأذنابها شهوة للضراب • وكانوا يتشاءمون منه ، فلا يعقدون فيه زواجا • غير أن رسول الله (ص) أبطل طيرتهم فيه •

١١ ـ ذو القعدة : (الرنة) وكانوا يلزمون فيه منازلهم ، ويقعدون فيه عن الحرب ، ولهذا سمي « قعدة » • وهو الشهر الذي يسبق الحج ، وجمعه : ذوات القعدة •

١٢ ـ ذو الحجة : (البرك) وكانوا يحجون فيه ويبركون عن الحرب • وهو آخر شهور السنة • وكان معنى « حج » قديما رقص ، ثم صارت بمعنى قصد ، ثم خصصت لقاصد مكة للنسك وجمعه : ذوات الحجة • ومن معاني الحج قديما العيد ، ومنه في العبرية Hag بمعنى العيد ، ثم أدى المعاني الدينية •

هذه هي أشهر العرب الشماليين عندما جاء الاسلام ، لكن مفهومها تغير ، وهذا دليل قدمها • فقد كانوا يسيرون فيها على القمر ، ولكنهم يعاينون الشمس والطقس • فأطلقوا الاسماء على ما تلمسوا • وبعد حين تغير موعد حلول الشهر ، فاختلف مؤدى الاسم ، الا الاشهر الحرم فانها ظلت على مؤداها لانها كانت تعتمد على الاعراف والتقاليد ، لا على الشمس أو القمر •

وكان « المحرم » أول الشهور عند العرب ، وظل كذلك في الاسلام • وعلى الرغم من أن هجرة النبي (ص) لم تكن في محرم ، بل كانت في شهر ربيع الاول فان عمر بن الخطاب حدد الاول من محرم بدءا للسنة الهجرية ـ أي قبل شهرين من الهجرة ـ وعمله هذا اقرار لما كان عليه العرب من عادات اذا لم تؤثر في الاسلام •

وهكذا نلاحظ أن الساميين جميعا كانوا يخلطون في تقويمهم بين الشمس والقمر ، فهم تبعوا ولادة الهلال ، وتتبعوا حركات القمر لتنظيم الشهر ، ولكنهم في الوقت نفسه راقبوا أثر الشمس في المحصول • أما العرب الشماليون فكانوا يهتمون بالسنة القمرية أكثر من الشمسية لقلة اهتمامهم بالمزروعات • ومع ذلك فقد أسموا أشهرهم بالاعتماد على مظاهر الطبيعة من أثر حركة الشمس في بيئتهم • وساعد على تثبيت السنة القمرية اعتماد المسلمين على القمر في كثير من أمور حياتهم وتنظيم عقيدتهم •

« ويسالونك عن الأهلة ، قل : هي مواقيت للناس والحج »

« ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله »

« فمن شهد منكم الشهر فليصمه » •

وهكذا تحددت السنة القمرية لدى المسلمين في العالم • استنادا الى القرآن والسنة • وانتشر هذا التقويم القمري في الامم المسلمة جميعا • وكان الفرس أول الامم المتأثرة بالتقويم الاسلامي القمري • فتركوا تقويمهم كما تركوا الفباءهم ونصف لغتهم ، وأرخوا بناء على التقويم الهجري • وحين رغبوا في العودة الى التقويم الشمسي في القرن الخامس أمر ملكشاه السلجوقي

الفلكي عمر الخيام سنة ٤٦٧ هـ بتعديل التقويم بناء على الهجرة ، على أن يكون بدء السنة الاول من النوروز • وهو التقويم « الجلالي » الهجري الشمسي ، ورمزوا له بـ « هـ • ش » •

واستخدم الهنود المسلمون التقويم الهجري القمري اثر دخول الاسلام بلاد السند بفضل محمود الغزنوي • وكذلك فعل الصينيون بأمر من الاباطرة المغول • وما زال الصينيون المسلمون يولون التقويم القمري عناية خاصة في توضيح أمور دينهم • الا أنهم عدوا اليوم الخامس عشر كمال البدر وليس الرابع عشر •

التـاريخ :

اهتم الانسان المتحضر بالتوقيت اليومي والشهري والسنوي لينظم أموره الدينية والاجتماعية ، وليتابع مواسمه وغلاته • وأخذ الساميون كلمة « ورخ » بمعنى القمر ، وأرخوا ، وهذا دليل اعتمادهم على القمر • وكان القدماء يؤرخون بناء على بدء حكم الملوك • وكان الحميريون يؤرخون منذ تأسيس حكومتهم ، وأهل الشام وحوران كانوا يؤرخون ببدء احتلال الروم لمدينة بصرى •

أما عرب الشمال فكانوا يؤرخون بالاحداث الجسام كعام الفيل ، وبأيام العرب كيوم الفجار ، ويوم ذي قار ، ويوم جبلة • كما كانوا يؤرخون بالغزوات الكبرى أو برئاسة سادات القبائل ، أو بعوامل طبيعية بارزة •

ومع أن التقويم الميلادي كان معروفا في بعض أجزاء من الجزيرة العربية ، فان العرب لم يعملوا به لصفة دينية أولا ، ولانه يعتمد الشمس ثانيا • وكان على خلفاء رسول الله (ص) ، وهم ينظمون للدولة الاسلامية الجديدة ، أن يفكروا بحدث هام يعتمدونه في تأريخهم • ولم يكن لديهم أبرز من التحول الكبير في مسيرة الدعوة اثر هجرة النبي (ص) من مكة الى المدينة • فاتخذ عمر بن الخطاب ـ كما ذكرنا ـ هذا الحدث بدءا للتأريخ ، لكنه اضطر الى تحويل الشهر الذي جرت فيه الهجرة الى شهر محرم ؛ رأس السنة العربية •

وهكذا عد عمر بن الخطاب مؤسس التقويم الهجري • فعلينا ان نذكر أعماله الجليلة ، ونحن نحتفل بالقرن الخامس عشر الهجري • وترى من الناحية اللغوية آن نقول « سنة هجرية » لان الهجرة مؤنثة ، و « عاما ميلاديا » لان الميلاد مذكر •

واجباتنا التربوية والعلمية والقومية
في القرن الخامس عشر الهجري

الاستاذ فريد جحا

موجه اللغة العربية بحلب

مقدمة :

بدأ القرن الخامس عشر الهجري يوم الاحد التاسع من تشرين الثاني عام ١٩٨٠ م • واحتفل بهذه المناسبة لا في أقطار الوطن العربي وبلاد المسلمين فحسب ، بل في المنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة (اليونيسكو) ، وفي كثير من بلاد العالم المتمدن •

وحين تحتفل الدنيا بهذه المناسبة فانما تفعل ذلك لسببين :

اولهما : تذكير بهجرة الرسول العربي محمد صلوات الله عليه ، الذي غدا بالنسبة للعالم نبيا مصلحا وهاديا ومرشدا ، وحاملا لرسالة سامية •

وثانيهما : توجيه تحية الى هذه الحضارة التي أقامها العرب ، ومعهم المسلمون بين القرنين الثالث والعاشر الهجريين (التاسع والسادس عشر الميلاديين) ، هذه الحضارة التي استطاعت في مدة قصيرة من الزمن استيعاب الحضارات السابقة وتمثلها ودفعها الى الامام ، في تراث حضاري زاه دعا المستعرب الفرنسي فانتاجو Vintajoux الى تخصيص كتاب له سماه (المعجزة العربية Le Miracle Arabe) ، معجزة تمت حين استطاع العرب بعد الاسلام جمع مآثر الحضارتين الاغريقية والهندية ، منتجين حضارة جديدة كانت لها عبقريتها الخاصة التي كرس ، للحديث عنها وعن أثرها في النهضة الاوربية الحديثة ، كتاب ضخم باللغة الانكليزية بعنوان (عبقرية الحضارة العربية ، مصدر النهضة Genuis of Arab Civilisation, Source of Renaissance) والذي ألفه مجموعة من العلماء الاوربيين والامريكيين والعرب •

والهجرة ذكرى عزيزة علينا نحن العرب ، وعلى المسلمين أيضا ، ذلك أنها حادث من أهم أحداث حياة الرسول ، اختيرت بدءا للتاريخ العربي لثلاثة أسباب :

أولها : أن الهجرة بدء انتقال الدعوة الاسلامية من مرحلة الدفاع عن النفس ، الى مرحلة الهجوم ، للحصول على النصر •

والثاني : أن الرسول بعد انتقاله الى المدينة قد بدأ يرمي أسس الدولة العربية الاسلامية ، التي استطاعت أن تحقق توحيد جزيرة العرب أولا ، ثم انطلقت بعد ذلك الى تحرير الارض المحيطة بالجزيرة ، تلك الارض التي كانت تعاني من استعمار الرومان والفرس من جهة ، والتي كان يسكنها قوم من العرب أو من أخوة لهم ،أقارب في اللغة ، من جهة أخرى ٠

والثالث : أن هذه الدولة العربية بعد الاسلام قد أظلت بعد قرنين الحضارة العربية التي كانت فخرا لا لنا نحن العرب فحسب ، بل للمسلمين ولسائر شعوب الارض قاطبة ٠ والدليل هذه الاحتفالات التي أقيمت كما ذكرنا في مفتتح هذا الحديث ، في أقطار العروبة ، وبلاد الاسلام ، وفي الدول الغربية والشرقية ، وفي اليونيسكو المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم ٠

وحين نحتفل هذا الاحتفال ببدء القرن الخامس عشر الهجري ، نقف في لحظة معينة من الزمان ، هي هذه السنة الاولى من هذا القرن الهجري الجديد ، نقف لنلقي نظرة على الماضي ، وعلى الحاضر ، ونظرة أخرى نحو المستقبل ، مستشرفين آفاقه ، ومتطلعين الى أن يكون فيه الخير لنا نحن العرب والمسلمين ، ولسائر شعوب الارض ، خير نستطيع فيه أن نعيد للعرب مجدهم اللائق بهم تحت الشمس : أمة عربية كريمة تصنع حضارتها لنفسها ، وتسهم بذلك في تقدم البشرية ؛ مثلما فعلت ذلك من قبل : في فجر التاريخ الانساني أولا ، وفي ديار العرب بعد الاسلام ثانيا ٠

ان هذا البحث سيكون ثلاثة أقسام :

نظرة على الماضي ، أي على القرن الرابع عشر الهجري ٠

ووقفة في الحاضر فيها تقديم ما فيه من خير وشر ٠

ونظرة أخرى ثانية على المستقبل نحملها آمالنا ، وما ينبغي علينا أن نقدمه للقيام بواجباتنا في النواحي التربوية والعلمية والقومية ٠

١ ـ نظرة على الماضي :

نفعل ذلك لان التاريخ لا يمكن أن يقف ، ولان كل لحظة فيه استمرار لماض وحاضر ومستقبل ٠

أما الماضي فلا نريده أن يكون بعيدا ضاربا في الزمان ، بل نريد منه فقط هذا القرن الماضي ، الرابع عشر ، الذي بدأ يوم الجمعة العشرين من

تشرين الثاني لعام ثلاثة وثمانين وثمانماة وألف ميلادية ، وانتهى مساء السبت الثامن من تشرين الثاني من عام ثمانين وتسعماية وألف ميلادية ٠

هذا القرن من أهم القرون في تاريخ الانسانية من الناحية العلمية ؛ يكفي أن نتذكر أنه قرن البخار والكهرباء والذرة ، وهي الطاقات التي قلبت المفاهيم العلمية ، ومكنت الانسان من أن يسخر قوى الطبيعة الهائلة لخدمته ، مما يسر له العيش الهنيء والرفاهية من ناحية ، ويسر له بالتالي الاندفاع قدما في تطوير العلوم الرياضية والفيزيائية والكيميائية والحيوية تطويرا أخذ يقاس لا بالسنين بل بالايام من ناحية ثانية ٠

وعندما بدأ ذاك القرن الرابع عشر الهجري (أي في عام ١٨٨٣ م) كان الوطن العربي مقسما الى قسمين رئيسين من الناحية السياسية : أولهما يشمل بلاد الشام والعراق وليبيا ، وكان يرزح تحت نير الحكم العثماني الذي يقف على قمة الهرم منه سلطان طاغية يحكم الامبراطورية العثمانية المتداعية الملقبة باسم الرجل المريض ، حكما أوتوقراطيا ظالما عن طريق زبانيته من رجال (الخفية) ، ويحاول أن يبقي الشعوب التي لاتزال ترزح تحت حكمه في حالة من الجهل مزرية ٠ يكفي أن أضرب لكم مثلا قريبا : كان عدد سكان حلب حسب احصاء عام ١٣٠١ هـ ١٨٨٤ م ، (١٨٩ر٩٩) ، وكان عدد المدارس في زمن ولاية جميل باشا (وكان يعد من الولاة المخلصين العاملين) ثلاثة عشر مكتبا فيها ستة وثلاثون وسبعمائة تلميذ فقط ٠

أما القسم الثاني من البلاد العربية فيشمل مصر والجزائر وتونس وكانت مستعمرة من قبل انكلترا وفرانسا ، وكان المغرب متمتعا باستقلال تام ٠

في هذا القرن الرابع عشر سقطت الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الاولى ، وتقاسمت دولتا الغرب فرانسا وانكلترا بلاد الشام والعراق ، وقسمتها الى الدول التي عرفت باسم سورية ولبنان وفلسطين والعراق وامارة شرقي الاردن ، وكانت فرانسا قد بسطت حمايتها على المغرب في عام ١٩١٢ م ، وكانت ايطاليا قد احتلت ما كان يسمى ببلاد برقة وطرابلس الغرب في العام ذاته ٠

وقد تميز هذا القرن من الناحية السياسية بالهجمة الاستعمارية على بلاد العرب ، فعندما انتهت الحرب العالميـة الاولى كانت البلاد العربيـة مجـزأة ومستعمرة كلها باستثناء داخل جزيرة العرب واليمن ، أما السواحل فتعلمون ان انكلترا قد فرضت حمايتها عليها وفرضت ما سمته آنذاك معاهدات حماية ، على جميع الامارات والمشيخات المعروفة في ذلك العهد ٠

وتميز هذا القرن أيضا بهجمة استعمارية أخرى كانت أشرس وأعتى ، لانها لم تكن استعمارا يحمل عصاه ويرحل في النهاية ، بل كانت استعمارا استيطانيا حقق بالاتفاق مع دولة الاستعمار انكلترا ، وبتاييدها وبتأييد الولايات المتحدة الاميركية من بعد ، ما سمي بدولة اسرائيل ، التي قامت على البغي والعدوان وتشريد شعبنا في فلسطين ، وخلقت للعرب أهم مشكلة واجهتهم في العصر الحديث ٠

على أن هذا القرن قد تميز أيضا بنضال العرب ضد المستعمرين ، نضالا مستمرا دائبا ، استطاع العرب في جميع أقطارهم تحقيق استقلالهم بوساطته ، وتوج ذلك النضال بالثورة الجزائرية المعجزة التي استطاعت بعد تقديم مليون شهيد ، وجهاد استمر ثمانية أعوام ، أن تمرغ أحلام المستوطنين الفرنسيين في التراب ، وأن تعيد الى الجزائر عروبتها بعد محاولة استمرت مآئة وثلاثين سنة جربت فيها فرانسا أن تثبت عبثا ان الجزائر فرنسية ٠

ولم تكن ثورة الجزائر المعجزة الاولى التي قدمها العرب في تاريخهم الحديث ، بل انهم كانوا قبل ذلك قد حققوا عدة معجزات أهمها في رأيي خمس :

الاولى : معجزة الصمود والبعث ، أو ما سمي باسم النهضة العربية ، تلك النهضة التي صحا فيها العرب على واقعهم ، ووجدوا أن الترك لا يريدون بهم خيرا ، وان الخير لهم في الاستقلال عنهم ، وفي اقامة دولة عربية مستقلة ٠

والثانية : أن الرواد العرب الذين قامت هذه النهضة على أكتافهم قد عرفوا الطريق الصحيحة نحو اليقظة ، فدعوا الى أن ترتكز على دعامتين : احياء التراث العربي في أزهى عصوره والاخذ عن الحضارة الاوربية الحديثة ٠

والثالثة : الايمان بالقومية العربية القائمة على رابطتين من لغة مشتركة وتاريخ موحد ، في الاولى وحدة الفكر ، وفي الثانية تلتقي عواطف الاعتزاز بالماضي التليد المشترك ٠

والرابعة : جهاد الفلسطينيين الفدائيين ضد أعتى استعمار عنصري استيطاني عرفته البشرية في تاريخها الطويل ٠

والخامسة : اندفاع الشعب العربي بعد الاستقلال الى الاغتراف من ينابيع العلوم الحديثة ٠٠ وهو اغتراف فاق كل تصور ، وحقق تفجرا تعليميا لا نظير له – باعتراف اليونيسكو – يكفي أن أذكر لكم انني تقدمت في عام تسعة وثلاثين وتسعماية وألف الى امتحان شهادة الدراسة الابتدائية (المسماة حينذاك

بالسرتفيكا) • كان عدد التلاميذ المتقدمين الى هذه الشهادة في محافظة حلب (وكانت تضم محافظتي ادلب وحلب) لا يتجاوز ٥٠٠ طالب وطالبة ، امتحنا جميعا تحريريا وشفهيا في مدرسة التجهيز الاولى (التي تسمى اليوم ثانوية المأمون) •

هذه النهضة العربية التي تحدثنا عنها منذ قليل انبثقت من ثلاثة مراكز : القاهرة ، وبيروت ، وحلب • دور القاهرة وبيروت في يقظة العرب معروف ومدروس في كتب لا حصر لها ، وباللغات المختلفة ، وهو موضوع أطروحات كثيرة كثيرة •• أما دور حلب فلم يعرف به الا لمحا ، والا من خلال كتب قليلة بحثت جزئياته ، ودرسته دراسة عامة غير موثقة توثيقا علميا • وهذا ما دفعني الى اعداد دراسة عن (الحياة الفكرية في حلب في القرن التاسع عشر) ، دراسة تقوم على تمهيد وثلاثة أقسام كبرى ، وهي تقع في مجلدين ضخمين تمت كتابة أولهما ، والثاني مفرداته في بطاقات تنتظر الكتابة ، وآمل أن انتهي منه قبل ان ينصرم العام الاول من القرن الخامس عشر •

نقرأ معا من خاتمة المجلد الاول هذه الفقرات :

« كان القرن التاسع عشر ، بالنسبة للامة العربية ، قرن النهضة الحديثة ، والبعث الفكري والثقافي والقومي • اذ انه على الرغم من ظلمات الحكم العثماني ، التي كانت ترين على أكثر أجزاء الوطن العربي ، وعلى الرغم من هجمة الاستعمار الغربي الذي بدأ مع مطلع القرن ، وأخذ ينتزع القطر العربي تلو الآخر ، وعلى الرغم من الجهل والتخلف اللذين كانت تعاني منهما الامة العربية •• على الرغم من ذلك كله ، فان هذه الامة قد استيقظت ، وهبت من سباتها ، ووعت مكانتها من جديد : أمة واحدة ذات حضارة مجيدة ، وتراث عظيم ، وتاريخ تليد •• ثم عبرت عن رغبتها في العودة الى مسرح الحياة ، وعملها على أن تأخذ مكانتها اللائقة بها تحت الشمس •

تجلى الوعي القومي في الايمان بالعروبة فكرة تجمع الناطقين بالضاد ، وساكني هذا الوطن العربي الكبير ، ايمانا دعا الى الاعتزاز بالماضي الزاهر من جهة ، والفهم العميق لاسباب تخلف الحاضر من جهة ثانية ، والعمل الدائب من أجل غد كريم من جهة ثالثة •

ولم تحدث النهضة بغتة ، ولا كانت مصادفة ، بل أتت بعد مخاض عسير ، وبعد أن هيأت لها أسباب عديدة ، أسباب ساعدت على ايجاد النهضة ، وأوجدت لدى العرب هذا الشعور بوجوب مساعدة هذه الاسباب ، ودعمها حتى تلعب دورها ، وتؤثر التأثير الممتاز •

وما ان نقل العرب هذا الشعور من حيز الفكرة الى حيز الفعل ومن الامل البعيد الى العمل الدائب سعيا اليه ، حتى تبين لهم أن عليهم السير في طريق مدعوم بأمور ثلاثة : التخلص من الحكم العثماني الذي كان أهم أسباب نومهم أربعة قرون ، واحياء التراث في أزهى عصوره ، والآخذ بأسباب الحضارة الغربية الحديثة .

ولقد درس مؤرخو النهضة العربية الحديثة أسباب هذه النهضة ، فأجملوها في عوامل كثيرة أبرزها : المدارس الحديثة ، والصحف والطباعة والمكتبات العامة ، تليها عوامل أخرى تتجلى في وجود روح الحرية الشخصية ، والجمعيات الادبية والعلمية ، والمتاحف والتمثيل ، واتصال العرب بالحضارة الاوربية الحديثة .
ولقد فصلنا القول في الباب الثاني من أبواب كتابنا هذا ، وبينا الدور العظيم الذي قامت به المدارس والمطابع والمكتبات والصحف في مدينة حلب ، وكان يظهر لنا في كل فصل أن هذه العوامل ، عوآمل الانبعاث العربي ، قد كان لها أكبر الاثر في دفع حلب ذاتها في طريق النهضة من جهة ، وفي الاسهام في النهضة العربية في جميع أقطار الوطن العربي من جهة ثانية .

فلقد كان في حلب نهضة علمية وتعليمية مباركة تجلت في المدارس الكثيرة التي كان الطلاب يرتادونها ، وهي مدارس تقليدية حينا ، ثم حديثة تسير حسب الافكار التربوية الحديثة حينا آخر .

في حلب وجدت أول مطبعة في الوطن العربي ، مطبعة سبقت تلك التي جلبها نابليون معه الى مصر بحوالي مائة عام ، ثم تكاثرت المطابع بها بحيث أخذت تقدم للناس الكتاب المطبوع الكثير الرخيص ، مقابل الكتاب المخطوط القليل الغالي الثمن ، الذي كان وسيلة الثقافة قبل دخول المطبعة الى الوطن العربي .

كذلك بينا في فصل خاص عناية الحلبيين بالكتب والمكتبات وأبرزنا الدور الذي قامت به المكتبات العامة في ايجاد جو علمي وثقافي كان له أثره الكبير في النهضـة .

أما الصحافة فكان لها الفصل ما قبل الاخير في هذا الباب ، وفيه أرخنا لها وبينا مزاياها ، وما لها من فضل عـلى حلب ، وعـلى النهضـة الفكرية والثقافية أيضا ... » .

وأنهينا الكتاب بهذه الكلمات :

« لكأن هذا الوطن العربي نسر كبير نشر جناحيه يظللنا ، ويقدم لنا نهضة العرب في العصر الحديث ، جناحين واحد في القاهرة ، والآخر في حلب ،

وقلبه يخفق في هذا الجزء الذي بين المتوسط ودمشق ٠٠ ولقد خفق الجناحان ، ونبض القلب ، فاستفاق العرب ، ونهضوا تلكم النهضة المباركة التي حرقوا فيها المراحل ، واختصروا الزمن ، ففي أقل من قرن استطاعوا أن ينجزوا الكثير من جوانب الحضارة » ٠

فالقرن الرابع عشر الهجري اذا قرن النهضة والنضال ضد الاستعمار ، والصمود في وجه الهجمة الصهيونية الامبريالية ، وان منجزاتهم لرائعة كثيرة تذكر بانجازات أجدادنا العظام ، في ذينكم القرنين الهجريين الاول والثاني ، حين فتحوا الدنيا وانتقلوا بسرعة سريعة الى الاخذ في الميدان الحضاري ، ثم في العطاء الحضاري الكبير ٠

٢ ـ وقفة في الحاضر :

ان المتأمل في حاضر الامة العربية تروعه السلبيات والمآسي في كل مكان :

فالامة العربية ممزقة ، ومصر يحكمها فرعون صغير وفق بعد مناورات ومداورات الى أن يخرجها ـ ظاهريا بالطبع ـ من الصف العربي الواقف في وجه العدو الصهيوني ؛ ولم يكتف بذلك بل زار القدس ، وصلى في المسجد الاقصى تحميه حراب شذاذ الآفاق ، وتحرسه جنود أعرق ارهابي القرن العشرين ٠ ومضى صعدا في خيانته ، فوقع صك الاستسلام ، وأهمل حقوق شعب مصر ، ونصب نفسه وكيلا عن شعب فلسطين يريد أن يسلمه لقمة سائغة لعدو العرب الاول ٠٠ ومضى الى أبعد من ذلك ، فأقام للصهاينة في قاهرة المعز سفارة ، متحديا شعور العرب أجمعين ، وأرواح آلاف الشهداء من شعب مصر العربي الابي ، والملايين من المصريين الاحياء ، ومفضلا علم اسرائيل على أعلام أكثر من عشرين دولة عربية ٠

والعدو بتاييد من حكومة الولايات المتحدة الاميركية وبمباركتها ، يسرح ويمرح ، ويؤذي ، ويبني المستوطنات ، ويقوم بالغارات ، ويحمي تمزيق لبنان ٠٠ والعرب ، بقية العرب ، بين ساه لا يعرف الخطر القريب والبعيد ، وآخر يحس بالخطر ولكن لا قدرة له على الاسهام ، والقطر العربي السوري صامد بوجه ذلك كله بقيادة رئيسه البطل تؤازره دول الصمود والتصدي ، وشعوب الامة العربية المجيدة ٠٠ أما شعب فلسطين فيقاوم على أكثر من جبهة ، ويطعنه في قضيته ، من أبناء قومه ، من هم أكثر أذى من غارات العدو الصهيوني ٠٠

ومع ذلك ، فمن وسط هذا الجو الاسود المنذر بالظلام تلوح أعلام التفاؤل والاستبشار بالمستقبل ٠ فالعرب صامدون للمؤامرات والهجمات ، وشعب فلسطين ، على ما يتحمل ، ماض في طريق التحرير ، وأعلام صهيون تحرق في

القاهرة لترفع بدلا عنها أعلام فلسطين ، ويرفرف فوق ذلك كله تطلع الى معجزة عربية : معجزة تعيد للعرب التفافهم حول القضية ، تمهيدا لاستعادة وحدة العرب ومجدهم ٠٠ معجزة تذكر بما تم في تشرين حين وقفت الامة العربية صفا واحدا متضامنا فحققت نصرا على العدو الباغي ، وأرغمت دول الغرب على الاستماع لصوت الحق ، وحررت – لاول مرة في تاريخ العرب الحديث – بترول العرب لتزجه في المعركة وتجعله سلاحا عربيا ماضيا لو أحسن استعماله ٠

وفي المجال التعليمي تبدو الامة العربية مقبلة على التعليم اقبالا مدهشا والامية تتناقص تناقصا ظاهرا وان كان غير مرض ، فلا تزال متفشية في حوالي اربعين بالمئة من مجموع الشعب العربي ، وكثير من الطلاب الذين يتركون الدراسة في مرحلة متقدمة ، سرعان ما ينسون ما تعلموا ، ويغدون أميين من جديد ٠

على أن هذا التعليم منصب على الناحية الكمية ، دون عناية ظاهرة بالنوعية ودون اعداد الوسائل لرفعه ٠٠ والنقص يبدو ظاهرا في معلمي المدرسة الابتدائية الاكفياء وبين مدرسي اللغات الاجنبية ، والمواد العلمية في المدرستين الاعدادية والثانوية ، وكفاية المعلمين والمدرسين قد تدنت لاسباب كثيرة أهمها عزوف الطلاب النابهين عن التعليم ، والغاء ذلك النوع القديم الممتاز من دور المعلمين ذي السنوات الاربع ، والاستعاضة عنه بنوع آخر يقتصر على طلاب الشهادة الثانوية ، ويتلقى فيه الطلاب تعليما كانت مدته سنة ، ثم أصبحت سنتين ، ولكنه غير مجد الجدوى المناسبة لتدني مستوى المتقدمين من الطلاب ، فالطلاب بصورة عامة يعزفون عن دور المعلمين ، مفضلين الجامعات والمعاهد العليا ٠

وتبرز من خلال ذلك ظاهرتان ملفتتان للنظر ، ومحققتان تقدما جيدا في مضمار العلم والتعليم والثقافة :

أولاهما : انشاء معهد التراث العلمي العربي ، الذي يضم الآن أفضل مكتبة متخصصة في الوطن العربي ، والذي يرمي الى ابراز الجانب العلمي من التراث العلمي أولا ، والجانب الذي أسهم فيه العرب في الحضارة الانسانية ثانيا ، ويرعى الندوات العالمية ثالثا ، وندوات الجمعية السورية لتاريخ العلوم رابعا ٠

والثانية : ذلك المرسوم الذي صدر بشأن البدء بتأليف الموسوعة العربية ٠ ان الامة العربية لم تكتب حتى الآن موسوعتها الخاصة ، وجميع المحاولات ، والموسوعات التي ألفت حتى الآن ليست في المستوى المطلوب من موسوعة تؤلف في الربع الاخير من القرن العشرين ٠ ولقد أعد المرسوم اعدادا جيدا ، ورصدت

له الاموال اللازمة ، بقي أن توضع الخطة التفصيلية للعمل ، ويبدأ به ، أي بكتابة الموسوعة التي هي عمل حضاري ممتاز • ويوم تتم الموسوعة العربية كما نريد لها أن تتم ، ستكون فخرا ، لا لهذا القطر فحسب ، بل فخر للامة العربية جمعاء •

ويجب ان يضاف الى هذين العملين عمل آخر ، أعني به الاهتمام بجانب البحث العلمي في الجامعات ، وذلك بتهيئة الاطر اللازمة له ، والمخابر والمعامل الكافية ، وترصد من أجله أموال عربية مشتركة ، كل ذلك في سبيل ايصالنا الى (علم عربي خاص) نسهم به في علوم الامم ، ونأمل بوساطته أن تكون لنا ذات يوم طائرة عربية ، وصاروخ عربي ، وقمر صناعي مصنوع بأيد عربية ، وقنبلة نووية عربية تقينا شر العدو ، وتدخلنا في ميدان الامم القوية • وليس ذلك صعبا ، فأمامنا تجربتا الصين والهند نتأساهما ، ونحاول أن نسير في طريقهما ، لنصل الى ما وصل اليه أخوتنا الصينيون والهنود •

٣ ـ تطلع الى مستقبل مشرق :

واجباتنا التربوية والعلمية والقومية في القرن الخامس عشر الهجري •

هذه ملامح عن حالة الامة العربية في القرن الرابع عشر الهجري ، وهذه لوحة عجلى عن حالتها في هذه الايام : فيها ايجابيات كثيرات وسلبيات كثيرات أيضا • ان القرن الرابع عشر كما رأينا ، كان قرن نهضة العرب وانبعاثهم من جديد ودعوتهم الى مسرح التاريخ ، وكان عصر النضال ضد المستعمر ، وعصر الاستقلال بعد هذا النضال ، وعصر مقاومة التخلف ومحاولة التخلص منه بالمزيد من التعليم •

فما الصورة التي ينبغي أن يكون عليها العرب في القرن الخامس عشر وما واجباتنا في مجالات التربية والعلم والقومية ؟ ليكون ذلكم القرن الآتي ، قرن النصر والتحرير ، وتوحيد العرب واستعادتهم مجدهم ؟

ولنبدأ بالتربية ، فلا خلاص لهذه الامة مما تعاني منه الا باعداد جيل ممتاز في صحته وعقله وعلمه ، والسبيل الى ذلك ايجاد المدرسة التي تبني جسم الانسان العربي وتنمي عقله • والمدرسة كيانان : مادي ومعنوي • فالمادي بناء ومخبر ومكتبة وملعب ، فلتكن مدرستنا ـ ما دمنا ننفق من أجلها الملايين ـ صورة للمدرسة المثالية في هذا المجال • ولا يؤدي الكيان المادي دوره ما لم نرفده بالكيان المعنوي ، أي بالمعلم الجيد ، والمدرس الممتاز ؛ ولن يكون ذلك الا بالالتفات الى دور المعلمين ، والاهتمام بها اهتماما عظيما ، والعودة بها الى عصورها الذهبية • يضاف الى هذا ان علينا ان نحسن انتقاء طلابها ، وان نستقطب فيها الطلاب الممتازين ، ولن يتم ذلك الا اذا حسنا ظروف المعلم

المادية ، بحيث يشعر بأنه سيكون سعيدا ، وبأن ما سيتقاضاه ، لقاء أتعابه ، سيكون مجزيا ، وكافيا لتهيئة حياة كريمة له ٠

كذلك ينبغي ان نفعل الشيء ذاته بالنسبة للمرحلتين الاعدادية والثانوية ٠ فلنكرم المدرس ماديا ، ولنعد ما كان يسمى من ثلث قـرن ، المعهد العالـي للمعلمين ، ذلك المعهد الذي كان مصنعا لاحسن المدرسين والذي استطاع خلال سنوات قليلة أن يهيء الاطر اللازمة للتدريس في المرحلتين الاعدادية والثانوية ، والجامعية أيضا ٠

في هذه المدارس في مراحلها الثلاث ينبغي العناية باللغة العربية فهي الاساس الاول من أسس القومية العربية ، وهي التي حفظت العرب في سنوات نومهم ، وهي وسيلتهم للتخاطب على بعد الدار ، ونأي المزار ٠ والى جانب ذلك ينبغي العناية باللغة الاجنبية لانها عيننا على الحضارة الحديثة الضرورية لنا ، وان ينصب اهتمام كبير بالطبع على المواد العلمية ، ينبغي أن تهيأ الظروف المادية لنجاح تعليمها ، وذلك بالاهتمام بالمخبر ، والناحية العملية من الدرس ٠

ويستتبع ذلك ضرورة أن يأخذ معهد التراث العلمي العربي مداه في اغناء المكتبة بالكتب دائما ، وفي استمرارية التعليم فيه ، وجديتها ، وتطورها دائما باتجاه الجيد والممتاز ٠

ويستتبع ذلك أيضا الاهتمام بترجمة الآثار العلمية عن كل اللغات ، وجعلها بين أيدي الناس بأسعار معقولة ٠ وينبغي أن توضع من أجل ذلك خطة طموحة مثابرة صبور يجتمع من أجلها جميع العرب ، ويقتسمون فيها ترجمة الآثار والكتب حتى لا تضيع الجهود ولا تتضاعف في مجال واحد ٠

ان عنايتنا بالعلوم بمختلف جوانبها ينبغي ألا يفهم منها الاقلال من شؤون الآداب والفنون المختلفة ، فالحضارة كل لا يتجزأ ، ولن تكون حضارة ما تامة وممتازة ، ألا اذا كان عطاؤها في مجالات الادب والفن موازيا ومساويا لعطائها في مجالات العلوم ، والعرب في سنوات مجدهم الحضاري لم يقتصروا على جانب دون آخر ، بل كان عطاؤهم شاملا الفلسفة والادب والفن والعلوم بجميع أنواعها ٠

وفي المجال القومي ينبغي أن نصر على وحدة الثقافة العربية أولا فهي سبيلنا ألى الحياة ، وان نعمل ثانيا ، ودائما ، ودون كلل أو ملل ، من أجل وحدة الامة العربية ٠٠ ان قضية الوحدة قضية حياة ، ولن يكون تقدمنا ممتازا ، ولن نصل الى مكاننا اللائق بنا بين الامم تحت الشمس ، ما لم

نتوحد ، مستفيدين من رحابة الوطن العربي ، وموقعه الممتاز من الكرة الارضية ، وغناه بجميع أنواع الموارد الصناعية والزراعية والبترولية •

تبقى الشوكة التي زرعها المستعمر في ديارنا ؛ ان تلك الشوكة قد غدت شجرة صبار ، فيها الاذى كل الاذى ، وان معرفتنا بالعدو يجب ألا تخيفنا منه ، فنحن أقوى منه لو توحدنا ، وعرفنا طريقنا الصحيح لتحرير الديار المقدسة • والطريق هو ما قدمنا : بناء الانسان العربي الصالح العالم القوّي ، ثم هو جمع شمل العرب وتوجيه قواهم وبنادقهم باتجاه العدو الباغي •

الخاتمـــة :

وبعد فان في هذا الحديث جوانب من البحث العلمي والتطلعات القومية والتربوية •• ولعل فيه جانبا من الذاتية العاطفية التي تبدو للوهلة الاولى بعيدة عن الموضوعية العلمية •• أنا أرى خلاف ذلك ، فلن نكون موضوعيين الا اذا كنا ذاتيين ، ولن نكون ذاتيين الا اذا كنا موضوعيين •• وفي هـــذا المجال ، مجال الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري ، لا يملك الباحث نفسه من أن يتحدث حديث العقل والقلب معا •• من القلب نستمد حرارة الاصـرار ، ومحبة الامة التي ننتمي اليها ، والشوق الى رؤيتها تستعيد مجدها •• ومن العقل نستمد الهدوء ، والمعالجة العلمية ، والعلم الذي به نمتلك القوة التي نستعيد بوساطتها أرضنا المسلوبة، وديارنا المغتصبة •

من هذا المنطلق أقول لكم : لقد شهدت أربعة وخمسين عاما من القرن الرابع عشر الهجري •• شهدت فيها أياما عابســة غابسة ، وأياما مشرقــة مشرقة •• ولست أدري ، بالطبع ـ كم سأعيش من سنوات القرن الخامس عشر •• لكنني أتطلع الى يوم مجيد يلتقي فيه العرب في دولة واحدة عظيمة تكون فلسطين فيها قلبا عربيا ينبض بعد أن انتزعت منه شوكة غرسها أعداؤنا ، وهم يريدون موت الامة العربية ••

الا ان العرب لن يموتوا ! كذلك تعلمنا من التاريخ : فكم مرت بالعرب من محن ! وكم ألمت بهم من خطوب ! وكم مر بأرضهم من غزاة ! ! ومع ذلك فقد صمدوا ، وجاهدوا ، وكانوا دائما ، وحتى في سنوات نومهم وضعفهم ، ومهما اشتدت الظلمات من حولهم •• كانوا دائما يستيقظون ، ويعودون منتصرين ليؤدوا دورهم في خدمة الانسانية وحضارتها •

قلبي وعقلي كلاهما يقولان لي : انني سأشهد يوم تحرير القدس ، ويوم وحدة العرب ، ويوم حضارتهم الزاهية العربية •• فان تحقق ذلك ، وسيتحقق باذن الله وبأيدي العرب المخلصين ، أكن أسعد السعداء • حينذاك أزور القدس

وقد عادت عربية كما كانت ، لاصلي في مسجدها الاقصى وأقبل التراب الذي مشى عليه سيدنا المسيح عليه السلام ، ومن فوقه عرج رسولنا العربي الى السماوات العلى • ويوم ذاك لن أحتاج الى جواز سفر اذا أردت زيارة أية مدينة أحبها من مدن الوطن العربي من المحيط الى الخليج •

أنا أعرف أن ذلك يحتاج الى معجزات ، ولكن أمتنا قد عودتنا على ذلك : ألم تنتصر على الغزاة القادمين من الشرق والغرب في حطين وعين جالوت ؟ ألم تنكس أعلام الغزاة المستعمرين في العصر الحديث ؟

فيا يوم مجد العرب ، أنت قريب قريب •

التمويه والخداع الحربي في هجرة الرسول العربي

الاستاذ محمد علي خياطة

باحـــث

سواء أكان الرسول العربي مصلحا اجتماعيا أم نبيا مرسلا ، فان أعماله العظيمة وتصرفاته الفذة وما قام به من خير للبشرية واصلاحها وتقويمها ، لتدل بصورة أكيدة وحاسمة بأنه صاحب أكبر عقل مدبر عرفه الكون ، وبأنه المصلح والمعلم الاول بدون أدنى شك أو ريب ؛ ولكن تصرفاته الشخصية وأخلاقه العظيمة كما قال تعالى في وصفه : « وانك لعلى خلق عظيم » ، [سورة القلم ، الآية ٦٨] ؛ لم تكن من طبيعة البشر ، ولا تصدر عن انسان ما ، مهما كانت موهبته وعظمته ، وان الدارس المتعمق للرسالة الاسلامية ، والباحث المتمحص للدعوة المحمدية يؤمن تمام الايمان بأن الرسول العربي نبي مرسل ، والدعوة الاسلامية دعوة ربانية الهية .

ولقد قال المؤلف الاميركي : « مايكل هارث » في كتابه « دراسة في المائة الاوائل » : « ان اختياري محمدا ليكون الاول في قائمة أهم رجال التاريخ قد يدهش القراء ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله . الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي » .

لقد أسس الرسول العربي ونشر أحد أعظم الاديان السماوية في العالم ، وأصبح أحد الزعماء السياسيين العظام ، ففي هذه الايام وبعد مرور أربعة عشر قرنا تقريبا على وفاته ، فان تأثيره لا يزال قويا وعارما ؛ فانه بذلك يصبح أعظم قائد سياسي على مدى الاجيال ، لعب دورا هاما في تاريخ البشرية حتى يومنا هذا لا نظير له ، للتأثير الديني والدنيوي معا مما يخوله أن يعتبـــر أعظم شخصية مفردة ذات تأثير في تاريخ البشرية .

ولنتكلم عن الموقف العام في مكة والمدينة قبل البعثة المحمدية والهجرة قبل البحث في عملية الهجرة ذاتها .

كانت مكة الجاحدة العاصية المستغرقة في الماديات والملذات بلد المهاجرين المسلمين الاوائل التي نشؤوا فيها وموطنهم الذي ألفوه ولهم بسكناه شرف وزعامة على بقية العرب ، وفيه حرمهم الآمن وبيتهم العظيم منذ عهد ابراهيم الخليل ، ومكة لم يكن يعدلها في نظر أهلها مكان آخر ، لان فيها البيت الحرام

الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا ، وكان المكيون يعلمون أنهم يعيشون متمتعين بحصانة البيت حتى انه ليحميهم في أسفارهم وفي سائر الاقطار التي يتنقلون فيهـا .

وكان الرسول العربي يجد في نشر الدعوة الاسلامية وكان أهل بيته كلهم مسلمهم وكافرهم ينصرونه على الرغم مما يلاقون من الشدائد والاهوال ، وما وافت السنة العاشرة من نزول الوحي حتى أصيب بوفاة حاميه وعمه أبي طالب ثم ماتت زوجته خديجة ، وكان موتهما قبل الهجرة بثلاث سنين ، ففقد الرسول العربي بذلك نصيرين كبيرين ، وأصبح بقاؤه في مكة محفوفا بالمخاطر وتتابعت عليه بموتهما المصائب ونالت منه قريش كل منال ، ولما اشتد أذى قريش للرسول العربي بعد وفاة عمه ، عزم على التماس قوم آخرين يكونون أكثر استعدادا لقبول دعوته ، يستطيع أن يجد في بلدهم تربة أشد خصبا وصلاحية ، وتجلت مرارة نفسه في تلك الآيات التي جاءت على لسان النبي نوح : « قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا » . [سورة نوح ، الآية ٧١] .

وكان جل اعتماد الرسول العربي على نشر دعوته في موسم الحج ، فكان يعرض نفسه على القبائل ويدعوهم الى الله ، وكان بعض الحجاج يرفض دعوته وبعضهم الأخر يرد عليه ردا قبيحا .

ويثرب المدينة الهادئة اللينة المتعلقة بالمعاني والمثل العليا ، وهي طريق الرسول العربي في الزمن السالف حينما كان يعمل في التجارة وكان له بها علاقة تجارية ، وكذلك بعض ذوي القربى أخواله ، ثم ان أباه كان مدفون بها ، وأمه مدفونة في الطريق بينها وبين مكة .

وكان أهل يثرب من قبيلتي الاوس والخزرج شعبا قويا صلب العود وقد برهنوا على شدة بطشهم وقوة بأسهم في تلك الحروب التي لم تهدأ ثائرتها ، وقد أقام بها اليهود من بني قريظة وبني النضير زمناً طويلا وقد نزحوا اليها على اثر الكارثة التي نزلت بهم باضطهاد الرومان لهم ، لان اليهود بؤرة الآثام ومنبع الفساد العالمي بعد أن حرفوا وبدلوا كتابهم المقدس أرسل الله يسوع المسيح مصلحا ومخلصا ، فحاربوه وصلبوه ، ثم بعث الله الرسول العربي هاديا ، فحاربوه بشتى أساليب المكر والخيانة ، حتى انتهى بهم الامر الى الخروج نهائيا من شبه جزيرة العرب ؛ ففيهم نزلت الآيات : [لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون] [سورة المائدة ، الآية ٨٢] .

وفي ذلك الوقت وصلت الى يثرب طائفة من البدو المهاجرين وهم الاوس والخزرج من قبائل عرب الجنوب ، وسمح لهما بالاقامة في هذه المنطقة ، ولما تكاثر عددهم أخذ تعديهم على سلطة الحكام اليهود يزداد شيئا فشيئا حتى استطاعوا آخر الامر أن ينقلوا زمام الحكم كله الى أيديهم في أواخر القرن الخامس الميلادي ؛ واقام اليهود أيضاً في فدك وتيماء ووادي القرى وخيبر ؛ وكانت هناك صلات وثيقة بين هؤلاء اليهود في يثرب وبين من جاورهم من الاوس والخزرج ، حتى انهم ألفوا أفكار اليهود الدينية واستساغوا الكثير منها ؛ وكان لوجود الاديان السماوية في يثرب والكتب المنزلة من عند الله ، فيها ذكر للوحي ووحدانية الله وعظمته وقدرته والبعث والحساب ثم الجنة والنار ، كان لهذا كله من الاثر ما أضعف الوثنية في نفوس العرب القاطنين في يثرب ، وجعلهم أقدر على فهم الدعوة المحمدية من أهل مكة الوثنيين ، فقد كانت مثل هذه الفكرة غريبة عليهم كل الغرابة ومبغضة لنفوسهم ·

وقد عرف أهل يثرب الحق عندما رأوا مبلغ الشبه بين الرسول العربي وتعاليمه وبين ما توعدهم به اليهود ، فبادروا الى تصديقه حتى لا يسبقهم اليهود لاتباعه ، ولهذا لا نعجب اذا رأينا أهل يثرب أكثر تحمسا للاسلام من غيرهم ·

ولعل حاجة المجتمع في يثرب كانت تدعو لانتهاز مثل هذه الفرصة ، اذ وجد أهلها في هذا الدين ما يوحد كلمتهم ويجمع شملهم ويقضي على التنازع والبغضاء بينهم ، ووجدوا في شخصية الرسول العربي ضالتهم المنشودة اذ عرفوه رجلا من أكرم بيوتات قريش أمينا صادقا حتى انه لقبه قومه بالامين ، ثم هو ابن اختهم آمنة بنت وهب من بني النجار أحد بطون الخزرج ؛ ومع ذلك فهو نبي يستطيعون مطاولة اليهود بما ينزل عليه من وحي ، وهو الذي يستطيع جمع الاوس والخزرج تحت لوائه ، وكانوا أحوج الى ذلك بعد يوم بعاث الذي انتصرت فيه الاوس ، ولعل انهزام الخزرج في ذلك اليوم قد جعلهم أكثر استعدادا لقبول الدين الاسلامي حتى كانوا أسبق من بني عمهم الاوس ·

وفي الموسم التالي ليوم بعاث أقبل جماعة من الخزرج للحج فيهم ستة من ساداتهم وكانوا ينشدون حليفا لتوحيد كلمتهم مع الاوس أو للتغلب عليهم اذ كان كل منهما يريد ان تكون له الرئاسة فلقيهم الرسول العربي واستجابوا لدعوته التي وجدت بيئة صالحة في أهل يثرب الذين وصل الى علمهم ما كان بين المسلمين وكفار قريش في مكة من نزاع أدى الى هجرة بعض المسلمين ونجاتهم بدينهم الى الحبشة ، كما علموا باسلام رجال من بطون قريش المختلفة ومن القبائل الاخرى ، كما علم غيرهم من العرب بذلك وهم على اتصال بمكة عن طريق الوافدين اليها للحج وخاصة ذلك الوفد الذي أرسلته الاوس في السنة العاشرة من البعثة يلتمس من قريش الحلف على قومهم الخزرج ، وانتهز الرسول العربي فرصة تواجدهم ودعاهم للاسلام فأسلم البعض وأعرض الآخر ·

ان قوة سريان الاسلام في يثرب ليس له شبيه في تاريخ التطورات النفسية والاجتماعية ، ولا يمكن تعليله الا أنه آية من آيات الله ، فهو معجزة خارقة للناموس الطبيعي ، لان قبيلتين صغيرتين هما الاوس والخزرج قد هداهم الله هداية جماعية على حين فجأة وهو أمر غير معتاد ، ولان هذا العدد الضئيل قبل أن يقوم بعبء حماية الدعوة ضد العالم كله وهي مهمة تعتذر عن قبولها أمة عظيمة فكيف بقبيلتين صغيرتين ضعيفتين من الاهبة والموارد قبلتا تحدي العالم كله ؛ فان الاقدام الجريء من هذه الجماعة غير مألوف في النواميس المعتادة ، ويعجز الانسان عن تعليله بالعلل الطبيعية لانه آية الهية ٠

ولقد قال أحد الانصار : انه مما دعانا للاسلام مع رحمة الله وهداه ما كنا نسمع من بعض يهود ، كنا أهل شرك وأوثان وكانوا أهل كتاب ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم قالوا لنا انه تقارب زمن نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل ارم وعاد ، فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسوله أجبناه لما دعانا الى الله وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه وآمنا به ففينا وفيهم نزلت الآيات : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدقا لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » [سورة البقرة ، الآية ٨٩] ٠

فلم تكن الهجرة اذا قرارا فجائيا بل خطة مدبرة الهية استغرقت سنتين ٠

وبدأت أفواج المهاجرين تفد الى يثرب فكانت أغرب قوافل شهدها التاريخ العربي بل التاريخ الانساني في سيرها الى المدينة ، رجال تركوا أولادهم ونساءهم أو حملوهم معهم ، وضربوا طول البلاد وعرضها الى مصير مجهول لا يعلمه الا الله ، وقد خرجوا من ديارهم وأموالهم لا يحملون معهم الا ايمانهم واحزانهم ، حتى لقد أقفرت دور بكاملها بسبب الهجرة ٠

ولذا فان الهجرة كانت تضحية غالية ونفيسة ، تضحية في سبيل العقيدة التي يعيش ويموت من أجلها المسلم ، فهي انتصار على النفس التي هي وسيلة الانتصار على الغير؛لم تكن الهجرة اذن كهجرة الطيور من أجل المياه والغذاء ولكنها هجرة أرواح تسامت في أهدافها عن الدنيا ومتاعها ولذائذها اخلاصا لله تعالى ، ولم تكن هذه الهجرة استسلاما للعدو أو تصفية للنزاع أو تجميدا للموقف ، ولكنها خطة عبقرية ماهرة ، لنقل ميدان المعركة وتجديد القوات المسلحة ، من مكة الميدان غير الصالح ذي الافراد الجامدين المتحجرين الى ميدان آخر صالح ذي الافراد الجيدين ٠

كانت الهجرة اذن نقطة انطلاق من بناء الفرد الى بناء المجتمع تحقيقا للاستقرار والتوطن وتجسيدا للنضال وتجميعا للطاقة ، وكانت مظهرا من

مظاهر الصبر على الشدائد والصمود في وجه الباطل وعدم اليأس من نصر الحق ، وفيها عظة وارشاد ، وبها أصبح للمسلمين دولة خاصة بهم نقلتهم من حالة الخوف الى الامن ومن الذل الى العز ٠

ولقد زود الله كل حي بسلاح ما يحمي نفسه به لبقاء نوعه ، بسلاح الكيد والاغراء ، بسلاح المكر والحيلة ، بسلاح التلون ، بالعدو السريع ، بجلد من الشوك ؛ والانسان ليس الا كائنا حيا ، بل هو أكمل الاحياء ، ولذا عليه اللجوء الى القوة والمكر والحيلة للتغلب على أعدائه وبقاء الافضل من نوعه ٠

وبعد ابرام عقد المبايعة في العقبة بين الرسول العربي وبين أهل المدينة رخص للمسلمين بالهجرة ؛ ولم يبق في مكة الا الرسول العربي وأبو بكر وعلي ؛ وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن الرسول العربي بالهجرة فيقول له : لا تعجل لعل الله يجد لك صاحبا ، فرجا أبو بكر ان يكون ذلك الصاحب هو الرسول العربي ، وحبس أبو بكر نفسه على الرسول العربي ليصحبه ، وعلف راحلتين عنده ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر لتسمنا وأعدهما للخروج وجهزهما أحث الجهاز ؛ ولما استقر رأي قريش بعد المشاورة في دار الندوة على قتل الرسول العربي ، أتاه جبريل وأخبره بذلك ، وقال : لا تبت هذه الليلة في فراشك الذي كنت تبيت فيه ، وأذن الله له عند ذلك بالخروج الى المدينة ٠

وكان الرسول العربي يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار اما بكرة واما عشية ، حتى اذا كان اليوم الذي اذن الله تعالى لرسوله فيه بالهجرة والخروج من مكة بين ظهراني قومه ، ذهب الرسول العربي بالهاجرة في ساعة كان لا يأتي فيها ، فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله في هذه الساعة الا لامر حدث ، فلما دخل الرسول العربي تأخر له أبو بكر عن سريره وجلس عليه وكانت عنده ابنتاه أسماء وعائشة فأخرجهما الرسول العربي وقال له : ان الله تعالى قد أذن لي بالخروج والهجرة ، قال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله ، قال : نعم ، فكان أبو بكر يبكي من الفرح ٠

ولكن الرسول العربي بوحي رباني اتخذ التدابير الكفيلة بانجاح خطة هجرته خشية ان تحبطها قريش ؛ وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقوله الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما اذا أمسى في الغار بما يكون في ذلك اليوم من الخبر ، وأمر مولاه عامر بن فهيرة أن يرعى عليهما غنمه ليشربا من لبنها ، واستأجر أبو بكر رجلا من بني الدئل هاديا ماهرا ليدلهما على الطريق يقال له عبد الله بن الارقط الديلمي الليثي ، فأمنه ودفع اليه الراحلتين وواعده غار ثور بعد ثلاث ليال ، والغار على مسيرة ساعة من مكة ٠

وكانت قريش قد اجتمعت في دارالندوة وقرروا انتخاب شاب جلد نسيب من كل قبيلة يضربون الرسول العربي ضربة رجل واحد فيقتلونه ويتفرق دمه في القبائل ويذهب هدرا ٠

ولما كانت العتمة من الليلة الموعودة ليلة الخميس مساء آخر شهر صفر ، اجتمع هؤلاء النفر بمكة على باب الرسول العربي ثم ترصدوه حتى ينام فيثبون عليه ويهلكونه ، وقال لهم أبو جهل : لا تقتلوه حتى تجتمعوا ، يعني الخمسة رجال من القبائل الخمسة ؛ ويقول لهم : هذا محمد كان يزعم لكم ان تابعتموه كنتم ملوك العرب والعجم ويكون لكم في الآخرة جنات تأكلون منها ، وان لم تتابعوه يكون له فيكم ذبح في الدنيا ويوم القيامة نار تحرقون فيها ؛ فقال الرسول العربي : نعم والله كذا أقول وكذا يكون وأنت أحدهم ٠

فلما رأى الرسول العربي مكانهم واجتماعهم قال للفدائي الاول ابن عمه علي بن أبي طالب : نم على فراشي واتشح ببردي الحضرمي الاخضر فانه لا يخلص اليك شيء تكرهه منهم ؛ وكان الرسول العربي ينام في برده هذا اذا نام ؛ ورد هذه الودائع الى أهلها ، وكانت الودائع توضع عنده لصدقه وأمانته ٠

فبات علي في فراش النبي تلك الليلة ومما أنزل الله في ذلك اليوم قوله تعالى : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » [سورة الانفال ، الآية ٣٠] ٠

ولما خرج الرسول العربي الى الغار قام على رؤوسهم وقد ضرب الله على أبصارهم ونزل في تلك الليلة أول سورة يس ؛ فأخذ قبضة من تراب وجعل ينثره على رؤوسهم وهو يقرأ : « انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون » [سورة يس ، الآية ٨] ٠

ثم تلا : « واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا » [سورة الاسراء ، الآية ٤٥] ٠

ثم أتى منزل أبي بكر فخرجا من خوخة كانت له في ظهر البيت في الثلث الاخير من الليل ولم يعلم بخروجهما الا علي وآل أبي بكر ٠

وأقام المشركون بمكة ساعة وجعلوا يتحدثون فأتاهم آت وقال : ما تنتظرون ؟ قالوا : ننتظر أن نصبح فنقتل محمدا ، قال قبحكم الله وخيبكم أوليس قد خرج عليكم وجعل على رؤوسكم التراب ؛ قال أبو جهل : أوليس ذلك مسجى ببرده والآن كلمنا ؛ ووضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا فيه التراب ، ثم جعلوا يتطلعون وينظرون من شق الباب فيرون عليا في الفراش متشحا بالبرد ويحسبونه الرسول العربي فيحرسونه ويقولون ان هذا لمحمد نائما عليه برده ، فلم يبرحوا

كذلك حتى أصبحوا ، فوثبوا عليه ، فقام علي من الفراش ، فقالوا له : أين صاحبك ، قال : لا علم لي ، وقال أبو جهل : صدقنا ذلك المخبر ٠

فاجتمعت قريش وأخذت الطرق وجعلت الجعائل لمن جاء به فانصرفت عيونهم ولم يجدوا شيئا ، واقتصوا أثر الرسول العربي فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم ٠

ولقد جاء الوحي الالهي بالعودة الى مكة في الآية : « ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى ميعاد » [سورة القصص ، الآية ٨٥] ٠

وكذلك بأنه تعالى سيطيح بالذين ائتمروا به ليلة الهجرة بالآية : « وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجونك منها واذ لا يلبثون خلافك الا قليلا » [سورة الاسراء ، الآية ٧٦] ٠

وهكذا وقع وأنه لم يبق أحد من الذين وضع على رؤوسهم التراب ، الا وقتل يوم بدر ٠

وأنشأ علي بعد ذلك هذه الابيات :

وقيت بنفسي خير من وطيء الثرى	ومن طاف بالبيت العتيق والحجر
رسول اله خاف ان يمكروا به	فنجاه ذو الطول الاله من المكر
وبات رسول الله في الغار امنا	موقى وفي حفظ الاله وفي ستر
وبت اراعيهم وما يثبتونني	وقد وطنت نفسي على القتل والاسر

وان أبا بكر لما خرج الى الغار احتمل ماله كله ٠

وانطلق الرسول العربي وصاحبه الى غار ثور في الجنوب من مكة في اتجاه اليمين لتضليل المطاردين ، وغار ثور كهف موحش منعزل له رهبة الموت ، وقد يفاجيء مقتحمه في عماية الظلام وحش رهيب أو يروعه ثعبان مسعور ، ولكن الرسول العربي لم يكن يتهيب هذه الاخطار لان قلبه الشجاع قد امتلأ باليقين والثبات ، وبلغ من السمو درجة يراغم بها الاخطار ، وأحكم الرسول العربي تدبير الخطة فاختار غار ثور لانه يقع أسفل مكة ليس في طريق المدينة ٠

وجعل أبو بكر يمشي مع الرسول العربي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره ، فقال له الرسول العربي : ما هذا يا أبا بكر ما أعرف هذا من فعلك ، فقال : يا رسول الله أذكر الرصد فاكون أمامك واذكر

الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك ؛ وكان الرسول العربي قد خلع نعليه في طريقه الى الغار ، وكان يمشي على أطراف أصابعه لئلا يظهر أثرهما على الارض حتى حفيت رجلاه ، فلما رآه أبو بكر على هذه الحالة حمله على كاهله وجعل يشتد حتى أتى الغار وقد سلكا غير الطريق ، تعمية على الطلب ٠

ولما انتهيا الى الغار ليلا دخل أبو بكر قبل الرسول العربي فتلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حية ؟ ليقي الرسول العربي بنفسه ، وكان الغار مشهورا بكونه مسكن الهوام والوحش ، وكان كلما وجد جحرا شق ثوبه فالقمه اياه ، حتى فعل ذلك بثوبه كله ، فلقي حجرا فألقمه عقبه فلدغته حية ، فقال : وان كانت اللدغة أحب الي من أن يلدغ رسول الله ؛ ثم قال : ادخل يا رسول الله فاني سويت لك مكاناً ، فدخل واضطجع ، وأما أبو بكر فكان متألما من لدغة الحية ، ولما أصبحا رأى الرسول العربي على أبي بكر أثر الورم فسأل عنه فقال : من لدغة الحية ، فقال له الرسول العربي : هلا أخبرتني ، قال : كرهت أن أوقظك ، فمسحه الرسول العربي بيده ، فذهب ما به من الورم والالم ، ثم قال : فاين ثوبك يا أبا بكر ، فأخبره بما فعل ، فقال الرسول العربي : أنت صاحبي في الغار وصاحبي على الحوض ٠

وأمر الله تبارك وتعالى شجرة الراءة ، وتلقب أم غيلان ، وزهرها أبيض كالقطن ، فنبتت في وجه الغار فسترت وجه الرسول العربي ، وأمر الله العنكبوت فنسجت على وجه الغار خيوطها ، وهل أوهى من خيوط العنكبوت ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار فعششتا على بابه حتى باضتا في أسفل النقب ٠

ولما فقدت قريش الرسول العربي ثارت ثائرتهم وطلبوه في مكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة يتبعون أثره في كل مكان ، فوجد الذي ذهب ناحية ثور أثره هناك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى غار ثور ، وشق على قريش خروج الرسول العربي وجزعوا لذلك فطفقوا يطلبونه بأنفسهم فيما قرب منهم ويرسلون من يطلبه فيما بعد عنهم ، وجعلوا مائة بعير لمن يرده عليهم ؛ ولما انتهوا الى فم الغار وعليه نسيج العنكبوت ، قال قائل منهم : أدخلوا الغار ، فقال أمية بن خلف : ما أربكم في الغار ، ان عليه لعنكبوتاً أقدم من ميلاد محمد ؛ وقال القائف : والله ما جاوز مطلوبكم من هذا الغار ؛ فعند ذلك حزن أبو بكر فقال له الرسول العربي : لا تحزن ان الله معنا ، فقال : يا رسول الله لو نظر أحدهم في موضع قدميه لرآنا ، فقال الرسول العربي : ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؛ وجعل الطلب يضربون يمينا وشمالا حول الغار يقولون : لو دخلا الغار لانكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت ٠

ثم أمر أبو جهل مناديا ينادي في أعلى مكة وأسفلها من جاء بمحمد أو دل عليه فله مائة بعير أو من جاء بابن أبي قحافة أو دل عليه فله مائة بعير ؛ فلم يزل المشركون يطوفون على جبال مكة يطلبونهما وكان مكثهما في الغار ثلاث ليال •

وكان عبدالله بن أبي بكر شابا خفيفاثقفا لقنا يختلف عليهما فيبيت عندهما بالغار ويدلج من عندهما بالسحر ، فيصبح من قريش كبائت فلا يسمع أمرا يكادان به الا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من مكة بما يصلحهما ، وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، وهو أسود اللون أسلم وهو مملوك للطفيل بن عبد الله أخي عائشة لامها ، وكان حسن الاسلام عذب في الله فاشتراه أبو بكر وأعتقه فهاجر وشهد بدرا وأحدا واستشهد يوم بئر معونة وهو ابن أربعين سنة ، كان يرعى مع رعيان أهل مكة فاذا أمسى أراح عليهما بالغنم فاحتلبا وذبحا ، فاذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما تبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفى عليه ، وكان عبد الله وأسماء وعامر يسيرون صاعدين هابطين متياسرين متيامنين من خلال الشعاب لكي يضل أثرهم •

ولما مضت ثلاث ليال وسكن الناس عنهما جاءهما الدليل ببعيريهما وبعير له ، صبح ثلاث بالسحر الى باب الغار كما واعداه ، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتهما ، ولما أرادت تعليق السفرة شقت نطاقها باثنتين ، فعلقت السفرة بواحدة وانتطقت بالاخرى ولذا سميتُ بذات النطاقين ، وجاء عامر بن فهيرة ليخدمهما في الطريق •

فلما قرب أبو بكر الراحلتين الى الرسول العربي قدم له أفضلهما ثم قال : اركب فداك أمي وأبي ، فقال الرسول العربي : اني لا أركب بعيرا ليس لي ، قال فهي لك يا رسول الله ، قال : لا ولكن بالثمن الذي ابتعتها به ، قال : أخذتها بثمانمائة درهم ، قال : قد أخذتها بذلك ، قال : هي لك يا رسول الله ؛ والحكمة في ذلك أن الرسول العربي أحب أن لا تكون هجرته الا بمال نفسه ؛ فركبا وانطلقا ، وأردف أبو بكر مولاه عامر بن فهيرة ، وكان دليلهما عبد الله بن أرقد ، وكان ماهرا جدا بالطرق •

وان الارض التي بين مكة والمدينة وعرة موحشة لا يصادف المسافر فيها ما يخفف عنه عناء السفر من زرع وماء ، ويتخللها طرق أولها شرقي محاذ لبلاد نجد يقطع سلسلة جبال الحجاز ثم ينحرف نحو الشمال ، وثانيها غــربي محاذ لساحل البحر الاحمر حتى يحاذي بدرا ، وهذا الذي اختاره الدليل ، وثالثهــا الطريق الاوسط بينهما الذي كانت تسلكه قوافل الحجاج قديما ، ويجتمع مع الطريق الساحلي فيما بعد ، وهناك طرق فرعية أخرى فيها كثير

من الوعورة ولا تجتازها الابل الا بمشقة بيد أن الدليل لم يسلك جادة هذا الطريق المألوفة تماما ، وقد تصرف في السير وكان يلتوي هنا وهناك تفاديا من أن يلحقهم من يقفو أثرهم فسلك بهما سبيلا غير مطروق ، ولم يعتد أن يسلكه الناس ، وقال الدليل : كنت آخذ بهم اخفاء الطريق ومخارمه أي يتحاشى المعالم المطروقة وذلك زيادة في الحيطة ، مع ملاحظة موارد المياه التي يردها بعض الرعاة أو تقع على المضارب الصغيرة ٠

فسلك بهما أسفلُ مكة ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل عسفان ، وتبعد عن مكة ستة وثلاثين ميلا ، ثم سلك بهما على أسفل أمج ثم ترك الطريق على يمينه خوفا من ترصد قريش حتى انحدر ونزل من قديد خيام أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية ثم اجتاز بهما حتى عارض الطريق فسلك بهما الخرار قريب من الجحفة وهو واد يقع في نحو منتصف الطريق بين مكة والمدينة ، وسلك بعده ثنية المرة في وادي رابغ ثم وادي لقف ، من روافد وادي النخل ، جاعلا الطريق المعروف على يساره حتى جاز مدلجة لقف ، من التلاع الكبيرة التي تفيض في الوادي من جهة الشمال ، ثم استبطن مدلجة مجاج ، وهي لا تزال معروفة ، ثم سلك مرجح مجاج ثم بطن مرجح من ذي العضوين ثم بطن ذي كشد ، ويعرف الآن باسم أم كشد ، ثم أخذ بهما على الجداجد ، وهو واد صغير من روافد وادي ثقيف المعروف ، ذو أرض مستوية صلبة ، ثم نزل بهما الى الاجرد ثم سلك بهما ذا سلم ، ويسمى الآن أم السلمة ، ثم أعداء ثم العنيانة ، وهي المعروفة باسم العبابيب أو العباديد ، ثم جاز بهما بطن القاحة ، وهو واد عظيم يفيض فيه وادي تعهن قريب ممـــا يدعى الآن أم البرك وكانت تدعى قديما السقيا ، سقيا بني غفار ، ويمتد صوب الجنوب حتى يفيض في وادي الابواء وتجتمع فيه أودية كثيرة كوادي ثقيف ووادي النخل ، ثم هبط بهما العرج ، وقد عجز أحد الابل عن السير فجاءوا بجمل من أسلم وبعثوا معه غلاما يقال له مسعود بن هنيدة ليرده من المدينة ، ثم خرج بهما دليلهما من العرج فلسك بهما ثنية الغائر ، عن يمين ركوبه وهي صعبة السلوك ولا تسلكها الابل الا بجهد ، ثم هبط بهما بطن العقيق ، وهو عقيق المدينة وفي هذا الوادي سأل الدليل وقال : من يدلنا على الطريق الى بني عمرو بن عوف وهم بطن من قبيلة الاوس ديارهم في قباء من العالية بضواحي المدينة وتبعد عنها خمسة كيلومترات فدلوه ، فانحدر على طريق الظبي الى بطن ريم ، يغذ السير ليلا كعادته في نشاط وتفاؤل يهبطون الاودية ومدخلات الربي ويتسلقون العقاب الوعرة وينسابون فوق الرمال السافية ، حتى وصلوا قباء حين اشتد الضحى من اليوم التالي وكادت الشمس أن تعتدل وقام قائم الظهيرة ٠

وعلى الاغلب أن الرسول العربي ورفيقه خرجا من مكة في الثلث الاخير من ليلة الخميس آخر شهر صفر وصباح أول شهر ربيع الاول ، وبقيا في الغار

حتى صباح الاثنين فخرجا متوجهين الى قباء فوصلاها ضحى يوم الاثنين ومكثا فيها حتى يوم الجمعة فغادراها في الضحى منها الى المدينة ، ولما أدركته الصلاة في الطريق صلى بالناس الجمعة لاول مرة في بطن وادي رانوناء ، ثم تابع سيره الى المدينة وذلك بعد ظهر يوم الجمعة الموافق للسادس عشر من ربيع الاول .

وفي رواية عن أبي بكر قال : بعد اجتيازنا قديد ارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم الا سراقة بن مالك بن جعشم ، فقلت : يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا ، فقال : لا تحزن ان الله معنا ؛ حتى اذا دنا منا ، دعا عليه الرسول فقال : اللهم اكفيناه بما شئت ، فساخت قوائم فرسه الى بطنها في أرض صلدة ، فوثب عنها وقال : يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه فو الله لاعمين على من ورائي من الطلب وهذه كنانتي فخذ منها سهما فانك ستمر بابلي وغنمي في موضع كذا فخذ منها حاجتك ، فقال الرسول : لا حاجة لي بها ، وأطلقه ، فلما أراد سراقة أن يعود عنه ، قال له الرسول : كيف بك يا سراقة اذا سورت بسواري كسرى ، قال : كسرى بن هرمز ؟ قال : نعم .

وفعلا بعد الانتصار على الفرس وورود الغنائم ومنها سوارا كسرى الى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في المدينة ، طلب الخليفة عمر ، سراقة ، وكان قد أسلم ، وألبسه سوارى كسرى تنفيذا لوعد الرسول العربي له .

ولما رجع سراقة الى أصحابه جعل لا يلقى أحدا من الطلب الا رده وقال : كفيتم هذا الوجه .

وفي رواية عن سراقة بن مالك بن جعشم وهو أمير بني مدلج ورئيسهم ، أنه قال : جاءنا من رسل قريش أنهم جعلوا في الرسول وأبي بكر دية فيكل واحد منهما مائة من الابل لمن قتله أو أسره ، فبينا أنا جالس في مجلس من مجالس قومي أقبل رجل حتى قام علينا فقال : يا سراقة اني قد رأيت آنفا اسودة بالساحل أظنها محمدا وأصحابه فعرفت أنهم هم ، فقلت : انهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ، ثم لبست في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي ، وهي من وراء أكمة ، فتحبسها علي ، وأخذت رمحي وخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الارض ، وخفضت عالية الرمح حتى أتيت فرسي ، وكنت آرجو أن أرده الى قريش وآخذ الابل ، فركبتها ورفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم ، فعثرت بي فخررت عنها فقمت فأهويت بيدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها ، أضرهم أم لا ؟ فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الازلام ، ولم أزل أجد في الطلب تقرب بي حتى سمعت قراءة الرسول وهو لا يلتفت ، وأبو بكر

كثير الالتفات ، ساخت يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ، ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها وتستوي قائمة حتى ظهر لاثر يديها غبار ساطع الى السماء كالاعصار ، فاستقسمت بالازلام فخرج الذي أكره ، فناديت بالامان فوقفوا ، فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر أمر محمد ، فقلت له : ان قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني شيئا الا أن قال : اخف عنا ، فسألت أن يكتب لي كتابا امينا يكون آية بيني وبينهم ، فكتب لي أبو بكر كتابا ثم القاه للي ، فجعلته في كنانتي ثم رجعت أرد عنهم الطلب •

ولما ظهر أن الرسول العربي قد وصل الى المدينة ؛ جعل سراقة يقص على الناس ما رأى وشاهد من أمر الرسول العربي ، وما كان من قضية جواده ، واشتهر هذا عنه فخاف رؤساء قريش معرته وخشوا أن يكون ذلك سببا لاسلام كثير منهم ؛ فأنشأ وكتب أبو جهل اليه هذين البيتين :

بني مدلج اني اخاف سفيهكم ... سراقة يستغوي بنصر محمد
عليكم به الا يفرق جمعكم ... فيصبح شتى بعد عز وسؤدد

فانشا وكتب سراقة هذه الابيات وأرسلها الى أبي جهل :

ابا حكم والله لو كنت شاهدا ... لامر جوادي اذ تسوخ قوائمه
عجبت ولم تشكك بان محمدا ... رسول وبرهان فمن ذا يقاومه
عليك فكف القوم عنه فانني ... اخال لنا يوما ستبدو معالمه
بامر تود النصر فيه فانهم ... وان جميع الناس طرا مسالمه

وقالت أسماء بنت أبي بكر : مكثنا ثلاث ليال ماندري أين وجه رسول الله حتى سمعنا هاتفا ، والناس يسمعونه ولا يرونه وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم تروحا ... فافلح من امسى رفيق محمد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد

فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه الرسول وان وجهه الى المدينة •

ومما وقع لهم في الطريق عند قديد ، ان أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية ، وكانت امرأة برزة جلدة ، تحتبي بفناء الخيمة ، تسقي وتطعم ، فسألوها تمرا ولحما ليشتروا منها فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك ، وكان القوم مرملين مسنتين ، فقالت : والله لو كان عندنا ، ما أعوزتكم القرى ؛ فنظر الرسول

الى شاة في كسر الخيمة فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ، قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم ، قال : هل بها من لبن ، قالت : أجهد من ذلك ، قال : أتأذنين لي أن أحلبها ، قالت : نعم ان رأيت بها حلبا فاحلبها ، فدعا بها الرسول ومسح بيده ضرعها وسمى الله عز وجل ودعا لها في شاتها ، فتفاجت عليه ودرت واجترت ، ودعا باناء يربض الرهط ، فحلب ثجا حتى علاه الهباء ، ثم سقاها حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا ثم شرب الرسول آخرهم ثم أراضوا فحلب ثانيا بعد بدء حتى امتلأ الاناء ثم غادره عندها وارتحلوا .

وأيضا ان الرسول العربي لقي طلحة بن عبد الله والزبير بن العوام في الطريق في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا طلحة الرسول العربي وأبا بكر ثيابا بيضاء .

وان الرسول العربي أقبل الى المدينة وهو مردف أبا بكر ، وهو شيخ ، والرسول العربي شاب لا يعرف ، فيلقى الرجل أبا بكر فيسأله يا أبآ بكر من هذا بين يديك ، فيقول هذا الذي يهديني السبيل ، فيحسب السائل أنه يعني به الطريق ، وانما يعني سبيل الخير .

وانه لما جعلت قريش مائة من الابل لمن يلخذ الرسول العربي ويرده عليهم ، سمع بريدة بن الخصيب الاسلمي بذلك فحمله الطمع على الخروج لقصده الرسول العربي ؛ فركب في سبعين من أهل بيته من بني سهم ، فتلقى الرسول العربي الذي كان يتفاءل ولا يتطير ، فقال : من أنت ؟ فقال : أنا بريدة ابن الخصيب ، فالتفت الرسول العربي الى أبي بكر وقال : يا أبا بكر برد أمرنا وصلح ، ثم قال : ممن أنت ؟ قال : من أسلم ، قال الرسول العربي : سلمنا ، قال : ممن ؟ قال : من بني سهم ، قال : خرج سهمك يا أبا بكر ، فقال بريدة للرسول : من أنت ؟ قال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله ، فقال بريدة : أشهد أن لا اله الا الله ؛ فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعا ، قال بريدة : الحمد لله أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين ؛ فلما أصبح قال بريدة : يا رسول الله لا تدخل المدينة الا معك لواء ؛ فحل عمامته ثم شدها في رمح ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة .

لما سمع المسلمون بالمدينة بخروج الرسول من مكة كانوا يغدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة وذلك في أيام حارة ، فانقلبوا يوما بعدما أطالوا انتظارهم ، فلما أووا الى بيوتهم وقد ارتفع النهار وقلصت الظلال واشتد الحر ، سمع الناس صوت رجل يخبرهم بقدومه ؛ وكان الرسول وأصحابه قد نزلوا في ظل نخلة لابسين ثيابا بيضاء ؛ فثار المسلمون الى السلاح وكانوا زهاء خمسمائة من الانصار حتى انتهوا اليهم وتلقوا الرسول بظهر الحرة ، فقالت

الانصار : انطلقا آمنين مطاعين ، فقال الرسول : « يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » [رواه الشيخان مسلم والبخاري] ؛

ومضوا فعدل بهم ذات اليمين نحو قباء حتى نزل أعلى المدينة في منزل كلثوم بن الهدم من بني عمرو بن عوف من الاوس ٠

وكان فيمن خرج لينظر اليه قوم من اليهود فيهم عبد الله بن سلام ، قال : فلما نظرت اليه علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب ٠

وخرج أهل المدينة كلها حتى ان العواتق لفوق البيوت يتراءينه يقلن أيهم هو ؟ أيهم هو ؟ فما رأينا منظرا شبيها به ؛ وخرج الناس في الطريق وعلى البيوت ، والغلمان والخدم يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ، الله أكبر جاء محمد ؛ وجعل النساء والصبيان وجميع المسلمين ينشدون على نقر الدفوف :ــ

طلـــع البـــدر علينـــــا	مـــن ثنيـــات الـــوداع
وجـب الشــكر علينـــا	مـــا دعــــا لله داع
ايهـــا المبعـــوث فينـــا	جئـــت بالامـــر المطـــاع
جئـــت شرفـــت المدينـــة	مرحبـــا يـــا خـــير داع

وأقام علي بن أبي طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى للناس ودائعهم التي كانت عند الرسول وخلفه لردها ؛ ثم خرج يسير الليل ويختفي بالنهار حتى لحق الرسول بقباء ٠

ووصل الرسول العربي قباء يوم الاثنين ومكث فيها حتى يوم الجمعة ثم خرج منها في الضحى الى المدينة فوصلها في نفس اليوم بعد الظهر وهكذا دامت الهجرة النبوية ستة عشر يوما ٠

المصادر والمراجـــع ـ :

ـ : القران الكريم •

ـ : صحيح مسلم •

ـ : صحيح البخاري

ـ : المغازي للواقدي •

ـ : سيرة ابن هشام •

ـ : البداية والنهاية لابن كثير •

ـ : تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس •
للشيخ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري

ـ : تاريخ العرب العسكري • للاستاذ محمود الدرة

ـ : فقه السيرة • للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

ـ : العرب وظهور الاسلام • للدكتور محمد مصطفى النجار

ـ : تاريخ الاسلام • للدكتور حسن ابراهيم حسن

ـ : دراسة في المائة الاوائل • للدكتور مايكل هارت • ترجمة : الاستاذ خالد أسعد عيسى والمحامي أحمد غسان سبانو

بعض الادوات المستخدمة لمعرفة جهة القبلة

د· ريتشارد لورش

استخدمت في القرون الوسطى طرائق عدة لمعرفة جهة القبلة ، أو الجهة التي يجب أن يتجه اليها المسلمون في صلواتهم ، ولقد افترض عدد من الفلكيين حسابات تتعلق بعلم المثلثات ولكن دون الاستناد الى أية براهين ·

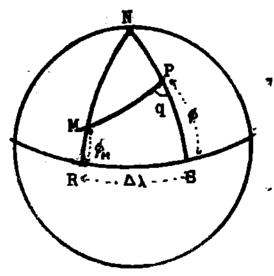
وفي هذا المجال رتبت جداول عدة على سبيل المثال ٢٠ × ٢٠ جدولا للفروقات في خطوط الطول والعرض عن مدينة مكة المكرمة ، وكانت حوالي ١ ، ٢ ، ٢٠،٠٠٠٠ وأكثر هذه الجداول حسبت بصيغة تقريبية ، ولقد استخدمت آلة الربعية ، الاداة التي تستخدم في الفلك والملاحة لقياس الارتفاع وهي مؤلفة من قوس مقسومة الى ٩٠ درجة ، وهناك طريقة أخرى شائعة في معرفة جهة القبلة هي المحراب ، والساعة الشمسية ، ولقد استخدمت آلتان على الاقل في هذا المجال ، حلت مشكلة التمثيل المباشر للكرة الارضية أو لنصفها · وهناك مخطوطات لكلتيهما في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٤٨٧١ ، وقد يتساءل أحدنا عن عدد الوسائل المستخدمة فعليا للوصول الى معرفة جهة المصلي ، فاذا خطط المحراب في أكثر المساجد يكون على الاغلب مضبوطا · وليس هناك أدنى شك في أن الادوات التي استخدمت لمعرفة جهة القبلة تعد نتيجة حتمية للعلوم المتنوعة في القرون الوسطى ·

INSTRUMENTS FOR FINDING THE QIBLA

Dr. Richard Lorch

1. *Finding the qibla*

Finding the *qibla*, or direction of Mecca, was one of the hardest problems to which Muslim astronomers addressed themselves. In the diagram (fig. 1), N is the North pole of the Earth and the circle RS its equator. M is the position of Mecca and P is the position of the place you are in. The angle q, the deviation of MP from PS (or due South), is the required angle.



- $ø$ latitude of your town
- $ø_M$ latitude of Mecca
- $\Delta\lambda$ difference in longitude between your town and Mecca
- q direction of the *qibla*

Fig. 1

It may be found in a variety of ways. Exact methods are equivalent to the following modern formula:-

$$\cot q = \frac{\sin ø \cos \Delta\lambda - \cos ø \text{ tau } ø_M}{\sin \Delta\lambda}$$

There were also several approximate formulae and procedures. Of these perhaps the best known is due to (or recorded by) al-Battānī in the early tenth century:-

$$\tan q = \frac{\sin \Delta\lambda}{\sin (ø - ø_M)}$$

in modern notation.

Results were sometimes given in the form of a table, often for $\Delta\lambda$ varying between 1° and 20° or 30° and $\phi - \phi_M$ also varying between 1° and 20° or 30° – so that the table was of 20 × 20 or 30 × 30 numbers in all. Again, some writers simply gave instructions to show how the calculation was to be performed — either by arithmetic or by means of a calculating-instrument like a sinecal quadrant. There were also several „analemma" methods, that is, graphical methods that followed the three-dimensional construction in a plane. Finally, instruments were contrived or adapted to give the qibla directly: a three-dimensional graphical solution.

The *qibla*, found by one means or another, was often copied on to an "Indian circle", that is, a horizontal circle bearing the cardinal points (North East, South, west) and the North-South and East-west lines. An instance of this is Ibn al-Ṣaffār's (11th century) use of the astrolabe for the purpose. A favourite way of displaying *qiblas* was to put the miḥrābs of various towns on a horizontal plate of a sundial or other instrument.

2. *Determining the qibla directly on the celestial globe*

A globe representing the heavenly sphere mounted in horizontal and meridional rings so that it could rotate about the poles of the world was called by the Arabs *dhāt al-Krsī*. In al-Khāzinī's description (early twelfth century) of a mechanically rotated instrument of this type he explains how it could be used to determine the *qibla*. As with many other applications of the instrument, al-Khāzinī makes use of a loose quadrant of the same radius as the globe. The procedure is as follows.

1. Put marks on the sphere for your town and Mecca. In each case put one end of the quadrant on the North pole and the other on the graduation of the equator-circle corresponding to the geographical longitude of the town; the position of the town is then marked on the sphere alongside the graduation of the quadrant corresponding to the latitude.

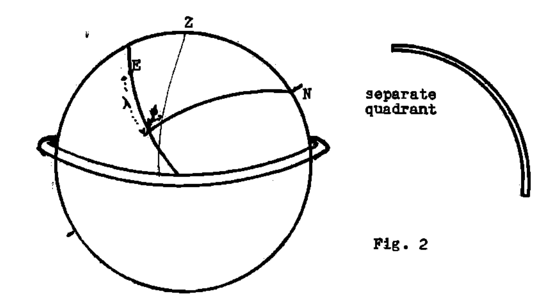


Fig. 2

2. Align the sphere with the heavenly sphere by putting the mark for your twon directly underneath the zenith.

3. Now the mark for Mecca points in the direction of the zenith of Mecca. So, to find its azimuth, put one end of the quadrant on the zenith of the instrument and see that the quadrant passes through the mark for Mecca. Its other end, which will reach the horizon, will indicate there the azimuth of Mecca.

3. *The hemisphere of Naṣr b. ʿAbdallah the geometer*

A hemisphere, bisected by each of the great semicircles AB and GD, is placed with its flat base on a horizontal surface on which North-South and East-West lines are drawn. AB and GD are aligned with these lines so that B is North. Now (fig. 3)

1. Mark point Z so that BZ = ϕ . Z is the pole.
2. Draw the great circle GHD with pole Z.
3. From HD cut off HT $\Delta\lambda$ K.
4. Draw great circle ZTK.

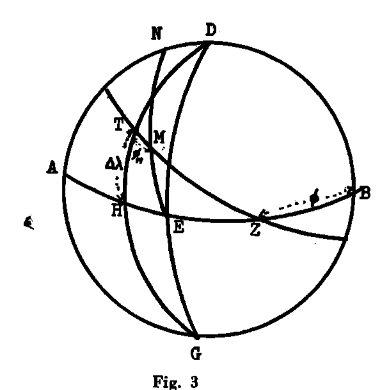


Fig. 3

5. From T 2 cut off TM ϕ_M .

6. Draw great circle EMN so that it cuts the horizon AD at N. AN is the desired arc, the azimuth of Mecca.

Explanation: since ZB = ϕ and ZH = BE = quarter of a circle, HE = ϕ. Hence the configuration ZEHTM is exactly the same as the configuration NPSR in fig. 1. Angle MEA (in fig. 1, MPS) is measured by the arc AN (since E is the pole of circle ADBG). In essence, what we have here is the same construction as al-Khāzinī's. Both involve the direct construction of fig. 1 on a sphere.

دور العرب في اغناء الحضارة

الدكتور شاكر مطلق

من السهل على الفرد العربي أن يشير الى أمجاد أجداده في عملية بناء وتطوير الحضارة الانسانية ، بعد أن أثبتت الدراسات في كافة أنحاء العالم أن دور العرب هذا لم يكن مجرد الحفاظ ونقل حضارات سابقة كالحضارات الاغريقية والرومانية فحسب وانما الاسهام الجدي بقسط هام ، وهام جدا في عملية خلق الحضارة هذه وتطويرها ، وكثيرا ما ننبش هذه الامجاد لنجعل منها شعارات نحملها لنخفي وراءها عجزنا وتخلفنا المريع خاصة في مجال تطور العلوم الحديثة وعملية صياغة الحضارة ·

ومن الغريب حقا ملاحظة النقص في معلوماتنا الموضوعية حول الدور الحضاري العربي وعرضه بشكل موضوعي وعلمي سواء في مناقشاتنا الفردية أو في كتاباتنا حوله والتي يحيط بها الغموض أحيانا وذلك عائد الى عدم معرفتنا وبدقة كافية لاهمية تلك المنجزات ، ونوعيتها وتاريخ تطورها ومعرفة وجه التجديد فيها ·

وأنا أعرف أن مهمة التعريف بهذه الحضارة العربية وبالشكل الذي ذكرت عملية شاقة وصعبة وأبسط أسباب ذلك هو شمولها لنواح متعددة من النشاط الانساني وانه من الصعب ان ننتظر من مؤرخ درس التاريخ أن يشير مثلا الى أهمية اكتشافات (ابن سينا) في الطب أو (ابن النفيس) في (دورته الدموية الصغيرة) أو (ابن الهيثم) في أعماله الرائعة بعلم البصريات ·· الخ ·· لانه لا يستطيع ان يميز هذه النقاط الهامة والجديدة في أعمالهم لعدم توفر المعرفة العلمية لديه اللازمة لعملية الفرز هذه ، وهذا ينطبق على العالم الذي قد يستطيع القيام بهذه المهمة بشكل أفضل من المؤرخ غير أنه قد يخفق في التكلم عن دور فلسفة ـ الكندي ـ الذي كان عالما وفيلسوفا وقد لا يستطيع فهمه كفيلسوف ومقارنة خلفيات رسالته الى (المتوكل بالله) مثلا وان كان يفهم الجانب العلمي فيها بشكل حسن ·

ما أقصده بذلك ، وبالدقة ، أن يتطوع العالم ، والمؤرخ ، والاديب ، والفنان العربي القادر المطلع ، على أن يؤدي بأعماله الى كشف جانب الاهمية والتجديد والعظمة في حضارة شعبه العربي من خلال اختصاصه الذي يتمكن فيه من هضم المادة والقيام بعملية الفرز والمارنة العلمية بالحضارات التي كانت

قائمة وبمدى التأثير الذي أدته حضارتنا فيها • أو تأثرت هي بدورها بتلك الحضارة ويخرج بعد الغربلة والفرز بحفنة من المعلومات القيمة حول جانب العظمة والتجديد والاهمية ، كعمال مناجم الذهب في الارض يقومون بعمل شاق وطويل وممل أحيانا لغسل الشوائب على أطراف النهر من هذه التربة التي تحوي الذهب ، ليظفروا بعد هذا العناء بقطع صغيرة من التبر الصافي ، التي ان جمعت وأضيفت بعضها الى بعض تمكن الصائغ الماهر من صنع قلادة ثمينة وجميلة منها ، وهي التتويج المعنوي لابحاث عديدة قد يثير كل منها منفردا أهمية كبيرة غير أن نتائجها متجمعة قد تبلور صورة أفضل للعطاء الفكري العظيم للشعب العربي الذي آن الاوان اليوم ، وخاصة في ظروف حياتنا السياسية والاجتماعية الصعبة أن نستلهم من هذا التراث دفعا معنويا للانتاج ولعطاء ، وأن ندحر بشكل علمي ومدروس ادعاءات أعدائنا حول دور الشعب العربي الحضاري ، لا بالعواطف التي لا مكان لها في المناظرة العلمية الجادة ، وانما بالحقائق الملموسة المدروسة • وهذه محاولة متواضعة منا للتعريف بأحد أوجه حضارتنا العربية •

من ناحية دورها في تقدم العلوم الطبية :

عنما ابتدأت الفتوحات العربية الاسلامية ، كانت حضارة الفرس والحضارة البيزنطية الكبيرتين في مرحلة ازدهارهما الاخيرة ، وسرعان ما اندفع العرب ــ تلامذة النبي ــ كما يسميهم المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون G. LE BON الى الانهماك بدراسة العلوم والفنون بنفس النشاط الذي قاموا به بالفتوحات ، وبعد أن استتب الامر للخلفاء ابتدؤوا يؤسسون المراكز المعنية بدراسة وترجمة العلوم بأشكالها المختلفة وخاصة ما أنتجته حضارة اليونان •

وقد سهل ذلك كون المعارف اليونانية والرومانية كانت قد وصلت قبل الفتوحات ببعض الوقت الى فارس وسوريا وانتشرت هناك وقد ابتدىء بترجمتها الى اللغة العربية عن مؤلفات كانت معروفة في سوريا وبعد ذلك امتدت الترجمة لتشمل أعمالا من التراث اليوناني خاصة ، لم تكن قد وصلت الينا بعد وخاصة في مجال العلوم وقد قام الكثيرون من هؤلاء المترجمين والعلماء بتعلم اللغات الام التي ترجموا وكتبوا عنها سواء ــ اليونانية ــ أو اللاتينية ــ أو الاسبانية ــ وهناك حتى اليوم توجد في مكتبة الاسكوريال Escorial في اسبانيا قواميس للغة العربية ولهذه اللغات المذكورة •

في هذه المرحلة الاولى من مرحلة بناء الافق الفكري العربي الخاص كانت معرفة تراث الاغريق والرومان هي القاعدة الاساسية التي لا بد منها لكل مثقف في العالم العربي • وهي تشبه المرحلة المدرسية للطالب في تقدمه العلمي ــ غير

أن العرب بنشاطهم وأفكارهم الطموحة لم يكتفوا بهذا الدور لفترة طويلة كما اكتفت به (أوربا) ــ طوال القرون الوسطى ــ وانما اتجهوا للابداع والعطاء بشكل مثير للاعجاب لم تسبقهم اليه أي من الشعوب الاخرى كما يقول العالم (غوستاف لوبون G. Le Bon) وبوضوح تام ، فبعد فتح مدينة ما كان هم الفاتحين الاسلام الفوري هو انشاء جامع ومدرسة ، وغالبا ما كانت المدارس أكثر عددا ، حيث يشير (بنيامين تودله Benj. Todleh) الى أن عدد المدارس في الاسكندرية عام (١١٧٣) م قد وصل الى العشرين . وفي المدن الكبرى كانت تزود الجامعات بكل ما تحتاجه من وسائل للبحث والمراقبة والمطالعة من مخابر ومكتبات حتى انه كان يوجد في اسبانيا سبعين مكتبة عامة ، وقد كان في مكتبة الخليفة الحكم الثاني في قرطبة ما يزيد على ستمائة ألف مجلد والفهرست لهذه المكتبة كان يضم أربعة وأربعين مجلدا وللمقارنة فقط تجدر الاشارة الى أن مكتبة القيصر (كارل الحكيم) في فرانكفورت في ألمانيا كانت تضم بعد أربعمائة عام من مكتبة الحكم الثاني تسعمائة مجلد ثلثها فقط من الكتب غير الدينية .

ان أهم فضل للعلماء العرب وللمسلمين هو ادخال التجربة والملاحظة كأساس للبحث العلمي ، وان بدا هذا اليوم لنا كأمر بسيط وعادي فتجدر الاشارة الى أن علماء العصور الوسطى الاوربية احتاجوا الى ألف عام حتى وصلوا الى ذلك ، وان كان العالم الانكليزي (ف باكون F. Bacon) يعتبر خطأ كاول من أدخل التجربة والملاحظة في البحث العلمي الا أن الحقيقة هي أن هذا الفضل يعود الى العرب وتكفي هنا الاشارة الى أن العالم الالماني العظيم الكسندر فون هومبولد Alex. von. Humboldt الذي ما تزال هناك مؤسسة في ألمانيا حتى اليوم تحمل اسمه وتقدم المعونات للعلماء وللابحاث العلمية من مختلف الجنسيات وكذلك تحمل جامعة برلين الشرقية اسمه قال :

« ان العرب قد وصلوا الى ذلك (التجربة) في مرحلته القديمة الاولى المجهولة » .

التجربة والملاحظة كانت طريق ــ العرب ــ وترديد أقوال مشاهير العلماء طريق أوروبا والعصور الوسطى بشكل خاص ولا يمكن فهم المركز الهام للعرب في مجال العلوم دون فهم هذه الحقيقة واعطائها أبعادها اللائقة وكانوا هم الوحيدين في العالم الذين طبقوا ذلك بشكل واسع حتى ان صاحب كتاب (قصة علم الفلك) يذكر انه في الوقت الذي كان لدى اليونان اثنان أو ثلاثة مراقبين لرصد النجوم كان لدى العرب عدد كبير منهم وأما في الكيمياء فلم يكن لدى اليونان أي باحث تجريبي وكان لدى العرب المئات .

ولم يقتصر ذلك فقط على العلوم التجريبية وانما شمل الفلسفة كذلك فقد أعطى وقدم العرب للحضارة من الاكتشافات الهامة خلال فترة أربعمائة

عام أكثر مما قدم الاغريق خلال فترات أطول بكثير من الزمن ، وقد قام العرب بنشر علومهم عن طريق الجامعات والكتب بشكل أدى الى اعتبارهم كما يقول : (غوستاف لوبون) Gustav le Bon (أساتذة أوربا في العلوم) •

أكتفي الآن بهذا العرض الموجز السريع لبعض نواحي الابداع العربي في عملية بناء الحضارة مؤكدا مرة أخرى على أن (ادخال التجربة والملاحظة كأساس للبحث العلمي) هو من أهم الانجازات العلمية على الاطلاق وهنا يبدأ دورنا في البحث عن الجديد الذي كشفه هـذا الاسـلوب وأغنى به الحضـارة الانسانية وابرازه من ظلام المكتبات الى نهار القرن العشرين الذي أوشك على الزوال وفجر القرن الخامس عشر الهجري الذي نحتفل باطلاله الآن •

هدي النبوة لتصحيح الاخطاء الشائعة في المداواة الشعبية

للدكتور : محمود ناظم نسيمي

ان تصحيح الاخطاء الشائعة في المداواة الشعبية يعتبر من واجبات الدولة ومهمات وزارة الصحة • ولقد قام بذلك الرسول العربي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فرغب عليه الصلاة والسلام في أن يعيد قومه النظر في أستعمال الادوية الشعبية التي يمارسون تطبيقها دون استشارة طبيب ، وأن يبعدوا عنها المغالاة ، وأن يقتصروا في تطبيقها على مجالات معينة حيث تفيد ، فنبههم الى أن الدواء انما يشفي باذن الله تعالى اذا وافق الداء ، أي لا بد من تشخيص للداء ولا بد من اختيار دواء ملائم يستعمل بمقدار وبطريقة موافقين ، فقال عليه الصلاة والسلام : « لكل داء دواء ، فاذا أصيب دواء الداء برىء باذن الله عز وجل »(١) •

١ ـ ولقد أورد عليه الصلاة والسلام ذكرا لبعض الادوية الشعبية الشائعة في زمانه ، والتي قد بولغ في استعمالها حتى استعملت في غير مجال فوائدها • وهي : الحجامة المدماة والعسل والكي ، فأقر بها بأنها أدوية لها فوائدها ، ولكنه نبه الى أن استعمالها طبيا يجب أن يكون موافقا للداء أي تابعا لوجود استطباب • روى البخارى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ان كان في شيء من أدويتكم ، أو يكون في شيء من أدويتكم ، خير ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعة بنار توافق الداء ، وما أحب أن أكتوي » •

أقول : ان الضمير المستتر في كلمة (توافق) يجوز رجوعه الى (لذعة بنار) أقرب مذكور ، ويجوز رجوعه الى الثلاثة (شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعة بنار) •

٢ ـ لقد بالغ العرب في استعمال الكي كواسطة علاجية وخاصة من قبل الاعراب سكان البادية حيث تندر الاطباء والادوية ، وأصبح الكي يجرى من قبل

---

١ ـ رواه الامام أحمد والامام مسلم عن جابر رضي الله عنه •

غير الاطباء ولا ذوي الخبرة ، وأحيانا لمجرد رغبة المريض أو ذويه بتجربة ذلك أو لوصف المتطبب الجاهل له ، وأضحى الكي ينفذ وقاية من مرض أو لتوهم أنه يحسم العلة ويمنع تفاقمها أو لاعتقاد أن الشفاء به يمنع النكس ، ولذا بين الرسول عليه الصلاة والسلام أن الخيرية في الدواء انما هي بموافقته للداء ٠

قال الحافظ ابن حجر في شرحه حديث البخاري السابق عند جملة (توافق الداء) : فيه اشارة الى أن الكي انما يشرع عندما يتعين طريقا الى ازالة الداء ، وأنه لا ينبغي التجربة لذلك ولا استعماله الا بعد التحقق ٠ نعم ان التجارب الدوائية هي من اختصاص الطبيب حيث يجريها بناء على أفكار علمية ، ولا يجوز للمريض أن يفتح لنفسه باب التجارب دون علم ولا اذن من الطبيب فقد يضر نفسه من حيث لا يعلم ٠ ولا نزال نرى مبالغة بعض الاعراب في استعمال الكي ٠

٣ ـ لقد أفرط العرب في جاهليتهم من استعمال وسائل المعالجة الروحية ، وكثير منها ما يتضارب مع عقيدة التوحيد أو يعد تعلقا بالاوهام ، ولذا حرم الاسلام على اتباعه الاستعاذة بالجن والشياطين وحرم السحر والكهانة والعرافة وتصديق أصحابها فيما يخبرون ، كما حرم تعليق الودع والخرز وما شابه بقصد وقائي أو علاجي ، فلقد ورد عن عقبة بن عامر الجهني قال : سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول : « من يعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن يعلق ودعة فلا ودع الله له » (١) ٠

كانت الرقى تشكل القسم الاعظم من المعالجة الروحية عند العرب فنهى الرسول عليه الصلاة والسلام عنها كلها في بادىء الامر لاعتبارات ثلاثة هي :

١ ـ لان معظمها يحتوي على عبارات شرك كالاستعانة بالاصنام أو يحتوي كلمات غير مفهومة المعنى يخشى أن تكون منقولة عن لغات أخرى ومعناها كفر أو شرك ٠

٢ ـ لاعتقاد كثير من العرب أن تأثيرها حاصل بطبعها دون اذن من الله تعالى كما كانت الجاهلية تزعمه في أشياء سببية كثيرة ٠

٣ ـ لمبالغة العرب في استعمال الرقى كمبالغتهم في استعمال الكي فاستعملوها كثيرا دون استطباب ، أو مع اهمال الدواء المتوفر لتوهم أنهما قد يفيدان ، والمعالجة بالاوهام تتنافى مع التوكل على الله تعالى في عقيدة الاسلام ٠ قال النبي عليه الصلاة والسلام : « من اكتوى أو استرقى فقد برىء من التوكل » (٢) ٠

---

١ ـ رواه أحمد وأبو يعلي والطبراني ورجالهم ثقات كما في مجمع الزوائد ٥ : ١٠٣

٢ ـ رواه الترمذي رقم (٢٢٣٠) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، واخرجه ابن ماجه أيضا في الطب ـ باب الكي ورقمه (٣٤٨٩) ٠

ثم أقر الرسول عليه الصلاة والسلام بعض الرقى ، وعلم أصحابه بعض الرقى الاسلامية وذلك في المناسبات التي تستدعي معالجة روحية ، كأن يكون المرض نفسيا أو مفقود الدواء أو التي تستدعي مشاركة الادوية الروحية مع الادوية المادية تقوية لمعنويات المريض ولابقاء صلة العبد بربه وذكره له في المنشط والمكره • فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله انه كانت عندنا رقى نرقى بها من العقرب وانك نهيت عن الرقى ، قال : فعرضوها عليه ، فقال : ما أرى بأسا ، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه (١) •

٤ ـ لقد أنكر الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ على قومه تعذيبهم الصبيان بطريقة معالجتهم لاطفالهم لدى اصابتهم بأمراض البلعوم •

كان من عادة النساء اذا أصاب ولدها مرض في حلقه أن تغمز حلقه باصبعها أي تدفعه بها (٢) ، أو تأخذ خرقة فتفتلها فتلا شديدا وتدخلها في أنف الصبي وتطعن مرض العذرة فينفجر منه دم أسود وربما أقرحته ، وذلك الطعن يسمى دغرا وغدرا (٣) ، أما مرض العذرة فهو وجع في الحلق يهيج من الدم يحتمل أن يكون التهاب اللوزات أو الناميات أو البلعوم أو اللهاة أو غيرها من أمراض البلعوم •

أنكر الرسول عليه الصلاة والسلام تلك الطريقة من المعالجة وأوصى قومه باستعمال القسط الهندي استيعاطا بدل ذلك الغمزه روى البخاري في صحيحه عن أم قيس رضي الله عنها قالت : دخلت بابن لي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أعلقت عليه من العذرة ، فقال : « على ما تدغرن أولادكن بهذا العلاق ؟ عليكن بهذا العود الهندي فان فيه سبعة أشفية : منها ذات الجنب ، يسعط من العذرة ويلد من ذات الجنب » •

قال في الفتح : الاعلاق رباعي وتفسيره غمز العذرة وهي اللهاة بالاصبع • ووقع في رواية يونس عند مسلم : قال : أعلقت : غمزت • وأخرج أحمد في مسنده وأصحاب السنن من حديث جابر بن عبد الله قال : (دخل رسول الله

---

١ ـ رواه الامام مسلم في صحيحه •

٢ ـ كما في فتح الباري في شرح حديث البخاري الذي سأذكره قريبا والوارد في كتاب الطب •

٣ ـ كما في شرح النووي على صحيح مسلم في شرح الحديث المماثل لما رواه البخاري •

صلى الله عليه وسلم على عائشة وعندها صبي تسيل منخراه دما ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : به العذرة أو وجع في رأسه فقال : ويلكن لا تقتلن أولادكن ، أيما امرأة أصاب ولدها عذرة أو وجع في رأسه فلتأخذ قسطا هنديا فلتحكه بماء ثم تسعطه اياه ، فأمرت عائشة رضي الله عنها فصنع ذلك بالصبي فبرأ) ٠

وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه سئل عن أجر الحجام فقال : (احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حجمه أبو طيبة وأعطاه صاعين من طعام وكلم مواليه فخففوا عنه ، وقال : ان أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري ، وقال : لا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العذرة وعليكم بالقسط) ٠

تحدث ابن سينا عن القسط في معالجة أمراض اللهاة واللوزتين (١) فقال : (دواء جيد في الاحوال والاوقات) ونسخته شب يماني ثلاثة أجزاء ، بذر الورد جزءان ، قسط جزء ، يستعمل ضمادا بريشة أو بمرفعة اللهاة وهو دواء جيد ، ثم ذكر غمز اللهاة في (فَصل في سقوط اللهاة) وقال : قد تسقط اللهاة بحمى وقد تسقط بغير حمى ٠ وسقوطها أن تمتد الى أسفل حتى لا ترجع الى موضعها ، وربما احتاج المزدرد الى الغمز بالاصبع حتى يسوغ ٠ ثم ذكر ابن سينا في المعالجات ٠٠ وربما غمز بالاصبع ملطوخة بمثل رب التوت والجوز ٠٠

ولا يزال بعض الناس وخاصة من سكان البوادي والارياف يغمزون اللوزات (باسم رفع اللوزات النازلة) أو يغمزون اللهاة لدى التهاب البلعوم أو اللوزات أو اللهاة ظانين بأن الطفل مصاب بسقوط اللهاة ٠

أما الطب الحديث فيداوي تلك الامراض بالصادات ، وقد يلجأ الى مسح اللوزات أو اللهاة أو البلعوم بالطلاء المطهر مع ضغط خفيف في التهاب اللوزات اللبي الجرابي ٠

٥ ــ ولقد نبه الرسول عليه الصلاة والسلام في احدى المناسبات لضرر الشبرم وقال عنه : (حار جار) ، ثم أثنى على السنا ٠

روى الترمذي عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : بما تستمشين فقالت : بالشبرم ، فقال : حار جار ، قالت : ثم استمشيت بالسنا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو أن شيئا كان فيه شفاء من الموت لكان في السنا » (٢) ٠

---

١ ــ القانون ــ الجزء الثاني ــ الفن التاسع ــ فصل في اللهاة واللوزتين ٠

٢ ــ جامع الاصول الحديث رقم (٥٦٤٦) رواه الترمذي رقم (٢٠٨٢) وابن ماجه رقم (٣٤٦١) وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ٠ وقال الاستاذ عبد القادر الارناؤوط في تعليقه على جامع الاصول : وهو حديث ضعيف لوجود مجهول في سنده عندهما ، كما ان في رواية الترمذي انقطاع (حار جار) اتباع له ، وكذلك حاريار ٠

قال ابن سينا عن الشبرم (١) : (ضار خصوصا بالامزجة الحارة ‥ يضر بالمعدة والكبد ‥ وقد كان في الطب القديم يستعمل في المسهلات ثم ترك لضرره بالباه والمني وتفجيره لعروق المقعدة .

من تلك النصوص السابقة العديدة يتبين لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بتصحيح الاخطاء الشائعة في المداوة الشعبية لدى قومه قياما بمهام الدولة لاجتماع القيادتين الدينية والدنيوية في شخصه الكريم .

---

١ ـ القانون ـ الجزء الاول ـ القسم الثاني في بيان الادوية المفردة ـ فصل حرف الشين.

الابحاث التي تدور حول ابن سينا

ابـــن سينـــا

وأثر الطب العربي في الصـــين

د. محمـد التونجي
كلية الآداب ـ جامعة حلب

يرتبط حديثي أيها السادة عن الطب العربي في الصين ، بالملاحة العربية منذ نشأتها ، وبوصول السفن العربية الى أقصى المحيط الهادي ، وبالفتح العربي منذ أيام قتيبة بن مسلم الباهلي وفتوحه في المشرق ، وبالغزو للاراضي العربية غربا والاراضي الصينية شرقا ، وبسبل دخول الاسلام الى الصين بحرا جنوبا وبرا شمالا ، وبالعلاقات الصديقة والوطيدة التي تعاقبت عليها مراحل التاريخ بين العرب والصين ، أيام كان العرب يعرفون باسم « داشي » أي تاجر ؛ يحملون الرايات البيضاء في عصر الامويين فيسمون داشي الراية البيضاء ، ويحملون الرايات السوداء في عصر العباسيين فيسمون داشي الراية السوداء ، ويحملون الرايات الخضراء في عصر الفاطميين فيسمون داشي الراية الخضراء .

الا أنني لن أخوض في هذه المعامع كلها ، لان المقام لا يسمح بذلك ، ولانني أرغب في التحدث عن موضوع علمي بحت ، جاهدا ان ينتهج قلمي الاسلوب العلمي .

لقد لفت نظري ، وأنا في أقصى مدينة من المشرق ـ بكين ، العاصمة الصينية ـ أن كثيرا من الصلات الوثيقة كانت تجري بين بلاد العرب والصين في شتى حكومات الطرفين . وأن من أوثق الصلات صلات تجارية يغلب عليها « الطابع البحري » ، وكيف لا ؟ والبحر العربي كانت تجوبه السفن العربية شرقا وغربا ، وتؤمه السفن المحملة بأفضل ما عند العرب ، لتفرقها في شواطىء الصين . ثم لتحمل منها ما تنتجه الصين لتفرغها في عواصم البلاد العربية . ويكفي أن أذكر لكم أن أحد التجار العرب كان يملك ثمانين سفينة تمخر عباب البحـار ، ومركـزه أحد موانىء الصـين وأن رئيس التجـارة البحـرية في الصين عربي . يكفي أن أذكر هذا لتتضح لنا مدى العلاقات التجارية البحرية بين طرفي آسية .

ولكن أحدا لم ينتبه الى أن أفضل البضائع التي كانت تصل الى الصين من الشواطىء العربية ، والتي تلقى رواجا وأرباحا وتهتم لها الدولة ، تلكم هي البضائع الطبية من أدوية وعقاقير وأعشاب وكتب طبية ، وحتى أطباء .

ورحت أتقصى هذا الامر الدقيق بعناية الطبيب الذي يقدم الوصفة اللازمة لمريضه ، خشية أن أخطىء فآلام • ولعل أبرز خبر سمعته لفت نظري وشده الى هذا الموضوع بشكل مباشر أن المكتشفات الاثرية عثرت في شهر آب (أغسطس) من عام ١٩٧٤ م على سفينة خشبية في قاع الخليج مدينة « تشيوانتشو » الى الجنوب الشرقي من المدينة ، يعود تاريخها الى ما بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين • ويبلغ طول السفينة ٢٤٫٢٥ م وعرضها ٩٫١٥ م ، وهي بحالة جيدة • وقد عثر في مقصورتها على خشب معطر ، وعقاقير طبية ، وفلفل وبخور ، وزنجفر ، وعنبر ، ولبان ، وصندل ، وزئبق ، وغير ذلك • بعضها من الشواطىء العربية وبعضها من الشواطىء الفارسية • وقد أقيمت صالة عرض لهذه السفينة في المدينة نفسها ، يؤمها السواح والعلماء لكشف مظاهر بناء السفينة النادر والعجيب ، ومحتوياتها المذهلة •

وتوصلُ الخبراء وعلماء الآثار ــ بعد الفحوص الدقيقة ــ الى أنها سفينة تجارية ، مخرت عباب البحار من بلاد العرب ــ من غير تحديد للميناء ــ ولعلها من عدن أو جدة أو شط العرب ، قاصدة ميناء « تشيوانتشو » هذا الميناء الذي يمكن للباحث أن يدرسه دراسة دقيقة ، لانه في الواقع نقطة الاتصال الكبرى بين العرب والصينيين منذ ألفي سنة أو تزيد •

ان اكتشاف تلك السفينة الكبيرة يسلط الاضـواء الساطعة على تاريخ العلاقات الطبية والصيدلانية بين العرب والصينيين • كما عثر على لوح خشبي في السفينة حفر عليه اسم « علي » برهانا على عروبية السفينة •

وصف كتاب « الاعشاب الطبية » الشهير الذي تم تأليفه عام ٦٥٩ م في عهد أسرة تانغ (٦١٨ ــ ٩٠٧ م) خواص الانجذان ووظائفه وفعالياته • ومن أبرز من ألف في الطب الاسلامي طبيب فارسي الاصل يدعى « لي شيون » والذي عاش بين ٨٥٥ ــ ٩٣٠ م • فقد تاجر آباؤه بالادوية العشبية من وراء البحار ؛ من بلاد العرب وفارس • فجمع أسماء الادوية الاجنبية في كتاب سماه « كتاب الادوية العشبية من وراء البحار » ، ويقع الكتاب في ستة أجزاء • ذكر المؤلف فيه ١٢٤ نوعا من الادوية والاعشاب العربية •

ويعتبر الملاح الصيني المسلم الكبير « تشنغ خه » من أبرز من نقل العقاقير الطبية الى الصين • فقد سجل مرافقه « ماهوان » في مذكراته أنه شاهد أنواع العطارة مزدهرة في مكة • ومن أبرز ما اشتروه منها : العصفر ، ماء الورد ، العنبر •• وذكر أن ظفار تنتج : المصطكاء ، دم الغزال ، الصبار ، نبات المر ، الشجر اللبني ، زيت العنبر • كانوا يأخذونها من العرب ، ويقايضون عليها ما يحملونه من حرير وخزف • وقد ساعدته اقامته الطويلة في بعض البلدان العربية

على كشف أسرار بعض الادوية وزراعتها وعصرها وعطارتها • ويذكر مرافقه ماهوان آنهم استوردوا من الحجاز ٢٦ عقارا طبيا ، ومن عدن ٤١ •

وازدادت اهتمامات الطب العربي في الصين اثر هذه الاشاعات والتجارات وتطورت ومما لا شك فيه أن التجار العرب لم يحملوا معهم العقاقير الطبية بادىء الامر بل حملوا بضائع عرفت عند العرب كالتمور وبعض الاحجار الكريمة •• ولمسوا فيما بعد أن الحاجة ماسة الى مثل هذه التجارة ، فراحوا يبحثون عن العقاقير وعن الاعشاب الطبية وعن أفانين العطارة • فنشطت حركة تجارية من نوع خاص ، يجمعون فيها العقاقير من بلاد العرب وفارس ، يحملها التجار العرب ، ويستقبلها الصينيون من شواطىء البحار •

ومما يؤكد اهتمام الصين بالمستوردات الطبية اشراف الاباطرة بأنفسهم على نقل كميات هائلة من المواد الطبية والادوية العربية ، ولا سيما في عهد أسرتي تانغ وأسرة سونغ (٩٦٠ ـ ١٢٧٩ م) • فتذكر كتب التاريخ الصينية أن العنبر والبان والمر والحلبا وحجر الشب والعصفر والقنب من أوائل المواد الطبية التي كانت تصل الى الصين في تلك المرحلة •

وقد اشتهر في هذه الحقبة تاجر عربي يدعى «لاشين» الذي اختص بتجارة الادوية والعطارة • فاتفق مع أحد كبار موظفي الدولة على استيراد البضائع الطبية والعطارية وبيعها ، لكثرة ما لمس التاجر من نفع هذه البضائع لسكان الصين • فأطلق الناس عليهما لقبا واحدا هو « ابن الامين » ، لما كانا يقدمانه من خير وفوائد لهم • وكان ذلك عام ١١٣٦ م • بل ان الامبراطور نفسه سر لتجارة أبي لاشين ، فخلع عليه حلة رسمية ، وأهداه الهدايا الثمينة •

وأقدمت الدولة بعد ذلك على منح التجار العرب هدايا تشجيعية ، واقامات مغرية لمتابعة نشاطهم في الحقل الطبي • فأوعزت الى موظفيها بضرورة مراعاة التجار العرب ومساعدتهم وتسهيل مهماتهم في شتى أطراف البلاد •

وفي عهد أسرة سونغ (٩٦٠ ـ ١٢٧٩ م) لمع اسم ابن سينا في البلاد العربية • وسرعان ما نقلت مؤلفاته ووصفاته الى الصين ، فدخلت معها ألفاظه الطبية والصيدلانية • واتجهت الطبابة الصينية عندئذ اتجاه ابن سينا في الطب ، وراحوا يستوردون الادوية الحبوبية التي كان يصفها ، ويقتبسون موادها ، ويطورونها • ويعتبر عام ١٢١٥ م نقطة تحول كبيرة في عالم الطب العربي في الصين ، ومنطلقا هاما في تاريخ الثقافة العربية ، اذ نشطت حركة المؤلفات والترجمات ، بالاضافة الى ازدياد حركة التجارة • فقد غزا قبلاي خان ملك المغول بلاد الصين في هذا العام ؛ فتوافدت عقب ذلك الكتب الطبية العربية

وعلى رأسها كتب ابن سينا ، ونشط عدد من الاطباء الصينيين ، أو من كان من أصل عربي يترجمون هذه الكتب الى الصينية · وكانت مؤلفات ابن سينا حائزة قصب السبق في الترجمة ·

وقد سجل تاريخ أسرة يوان المغولية (١٢٠٦ ـ ١٣٨٦ م) عددا من النشاطات الطبية العربية · ففي فهرست « كتب الهويين » (١) ـ وهو مخطوط محفوظ ـ كثير من الكتب العربية المنقولة الى الصينية ، وتختص جميعها بالصيدلة والطب والكيمياء والفلك وغيرها من العلوم · وانشأ هولاكو « دار النعمة » عام ١٢٧٠ م تخصصت بصناعة الادوية لمعالجة المرضى من حراس القصر والرعايا الفقراء في العاصمة · وعين لهذه الدار طبيبا عربيا مشهورا اسمه « يوسف » يدير شؤونها ، ويشرف على معالجات المرضى الوافدين · وقد بني هذا المستشفى في عاصمة الملك · وعمل في هذا المستشفى عدد من الاطباء العرب · وتبع تلك الدار « دار الهويين للادوية والمعالجة » في بكين ، وأخرى في منغوليا عام ١٢٩٢ م ·

وفي مكتبة جامعة بكين اليوم بقايا موسوعة طبية ألفت في هذه المرحلة ، تحتوي على ستة وثلاثين جزءا ، لم يبق منها سوى أربعة أجزاء · وردت فيها أسماء الادوية المنقولة الى الصينية من العربية · وقد اتبع مؤلف هذه الموسوعة في ترتيب الاسماء وتصنيفها على طريقة ابن سينا في كتابه القانون · وأغلبها مترجم عن العربية ، بمساعدة الاطباء العرب المقيمين في الصين ، من عدد من الكتب ، وعلى رأسها كتاب « القانون » الذي غدا قانون الطب في الصين ·

واستمر استيراد الادوية من البلاد العربية لمعالجة المرضى ، الا أن ازدياد احتياجات البلاد ووجود عدد كبير من الاطباء العرب ساعد على زرع هذه الاعشاب الطبية بعد استيرادها · وقد نجحت تجاربهم بعد جهود متواصلة وسنين طويلة ·

واعتبر عطر الورد من الادوية العربية القيمة التي كانت تستورد بكثرة · الا أن تجارب العلماء الصيدلانيين في بلدة « قوانغتشو » تمت بنجاح · وأعلنوا أنهم استطاعوا صناعة عطر الورد على طريقة العرب · الا أنها لم تبلغ مستوى عطر الورد العربي · ولم يجيدوا صناعته الا عندما أتقنوا عملية التقطير العربية · كان الصينيون يصنعون خمورهم من الرز اللزج ، ولم تكن طرقهم ناجحة · ويذكر الطبيب « لي شه جن » مؤلف كتاب « الخلاصة الواقية في العقاقير الشافية » ـ وهو مخطوط ومحفوظ ـ ان الصينيين استطاعوا أن يبرعوا في صناعة الخمور بعد أن تعلموا عن العرب عملية التقطير اثر تعلمهم طريقة تقطير الورد ·

---

١ ـ هوي أو خوي : احدى قوميات الصين التي ينتمي أصحابها الى الديانة الاسلامية والجذور العربية والفارسية ·

وقد أنهى الطبيب « ياوخن » كتابه « مذكرات الكوخ الشتوي » الذي ذكر فيه قائمة الادوية المكتشفة في قصور الامبراطور عام ١٨١٤ م ، والتي بلغت ١٢٠ نوعا ، معظمها أدوية عربية استخدمتها المستشفيات الصينية ، وعلى رأسها دار النعمة ودار الهويين ٠

ولمعت شهرة الرازي في أنحاء الصين ، وتسابق الاطباء الصينيون الى بغداد والري لتعلم الطب العربي عن الرازي وعن غيره من الاطباء العرب والفرس ، وترجمة الكتب العربية والفارسية واليونانية ٠ ويحدثنا محمد بن زكرياء الرازي عن رجل قدم من الصين ولازمه قرابة السنة ، تعلم فيها العربية قراءة وكتابة ، حتى صار فيهما فصيحا ٠ وقبل أن يسافر الى بلاده بمدة شهر طلب اليه أن يملي عليه كتب جالينوس في الطب ، وعددها ستة عشر كتابا ٠ فقال له الرازي : ولكن الوقت ضيق ، ولا تكفي مدة شهر لتدوين هذا الكتاب ٠ الا أن الرجل الصيني استعمل طريقة الاختزال الصينية في كتابة هذه المؤلفات الضخمة في المدة المتبقية له بعد تخرجه ٠

حتى لقد كان الرازي وتلاميذه يملون عليه بأسرع ما يستطيعون ، وهو يكاد يسبقهم في الكتابة ٠ وهكذا شرعت كتب الطب اليونانية تنتقل عن العربية الى الصينية ٠

وقد أثنت كتب تاريخ الطب الصيني على مقدرة الاطباء العرب في الصين ٠ وذكرت العديد من العمليات الجراحية الناجحة ٠ أذكر بعضا مما وصلت اليه معرفتي ، وما زالت الكتب الطبية حبيسة المكتبات الخطية ببكين ٠ من ذلك حكاية أوردها « يانغ يوي » في كتابه « المعتكف في الجبل » قال : صادف أحد الاطباء العرب ذات يوم رجلا في الطريق ، كان قد سقط عن دابته ، ولم يعد يستطيع الحراك ٠ فلما أنهضه ليفحصه رأى بصره قد خبا ، ولسانه تدلى ٠ فأمر الناس أن يحملوه الى المستشفى لمعالجته ٠ وحار الاطباء هناك أمام هذه الظاهرة ، ودهشوا لحالة المريض ٠ الا أن الطبيب العربي انبرى لمعالجة المريض قائلا : « أستطيع أن أكشف هذه الحالة » ٠ وتقدم لمعالجته فورا ، فسحب لسانه من فمه ، وشقه بمقص حتى أدماه ٠٠ وما هي الا مدة وجيزة حتى نهض المريض معافى ٠

كما ألف العالم « تاوتسونغ » كتابه « ديوان الزراعة » عام ١٣٦٦ م ، وتحدث فيه عن عدة عمليات جراحية أجراها بعض الاطباء العرب ٠ فذات مرة شكا صبي من ألم شديد في رأسه ، فأتى الطبيب العربي ففتح له رأسه الصغير بالمشرط ، واستخرج منه مرضا خبيثا ، خف الطفل بعد ذلك في الحال ٠

واشتهر الطب العربي التجبيري اشتهار الطب العلاجي · بل ان الاطباء المجبرين لمعوا كثيرا · فقد أرخ لهذا الفن العالم الصيني « تشي ده تشي » في كتابه « خلاصة الجراحة » الذي ألفه عام ١٣٣٥ م كما برز العرب في مجال الطب البيطري · فقد ذكر « تاو تسونغ » في كتابه « ديوان الزراعة » شيئا من هذا القبيل · وأورد عددا من المعالجات ، من ذلك أن جوادا أصيب بتورم في بطنه ·· وأعيا مرضه الاطباء الا أن طبيبا عربيا أبدى استعداده في معالجته · كان الجواد مرتميا على الارض ، لا يستطيع الحراك عندما تقدم الطبيب نحوه · فأجرى له عملية جراحية ، بأن فتح فخذه اليسرى بالمشرط ، واستخرج منها كتلة مجهولة · فتماثل الجواد للشفاء بعد حين ، ونهض من مضجعه ·

قد لا تصور هذه الحكايات مكانة الطب العربي في الصين ، وقد تكـون الحكايات الجراحية المهمة ما زالت مطوية في الصحف · الا أن هذه الحكايات ، على بساطتها ، تدل على أعمال طبية كثيرة ، وعلى أطباء عرب منتشرين ، وعلى اهتمام المؤرخين الصينيين بتدوين نوادر الطب العربي في تلك الاصقاع النائية ·

ولولا انطباع الناس ــ قديما ــ بالغبطة والراحة نحو هؤلاء الاطباء لما أقدموا على تسجيل هذه العمليات ، ولما ختم أحد الاطباء كتابه ــ والذي ما زال مخطوطا ــ بجملته المشهورة « ما أبرع الجراحين العرب » ·

واعترافا بجميل الطب العربي على الصين قديما ، وتقديرا لمكانة علوم ابن سينا في بلادهم فقد احتفلت الحكومة الصينية عام ١٩٥٢ بذكرى مرور ألف سنة على مولد ابن سينا ، فاقامت مهرجانا خاصا تخليدا لهذا الطبيب العالمي الذي طبق صيته الآفاق ، حتى طرق أقصى الشرق الاقصى ، على أيدي تلامذته الصينيين الذين درسوا على يديه أو تعلموا من وراء مؤلفاته · وقد أشرف على هذا المهرجان لجنة التاليف لجمعية العلوم التاريخية والطبية الصينية والقيت فيه عدد من المحاضرات حول أثر هذا العالم الفذ بخاصة وحول أثر الطب العربي في الطب الصيني بعامة · من هذه المحاضرات :

١ ــ ابن سينا أشهر طبيب في الشرق الاوسط ·

٢ ــ ذكرى الالف لميلاده ·

٣ ــ ابن سينا المعلم ·

٤ ــ مؤلفاته ومؤثراته الطبية في العالم ·

٥ ــ ابن سينا وعلوم طبنا (في الصين) ·

٦ ــ الادوية العربية والعلوم الطبية لدى العرب ·

٧ ــ تاريخ تبادل العلوم الطبية بين الصين والعرب ·

٨ ــ تركة طبية في معهد العقاقير الاسلامي ·

وقد جمعت هذه المحاضرات ، وطبعت في عدد خاص من مجلة « تاريخ الطب » الصينية في شهر يونية من عام ١٩٥٢ م ، في العدد الثاني من المجلة الرابعة • وكم نتمنى على الباحثين أن ينقلوا هذه البحوث القيمة الى العربية وغير العربية •

وما زالت اللغة الصينية تحتفظ حتى اليوم بأسماء كثير من العقاقير ذات الاصل العربي أو الفارسي على الرغم من مرور القرون الطويلة ، وتحول زراعتها وصناعتها الى الصين • ونلاحظ من الجدول التالي أن بعض الالفاظ ما زال محتفظا بطابعه العربي ، وبعضها انحرف شكله تبعا لنطق الصينيين لهذه الكلمات • من ذلك :

الحلتيت ـ الياسمين ـ الحناء ـ الترياق ـ الافيون ـ العنبر ـ الصندل الاحمر ـ حجر الشب ـ العصفر ـ ثم :

الثوم : وتلفظ بالصينية سوان •

الحلبا : وتلفظ خلوهبا •

الحليل : وهو نبات سمي لا يؤكل •

اليابلو : من جذور التادورة ، وهو نبات سمي طبي •

التربة : وتلفظ تولبا ، ولعلها لفظت للادلال على صلاحية الارض لزراعة بعض الاعشاب •

القنب : وتلفظ جوبا ، أي الحشيش الصيني ، وجوب كلمة فارسية بمعنى الخشب •

ماء الورد : ويلفظونه (لاول) حسب الكلمة الفارسية (كل) أي زهرة •

نبات المر : ويلفظونه (موياو) وهي كلمة مركبة من (مر) العربية • والصينيون لا يلفظون الراء فبقي من الكلمة الميم والضمة فقالوا (مو) ثم اضافوا اليها (ياو) بمعنى الدواء بالصينية • فصارت موياو أي دواء المر •

العشب : ويلفظونه (أبو رساما) من الكلمة الصينية (ابريسم) •

وكثير غيرها لا يسمح المجال بذكر أكثر مما ذكرت •

أما أشهر المؤلفات الطبية التي عنيت بتدوين المعلومات عن الطب العربي ، فمنها :

١ ـ الخلاصة الواقية في العقاقير الشافية ـ مؤلفه : لي شه جن • وعرف في عهد أسرة مينغ التي حكمت بين ١٣٦٨ ـ ١٦٤٤ م •

٢ ـ الادوية المشبية من وراء البحار ـ مؤلفه : لي شيون • عاش ما بين : ٨٥٥ ـ ٩٣٠ م •
٣ ـ المعتكف في الجبل ـ مؤلفه : يانغ يوي •
٤ ـ ديوان الزراعة ـ مؤلفه تاو تسونغ ، ألفه عام : ١٣٦٦ م •
٥ ـ خلاصة الجراحة ـ مؤلفه : تشي ده تشي ، ألفه عام ١٣٣٥ م •
٦ ـ مذكرات الكوخ الشتوي ـ مؤلفه : ياوخن •
٧ ـ كتب الهويين : الى قومية هوي الاسلامية •
٨ ـ الاعشاب الطبية •

ولقد تنبه غوستاف لوبون الى أثر العرب في الثقافة الصينية ، مما دفعه الى أن يصرح بأن العرب هم الذين نقلوا ثقافاتهم العلمية الى الصين ، كما نقلوها الى أوربة • ولهذا ظن عدد من العلماء الغربيين أن هذه الثقافات العلمية ذات مصدر صيني أو هندي ، حتى خلط بعض المؤرخين العرب في ما هو عربي وما هو صيني •

وبعد أيها السادة فهذا غيض من فيض ، ولمحة مشرقة عن مكانة العلوم عند العرب ، ولا سيما في مجال الطب • ولعل هذه الصفحات والاشارات توجه العلماء الى كشف الكنوز العربية الثمينة التي أشرقت يوما في أقصى الصين • ومن حسن حظنا أنها وقعت في أيد أمينة واعية ، فما زال كثير من هذه الكتب والبحوث محفوظا في مكتبات العاصمة بكين •

دفع الغطاء عن احدى رسائل ابن سينا الطبية

« دفع المضار الكلية عن الابدان الانسانية »

د. محمد زهير البابا

كلية الصيدلة ـ جامعة دمشق

مقدمة :

لقد أحاط ابن سينا بأكثر العلوم والفنون ، المعروفة في زمنه ، وكان فيها مجليا • وامتاز عن غيره من العلماء الموسوعيين بدقة التعبير وجودة المصطلح والايجاز في الشرح ، بالاضافة الى براعة فائقة في التصنيف والتبويب •

واذا أراد الباحث أن يقوم باحصاء المؤلفات ، التي وضعها هذا العالم ، فانه سيقف مشدوها أمام عددها الكبير بالاضافة الى تنوعها • ويحق لنا أن نتساءل كيف استطاع ابن سينا أن يقوم بدراسة هذه المواضيع ، وأن يتمثلها ويؤلف فيها ، علما بأن قسما كبيرا من حياته القصيرة المضطربة قضاه متنقلا بين عمل وآخر ، ومن مدينة لمدينة ، متحملا مشاق السفر وأهوال الطرق ، طلبا للرزق أو فرارا من الاعداء •

يقول الدكتور لوكلرك ، في كتابه تاريخ الطب العربي ، ان ابن سينا لم يترك عددا كبيرا من المؤلفات الطبية ، اذا قيس بغيره من أطباء زمانه ، كالرازي مثلا • ولكنه يستدرك فيقول بأن كتاب القانون ، هو من ناحية الاحاطة والشمول موسوعة كبيرة استوعبت زبدة ما قاله الاطباء القدامى والمحدثون حتى زمنه •

ان مؤلفات ابن سينا الطبية هي بالحقيقة كبيرة العدد ومتنوعة ، ولكن أكثرها اما مفقود أو مبعثر في خزائن المخطوطات • ويكفي أن نلقي نظرة سريعة على أسماء كتبه ورسائله في الطب ، والتي ورد ذكرها في كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء ، لنتأكد من صحة هذا القول •

لقد قام لوكلرك باحصاء مؤلفات ابن سينا الموجودة في المكتبات الاوربية ، والتي لم تترجم الى اللغة اللاتينية فكان عددها تسع وهي :

١ ـ مقالة في الهندبا •

٢ ــ موجز في الطب (ترجم الى العبرية) ٠

٣ ــ مقالة في النبض (بالفارسية) ٠

٤ ــ مقالة في القوى الطبيعية ٠

٥ ــ قوانين ومعالجات طبية ٠

٦ ــ عشرون مسألة سأله عنها بعض أهل العصر ٠

٧ ــ تعاليق على مسائل حنين في الطب ٠

٨ ــ رسالة في القولنج ٠

٩ ــ عدد من الارجوزات القصيرة ذات مواضيع طبية مختلفة ٠

وحينما أراد معهد المخطوطات ، التابع لجامعة الدول العربية ، المحافظة على التراث العلمي العربي ، المبعثر في مكتبات الشرق والغرب ، استطاع الحصول على كثير من النسخ المصورة لمخطوطات نادرة ، وأضاف الى القائمة السابقة بعض الرسائل الاخرى لابن سينا وهي :

١ ــ رسالة في الباه ٠

٢ ــ رسالة في حفظ الصحة ٠

٣ ــ رسالة في حمى شطر الغب ٠

٤ ــ رسالة في الفصد ٠

٥ ــ رسالة في معرفة التنفس والنبض ، وهي الموسومة بالفصول المستفادة من مجلس الشيخ الرئيس ٠

٦ ــ مسائل معدودة من املاء الشيخ أبي علي بن سينا ٠

٧ ــ رسالة في دفع المضار الكلية للابدان الانسانية ٠

يضاف الى ذلك رسالة عنوانها في أسرار الجماع ، يوجد منها مخطوطة محفوظة في دار الكتب المصرية رقمها (٥٤٩ ــ طب طلعت) ٠

دراسة لاحد مؤلفات ابن سينا المطوية :

لقد عثرت ، أثناء بحثي ودراستي في المخطوطات الطبية العربية الموجودة في المكتبة الوطنية بباريس ، على مخطوطة بشكل مجموع يحمل الرقم (Or 5966) كتب عليها ما يلي : « **كتاب فيه تدارك أنواع الخطأ الواقع في التدبير ــ ودفع المضار الكلية للأبدان الانسانية ٠ تاليف الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن**

عبد الله بن سينا » ، وكتاب الادوية القلبية ـ وتعليقات مجربة أخذت من أقاويل القدماء وجربت ٠

عدد الاوراق لكامل المخطوطة (١٠٧) ورقات ـ القياس ١٦ × ٢٣ سم ـ المسطرة (١٥) سطرا ٠ الخط نسخ معتاد يعود الى القرن الثاني عشر للميلاد ، ولا يوجد ذكر لاسم الناسخ ولا تاريخ للنسخ ٠
يتألف كتاب دفع المضار الكلية من مقدمة قصيرة وسبع مقالات مرقمة ٠

وهو يشمل الاوراق من الرقم (٥ الى ٥١) ٠ ورسالة الادوية القلبية من الورقة (٥٢ الى ١٠٠) وتعليقات لادوية مجربة من الورقة (١٠١ الى ١٠٦) ٠ أما الورقة ذات الرقم (١٠٧) فقد كتب على وجهها الاول كتاب برء ساعة مما اختار تاليفه وجمعه أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ، وفي الوجه الثاني للورقة مقدمة للكتاب المذكور ، ونهاية المخطوطة مخرومة ٠

وبما أن كتاب دفع المضار الكلية للابدان الانسانية وتدارك أنواع الخطأ الواقع في التدبير من مؤلفات ابن سينا التي يلق عليها الضوء ، لذلك فقد عكفت على تحقيقها ودراستها لاقدمها كموضوع في المؤتمر السنوي الخامس للجمعية السورية لتاريخ العلوم في مدينة حلب ٠

لقد رجعت الى مؤلفات تاريخ الطب العربي بحثا عن كتاب دفع المضار الكلية لابن سينا فتوصلت الى النتائج الآتية :

أ ـ لا يوجد في كتاب تاريخ الحكماء للقفطي ولا في كتاب الفهرست لابن النديم ذكر لهذا المؤلف ٠

ب ـ وجدت في كتاب عيون الانباء لابن أبي أصيبعة ، ومن بين مؤلفات ابن سينا التي لم يذكرها صديقه أبو عبيد الجوزجاني ، كتاب التدارك لانواع خطأ التدبير ، سبع مقالات ألفه لابي الحسن أحمد بن محمد السهلي ٠

جـ ـ وفي كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة وجدت في الجزء الاول منه صفحة (٣٨٠) كتابا أسمه : تدارك أنواع خطأ الحدود في الطب ٠ وفي الصفحة (٧٥٧) من الجزء نفسه يوجد كتاب آخر اسمه دفع المضار الكلية للابدان الانسانية ، ألفه للوزير أحمد بن محمد السهيلي ٠

أما في المصادر الاجنبية فوجدت ما يلي :

أ ـ في كتاب تاريخ الطب للدكتور لوسيان لوكلرك (الجزء الاول ـ

ص ٤٧٤) يوجد قائمة بمؤلفات ابن سينا في الطب ولكن لا يوجد فيها ذكر لهذا الكتاب ٠

ب ـ في كتاب بروكلمان ، الجزء الاول من الذيل (صفحة ٨٢٧) يوجد مقالة في تدارك الخطأ في التدابير الطبية لابن سينا ، كما يوجد في الصفحة (١٠٢٨) من الجزء الثاني من الذيل كتاب اسمه تدارك الخطأ في تدبير الابدان لابي الحسين أحمد بن محمد السهيلي ٠ أي أن الكتاب نفسه عزاه تارة لابن سينا وتارة لابي الحسين أحمد بن محمد السهيلي وهو الوزير الذي قدم اليه ابن سينا كتابه ٠

جـ ـ لقد نقل الاستاذ فؤاد سزكين الخطأ نفسه في الجزء الثالث من كتابه (صفحة ٣٣٤) حينما ذكر أن كتاب تدارك الخطأ في تدبير الابدان هو من تأليف أبي الحسين أحمد بن محمد السهيلي الخوارزمي المتوفى سنة ٤١٨ هـ ـ ١٠٢٧ م ٠

مما لا شك فيه أن السبب في وجود هذا التعدد بالاسماء لنفس الكتاب ، والخطأ في اسم المؤلف يعود بالدرجة الاولى الى الكتاب الذين قاموا بنسخ المخطوطات فحرفوا في اسم الكتاب واسم مؤلفه ٠ ولكي أتأكد من ذلك فقد رجعت الى فهارس المخطوطات الطبية المحفوظة في بعض خزائن الكتب فوجدت في فهارس دار الكتب المصرية مخطوطة عنوانها تدارك الخطأ تأليف ابن سينا ، رقمها (٣٢٥ ـ طب تيمور) ، كما يوجد مخطوطة أخرى عنوانها دفع المضار الكلية للابدان الانسانية تأليف محمد بن أحمد السهيلي ، رقمها (١٩ ـ طب م) ٠

وصف الكتاب :

يتألف كتاب دفع المضار الكلية للابدان الانسانية من مقدمة قصيرة وسبع مقالات ٠

أ ـ المقدمة :

يقول ابن سينا فيها بعد البسملة « وبعد فان الشيخ الجليل أبا الحسين أحمد بن محمد السهلي (رحمه الله) وهو ممن عرف بعلو الهمة ، وشرف الارومة ، ومحبة العلوم الحقيقية ، والاخذ منها بالحظ الاوفر ٠٠ لما اصطنعني بنظمي في عقد (حليته) ، فضمني الى زمرته ، أمرني فيما أمر من الامور الحكيمة ، أن أعمل كتابا في دفع المضار الكلية للابدان الانسانية ٠ اذ تأمل الكتب الطبية ، فوجدها قد صرف فيها أثر العناية الى تحذير الامور الضارة ،

وقصر فيها كل التقصير في تدارك ما يقع للمتهورين ، الواقعين فيما حذروا ٠٠ المخالفين لما أمروا به ٠٠ » ٠

ان هذه المقدمة الموجزة توضح لنا عدة أمور مهمة هي :

١ ـ ان اسم الرجل الذي أهدى اليه ابن سينا كتابه هذا هو أبو الحسين ٠٠ السهلي وليس أبا الحسن السهيلي ، كما جاء في بعض المخطوطات الاخرى أو في بعض المعجمات والفهارس ٠ وهذا يتوافق مع ما جاء في كتاب عيون الانباء لابن أبي أصيبعة ، كما يتوافق مع كلام ابن سينا المروي على لسان صديقه وتلميذه أبي عبيد الجوزجاني والوارد في مقدمة كتاب القانون حيث يقـول :

« ثم مات والدي ، وتصرفت بي الاحوال ، وتقلدت شيئا من أعمال السلطان ، ودعتني الضرورة الى الارتحال عن بخارى والانتقال الى كركانج ٠ وكان أبو الحسين السهلي ، المحب لهذه العلوم ، بها وزيرا ٠٠ » ٠

٢ ـ ان اسم الكتاب ، حسبما أشار مؤلفه ، هو دفع المضار الكلية للابدان الانسانية ٠ وقد أطلق بعضهم عليه اسم (في تعديل أنواع الخطأ) أو (في تدارك أنواع الخطأ) أو (في تدارك أنواع الخطأ الواقع في التدبير) ٠٠ لان عنوان المقالة الاولى منه ، حسب المخطوطة التي قمت بتحقيقها ، هو (في تعديل أنواع الخطأ) ٠ وقد ظن بعضهم ، من النساخ أو الرواة ، أن كلا من هذين العنوانين يدل على كتاب مستقل ، وذلك كما فعل بروكلمان وسيزكين ، وزادوا في الخطأ حينما نسبوا تأليف أحد هذين الكتابين الى الشخص الذي أهدي اليه ٠

ب ـ المقالة الاولى (في تعديل أنواع الخطأ) :

تكلم فيها ابن سينا بصورة عامة عن تعديل الاخطاء التي يمكن أن يرتكبها الانسان في حياته اليومية ، والتي يؤدي فعلها الى ضرر بصحته ٠ وبما أن ما ورد في هذه المقالة يشمل جميع أنواع الاخطاء الصحية ، دون الكلام عن التدابير الواجب اتخاذها عند وقوع الضرر ، لذلك فقد اعتبرها بعضهم رسالة قائمة بذاتها وأطلق عليها اسم دفع المضار الكلية للابدان الانسانية ٠ أما المقالات الست الباقية فتحوي وصفا للاعراض الناجمة عن سوء التدبير ، الى جانب الادوية والعلاجات اللازمة لذلك ، ولهذا يمكن ان نطلق على جميع تلك المقالات اسم في تعديل أنواع الخطأ ، أو في تدارك أنواع الخطأ ٠٠

يعرف ابن سينا في هذه المقالة الاولى حفظ الصحة ، بصورة موجزة ، فيقول : **(هي تعديل أمور واجتناب أمور)** ٠

أما تعديل الامور فهي : تعديل الهواء ـ تعديل الطعام ـ تعديل الشراب ـ تعديل اليقظة ـ تعديل النوم ـ تعديل الحركة البدنية ـ تعديل الحركة النفسانية ـ تعديل السكون والدعة ـ تعديل ما يستفرغ وما يحتبس ٠

أما الامور التي يجب أن تجتنب فهي : ما يرض وما يكسر وما يقطع وما يحذ وما يشوي وما يحرق وما يعفن وما يولد سوء مزاج » ثم يضيف ابن سينا فيقول :

« ولما كان الغرض من هذا الكتاب هو الاختصار والافادة من ناحية العمل ٠ وكان الكلام عن المجتنبات قد بيناه بما فيه الكفاية للمتقدمين فيه (أي للاطباء) لذلك لم نشتغل بالمجتنبات واشتغلنا بالمعدلات » ٠

١ ـ تعديل الهواء :

يقتضي تعديل الهواء في الحر والبرد ، والرطوبة واليبوسة ٠ وتعديله عند الانتقال من حر الى برد أو العكس ٠ وتعديله من نتن الى طيب ، ومن مزاج بلد الى مزاج بلد آخر ٠ وتعديله من عفونة تصيبه عند ركوده ، أو من حركة شديدة تجعله ينقل الابخرة والاغبرة الرديئة الضارة ٠

٢ ـ تعديل الحمام :

ويكون بتعديل هوائه وترتيب الدخول فيه ، وتعديل مائه من ناحيتي العذوبة والحرارة ، وتعديل المقام به والخروج منه ، وتعديل استعمال الدلك والمرخ والغسل فيه ، وتعديل وقت دخوله لئلا يكون على خواء أو امتلاء ٠

٣ ـ تعديل الطعام :

ويكون في كميته ، بحيث لا يكون كثيرا أو قليلا ، وبكيفية ، بحيث لا يكون حارا أو باردا ، أو يابسا أو رطبا ، أو بشعا أو دسما أو زهما أو حادا أو مرا أو حامضا أو لزجا ، أو شديد الخشونة والقبض ، أو شديد الملاسة واللـين ٠

ومن ضروب التعديل ترتيب تناول الغذاء ، فمن الخطأ أن يعقب الطعام البطيء الانهضام بما هو أسرع انهضاما منه ٠ أو يتناول الطعام الزلق قبل البطيء الانهضام ، أو المسهل مع أو قبل أو بعد الطعام (مباشرة) ٠

ومن ضروب التعديل للطعام وقته ، بحيث لا يتناول الطعام الثاني الا وقد انحدر الاول ٠ وكذلك مراعاة أحوال الجسم ، من حركة وسكون ، ونوم ويقظة ٠ ومراعاة أحوال النفس من غضب وغم وفرح ولذه ٠

٤ ــ تعديل الشراب :

ويقصد بالشراب : الماء والشراب المسكر وربوب الفواكه وأشربتها • أما الماء فيكون تعديله بالامور الآتية :

أ ــ في كميته ، بحيث لا تكون أكثر أو دون ما ينبغي •

ب ــ في كيفيته ، بحيث يكون خفيف الوزن ، عديم الرائحة والطعم ، سريع القبول للحر والبرد ، مأخوذا من نهر سريع الجري ، بعيدا عن منبعه ، معرضا للشمس والريح •

ويجب أن يتحاشى شرب الماء اذا كان : أجاميا أو كبريتيا أو شبيا او زاجيا أو نحاسيا أو زرنيخيا ، لان هذه المياه تورث أمراضا • وخير المياه المعدنية ماء الحديد •

جـ ــ في وقت شربه ، بحيث لا يكون على الريق ، أو على امتلاء ، أو عقب رياضة عنيفة ، أو جماع ، أو حمام أو غضب شديد أو فرح مفرط •

أما الشراب الآخر (أي المسكر) فيكون تعديله في كميته وكيفيته ووقت شربه أيضا :

ــ ان الاكثار من هذا الشراب يفعل فعلين متضادين ، ففي الاجسام الحارة يزيد في الدم الحار ، ويزيد في التسخين والتعفين • وفي الاجسام الباردة يزيد في الرطوبة والبرودة •

ــ أما تعديل كيفيته فيكون بانتخاب الاصناف الملائمة منه ، بحيث يعطى للمحرورين (الخمر) الابيض الرقيق ، المتخذ من عنب فيه أدنى حموضة • ويعطى للمبرودين (أي المصابين بالاسهال) الشراب العتيق الاحمر الصافي ، وللمعتدلين المعتدل •

والشراب الممزوج يصلح لمن به حر ويبس، ضار لمن به ضعف العصب وزيادة الرطوبة •

ــ وأما تعديل الشراب المسكر في وقته ، فأن لا يؤخذ على خلاء وخوى ، ولا على طعام ، أو عقب صداع وضيق نفس ، أو ابتداء رمد أو اعياء •

٥ ــ تعديل الحركات :

ويقصد بالحركات : الاسفار والرياضة والجماع •

ـ أما لتعديل حركة الاسفار فقد وضع ابن سينا ، كما يقول ، رسالة في تدبير المسافرين ، يمكن الرجوع اليها ٠

ـ وأما الحركات الرياضية فيكون تعديلها كميا ، بحيث لا تكون طويلة متعبة أو قصيرة غير كافية ٠ وتعديلها كيفيا ، بحيث لا تكون شديدة ، ويكون حكمها كالطويلة وان قصرت ، ولا ضعيفة ، ويكون حكمها كالقليلة وان طالت ٠

ـ وتعديل الحركات الرياضية يكون أيضا بانتخاب وقت اجرائها ، بحيث يكون بعد انهضام الطعام الاول ، وقبل الطعام الثاني ، أي لا على طعام ولا على خواء ٠ كما يجب عدم القيام بها عقب استفراغات أو اسهال أو نزف ، وكذلك القول في حركة الجماع ٠

٦ ـ تعديل الاستفراغات :

ويقصد بها عادة ، الفصد والاسهال والقيء والتعرق وادرار البول ٠

ـ أما الفصد فينبغي أن يكون بعد وجوب منه (أي بعد الحاجة اليه) على شرط احتمال من السن والعادة والطبيعة والقوة والفصل ٠

وينبغي ألا يكون الفصد بعد الحركة أو الامتلاء أو الجماع أو التعب ، الا عند الضرورة ، وأن يخرج المقدار المطلوب في كرتين ٠ والفصد الزائد على المقدار الطبيعي يعجل شفاء العلة الموجعة ؛ ولكن الحذر من الافراط ، لان قوام الحرارة الغريزية متعلق بالدم ، وقوام الحياة متعلق بالحرارة الغريزية ٠

ـ أما الاسهال فينبغي أن يكون عند حاجة البدن وقوته ، وأن يستعمل فيه ما يسهل الخلط الضار الغالب ، وألا يعقبه أو يتقدمه حركة عنيفة ٠ وألا يشرب عليه ماء كثير ، أو يؤخذ وفي المعدة طعام كثير ٠ وان يخفف الطعام والشراب في ذلك اليوم جيدا ٠ ويجب تدارك من شرب المسهل فلم يسهل ، أو أسهل فوق المقدار الذي ينبغي ٠

ـ أما القيء فان في استعماله في الاوقات الملائمة منفعة عظيمة ٠ وهذه الاوقات تكون عند بعضهم على الريق ، وعند البعض على الطعام ، وبصورة عامة أصلح الاوقات فصل الشتاء ٠

ـ وأخيرا فان الادرار أو التعرق ينبغي ألا يكون قليلا ولا مفرطا ٠

أما المقاولات الست الباقية فيمكن أن يشملها عنوان واحد ، كما ذكرنا ، وهو تدارك أنواع الخطأ الواقع في التدبير ٠ وستورد فيما يلي العناوين الجانبية ،

كما جاءت في تلك المقالات ، دون الكلام عن الاعراض الناجمة عن تلك الاخطاء ٠ كما لن نتكلم عن المعالجات التي لجأ اليها ابن سينا لتدارك الخطأ في كل حالة ، لان ذلك يطول شرحه ، بالاضافة الى أن كل حالة تحتاج الى دراسة خاصة يتوفر لها أخصائيون في حفظ الصحة ٠٠

جـ ـ المقالة الثانية (في الهواء) :

١ ـ فيمن ضربه الهواء الحار فاضر به ٠
٢ ـ في الذين أضر بهم البرد ٠
٣ ـ فيمن تأذى بالروائح النتنة ٠
٤ ـ فيمن أضر به رائحة الفم ٠
٥ ـ فيمن تأذى بالطيب ٠
٦ ـ في ضرر (ريح) الشمال والجنوب ٠
٧ ـ في ضرر الانتقال من هواء الى هواء ٠
٨ ـ في تعديل الوباء ٠
٩ ـ في مضار الهواء الراكد والمتحرك ٠

د ـ المقالة الثالثة (في الحمام) :

١ ـ ضر الحمام الحار ٠
٢ ـ ضرر الحمام البارد ٠
٣ ـ ضرر دخول الحمام أو الخروج منه دفعه (أي بسرعة) ٠
٤ ـ ضرر استعمال بعض المياه المالحة أو المعدنية ٠
٥ ـ ضرر استعمال الماء البارد أو الماء الحار في الحمام ٠
٦ ـ ضرر الافراط في التدليك ٠
٧ ـ ضرر استعمال الحركات الشاقة قبل أو بعد الحمام ٠
٨ ـ ضرر المقام الكثير في الحمام ٠
٩ ـ ضرر شرب الماء البارد في الحمام ٠
١٠ ـ ضرر دخول الحمام والبدن ممتلىء ٠

هـ ـ المقالة الرابعة (في الطعام) :

١ ـ ضرر الاكثار من الطعام أو الاقلال منه ٠
٢ ـ ضرر الاغذية الحارة والاغذية الباردة ٠
٣ ـ ضرر الاغذية الضعيفة القوام ٠

٤ ــ ضرر الاغذية البشمة ·

٥ ــ ضرر الاغذية الدسمة والزهمة والحادة والمرة والحامضة والقابضة والنافخة ·

٦ ــ ضرر الاغذية السريعة الانهضام على الثقيلة الانهضام ·

٧ ــ ضرر الاغذية المزلقة قبل البطيئة الانهضام ·

٨ ــ ضرر الاغذية العصارة بعد الطعام ·

٩ ــ ضرر ادخال الطعام على الطعام ·

١٠ ــ ضرر ادخال طعام يستحيل الى مادة موجودة في المعدة ·

١١ ــ ضرر الرياضة والحركة بعد الطعام ·

١٢ ــ ضرر السكون الكثير ·

و ــ المقالة الخامسة (في الماء والمشروبات) :

١ ــ ضرر الاكثار من شرب الماء ·

٢ ــ ضرر الماء الآجامي والآسن والكبريتي والشبي والزاجي والزرنيخي والزنجاري والنوشادري والنحاسي والنفطي والمالح والزعاف والحامض ·

٣ ــ ضرر شرب الماء على الريق ·

٤ ــ ضرر شرب الماء على الطعام والامتلاء ·

٥ ــ ضرر شرب الماء على حركة عنيفة وبعد الجماع ·

٦ ــ ضرر شرب الفقاع (أي الجعة أو البيرة) ·

٧ ــ ضرر الاكثار من الشراب (المسكر) ·

٨ ــ ضرر الشراب القوي الاسود والشراب الرقيق المائي والشراب العفصي ·

٩ ــ ضرر الشراب على الخلاء ·

١٠ ــ ضرر الشراب للمحموم والمصدع والمصاب بضيق نفس والمصاب برمد ·

١١ ــ ضرر الشراب على الامتلاء ·

١٢ ــ ضرر الشراب على الخمار ·

ز ــ المقالة السادسة (في الحركات) :

١ ــ ضرر القيام بالحركة الشديدة أو السكون الكثير ·

٢ ــ ضرر الحركة على الاستفراغات وعلى الطعام ·

٣ ــ ضرر السهر الكثير أو النوم الكثير ·

٤ ـ ضرر الجماع الكثير والجماع المتكلف وغير المشتهى ·
٥ ـ ضرر ترك الجماع لمن اعتاد عليه ·
٦ ـ ضرر الجماع على الخلاء أو على الامتلاء ·
٧ ـ ضرر الجماع مع الفصد أو مع الاسهال ·
٨ ـ ضرر الجماع بوجود أحد الامراض الآتية : (ضعف الكلية ـ وجود الحصاة ـ الصداع ـ الدق ـ أوجاع المفاصل) ·
٩ ـ ضرر الجماع لاصحاب الامراض الباردة ، ولذوي المزاج الحار أو البـــارد ·

ح ـ المقالة السابعة (في أمر الاستفراغ) :

١ ـ فيمن أضر به الفصد ·
٢ ـ فيمن فصد على شرب ماء كثير ·
٣ ـ فيمن فصد على تناول شيء من الاخلاط ·
٤ ـ فيمن شرب بعد الاسهال ماء كثيرا ·
٥ ـ فيمن أكثر الطعام بعد احتباس الاسهال ·

طرق المعالجة التي اعتمدها ابن سينا في دفع أنواع الخطأ الواقع في التدابير :

استند ابن سينا في معالجاته الواردة في هذا الكتاب بالدرجةالاولى الى الطرق السهلة والادوية البسيطة المعروفة في علم المداواة · ولكنه كان يشير في بعض الحالات الخطرة الى ضرور استعمال الادوية المعقدة التركيب كالترياقات والمعاجين والايارج · وسنذكر فيما يلي الطرق الرئيسية التي لجأ اليها في المداواة ·

آ ـ المعالجات الفيزيائية ، وتشمل الطرق الآتية :

١ ـ الاستحمام بالماء البارد ـ الاستحمام بالماء المعتدل البرد ـ الاستحمام بالماء الحار العذب ·
٢ ـ الاستحمام بمياه طبخ فيها بعض العقاقير الملينة كالنخالة والبابونج والبنفسج والشبت وغيره ·
٣ ـ التدليك والغمز والتعرق والتمريخ بالدهون ، لكافة الجسد أو لبعض أعضائه ·
٤ ـ غمر الرجلين بالماء البارد وصب هذا الماء على الكتفين ·
٥ ـ صب الماء الحار أو الماء البارد أو اللبن الحليب على الرأس ·
٦ ـ سكب بزر قطونا مع الخل على الرأس والمعدة ، مبردا في الصيف ومفترا في الشتاء ·

٧ ـ غمز الفقار والمفاصل بعنف ـ دلك المفاصل بلعاب الخطمي مضروبا بدهن البنفسج •

٨ ـ التكميد بخرق حارة •

٩ ـ التعريض لاهوية باردة •

١٠ ـ الرياضة المعتدلة أو الشاقة •

ب ـ المعالجة بالمزورات والمطبوخات واللحوم ومرقها :

اعتمد ابن سينا بصورة رئيسية على ما يسمى بالاغذية الدوائية ، شأنه في ذلك شأن الاطباء الفرس والسريان قديما • أما المزورات (أي الاحسية) التي استعملها في مداواته فهي : الكشكية ـ الحصرمية ـ السماقية ـ النيشوقية ـ المشمشية ـ الاجاصية ـ السفرجلية ـ الاسفاناخية ـ القرعية ـ السلقية ـ الخشخاشية •

ومن أصناف المرق استعمل : مرق لحم دسم ـ مرق لحم بالتوابل ـ مرق الطيور المدقوقة ـ مرق الكرنب ـ مرق السلق ـ مرق العدس ـ ومن اللحوم المطبوخة أو المشوية : الزيرباجة ـ الاكارع ـ أجنحة الطير ـ مخاخ الدجاج والديوك ـ أصناف السمك •

وهنالك عدة أغذية بسيطة ، ورد ذكرها كعلاج في بعض الحالات ، وهي : لبن‌حليب ـ رايب حامض ـ شيرخشت (لبن جاف) ـ سمن ـ عسل ـ فانيد (صنف من السكر) ـ مح البيض وصفاره ـ أرز ـ جادرس (ذرة بيضاء) ـ كشك ـ جبن ـ كعك ـ سويق ـ خبز يابس •

جـ ـ المعالجة ببعض أنواع الثمار والبقول :

استعمل ابن سينا في مداواته بعض الثمار الشائعة في بلاد فارس ، وذلك بشكل ربوب أو شرابات غالبا وهي : تفاح ـ سفرجل ـ حصرم ـ رمان حامض أو مز ـ نيشوق (قراصيا) ـ عناب ـ حماض ـ أجاص ـ تمر هندي ـ أما البقول التي ورد ذكرها في هذا الكتاب فهي : الجزر ـ الكراث ـ البصل ـ الثوم ـ الشلجم ـ القثاء ـ القرع ـ القثد (الخيار) ـ البقلة الحمقاء ـ البقلة اليمانية ـ السلق •

د ـ المعالجة بالعقاقير والادوية المركبة :

لم يستخدم ابن سينا في تدارك انواع الخطأ الواقع في التدابير عددا كبيرا من العقاقير في المداواة ، يضاف الى ذلك أن العقاقير التي استخدمها كانت من البضائع الشائعة محليا والمتوافرة في الاسواق •

أما الاشكال الصيدلانية التي قدم بها تلك العقاقير فكانت متنوعة ويمكن اجمالها فيما يلي : سفوف ـ ربوب ـ شرابات ـ لعوقات ـ لعابات ـ أدهان ـ مياه عطرية ـ مطبوخات ـ حبوب ـ معاجين ـ أقراص ـ تبخيرات وشمومات ٠

قلنا ان ابن سينا اعتمد بصورة رئيسية على المعالجات الفيزيائية ثم على المعالجة بالاغذية الدوائية ٠ أما للمداواة بالعقاقير فكان يفضل الاعتماد على الاشكال الصيدلانية السهلة التحضير كالربوب والشرابات والادهان والمطبوخات ٠ أما الحبوب والاقراص والمعاجين والترياقات فكان لا يستعملها الا في الحالات الخطرة ، وذلك بدون شك لندرة وجودها وغلاء ثمنها الناجم عن صعوبة تحضيرها ، لكثرة العقاقير الداخلة في تركيبها ٠ لكنه أكثر من استعمال الجوارشنات وأنواع الطيب نظرا لكثرة تداولها على ما يظهر في زمنه ٠

الخاتمة : لقد قام ابن سينا بوضع مجموعة من المؤلفات الطبية المتكاملة والهادفة ـ فالقانون بأجزائه الخمس هو أوسع كتبه الطبية وأهمها ، وضعه كمرجع رئيسي للاطباء المتقدمين في العلم يرجعون اليه عند الحاجة ٠

أما الارجوزة ، وهي أشهر مؤلفاته الطبية بعد القانون ، فقد وضعها بقصد تمكين طلاب العلم من سرعة الحفظ وجودة الفهم لدروس الطب ٠ وهي تعتبر بحق أجود موجز لكتاب القانون ٠ وقد انتخب لها ابن سينا بحر الرجز لانه أسهل بحور الشعر في اللغة العربية لفظا ، وأعذبها وقعا ، وأيسرها حفظا ٠ وهي قصيدة يبلغ عدد أبياتها (١٣٢٠) بيتا استوعب فيها ، وفي شقيقاتها الصغرى مجمل أبحاث الطب ٠

أما كتاب دفع المضار الكلية للابدان الانسانية فهو يستحق بنظري المرتبة الثالثة ، ذلك لانه وضع لافادة الطبيب الممارس ، وتزويده بالمعلومات اللازمة في حفظ الصحة ٠ كما يمكن للشخص العادي أن يستفيد من المعلومات الواردة فيه لانها بسيطة وسهلة الفهم ٠

وأخيرا أرى من الواجب العمل على جمع وتحقيق جميع رسائل ابن سينا المجهولة ، والسعي لاصدارها في مجموع لكي تكون الى جانب القانون والارجوزة والادوية القلبية الشاهد على عظمة هذا الطبيب الفيلسوف ، الذي لم ينجب الدهر كثيرا من أمثاله ٠

جولة في آفاق ابن سينا

د. عارف تامر

باي مائـرة ينقـاس بي أحـد ... باي مكـرمة تحكـيني الامـم
مميز مـن بني الدنيـا يميزنـي ... اقـل مـا في ليس الجـل والعظم
اما البلاغـة فاسـالني الخبير بهـا ... انا اللسـان قديمـا والزمـان فم

نحتفل اليوم بمرور ألف حول على ولادة عبقرية خارقة ، زحفت فوق قمم السنين الخالية عابرة الحدود والابعاد ، وما زالت حتى بلغت في زحفها المشرق والمغرب .. عبقرية ما كادت تتخطى الخامسة عشر من عمرها حتى حلقت في الآفاق ، وسطعت كالشمس ، وطبقت شهرتها الدنيا .. فكانت بهية كالمغاني المتوردة الحالية .. غزيرة كالغيث المنهمر في ليالي الشتاء .. وادعة كالزهرة الراقصة في أحضان الخمائل .

ولسوف تتصرم العصور ، وتتوارى الدهور ، وذكراها في كل قلب ووجدان، وعلى كل شفة ولسان .. تتلألأ بأنوار العظمة والسمو ، وتتألف بشعاع الروعة والخلود .

هذه العبقرية الفذة .. بل هذا المولود الخارق .. هو « **ابن سينا** » .

واذا كنا قد جئنا اليوم من كل حدب وصوب الى هذه المدينة للاشتراك باحياء ذكراه بعد ألف عام .. فلأن حلب الشهباء كانت في تالد الدهر وطريفه منارة للعلم والادب .. ترغى العلماء ، وتخلد ذكراهم ، وتفتح قلبها لهم .

واذا كان معهد التراث العلمي العربي ، والجمعية السورية لتاريخ العلوم قد أخذا على عاتقهما رعاية هذا الاحتفال ، وتكريم المشاركين فيه .. فهذه المبادرة ليست الا صفحة جديدة تسجل في اسفارهم العلمية المشرقة ، وجهدا بناء يضاف الى جهودهم في مضمار احياء الامجاد والتراث .

واذا كانت كلمتي هذه ، ولا أسميها « محاضرة » قد أفسح لها المجال لتلقى في هذه الذكرى الكريمة .. فلا يسعني الا أن أتوجها بباقة من زهر ، وضمة من ياسمين انثرها على روح ابن سينا الهانئة المطمئنة التي تعشقت المثل العليا ، وهامت بالفضيلة والمكرمات .

واني لعلى يقين بأن هذه الروح بعد ألف عام ، ستجد في هذه النفحات المضمخة بالشذا والاريج ·· اعترافا بالعبقرية ·· وتقديرا للابداع ·· ووفاء للنبوغ ·

لخمسين سنة خلت كان من العسير جدا على أي باحث في تاريخ الفلسفة العربية الخوض في موضوع مثل هذا ، وما ذلك الا لأن الابواب والمنافذ كانت مغلقة على الكنوز الثمينة والثمرات النادرة من تراثنا العربي ، أو بلغة أصح كانت الدراسات الفلسفية على اختلاف مواضيعها وتنوع محتوياتها لا تزال في المهد تنتظر المزيد من الاكتشافات والدراسات والمخطوطات ·

أما اليوم فقد أصبحت السبل معبدة ، والحقائق ظاهرة ملموسة بفضل جهود العلماء والباحثين ، وبعد أن تحرر الفكر العربي من رواسب العصور ، وعصبيات القرون ·

قال ابن سينا : عن معلمه ابي عبد الله الناتلي :

[وحذر والدي من شغلي بغير العلم ·· وكانت أية مسألة قالها لي أتصورها خيرا منه ، حتى قرأت ظواهر المنطق عليه ·· وأما دقائقه فلم يكن عنده منها خبرة] ·

فمن هو هذا الوالد الذي استقدم لولده أساطين العلم والطب ، وعلى رأسهم العلامة « أبو بكر الخوارزمي » والحكيم عيسى بن يحيى ، فدرسه الاول اللغة والعلوم والفلسفة ، والثاني الطب والحكمة ·· من هو هذا الوالدُ الذي وجه ابنه هذه الوجهة ·· وعلمه ·· وهذبه ·· ونفخ فيه هذه الروح ؟

وهل يلام الباحث ـ أي باحث ـ اذا ما تساءل والح في السؤال عن هذا الوالد البار ، وعن جنسيته ، ونسبه ، ومهمته ؟

المصادر التي بين أيدينا أجمعت على أن هذا الوالد كان داعيا مطلقا « للاسماعيلية » (١) في اقليم اصبهان بفارس بعهد الخليفة الفاطمي « الحاكم بأمر الله » [جاء ذلك في « نزهة الارواح »] للشهرزوري صفحة ٢٢٤ ·· وفي غيره من المصادر التاريخية الاخرى] · وأيد ذلك الدكتور محمد مصطفى حلمي في كتابه « توفيق التطبيق » ·

فهذا الخبر على حقيقته ربما كان لا يعني شيئا بنظر بعض الباحثين ·· وعلى العكس ربما عنى أشياء كثيرة ، وكشف عن نواحي غامضة في حياة

---

١ ـ لا بد من التوضيح : بأن الاسماعيلية التي أذكرها ·· ليست طائفة ولا مذهبا دينيا ·· انها نظام فكري وفلسفة عبر عنها اخوان الصفاء في رسائلهم ·

ابن سينا المغلقة ، وأزاح الستار عن عقيدته المعقدة التي تضاربت الاقوال حولها ، وعن فلسفته التي لم تدرس كما يجب أن تدرس ٠

فنحن عندما نقرأ آراء ابن سينا الفلسفية التي وردت في مؤلفاته عن المنطق ، والطبيعيات والرياضيات ، والالهيات ٠٠ بل حينما نحصي آراءه في المبدأ والمعاد ، وترتيب العقول وخصائصها ـ ومواقعها بالنسبة للعوالم ، ونظام الكون ، ومرتبة العقل الفعال ، والنفس ٠٠ وحينما نعرج على قصصه الثلاث : « حي بن يقظان » و « سلامان وابسال » و « رسالة الطير » ونقارن ما جاء فيهم من رموز بما ورد في « رسالة الحيوان » لاخوان الصفاء ٠٠ لا نتردد بالحكم ، ولا نذهب بعيدا بل نخرج بنتيجة هي :

ان ابن سينا كان تلميذا متفوقا شب ، ونما ، ونهل من مدرسة اخوان الصفاء وخلان الوفاء التي كان والده أحد أعضائها البارزين ٠٠ وان فلسفته وان اختلفت في بعض الفروع ، وفي طريقة التعبير ، والمنهج والاسلوب ٠٠ فانها تلتقي مع فلسفة اخوان الصفاء في الهدف ، والجوهر ، والاصل ٠

فابن سينا وليس لدينا الوقت الكافي لابراز الادلة والشواهد ، واعطاء النصوص ، رسم لنفسه خطة الانطلاق من الالتزام والارتباط ، وأطلق لافكاره الحرية والعنان ٠٠ فلم يتقيد بدعوة أو يضع نفسه بتصرف أي نظام أو عقيدة ٠٠ وليس معنى هذا أنه تنكر للمدرسة التي نشأ في ظلها ، ورشف من حوضها ، وبنى فلسفته على ركائزها ودعائمها ٠

ولكن ٠٠ قد يقول قائل بان جمعية اخوان الصفاء عرفت لدى الباحثين بأنها مؤسسة علمية سرية ذات أهداف ترمي الى قلب النظام السياسي والعقلي المسيطران على العالم الاسلامي ، ثم التوفيق بين الدين والفلسفة ٠٠ وانها قامت في القرن الرابع للهجرة في مدينة البصرة وان من أعضائها :

أبو سليمان البستي المعروف بالمقدسي ، وعلي بن هرون الزنجاني ، ومحمد ابن أحمد النهرجوري ، والعوفي ٠٠ روى ذلك التوحيدي ، وابن القفطي ، والشهرزوري ٠

فما هي علاقة هؤلاء بابن سينا ، وأكثرهم جاء بعده ؟ وأمام هذه التساؤلات لا بد من الاجابة :

بأن المصادر الاسماعيلية ، وهي أكثر صلة بالموضوع ٠٠ وأقرب الى الحقيقة تؤكد :

بأن جمعية اخوان الصفاء وخلان الوفاء تألفت في منتصف القرن الثاني للهجرة برئاسة « الامام أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق » ٠٠ فكان لها فروعا في كافة الاقطار ، وقد ظلت قائمة تؤدي مهمتها العلمية حتى أواخر القرن الرابع عشر للهجرة ، وان والد ابن سينا كان من أبرز أعضائها في فرع اصبهان بفارس على اعتبار أنه داع مطلق ، وقوانين الدعوة تلزم كل داع في أي منطقة كان ـ أن يكون عضوا في الفرع الخاص بمنطقته ٠

من هذا المنطلق ٠٠ بل من زاوية علمية أرى لزاما علي أن أدعو الى درس مؤلفات ابن سينا ومقارنتها بالمؤلفات التي ظهرت في عصره ٠٠ وأخص بالذكر المؤلفات الاسماعيلية التي وضعها : أبو يعقوب السجستاني، وحميد الدين الكرماني ، وأبو حاتم الرازي ، والنيسابوري ، والشيرازي وغيرهم ٠٠ فهذه المؤلفات اذا ما درست بعناية واهتمام ، فانها تعكس بعض النظريات عن ابن سينا وفلسفته وآرائه ٠٠ لانها في الحقيقة كنز لم يقدر لانه لم يعرف ٠٠ وهو اذا ما عرف فقد يجلو بعض المغمضات ، وينير الاذهان ، ويدني من الاهداف، ويقرب الى المثل العليا ٠

لا ريب بأن العالم العربي المثقف في مطلع القرن الرابع للهجرة كان منطبعا بطابع العلم والفلسفة تسيطر على دائرته الفكرية ومجتمعه الادبي ، دعوات جديدة ، وخلافات عقائدية عديدة ، وجدل كلامي لم يكن يتوقف عند حد من الحدود ٠٠ فتلك الخلافات كانت تخرج في أغلب الاوقات عن نطاق المناقشات الوجاهية في النوادي ، والمراكز العلمية ، فتتطور الى محاضرات طويلة ، وبيانات مستفيضة تبرز على صفحات الكتب والنشرات ، والرسائل ، ثم تتحول أخيرا لتصبح سلاحا يستعمل في ميادين اللدعاية كمادة للترغيب والاقناع ، واستقطاب المؤيدين والانصار ٠

ومن الفرق التي ساهمت بقسط وافر في هذا المجال « الاسماعيلية » وانه لمن الغريب جدا أننا لا نكاد نرى هذه المجموعة المثقفة تنتهي من جدلها الكلامي مع الفرق الاخرى حتى تخوض معركة أخرى ٠٠ ولكن من نوع جديد ٠٠ انها معركة الكلام بين دعاتها أنفسهم ٠٠ وفي هذا دليل واضح على الحـرية الفكرية التي كانت تسود مجتمعها ، ونظامها الفكري ، وعلى الانعتاق من الالتزامات التي كانت تكبل العلماء الآخرين بالقيود الثقيلة ، وتضرب نطاقا محكما حول مؤلفاتهم ـ وأقوالهم ٠

ان أول مناقشة علمية برزت لحيز الوجود لدى هذه المجموعة ، ظهور كتاب « المحصول » الذي وضع موضع التداول في بداية القرن الثالث للهجرة ،

وينسب الى « محمد بن أحمد النسفي » الذي عرف بتحويله مذهب الدولة السامانية في أذربيجان الى الاسماعيلية ۰ [كما جاء في كتاب « الفرق بين الفرق » لعبد القادر البغدادي] ۰

ومن الواضح ان هذا الكتاب الفلسفي نال القبول والاستحسان لدى طبقة المفكرين والعلماء ، ولكنه لم ينل استحسان داع اسماعيلي كبير هو : « أبو حاتم الرازي » المعروف بمناقشته الفلسفية مع « أبي بكر الرازي » في كتابه « أعلام النبوءة » فوضع كتابا سماه « الاصلاح » ناقش فيه ما جاء في « المحصول » ويبدو أن الآراء التي عرضها الرازي لم يرض عنها داع ثالث هو « أبو يعقوب السجستاني » فوضع كتابا سماه « النصره » وقد انتصر فيه « للمحصول » على « الاصلاح » وبعد فترة زمنية ليست بعيدة جاء « الكرماني » فوضع كتابه القيم أو أطروحته المسماة « الرياض » وبمهارة فائقة ، واسلوب علمي طريف ، قرظ الآراء التي وردت في الكتب الثلاث ونقدها نقدا علميا موضوعيا ۰ [وان أشد ما نأسف له أن كتابي المحصول والنصرة لم يعثر عليهما حتى الآن بينما الاصلاح والرياض قد حققا ونشرا] ۰

فنحن عندما نقف وجها لوجه أمام هذه الحقائق ۰۰ لا نستطيع الا أن نقول : بأن هذه الحرية الفكرية الممنوحة لهؤلاء الفلاسفة [وهم من مدرسة واحدة] لعرض أفكارهم واجتهاداتهم في جو من الصراحة دون أن يؤثر ذلك على جوهر العقيدة التي يستظلون بظلها ۰۰ هي نفس الحرية والانطلاق التي سار عليها ابن سينا في مؤلفاته دون أن يتاثر بمركز والده أو بقوانين الدعوة التي ينتمي اليها ۰۰ لان ابن سينا كان يرى :

ان الفكر الانساني الصالح لا تقيده الاديان ولا تكبله الحدود والتخوم ، بل ينطلق في كل مكان يهدم ويبني الى أن يقبض على الحقائق الخالصة ۰

أجل ـــ كان ابن سينا يرى :

ان للعارفين درجات بعضها فوق بعض كل على حسب استعداده ، فهم مع اتصالهم بأبدانهم في الحياة الدنيا استطاعوا ان يقفزوا الى الاعالي على درجات ۰۰ وهو لا يصل الى قدر من العلو الا بمعاونة غيره من العارفين ، وبعد أن يمارس رياضة تقضي بايثار الخير على الشر ، وتطويع النفس لاعمال البر ۰۰ وهذا هو رأي اخوان الصفاء الذي بشروا بالتعاون ، وساروا على طريقة المراتب في دعوتهم كقولهم :

« ان دولة أهل الخير يبدأ أولها من قوم علماء حكماء وخيار فضـــلاء يجتمعون على رأي واحد ويتفقون على مذهب واحد » ۰

وفي مكان آخر قالوا :

« فما من جزيرة في الارض ، ولا اقليم الا ولنا فيه حجج ودعاة ينشرون علمنا ، ويبشرون بنا بتصاريف اللغات ، واختلاف الالسن » ٠

ناحية أخرى لا بد من التطرق اليها ٠٠ وهي :

ان في تاريخنا ظواهر ، وقصص ، وأخبار ٠٠ مررنا بها مرورا عابرا دون أن نتوقف عندها ، أو نستخلص منها الاسباب والدوافع ٠٠ وكان يجدر بنا كباحثين أن نتحرى الاسباب ، ونسبر الاعماق ونحاول الوصول الى الاسرار ٠

لقد ذكر التاريخ :

ان الخليفة العباسي « المستنجد » أمر سنة ٥٥٤ هـ بحرق رسائل اخوان الصفاء ومؤلفات ابن سينا ٠٠ أينما وجدت ٠٠ فلماذا رسائل اخوان الصفاء ٠٠ ومؤلفات ابن سينا بالذات ؟ ٠

وذكر التاريخ :

أن والد ابن سينا كان يعمل في بلاط الدولة السامانية بعهد « الامير نصر بن أحمد الساماني » وهذه الدولة أجمعت المصادر التاريخية على أنهـا تحولت بعهد نصر هذا الى الاسماعيلية ٠٠ وهناك أكثر من دليل ٠٠ فنصر هذا دفع دية أحد علماء الاسماعيلية وكان قد قتله في أول عهده ـ مائة وعشرين ألف دينار الى الخليفة الفاطمي « القائم بأمر الله » في المغرب ٠٠ ونصر هذا كان على علاقة وثيقة بالدولة الفاطمية في المغرب يمدها بالاموال والمساعدات ، وعندما كان الخليفة القائم يخوض حربا مع الخوارج في المغرب أرسل اليه نصر هذا الكتاب :

« أنا في خمسين ألف مملوك يطيعونني ، وليس عليك بهم كلفة ولا مؤونة ، فان أمرتني بالمسير سرت ووقفت بسيفي ومنطقتي بين يديك امتثالا لامرك » ٠

وورد أيضا أن ابن سينا هرع الى مداواة « الامير نوح بن نصر » وعالجه من مرض عضال ثم أحرق مكتبته ٠٠ فلماذا أحرق ابن سينا هذه المكتبة ؟ أترك الجواب ٠٠ للايام ٠٠ وأعتقد بأنها لن تضن علينا بالحقيقة ٠

بعد هذا العرض انتقل الى موضوع آخر عن أثر ابن سينا في مجتمعات الغرب العلمية ٠٠

فأقول :

وصفه الفيلسوف السرياني ابن العبري : بأنه أفضل فاضل بين الفلاسفة المتأخرين وجعله دانتي في منزلة أبقراط وجالينوس ٠

وذهب سكاليجر الى القول : بأنه قرين جالينوس في الطب ، ولكنه أسمى مرتبة منه في الفلسفة وذكره غابريالليي فقال : من العسير جدا أن نجد بعد ارسطو عالما تمتع بالنفوذ في ميدان العلوم بمثل القوة التي تمتع بها ابن سينا ٠

وقال دوفو :

كان ابن سينا فيلسوفا كبيرا ، وأستاذا ملهما ، ومفكرا مبتكرا ٠٠ يمتاز فكره بالاصالة ، وتعبيره بالوضوح ٠٠ والواقع أنه كان تلميذا لارسطو لكنه كان مجددا وهذا التجديد أكسبه الاعجاب والتقدير ٠٠ فعندما سكت أرسطو عن الكلام في أصل الكون ، ولم يتحدث عن الله الا قليلا جاء ابن سينا فأكمله بعناصر مستقاة من الافلاطونية الحديثة ٠

وبين « جيلسون » مؤرخ الفلسفة المسيحية الكبير مدى الاثر الذي كان لابن سينا في الفكر الاوربي ابان العصور الوسطى ، كما بين الصلات الوثيقة بينه وبين اللاهوتيين المنتمين الى مذهب القديس أوغسطين ٠

ووجد بعض المفكرين الذين كانوا يتابعون فلسفة ابن سينا حتى في المواضيع التي تخالف كل ما يصبون اليه ٠٠ والى جانب ذلك البعض من اللاهوتيين المسيحيين الذين كانوا يتخذون من فلسفته مصدرا لالهامهم ، وهؤلاء أطلق عليهم دوفو اسم « السينويين اللاتينيين » ٠

وتحدثت المستشرقة جواشون عن تأثير فلسفة ابن سينا في المدنية الغربية في بدء القرن الحادي عشر للميلاد ـ أي عندما بذل الغرب جهوده لنقل المؤلفات العربية الى اللاتينية ، وعندما استقر رأيهم اختاروا فلسفة ابن سينا باعتبارها تمثل الفلسفة العربية الاسلامية ، وبهذا يكونوا قد عرفوا فلسفته قبل أن يعرفوا فلسفة أرسطو بنصف قرن ٠

وفي يوم من الايام اعتبر ابن سينا لدى بعض الكنائس في الغرب بمقام القديسين ٠ واعتبر الفيلسوف ابن العبري كتاب الاشارات والتنبيهات لابن سينا من أحسن الكتب الفلسفية ، وانه نبراس للعالم وللدارس ٠٠ وهذا الكتاب أخذ شهرة واسعة منذ صدوره ، وترجم الى الفارسية ، كما شرحه فلاسفة العرب شرحا وافيا ، واشهرهمابن كمونة ، ونصير الدين الطوسي ، وفخر الدين الرازي ٠٠ كما ترجمه ابن العبري الى السريانية ٠

أما قصصه الثلاث : حي بن يقظان ، وسلامان وابسال ، ورسالة الطير ٠٠ فقد نالوا حظوة في الغرب ، فترجموا الى عدة لغات ، وكثرت التعليقات والتأويلات حول الرموز التي وردت فيهم ٠٠ ومن الواضح ان ابن سينا كتبهم في فترات متقطعة ، وضمنهم الحكم والامثال التي لم يشأ أن يكشف عنها بل ترك للقارىء حرية تأويلها ، واستخلاص ما يلاءم ثقافته ، ومزاجه منها ٠

واننا نلمح ونحن نقرأ قصة حي بن يقظان لابن سينا التي كتبها وهو سجين في احدى قلاع همذان ٠ وقصة حي بن يقظان لابن طفيل بأن الآراء اختلفت بينهما ٠٠ ولكنهما اتفقا في النهاية على أن التربية التي تقود الى الغاية المثلى ليست من عمل معلم بشري ، بل هي اشراق من العقل الفعال ٠٠ ولكن هذا العقل لا ينير نفس الفيلسوف الا اذا تخلص من المطامح الدنيوية ، وعاش حياة المتوحد ٠٠ وخلاصة قصة حي بن يقظان لابن سينا كما يلي : خرج حي الى بعض المنتزهات ، فالتقى شيخا طاعنا في السن ، قد أحنت ظهره الايام ، ولكنها لم تذهب بروعته وبهائه ٠٠ فلما اقترب حي منه بدأه بالتحية وشرح له حاله وصناعته ونسبه وبلده ، ودله على أن حرفته هي السياحة في أقطار العالم ، والطواف حتى يصل الى أبيه ، وظل حي ورفاقه يطارحونه العلوم ٠٠ فيرون منه العجب المعجاب وكان يشيد بعلم الفراسة ٠٠ ثم انه حذر حيا من رفاقه ٠٠ وعندما سأله حي عن الاقاليم التي يمكنه أن يسيح فيها مثله ٠٠ نصحه بأنه لا يستطيع ذلك ، وأقنعه بسياحة قصيرة المدى ٠٠ ثم أخذ يسأل عن البلاد اقليما اقليما وهو يشرحها له حتى وصل الى عين ماء ٠٠ اذا وصل السائح اليها ، وتطهر منها ، وشرب من مائها سرت في جوارحه قوة يستطيع بها أن يقطع المهامه ٠٠ ثم يفضي به المسير الى فضاء غير محدود طافح بالانوار ٠٠ ثم وصف له أقاليم أخرى وهي الافلاك التسعة ، وخواص كل واحد منها ، وذكر له أن وراء هذه الافلاك فلكا عاشرا هو علة العلل ، وهو واجب الوجود ٠

في هذه القصة نرى دعوة الى السفر برفقة ملاك الاشراق الذي هو العقل الفعال وهو الشيخ الذي تصدى له ، وبالامكان أن نسميه : القطب ، أو الناموس ، أو المعلم ، أو الهادي أو الامام ، الذي هو ممثول العقل الفعال في عالم الطبيعة ٠٠ أما الرفقاء فهم الملكات والشهوات الجسمانية التي ترافق الانسان ، وتتغلب على قواه ، وان من يستطيع الغلبة عليها والخضوع لحكم العقل ، فانه يرقى حتى يصل الى الغاية ٠ وقد برهن ابن سينا في هذه القصة على أن الافلاك والكواكب هم عقول حية عاقلة مدبرة وأرقى من الكائنات الارضية ٠٠ وهذا يتفق وما ورد في رسائل اخوان الصفاء ٠

أما قصة سلامان وابسال كانا أخوين ٠٠ أصغرهما ابسال ٠٠ وقد تربى في حجر أخيه ٠٠ وكان جميل الصورة عاقلا متأدبا عفيفا شجاعا فعشقته

امرأة سلامان ، وطلبت من زوجها ان يأتي به لمنزله لتاديب أولاده ٠٠ فقبل سلامان ٠٠ ولما اختلت به أظهرت له عشقها ٠٠ فانقبض ورفض فلما رأت أعراضه قالت لزوجها : زوج أخاك بأختي ٠٠ ثم قالت لاختها : اني لم أزوجك ليكون لك زوجا وحدك ـ بل لاشاركك فيه ٠

وفي ليلة الزفاف ، جاءت امرأة سلامان بدلا عن أختها ، وأخذت تعانق ابسال فلاح له برق في السماء أبصر بضوئه وجهها ، فخرج من عندها وطلب من أخيه ان يجنده ٠٠ فولاه الجيش ، فذهب وحارب حتى فتح كثيرا من الامصار ثم رجع مكللا بالظفر ، وهو يحسب ان أمراة سلامان قد نسيته ، ولكنها عادت الى مغازلته فأبى ذلك ، وعاد الى الحرب ثانية ، ولكنها أوعزت أخيرا الى رؤساء الجيش أن يخذلوه ، ففعلوا وأظفروا به الاعداء وتركوه طريحا فعطفت عليه مرضعة من الغزلان الى أن انتعش وعوفي ورجع الى سلامان ، فعطف عليه وعاقب رؤساء الجيش ٠

ولكن زوجة سلامان اتفقت مع الطاعم والطابخ فدسا له السم حتى مات ، فاغتم سلامان واعتزل الملك ، وأخذ في عبادة ربه ٠٠ الذي أطلعه على حقيقة الامر ٠٠٠ وعند ذلك فعل بالمرأة والطاعم والطابخ ما فعلوه بأخيه ٠

ابن سينا يرمز في قصته هذه الى أن سلامان هو النفس الناطقة ، وابسال هو العقل ، وامرأة سلامان هي النفس الشهوانية الغريزية الامارة بالسوء ، وعشقها لابسال محاولة لتسخير العقل ، والبرق اللامع هو الخطّفة الالهية السانحة للانسان ، وأخت زوجة سلامان هي القوة البدنية المسخرة للنفس الشهوانية ولبن الغزالة هو الفيض الالهي ، والطابخ هو القوة الغضبية ، والطاعم هو القوة الشهوانية ، والتواطؤ على قتل ابسال محاولة للتغلب علىّ العقل ، وهلاك ابسال رمز لغلبة النفس على القوى البدنية ٠

ونأتي في رسالة الطير وهذه القصة كتبها ابن سينا بالفارسية ثم ترجمت الى العربية وخلاصتها : أن جماعة من الصيادين ذهبوا لاصطيـاد الطيـور بالشباك ٠ فوقع في شباكهم عدد من الطيور أخذوا يتململون في الاسر ، ويحاولون الافلات ، وبعد جهد تمكن بعضهم من الهرب ، وعندما صاروا أحرارا بدأوا بتعليم الطيور الآخرين المأسورين كيفية الخلاص ولكن دون جدوى ٠٠ وعندما يأسوا طاروا وظلوا في طيرانهم حتى وصلوا الى مكان فيه ثمانية جبال عالية ، فتعبوا كثيرا حتى تمكنوا من عبورها ٠٠ وأخيرا وصلوا الى قصر الملك ، فسمح لهم بالدخول ، وسمع شكواهم ، ورثى لحالهم من العناء الذي لقوه حتى وصلوا اليه ٠٠ وأخيرا وعدهم بأن يرسل رسولا الى الطيور الآخرين لكي يفك أسرهـم ٠

هنا يرمز ابن سينا بأن :

الرسول هو ملك الموت الذي يفرق بين الروح والبدن ، والى النفس الانسانية الخيرة بطبعها التي وقعت في شرك الغرائز والملكات البدنية ، فبعض أصحاب هذه النفوس يمكنهم الافلات من الشرك ، والصعود الى حيث عرش ربهم ، والبعض الآخر يبقى أسيرا حتى الموت ٠

ان رسالة الطير هذه ترجمها ابن المعدني الى السريانية ، واستخلص منها قصيدة في مئة وخمس وعشرين بيتا ، فجاءت في روعتها وخيالها ورمزيتها آية من آيات البلاغة والعذوبة ، والرقة ، وقد ذكر فيها هبوط النفس البشرية من علياء قداستها الى حبائل الحياة ، وشرك عالم الكون والفساد ، بحيث أخذت تتململ في قيدها متطلعة الى الملأ الاعلى في محاولة لتقطيع الاغلال والقيود ٠

فالشاعر السرياني ألبسها حلة قشيبة من الروعة ، وقد نشعر ونحن نقرأها باننا في بحران من الحسرة والاسى على هذه النفوس الاسيرة التي شبهها بالطائر الجريح المهيض الجناح الذي يحاول عبثا اللحاق بأسراب الطيور الطليقة التي سبقته الى العالم الاعلى ٠

وعلى العموم ففي القصص الثلاث رموز يمكن أن تفسر : عن كيفية اكتساب المتوحد المبادىء الاولى في العلوم الطبيعية التي تقضي بالتمييز بين الصورة والمادة ، وكيف يجب ان يرقى الى أعتاب العالم الروحاني وعليه أن يتساءل ابان تأمله للافلاك عن أزلية العالم ، فيهتدي بعد ذلك الى وجود الصانع ، ثم يعود الى طبيعة عقله الخاص فيتفكر به ، ويعي الجوهر الحقيقي للانسان ، وما هو مصدر السعادة والشقاء بالنسبة اليه ٠٠ وقد يرى في نهاية المطاف العقلي التجلي الالهي الشامل متلألأ في عقول أكثر الافـلاك ٠٠ وعنـدما يغوص في أعماق نفسه يرى عددا من الجواهر الفردية المشابهة لجوهره وقد أحاط ببعضها النور والصفاء وغرق بعضها الآخر في بحران الظلام ٠

في كتب ابن سينا الفلسفية أكثر من لقاء مع اخوان الصفاء في رسائلهم ٠٠ فابن سينا في نظرية المعرفة جعله فرعا من فلسفته في العقول الذاتية ، وأظهرها وكأنها علم خاص بالملائكة ، أو في أساس نظام الكون ٠٠ فموضوع الما ورائيات المتعلقة في الجوهر بدأها الفارابي عندما طرح معها التمييز بين الكائن الواجب الوجود بذاته ، والواجب الوجوب بغيره ، وهذا هو ــ الفعل والقوة ــ لدى اخوان الصفاء ، أما ابن سينا فالكون عنده لا يحتمل بدوره ما يسمى حدوث الممكن ، فطالما أن الممكن ما زال ممكنا بالقوة فذلك يعني أن لا قدرة له على الوجود ، فانه تمكنه ببعض الممكنات من أن يوجد فذلك لان وجوده أصبح واجبا بموجب العلة التي أوجدته ، ومن ثم فلا يمكنه ان لا يوجد ، وكذلك فان العلة التي أوجدته هي بدورها واجبة الوجود بموجب العلة التي أوجدتها ٠

ويلتقي ابن سينا واخوان الصفاء وجابر بن حيان في كتابه « البرهان في أسرار الميزان » عند علم الحروف ·· وهذا العلم له كبير الاهمية ، لان الحروف هي العناصر التي يتكون منها الجسم الالهي كما يقول ابن سينا ، أما اخوان الصفاء فطبقوا هذه الفكرة عمليا عندما جعلوا رسائلهم (٥١) رسالة أي (١٧) ضرب (٣) وهذا العدد يشير الى الحروف السبعة عشر التي تؤلف اسم الله الاعظم ·· ان الاعداد التي يقولون فيهما تكمن ثم تظهر في الحروف ·· فالاولى هي حقائق العالم العليوي المتعلق بالذوات الروحية ، والثانية تتعلق بحلقة الحقائق المادية ·

وفي كتاب الشفاء يعبر ابن سينا بصورة رمزية مكثفة عن رأيه بالنبوءة والامامة ، وهي لا تخرج عن رأي اخوان الصفاء الذي ورد في الرسالة الجامعة عن العلاقة بين الشريعة والحقيقة وبين الدين والفلسفة ·

وهناك النظام العشري الذي شرحه شرحا وافيا الكرماني في كتابه « راحة العقل » فهذا الشرح يكاد يكون واحدا مع النظام الذي قدمه ابن سينا في كتاب الشفاء ·

فعند اخوان الصفاء ان عالم الابداع ـ أو عالم الامر يتعارض مع عالم الخلق ، وصدور الوجود والانبعاث يبتدىء انطلاقا من العقل الاول ـ وهو العقل الكلي الخاضع لفعل الامر ، وبوصفه المبدع الاول فهو فعل الابداع عينه ـ ويضاف بأن العقل الاول ، هو أول من أنجز التوحيد ودعا اليه الصور المنيرة ·· ولهذا أعطي اسم السابق ·· ولم يخرج ابن سينا عن هذا الرأي ·· انما عبر عنه برموز بدت أصعب فهما بالرغم من تجديد الاسلوب ، وبساطة اللفظ والتعبير ·

أما النفس فيحددها ابن سينا بأنها كمال أول لجسم طبيعي آلي ، ووجودها من الحدس والنظر معا ، ويقرر بأن حدوثها يكون بفيض من المبادىء المفارقة ، وقد خالف بذلك أفلاطون الذي اعتقد بأنها كانت موجودة قبل الجسد ·· ففي كتاب النجاة يقول :

ان النفس الانسانية متفقة في النوع والمعنى ، فان وجدت قبل البدن تماما ، فاما أن تكون مكثرة بالذوات ، أو أن تكون ذاتا واحدة ·· ومحال ذلك على ما يتبين أن تكون وجدت قبل البدن ·

والنفس عند ابن سينا كما هي عند اخوان الصفاء واحد برغم كثرة قواها ، وقد عقد فصلا خاصا في الشفاء والنجاة سماه وحدة النفس ·· وقرر أن النفس النباتية والحيوانية والانسانية لا تؤلف ثلاث نفوس مختلفة بل ذاتا واحدة ·

وقال ابن سينا بخلود النفس ، ونفي نظرية التناسخ ، وكأنه سار على خطى اخوان الصفاء الذين حاربوا هذه العقيدة القديمة التي تناهض الاديان السماوية ٠٠فابن سينا بعد اخوان الصفا قال : بأن الانفس لا تتناسخ ، ولا تنتقل من جسم لآخر وفند هذا في كتابه النجاة وأورد الادلة ٠٠ أما اخوان الصفاء فقالوا :

بأن وجود النفس بوجود البدن ، فاذا وجد بدن انساني استحق نفسا تفيض عليه ، فلو حلت فيه نفس أخرى متناسخة لكان في البدن نفسان وهذا محال ٠٠ لان الانسان لا يشعر بأكثر من نفس واحدة ، وبهذا يكون قد بطل القول بالتناسخ ٠

هذا كل ما استطعنا أن نقطفه من حديقة ابن سينا في جولتنا الخاطفة ٠ وانه لمن العسير أن يكتمل القول فيه ٠

فأبعاده لا يصل اليها البصر ، ونواحيه عصيات على الادراك وشخصيته كنز مقفل ، لم يصل العلم الى ادراك حقيقتها وكنهها ٠

ابن سينا ٠٠ لم يدع من العلم والادب والطب شيئا الا وحققه وصاغه وقدمه للانسانية ٠

ابن سينا لم يترك بابا من أبواب المعرفة الاولى ، وسبر غوره ٠
رؤيته قناديل مشعة أضاءت الزوايا الخافتة على هذا الكوكب ٠٠ وأقواله دفقات من وحي نقلتها الانسام من شواطيء قزوين الى أرجاء هذا العالم الفسيح ٠

ابن سينا لم يتراجع الا أمام الموت ٠

ولكن العباقرة خلود لا يموتون ٠

لم نستطع ونحن في كامل قوتنا ، وحضور ذهننا ايفاءه ما له بذمتنا ، وسنمضي من هذه الدنيا ، قبل أن نسدده الحساب ٠

فسلام على روح ساكن همذان ـ الراقد في ظل الراحة والريحان ٠

سلام على العبقري الذي ظل يردد وهو يغمض عينيه :

شربنا على الصوت القديم قديمه	لكل قديم أول وهي أول
ولو لم تكن في حيز قلت انها	هي العلة الاولى التي لا تعلل

علم النفس السينـــوي وآثـــره

في الادب العـــربي

الدكتور فايز الدايــة

كلية الآداب ـ جامعة حلب

ـ ١ ـ أوضح بداية حدود هذا البحث وغايته ، وأبين الجدة التي جعلتني أقدمه الى هذا المؤتمر المحتفل بذكرى الشيخ الرئيس ابن سينا :

١ ـ تتناول دراستي **لعلم النفس السينوي** اصول المادة التي عمل فيها ابن سينا أي أن اشارات عامة ستعرض لارسطو والفلسفة اليونانية وبعض من الافكار حول النفس مما دُوِّن ·

٢ ـ وتنتقل الى عرض مجمل لما قدمه الشيخ الرئيس في مصنفاته دارسا النفس وأحوالها ·

٣ ـ ثم نقف عند مجموعة من الكتب البلاغية العربية حاولت أن تمزج بين معطيات علم النفس كما تجلى في أعمال ابن سينا ، وبحوثها الفنية مما يعد تجربة حضارية ثقافية تستحق وقفة متأنية بغض النظر عن نجاحها أو اخفاقها لانها تمثل في ذاتها درجة من الوعي الحضاري لم يصل اليها الباحثون الا في قرننا العشرين هذا ؛ أو أواخر القرن التاسع عشر ·

وفي حديث علمي لا نغفل الملحوظات العامة القديمة التي ربطت ابداعا فنياً بدرس للتوافق النفسي معه وذلك كما جاء (١) في **خطابة أرسطو** لكن المعلم الاول كان يبحث في أنواع الخطابة الثلاثـة : الاستشاريـة ، والقضـائية ، والاستدلالية ، ولا يخصص القول في جانب واحد فني خالص ، اضافة الى أنه مزج الخطابة بالجدل والاقيسة والمناقشات المنطقية العقلية(٢) وثمة فرق هام في طبيعة الاستفادة العلمية المباشرة التي أراد أن يصل الى كمالها بلاغيون عرب فهم عرضوا **للجانب التشريحي وللوظائف النفسية** وحاولوا أن يربطوها بالفهم النقدي والادبي ·

وقد امتدت دراسات **علم النفس التجريبي** الحديثة لتبحث في **الابـــداع والالهام وماهية الخيال** عند الادباء والشعراء ، كما اتسعت آفاق التحليـــل النفسي **للأدب** في ضروبه المختلفة : الشعر ، القصة ، المسرحية والقت أعمال

« فرويد » و « يونغ » وسواهما بظلالها على نتاج النقاد والباحثين العرب(٣) .

ويمثل هذا الاتجاه تفاعلا حضاريا بين العلوم اذ تفيد الدراسات الانسانية الفنية من الحقائق العلمية البحتة في الفصول النظرية الطبية والفيزيولوجية ومن الممارسات التطبيقية لها ونلمح كذلك الى التعاون بين الحقائق التي يقدمها علم الفيزياء النظري والتطبيقي الى جوانب الدرس اللغوي للصوت في علم اللغة العام وفي الاداء الفني الموسيقي .

اذن غايتنا أن نوجه أنظار الباحثين الى هذه التجربة الحضارية في التراث العلمي والادبي في التاريخ العربي ، وأعتقد اننا نفيد منها ـ زيادة على معرفتنا التراثية التأريخية ـ علما ومناقشة للتقدم نحو الافضل ، وما دام الامر كذلك فليس مطلوبا أن نفيض في الآثار الفلسفية اليونانية أو في جزئيات وتفصيلات دقيقة لابن سينا في علم النفس ، بل ان الاجتزاء هو الذي يفي ونخصص قسما واضحا لأخذ البلاغيين من الدرس النفسي القديم ؛ ونحيل المستزيد الى مصادرنا ومراجعنا التي عدنا اليها .

ـ ٢ ـ علم النفس الارسطي وتراثه اليوناني :

اجتمع للفيلسوف اليوناني **أرسطوطاليس** (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م) التوازن بين المحاضرة والدرس والتأليف فترك مجموعة من المصنفات المركزة في أبواب العلم ـ اذ كان هو الفلسفة ـ في جوانبه النظرية والعملية بحسب تقسيماته(٤) ويستدعي الحديث عن **علم النفس السينوي** وقفة عند أعمال أرسطو في هذا المجال وذلك لان التأثير الارسطي واضح فيما قدمه أبو علي بن سينا وان لم يكن المؤثر المطلق ، فثمة **نزعة توفيقية** لدى ابن سينا بين بعض الآراء الفلسفية القديمة : **افلاطون** ، **وارسطو** ، والافلاطونية **الجديدة** (**أفلوطين**) ، بالاضافة الى الافادة من التقدم العلمي في عصره مما أعانه على تحليل تفصيلي لجوانب تشريحية ضمن بحوث النفس (٥) .

كانت للفلاسفة اليونانيين نظرياتهم وآراؤهم في النفس ، فمنهم من عدها جسما مثل **انبادوقليس** الذي يذهب الى أن النفس مركبة من جميع العناصر وان كل عنصر منها هو نفس واليك نص أقواله :

بالارض نرى الارض ، وبالماء نرى الماء .

بالاثير نعرف الاثير الالهي ، وبالنار نعرف النار .

وبالحب ندرك الحب ، وبالبغض الحزين الشديد ندرك البغض » (٦) .

وديمقريطس الذي قال : « ان النفس نوع من النار والحرارة » فالاشكال أو الذرات التي يقول بها لا متناهية ، ويسمي ذات الشكل الكروي نارا ونفسا .

وهذه تشبه ما نسميه غبار الهواء الذي يبدو في أشعة الشمس النافذة من خلال النوافذ ، وتجمع هذه البذور يكون فيما يذهب اليه عناصر الطبيعة بأمرها » (٧)

وقد بسط **أرسطو** في مصنفه « **النفس** » آراء السابقين عليه ونقدها ليصل الى تعريف يطمئن اليه ويكون له موقع مميز بين تلك النظريات فيذكر **افلاطون** ويخصص القول في بعض محاوراته « **طيماوس** »(٨) كما يمر بعدد من الفلاسفة **انكسجوراس** ، بعض **الفيثاغوريين** ، **طاليس** ، **هرقليطس** ، **القمايون** ، **هيبون كريتياس** (٩) ٠

ونشير ــ قبل أن نورد ما ذكره أرسطو عن **افلاطون** في مسالة النفس ــ الى أن نظرية « **المثل** » الافلاطونية تتضمن القول بأن النفس موجودة قبل اتصالها بالبدن من حيث أن هذه المثل ليست متحققة في التجربة بما هي مثل ولا مكتسبة بالحواس ، فلا بد من قوة روحية تعقلها ، أو بالاحرى تذكرها بعد أن عقلتها في عالم يماثلها ، وفي تلك النظرية تفسير الحركة يرجع الى مبدأ غير مادي يتحرك بذاته ويحرك المادة ٠ هذا التفسير ينطبق على العالم بالاجمال وعلى كل جسم بالخصوص واذا فللانسان نفس » ، كما انه يلحظ ان رأي أفلاطون في ماهية النفس وعلاقتها بالجسم لا يخلو من التردد والغموض (١٠) ٠

ويتناول أفلاطون قضايا : العلم ، والعقل والاحساس والحركة والخلود في هذا الجانب الفلسفي كما يعرض للوظائف النفسية أو تعدد النفوس وذلك في **الجمهورية** والمحاورات الاخرى : **طيماوس** ، **وفيدون** ، **وفيلبوس**(١١) ونورد ههنا فقرة من كلام أرسطو تتصل بآراء لافلاطون في النفس لها علاقة بالمثل وما يرتبط بها مما جاء لدى الفلاسفة الآخرين من الذين قالوا بمادية النفس أو لا ماديتها :

« يصوغ أفلاطون في « **طيماوس** » على هذا النحو النفس من العناصر اذ عنده ان الشبيه يدرك بالشبيه ، وان الاشياء التي نعرفها تتركب من المبادىء ٠ وأيضا فاننا نجد في دروسه عن الفلسفة أن الحيوان بالذات يستمد من مثال الواحد بالذات ، ومن العدد اثنين أو الطول الاولي ، ومن الثلاثة وهو العرض الاولي ومن الاربعة وهو العمق الاولي وهكذا في سائر المثل ٠ ولقد أوضح أفلاطون رأيه بشكل آخر فقال : **العقل** هو الواحد ، **والعلم** هو الاثنان ، لأنه يتجه في اتجاه واحد نحو نهاية واحدة **والظن** هو مدد السطح وهو الثلاثة ٠ **والاحساس هو** عدد الحجم وهو الاربعة فالاعداد تتوحد مع نفس المثل والمبادىء وانها تتركب من العناصر ، ومن جهة أخرى تدرك بعض الاشياء بالعقل ، وبعضها بالعلم ، وبعضها بالظن ، وبعضها أخيرا بالاحساس ٠ وهذه الاعداد هي في الوقت نفسه مثل الاشياء ٠ وحيث ظهر لهم ان النفس **محركة وعاقلة** على هذا

النحو ، فان بعض الفلاسفة صاغوا النفس من هذين المبدأين ، وقالوا : ان النفس عدد يحرك نفسه الا أن الآراء تختلف فيما يختص بطبيعة المبادىء وعددها، ويظهر الاختلاف على وجه الخصوص بين أولئك الذين يجعلونها **جسمانية** والذين يجعلونها **لا جسمانية** (١٢) ويجمل أرسطو اتجاهات الفلاسفة في النفس اذ يحدونها بصفات ثلاث : تعني **الحركة والاحساس واللاجسمية** وترجع كل صفة من هذه الصفات الى المبادىء الاولى » (١٣) ٠

قدم أرسطو عددا من الاعمال تتناول قضايا النفس ، كان أبرزها مصنف بهذا العنوان « **النفس** » لقي عناية المترجمين العرب والملقين والملخصين (١٤) منذ أواخر القرن الثالث الهجري ، وهناك مجموعة من الكتب النفسية جمعت تحت عنوان (**الطبيعيات الصغرى**) وهي :

١ ــ **الحاس والمحسوس** وفيه يفصل ما أجمله في كتاب « النفس » مما يتصل بالبصر والسمع والشم والذوق واللمس ٠

٢ ــ **في النوم واليقظة** ٠

٣ ــ **في الاحلام**٠

٤ ــ **في تعبير الرؤيا** ٠

وهناك كتب « **في طول العمر وقصره** » و « **في الحياة والموت** » و « **في التنفس** » (١٥)

ان دراسة أرسطو للنفس ضمن قسم الطبيعيات وشاملة للنبات والحيوان والانسان تطلبت تفسيرات في كتب الشروح القديمة والحديثة ، ونختار ما قدمه « روبان » عندما صنف مؤلفات أرسطو الطبيعية الى ثلاثة أقسام : في الطبيعة بوجه عام ، وفي عالم ما فوق القمروعالم ما تحت القمر ، وفي **البيولوجيا أو علم الحياة** ٠ ثم وضع في مقدمة الكتب البيولوجية كتاب « **النفس** » ، **وكذلك** ما بسطه «**تيلور**» من أن لفظ : **النفس** Psyche يعني في اليونانية شيئا قريبا من لفظ : **الشعور** Consciousness الذي نستعمله اليوم ٠ وانهم كانوا يعنون بالنفس ظواهر التغذي والنمو والتحرك ٠ وان « النفس » في لغة جمهور اليونانيين كانت أدنى الى الدلالة على « الحياة » منها الى الدلالة على « النفس » كما نفهم اليوم ٠ ولذا فان عنوانا لمؤلف في النفس يعني مبدأ الحياة في الفلسفة اليونانية (١٦) ٠ ومما يؤيد هذه الوجهة التي نعتمدها ما جاء في **كتاب النبات لأرسطو بترجمة اسحق بن حنين** اذ يجمع أرسطو بين النبات والحيوان مقارنا مفسرا : « قال الفيلسوف أرسطوطاليس : ان الحياة موجودة في الحيوان والنبات ، غير أن حياة الحيوان بينة ظاهرة ، وحياة النبات خفية غامضة يحتاج فيها الى

بحث واستقصاء ٠٠ اللنبات نفس ٠٠ أما **انكساغورس وهمفدوقلس** فزعما أن للنبات شهوة وحسا وغما ولذة ٠٠ والصحيح أنه ليس للنبات حس ولا شهوة ٠٠ » (١٧) ٠

نستطيع القول اثر هذا : ان أرسطو ألف في مبدأ الحياة والبيولوجيا تحت باب « **النفس** » وكان يبتغي كشف عالم الانسان ما ظهر منه وما بطن وما اشترك فيه مع الكائنات الحية الاخرى (النبات ، الحيوان) وما اختلف فيه عنها ، ولقد كان المعلم الاول لا يرى أن الانفعالات تصدر عن النفس وحدها بل تصدر عن المركب من النفس والجسم (١٨) ٠

ويعرف أرسطو النفس بأنها **كمال اول لجسم طبيعي آلي (اي لجسم ذي اعضاء لكل عضو وظيفته)** (١٩) ، وتعني النفس **صورة للجسم** (الهيولى) ـ أي الكمال الاول ـ واذا أردنا تفصيلا فنقول اذا كانت العين هي الجسم (الهيولى) فان البصر هو **نفسها** أي أن القدرة على الابصار هي النفس واذا ما أصابها أذى فلا عين الا في الشكل كالعين في التمثال أو المرسومة (١٩) على الورق أو سواه ٠ أما **الافعال الثانية** فهي ممارسة الوظائف بفضـــل النفس والجسم معا ٠

ويرى أرسطو النفس والجسم كيانا واحدا لا نسأل عن اتحاده « كما لا نسأل هل الشمع وطابعه شيء واحد » (٢٠) ٠

ثم يقول أرسطو بأن النفس ـ الا قسما منها هو العقل الفعال ـ لا تفارق الجسم (٢١) ٠

ويعد أرسطو مبتدع نظرية القوى النفسية **الغاذية** (التغذي ، النمو ، التكاثر) في النبات وهذه مشتركة مع الحيوان والانسان ، **قـوة الحس** عنـــد الحيوان والانسان ، ثم ينفرد الانسان **بالقوة العقلية** ، وهناك قـوى (أو ملكات) اشتراك الانسان والحيوان فيها مشكوك فيه (**التخيل**) ٠

يخصص أرسطو بحوثا لكل واحدة من القوى النفسية ،(أو النفوس) الغاذية ، الحساسة وموضوعاتها : **البصر ، السمع ، الشم ، والرائحة ، الذوق والطعم ، اللمس والملموس** (٢٢) ، والاعضاء التي تحس وتتلقى المؤثرات ، ويفرد قسما للحس المشترك الذي هو :

١ ـ ادراك المحسوسات المشتركة مثل : الحركة ، والسكون ، والشكل والمقدار ، والعدد ، والوحدة ٠

٢ ـ وهو ادراك الادراك أي الشعور بأنه يرى أو يسمع .

٣ ـ وهو القدرة على التمييز بين المحسوسات في كل حس باعتباره حسا (٢٣) .

ويتحدث أرسطو عن **التخيل** ، ثم **العقل المنفعل والعقل الفعال** ، (٢٤) . ويكون المعلم الاول قد تناول الحواس الظاهرة الخمس والعوامل الباطنة والحس المشترك والتخيل ومعه الذاكرة والتذكر ؛ والعقل بقسميه .

ـ ٣ ـ ابن سينا وعلم النفس :

لقيت البحوث النفسية عناية لدى الشيخ الرئيس فصنف مجموعة من الرسائل والكتب تدور حول النفس ماهيتها ، وظائفها ، بقائها وخلودها ، وتفاوتت هذه الاعمال اختصارا وبسطا بحسب الغرض التعليمي المتوجهة اليه .

ونذكر ههنا أهم تلك الاعمال مما وصلنا وعرف سبيله الى التحقيق والنشر :

١ ـ القسم السادس من طبيعيات موسوعة «**الشفاء**» بعنوان «**النفس**»(٢٥)

٢ ـ المقالة السادسة من الطبيعيات في كتاب « **النجاة** » وتحمل عنوان « **في النفس** » وتعد تركيزا واختصارا لما ورد في الشفاء (٢٦) .

٣ ـ كتاب بعنوان « **أحوال النفس** » : رسالة في النفس وبقائها ومعادها ».(٢٧) .

٤ ـ رسالة في « **معرفة النفس الناطقة وأحوالها** » (٢٧) .

٥ ـ رسالة في « **الكلام على النفس الناطقة** » (٢٧) .

٦ ـ رسالة (مبحث) « **عن القوى النفسانية** » (٢٧) .

وترددت أصداء الدراسات النفسية هذه في مصنفات ابن سينا الاخرى كما ورد في « **الالهيات** » (٢٨) ، وفي « **القانون** » (٢٩) حيث قدم له بمقدمة فيها بسط « **لقوى النفس على طريقة الاطباء** » وهذا تمهيد قديم يحث على تكوين « **الطب النفسي** » علما قائما بذاته .

لقد توسط ابن سينا في جهوده الفلسفية ونخص علم النفس بين مرحلة قديمة متمثلة في الآثار اليونانية وأبرزها ما صنفه أرسطو وما دار حوله بعد ذلك من شروح وتعليقات ، وكذلك ما قدمه المترجمون العرب والفلاسفة

بيولوجيا (التغذي ، النمو ، التكاثر) مع النبات والحيوان ، وفيها ما يكون قسمة — على اختلاف في صفاتها وبعض من تسمياتها — بين الحيوان الاعجم والانسان الناطق وهو الادراك الحسي والباطن والحركة ، ثم هناك ما يتميز به وهو **النطق والعقل** • هذا نظر في تكامل الرؤية العلمية لدى ابن سينا وانتفاء الخلط كما يبدو لبعض الدارسين والملقين على الشيخ الرئيس ، ثم لدينا أمر اخر وهو أن البحوث في **الذكاء والتكيف** عند الانسان وعند الحيوانات يفترض قدرات مشتركة لكنها متباينة في التذكر والاسترجاع على سبيل المثال ، ثم ان التجارب على تطوير ذينك الامرين : الذكاء ، الذاكرة يمكن أن يستند الى ما يقدمه علم النفس السينوي •

ونشير الى أن ابن سينا ربط الادراكات **بالدماغ والجملة العصبية** واستبعد أن يكون للعقل ارتباط مادي بالجسم على عكس البحوث النفسية الحديثة ، الا أننا اذا لاحظنا الربط الفلسفي العقائدي بين هذه البحوث في النفس وما يدور في البيئة الثقافية ، ندرك الباعث على هذا الاتجاه ذلك أن ابن سينا والمفكرين الآخرين تطلعوا الى فكرة **خلود النفس الانسانية** في **صورة العقل** الذي لا ينبغي أن يكون موصولا بالمادة الفانية •

يقتضي الانصاف العلمي أن أنبه — قبل عرض لمحات من نصوص علم النفس السينوي — الى أن الدرس المتاني والمدقق انما يتأتى من خلال مصنفات ابن سينا التي نشير اليها في بحثنا هذا ، وكذلك بالاستعانة بالبحوث والتحليلات التي توزعت بين مقدمات طبعات كتب الشيخ الرئيس والكتب المستقلة كمصنف **د• عثمان نجاتي عن الادراك الحسي عند ابن سينا** •

يعرف ابن سينا النفس بأنها « **كمال أول لجسم طبيعي (٣٤) آلي (ذي اعضاء) له ان يفعل افعال الحياة** » ويوضح هذا « فبين أن ذات النفس ليس ليست بجسم ، بل هي جزء للحيوان والنبات هي **صورة** ، والكمال الاول هو تمام الشيء والقدرة الكامنة فيه وتتحقق في **الكمال الثاني** أي في الافعال الحقيقية التي تقوم بالاستعانة بأعضاء الجسم (الآلات) •

ويتشكل تصنيف القوى النفسية على النحو التالي :

١ — **النفس النباتية** : وهي الكمال الاول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يتولد وينمى ويغتذي ، والغذاء جسم من شأنه أن يتشبه بطبيعة الجسم الذي قيل انه غذاؤه ، فيزيد فيه مقدار ما يتحلل أو أكثر أو أقل •

٢ — **النفس الحيوانية** : وهي الكمال الاول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالارادة •

الكندي ، والفارابي ، وابو بكر الرازي ، واخوان الصفا من آثار في «**النفس**» كانت ذخرا للشيخ الرئيس وان لم يكن متبعا ما جاء في ذلك التراث اتباعا فيه النقل دون التمحيص والتعديل والاضافة (٣٠) .

أفاد ابن سينا من التصور الارسطي العام لدراسة النفس من خلال كتب المعلم الاول ومقالاته ، وقد زاد في عدد **القوى النفسية الباطنة** (المصورة والوهم) وكانت لدى ارسطو ثلاثا فقط (الحس المشترك ، التخيل ، الذاكرة) كما فصّل أبو علي في تقسيمات **العقل** وقواه .

وامتاز عمل ابن سينا في علم النفس بالتكامل والنضج والبناء المحكم ذلك أنه اتبع منهجا تحليليا للقوى النفسية (أو الوظائف) فدرسها في جزئياتها ، ثم اتبع في مصنفه المتكامل في **الشفاء** (٣١) منهجا تركيبيا فدرس الوظائف النفسية في تدرج متصاعد من الابسط والادنى الى الفطرة الى المركب والمكتمل وتحدث عن تعاونها فيما بينها (٣٢) . وتتجلى جدة ابن سينا واضافته على نحو واضح في ذلك **النمط التشريحي** الذي اتبعه في تحليل **الادراك الحسي** (اللمس ، الذوق ، الشم ، السمع ، البصر) والاعضاء التي ترتبط به والكيفيات وارتباطها بالجملة العصبية والدماغ مقسما الى أقسام تتوزع الوظائف الحسية .

وكذلك**الادراك الباطن** : فهنا يطبق أبو علي نتاج التقدم في العلوم الطبية والتشريحية على الدراسة النفسية وهذا المزج يلتقي مع رصده الذي أشرنا اليه في مقدمة كتابه « **القانون** » للقوى النفسية .

وصحح عددا من الحقائق العلمية مثل كيفية الابصار ونقض ما عرف قبلا .

ولا يتسع الحيز في بحثنا لذكر الاثر الذي تركه علم النفس السينوي في القرون التالية له في المشرق وأوربة ، فقد تكفلت بهذا دراسات أخرى وقد ظل المرجع الاساسي لدى الفلاسفة والمتصوفة منذ القرن الخامس الهجري الى مطلع القرن الرابع عشر ، وترجم الى اللاتينية في الربع الثالث من القرن الثاني عشر الميلادي ، وخلق حركة فكرية حوله بلغت أوجها في القرن الثالث عشر الميلادي ، وبقيت آثاره حتى القرن السابع عشر في أوربة (٣٢) .

تحدث ابن سينا عن **النفس النباتية ، والنفس الحيوانية ، والنفس الناطقة (العاقلة)** : ونعيد ههنا مناقشة هذا المنهج بعد أن عرضنا له اذ ورد عند أرسطو ، فالقصد الى معرفة ظواهر الحياة من حيث هي أصول بسيطة ثم مكتملة مركبة فدرس الانسان العاقل المفكر يستلزم ــ لطبيعة التفاعل بين الانفعالات والجسم ــ علما بماهية الوظائف التي تسيره وفيها ما هو مشترك

٣ ـ **النفس الانسانية** : وهي الكمال الاول لجسم طبيعي آلي من جهة ما ينسب اليه أنه يفعل الافاعيل الكائنة بالاختيار الفكري والاستنباط بالرأي ، ومن جهة ما يدرك الامور الكلية (الماهيات) ٠

ثم للنفس الحيوانية قوتان : محركة ، مدركة ٠

أ ـ المحركة :

١ ـ اما أن تكون باعثة على الحركة وهي **القوة النزوعية الشوقية** التي اذا ارتسمت في التخيل بعد صورة مطلوبة أو مهروب عنها بعثت القوة المحركة الاخرى ـ التي نذكرها ـ على التحريك ؛ ولها شعبتان : **قوة شهوانية** وهي قوة تبعث على تحريك تقرب به من الاشياء المتخيلة ضرورية أو نافعة طلبا للذة ؛ **وقوة غضبية** وهي قوة تبعث على تحريك تدفع به الشيء المتخيل ضارا أو مفسدا طلبا للغلبة ٠

٢ ـ أما **القوة المحركة** على أنها فاعلة : فهي قوة تنبعث في الاعصاب والعضلات من شأنها أن تشنج العضلات فتجذب الاوتار والرباطات المتصلة بالاعضاء الى نحو جهة المبدأ وترخيها أو تمدها طولا فتصير الاوتار والرباطات الى خلاف جهة المبدأ ٠

ب ـ المدركة :

منها **قوة تدرك من خارج وهي الحواس الخمس** (أو الثماني اذا فصلنا الاحساس اللمسي وأرجعناه الى أربعة من الاقسام : الحواس) ٠

والحديث عن هذه القوى ينصرف في التعريف المركز لها الى مواضعها في الدماغ والجملة العصبية ضمن ترتيب طبيعي ، ثم تشرح كيفية تحقق هذه (العين ، الاذن ، الجلد ، الانف ، اللسان) ٠

١ ـ فمنها **قوة البصر** وهي قوة مرتبة في العصبة المجوفة تدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من أشباح الاجسام ذوات اللون المتأدية في الاجسام الشفافة بالفعل الى سطوح الاجسام الصقيلة ٠

٢ ـ ومنها **السمع** وهي قوة مرتبة في العصب المتفرق في سطح الصماخ تدرك صورة ما يتأدى اليها من تموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له انضغاطا بعنف يحدث معه صوت فيتادى تموجه الى الهواء المحصور الراكد في تجويف الصماخ ويحركه بشكل حركته ، وتماس أمواج تلك الحركة العصبة فيسمع ٠

٣ ـ ومنها **الشم** وهي قوة مرتبة في زائدتي مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتي الثدي تدرك ما يؤدي اليها الهواء المستنشق من الرائحة الموجودة في البخار المخالط له ، أو الرائحة المنطبعة فيه بالاستحالة من جرم ذي رائحة ٠

٤ ـ ومنها الذوق وهي مرتبة في العصب **المفروش** على جرم اللسان تدرك الطعوم المتحللة من الاجسام المماسة له المخالطة للرطوبة العذبة التي فيها مخالطة محيلة ٠

٥ ـ ومنها **اللمس** وهي قوة مرتبة في أعصاب جلد البدن كله ولحمه تدرك ما يماسه ويؤثر فيه بالمضادة المحيلة للمزاج أو المحيلة لهيئة التركيب وهناك من يجعل قوة اللمس أربع قوى :

١ ـ احداها حاكمة في التضاد الذي بين **البارد والحار** ٠

٢ ـ والثانية حاكمة في التضاد الذي بين **الرطب واليابس** ٠

٣ ـ والثالثة حاكمة في التضاد الذي بين **الصلب واللين** ٠

٤ ـ والرابعة حاكمة في التضاد الذي بين **الخشن والاملس** (٣٦) ٠

أما القوى **المدركة الباطنية الحيوانية** فبعضها قوى تدرك صور المحسوسات ، وبعضها تدرك معاني المحسوسات وأولها :

١ ـ **الحس المشترك** (**بنطاسيا**) وهي قوة مرتبة في التجويف الاول من الدماغ تقبل بذاتها جميع الصور المنطبعة في الحواس الخمس المتادية اليه ٠

٢ ـ ثم **الخيال أو المصورة** وهي قوة مرتبة أيضا في آخر التجويف المقدم من الدماغ تحفظ فيه ما قبله الحس المشترك من الحواس الجزئية الخمس ، ويبقى فيه بعد غيبة تلك المحسوسات ٠

والقبول لقوة غير القوة التي بها الحفظ ، والمثال الموضح هو الماء فان له قوة ـ خاصة ـ قبول النقش والرقم وبالجملة الشكل ـ أي تنعكس فيه صور الاشياء ـ وليس له قوة حفظه ـ بعد غياب الشكل ٠

٣ ـ ثم القوة التي تسمى **متخيلة** بالقياس الى النفس الحيوانية ، **ومفكرة** بالقياس الى النفس الانسانية وهي قوة مرتبة في التجويف الاوسط من الدماغ عند الدودة ، من شانها أن تركب بعض ما في الخيال مع بعض ، وتفصل بعضه عن بعض بحسب الارادة ٠

٤ ـ ثم **القوة الوهمية** وهي مرتبة في نهاية التجويف الاوسط من الدماغ ، تدرك المعاني غير المحسوسة الموجودة في المحسوسات الجزئية ، كالقوة الموجودة في الشاة الحاكمة بأن هذا الذئب مهروب منه وان هذا الولد هو المعطوف عليه ، ويشبه أن تكون هي أيضا المتصرفة في المتخيلات تركيبا وتفصيلا ·

٥ ـ ثم القوة **الحافظة الذاكرة** وهي مرتبة في التجويف المؤخر من الدماغ تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني غير المحسوسة في المحسوسات الجزئية (٣٧) ·

أما النفس الناطقة الانسانية فتنقسم قواها الى **قوة عاملة** ، **وقوة عالمة** وكل واحدة من القوتين تسمى **عقلا** باشتراك الاسم أو تشابهه ويذكر **ابن سينا** أن « أخص الخواص بالانسان تصور المعاني الكلية العقلية المجردة عن المادة كل التجريد ، والتوصل الى معرفة المجهولات تصديقا وتصورا من المعلومات العقلية · فهذه الاحوال والافعال المذكورة هي مما يوجد للانسان ، وجلها يختص به الانسان وان كان بعضها بدنيا ، ولكنه موجود لبدن الانسان بسبب النفس التي للانسان كالتي ليست لسائر الحيوان » (٣٨) ·

والعقل على هذا قوتان بصورة رئيسية :

١ ـ عاملة وهو **العقل العملي** وهذه القوة التي يجب أن تتسلط على سائر قوى البدن على حسب ما توحيه أحكام القوة الاخرى ـ العقل النظري ـ (٣٩) فيما ينبغي أن يفعل ويترك مما ينفع ويضر ، ومما هو جميل وقبيح ، وخير وشر ، والعقل العملي يحتاج في أفعاله كلها الى البدن والى القوى البدنية (٣٩) ·

٢ ـ قوة عالمة ـ وهي **العقل النظري** ـ وهي قوة من شأنها أن تنطبع بالصور الكلية المجردة عن المادة ، فان كانت مجردة بذاتها فذاك ، وان لم تكن فان هذه القوة العالمة تصيرها مجردة ·

ثم يفصل ابن سينا في **العقل الهيولاني** ، **والعقل بالملكة** (٣٩) · ويعرض لكيفية **تعاون الوظائف النفسية** المتعددة اذ تخدم الواحدة منها الاخرى للوصول الى الحالة المركبة ، وبهذا ينتفي تصور لدى بعض الباحثين عن التفكك الذي يخطر ان قلنا بتعدد القوى النفسية كأن كلا منها كيان بذاته (٤٠) ·

ويبرهن أبو علي على أن « **الجوهر الذي هو محل المعقولات ليس بجسم ولا قائم بجسم على أنه قوة فيه أو صورة له بوجه** » (٤١) ·

ونحن حسبنا هذه الاشارات الى خطوط في **علم النفس السينوي** أما

التفصيل والقضايا الدقيقة ففي دراسة خاصة منفردة ، ولكننا نريد أن ننبه الى أن **نظرتنا الى النفس عند ابن سينا** تؤطر بعدد من النقاط :

أ ـ ان هذا النتاج كان **ثمرة** لجهود الفلاسفة الاقدمين الذين أخذوا عن الاصول اليونانية وطوعوا المصطلحات شيئا فشيئا في هذا الميدان ، واشترعوا منهج التوفيق بين المدارس الفلسفية القديمة ٠

ب ـ ان العصر الذي عرف هذا الجهد العلمي في النفس يعطي شهادة عالية ـ لا تهتم بما يثيره بعض الباحثين المعاصرين من تساؤلات بحسب المفهومات الحديثة لعلم النفس ـ لابن سينا في تقدمه ونضجه ٠

ج ـ أننا نفيد من آثار ابن سينا النفسية اذا ما **قارناها** بالتقدم العلمي في مجالاتها المختلفة ، **واستكملنا** بعض ما ينبغي استكماله ٠

علم النفس السينوي والادب العربي :

اننا نقصد بالاثر السينوي ههنا معطيات علم النفس في **كتب البلاغة** التي كان يمكنها أن تؤثر في الادب العربي اذا ما أخذت في صورتها الناضجة ذلك أن عددا من البلاغيين العرب منذ القرن السادس الهجري أخذوا يتطلعون الى الافادة من نتاج العلوم والفلسفة ومن هؤلاء أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر **السكاكي** توفي ٦٢٦ هـ في كتابه « **مفتاح العلوم** » الذي اشتمل على علوم : النحو والصرف ، والاستدلال (المنطق) ، والشعر (العروض وقضايا متصلة به) والبلاغة في علمين أساسيين هما : علم المعاني وغايته ادراك الاستعمالات الجمالية ومعرفة الخصائص التعبيرية للتركيب اللغوي : الجملة وما تشتمل عليه ، والعبارة وذلك بالبحث عن ألوانها في **السياقات المختلفة** (المقامات والاحوال التي يعايشها الادباء ويعبرون عنها) وعلم البيان الذي يهتم بدراسة **الصورة الفنية والخيال** الذي يجسد به الاديب والشاعر خاصة تجاربه الشعورية وينقله مؤثرا في المتلقين (الجمهور) ليعايشوا تجربته وانفعاله ٠

وتتابعت سلسلة من المصنفات البلاغية التي أخذت تفصل وتشرح قضايا البلاغة العربية منذ القرن الثامن الهجري في مؤلفات جلال الدين **القزويني** في « **التلخيص** » و « **الايضاح** » وكذلك في مصنفات تدعى **شروح التلخيص** وأشهرها لثلاثة يمثلون العصر الوسيط العربي هم : بهاء الدين **السبكي** في « **عروس الافراح** » والسعد **التفتازاني** في « **الشرح المختصر** » وابن يعقوب **المغربي** في « **مواهب الفتاح** » وقد امتدت جهودهم حتى القرن الثاني عشر الهجري وكانت زادا للباحثين والادباء ٠

وقد بدا التأثر بجهود ابن سينا النفسية لدى السكاكي في شرح مقتضب(٤٢) سعى بعده الشراح للاستزادة والتنقيب في مسائل **الخيال والوهم والادراكات** الحسية ٠

وقد عرف كل من الشراح الثلاثة : السبكي والتفتازاني والمغربي ابن سينا في مؤلفات له ، وفي الشفاء خاصة ، وذكروه في مواضع متعددة أثناء شرحهم لامور يداخلها المنطق أو تناقش معها مسألة تتصل به ، وقد نصوا أيضا على أن الشفاء مصدر معلوماتهم في هذه الجوانب : مباحث النفس التي تابعوا فيها ابن سينا في مصطلحاته وألفاظه ٠

أما السبكي فقد قرن تعريف القزويني صاحب التلخيص والايضاح بحد ابن سينا للطب « فقد قال صاحب التلخيص : المعاني علم يعرف به أحوال اللفظ العربي (٤٢) ، ولم يقل يعلم لان الاحوال التي ينسب العرفان هنا اليها جزئية والعرفان تختص به الجزئيات لكونها تشبه البسيط والعلم يشمل الكليات لشبهها بالمركبات والعلم يتعلق بالنسب ، والمعرفة تتعلق بالذوات ، وقد وافق المصنف ابن سينا في حده للطب » (٤٣) ٠

ويورد اعتراض الخطيبي على القزويني لاستخدامه مصطلح « التنبيه » في مكان غير مكانه الدقيق ويعلل السبكي ما أتى به الخطيبي بأنه مأخوذ من صاحبه « ابن سينا في الاشارات كما ذكر الامام فخر الدين الرازي (٤٤) ، ونجد موضعا آخر هو الفصل والوصل يرد فيه التضاد مع الجامع ، ويخطر للشارح أن هناك من يعترض فقد « يقال السواد والبياض بينهما تضاد ، أما تصورهما فكيف يقال بينهما تضاد » (٤٥) ٠

ولا شك أن تصور الابيض ، وتصور الاسود في وقت واحد ممكن ، ولا يقال الجمع بين الضدين لا يتصور في الذهن على ما اختاره ابن سينا في الشفاء لانا نقول الممتنع على هذا القول تصورهما مجتمعين ، وأما تصورهما في وقت واحد منفردين فلا يمتنع (٤٦) ٠

وأما المغربي والتفتازاني فقد توافقا في الاجزاء التي ذكرا فيها عن الشفاء ، وتستوقف أدوات لاستفهام التفتازاني فيشير الى أن الترتيب المراعى فيها يقدم (ما) الشارحة للاسم ثم يؤتى بـ (هل) وبعدها (ما) التي لطلب الماهية فمقتضى الترتيب الطبيعي أن يطلب شرح الاسم ثم وجود المفهوم في نفسه ثم ماهيته وحقيقته ، ويلج في تحليلات فرعية حتى يصل الى القول بأن « ما يوضع في أول التعاليم من حدود الاشياء يبرهن عليها في أثناء العلم انما هي حدود أسمية ثم اذا برهن عليها ، واثبت وجودها صارت تلك الحدود بعينها حدودا حقيقية جميع ذلك مذكور في الشفاء ، والمغربي يذكر بالنص «كما أشار ابن سينا الى ذلك في الشفاء» (٤٧)٠

وموضع اخر يستمد فيه المغربي شيئا من المنطق ويحرص على الاحتجاج بأن الشفاء قد حوى هذا وكأنما هو ينهي الاعتراض عليه والجدل حول المسألة

التي يقف ازاءها ، ففي حديث **الدلالات** مجال الكلام عن الانتقال من الكل الى الجزء في التضمن والالتزام ، وهناك من يرى أنه يتم بفهم الاجزاء أولا ثم ينتقل الى الكل (الانسان والجسمية والناطقية) مما يعد اعتراضا على فكرة الدلالة العقلية التضمنية واللزومية ، ويحل الشارح المشكلة بقوله : « قصد أهل الفن ــ **البلاغة** ــ أن يفهم الجزء على حدة ويلتفت اليه بخصوصه بعد فهم الكل لا فهمه ضمن الكل الذي يقتضيه كون الجزء سابقا على فهم الكل » ويؤكد أن « فهم الشيء على حده بخلاف فهمه مع الغير لا سيما وحضور الكل دون أجزائه ممكن كما نص عليه في « **الشفاء** » وانه يجوز أن يحضر النوع دون الجنس الذي هو جزؤه فيقتصر الى الالتفات اليه فتظهر دلالة التضمن (٤٨) الكائنة بهذا الاعتبار » هذه الفكرة لدى التفتازاني مع تميزه بذكر ألقاب ابن سينا « الشيخ الرئيس في الشفاء » (٤٩) ٠

ومن الادلة المباشرة استعارة التفتازاني وبعده المغربي مصطلحات النفس من ابن سينا في أثناء شرحهما **للجامع في الوصل بين الجمل** ، **والتخييل في الاستعارة** ، وقد برزت عبارات كاملة ينقلها الواحد منهما ، وهما يقفان أمام نقاط في البحث ليذكرا مصدرهما « الشفاء » فالتفتازاني يعرض **للوهم** ودوره في التخييل فيقول : ان الدارسين يسمون الوهم تخييلا ، ذكر في الشفاء أن القوة المسماة بالوهم هي الرئيسة الحاكمة في الحيوان حكما غير عقلي ولكن حكما تخييليا (٥٠) ٠ وأورد المغربي الملحوظة : واذا ما تابعنا تعريفات **قوى الادراك الظاهر** التي يفصلها الشرح البلاغي ، وكذلك **قوى الادراك الباطن** فاننا نستطيع مقارنتها بما سبق اليه الشرح السينوي في أبحاث النفس في **الشفاء والنجاة** ، ورسالته المسماة « **أحوال النفس** » (٥١) التي جمعت آراءه المتفرقة في هذا الجزء من الدرس الفلسفي وسارجع اليها في المطابقة وتبيين النقل بعد الرجوع الى الجزء الخاص بالنفس من الشفاء وأثبت هنا أشياء مما عرف الشارحان ومعها اشارات الى الاصول السينوية فالتفتازانييقول : « ان **البصر** قوة مرتبة في العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان فتفترقان الى العينين » (٥٢) ٠ « **والسمع** قوة رتبت في العصب المفروش على سطح باطن الصماخين يدرك بها الاصوات ، والصوت يحصل من التموج المعلول للقرع الذي هو أساس عنيف ، والقلع الذي هو تفريق عنيف بشرط مقاومة المقروع للقارع ، والمقلوع للقالع ، **والذوق** قوة منبثة في العصب المفروش على جرم اللسان ، **والشم** قوة رتبت في زائدتي مقدم الدماغ المشبهتين بحلمتي الثدي ، **واللمس** قوة سارية في البدن يدرك بها الملموسات (٥٣) ونطالع بسطا لهذا كله عند المغربي مع محافظته على الالفاظ ذاتها (٥٤) ٠

ولا تبعد خطوات البلاغيين عن الترتيب الذي نراه للحواس في شفاء ابن سينا فالبصر يحل أولا ثم السمع فالشم فالذوق حتى اللمس أخيرا (٥٥) ، وفي الفصل

الثاني من « أحوال النفس » ترد تعريفات قوى النفس المدركة من خارج أي الحواس الظاهرة (٥٦) ، وفي النجاة تصنف في قسم : الحكمة الطبيعية (٥٧) .

وفي الجانب الآخر تقابل القوى المدركة الباطنة نظيرتها القوى الظاهرة ، وكانت من المواد المحللة لاجزاء **مبحث الوصل ولفصل** ، **فالجامع عقلي ووهمي وخيالي** ، وقد أخذ المغربي يفصل **في الحس المشترك والوهمي والمخيلة والمفكرة والحافظة** وخلال ذلك يحرص على أن يذكر ان هذا اصطلاح « **الحكماء** » واكتفى بسرد تعريفه للحس المشترك والخيال والقوة الوهمية يقول المغربي « أما الحس المشترك وهو الذي تتادى اليه الصور المحسوسة الجزئية من الحواس الظاهرة فهو قوة قائمة بأول التجويف الاول من الدماغ وتحكم بين تلك الصورة المتادية اليها كالحكم بأن هذا الاصفر نفس هذا الحلو مثلا وخزانته الخيال وهو قوة قائمة بأخر ذلك التجويف أعني تجويف الحس المشترك فتبقى فيه تلك الصور بعد غيبتها عن الحس المشترك (٥٨) ثم تلك القوة أعني الوهمية قائمة بأول التجويف الآخر من الدماع وذلك أن للدماغ تجاويف أي بطونا واحدها في مقـدم الدماغ وآخر في مؤخرته وآخر في وسطه فزعموا أن الوهم قائم بأول التجويف الآخر وله خزانة تسمى الذاكرة والحافظة قائمة بمؤخرة تجويف الوهم (٥٩) » ، وفي الشفاء حدود لكل ما ينبىء به الشارح هنا (٦٠) وكذلك في أحوال النفس (٦١) ، والنجاة (٦٢) ، ويشتمل شرح التفتازاني عليها كذلك (٦٣) .

ويكتمل لنا الدليل على الاتصال المباشر بين الشراح وجهد ابن سينا في الشفاء ، .اضافة الى مسالة هامـة وهـي أننا نطمئن الى حقيقـة استعارة **المصطلح من الكتب الاسلامية** وشروحها لا من الترجمة العربية **لكلام أرسطو** في النفس ، ذلك أن ملامح بحث المعلم الاول وجزئياته ليست هي الملحوظة في النقول : وأعتمد في تقريري لهذا الامر على مقارنة بين كتاب « النفس » الارسطي بترجمة أحمد فؤاد الاهواني المقابلة بالترجمة العربية القديمة والنص اليوناني ــ وكذلك نصطحب في المقارنة تحقيق ــ عبد الرحمن بدوي للنص العربي القديم بصنعة **اسحاق بن حنين** ــ وجهود ابن سينا في النفس ضمن الشفاء وأحوال النفس والنجاة فالمعلم الاول يتحدث عن البصر والسمع والشم والذوق واللمس ، ثم الحس المشترك ، والتفكير والتخييل (٦٤) ، ولكن لا نلحظ متابعة الشروح البلاغي لنصوص أرسطو وهذه النتيجة تبرهن بشكل واضح على الاستعانة المباشرة بمؤلفات ابن سينا الفلسفية .

ونرى بعد هذا العرض أن الادب العربي كان مقدرا له أن يشهد نهضة ورقيا في تفاعله مع الحياة ، وفي فتح آفاق واسعة أمامه مما يجعل نفوس متلقيه تتالق وتشكل لمحة مميزة في البناء الحضاري لكن الملابسات الاقتصادية والفكرية

حالت دون أن تأخذ تلك المعطيات النقدية النفسية مجراها في تفاعل حي فظلت في هيئة مبتورة أو ناقصة رغم أهميتها ، ونحن نعلم أن **قضايا الخيال والصورة** لعبت دورا هاما في المدارس الادبية والنقدية العالمية في المذهب **الكلاسيكي والرومانسي** ومن ثم كانت جزءا من محاورات أصحاب الجدة السريالية اضافة الى ما سبق أن بدأنا به محاضرتنا من اتجاهات التحليل النفسي للابداع والذكاء والعبقرية عامة وفي الابداع الادبي خاصة ٠

فعسى أن يكون عرضنا هذا منورا بعض الجوانب في تاريخنا الثقافي الفلسفي والادبي ـ النقدي ، كيما نبني ونجدد ونحن ندرك جذورنا الثقافية مما يجعلنا نحسن الاختيار بوعي وأصالة دون انبهار ٠

هوامش البحث

١ ـ **تلخيص الخطابة لابن رشد** ، تحقيق د٠ عبد الرحمن بدوي ط٠ مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٠ القاهرة ٠ ص ١٣١ ـ ١٣٢ ٠

٢ ـ كتاب **الخطابة لارسطو** ترجمة د٠ ابراهيم سلامة ط٠ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٣ القاهرة ص ٩٥ ٠

٣ ـ مما ترجم في الآونة الاخيرة عدد من مصنفات « **فرويد** » انظر مثلا : « **التحليل النفسي والفن** » ، « **الهذيان والاحلام في الفن** » ط٠ دار الطليعة بيروت ١٩٧٨ ٠ ومن الدراسات الهامة : **الاسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة للدكتور مصطفى سويف** وانظر المقدمة خاصة ١٩ ـ ٢٠ ط٠ دار المعارف بمصر ١٩٧٠ ، وثمة كتب نقدية من مثل **التفسير النفسي للادب للدكتور عز الدين اسماعيل** ط٠ دار المعارف بمصر ١٩٦٣ ٠

٤ ـ **تاريخ الفلسفة اليونانية** ، **يوسف كرم** ، ط٥ لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٧٠ ص ١١٢ ـ ١١٦ ٠

٥ ـ **الادراك الحسي عند ابن سينا** (بحث في علم النفس عند العرب) **د٠ محمد عثمان نجاتي** ، ط٢ دار المعارف بمصر ١٩٦١ ، ص ٢٣ ـ ٢٤ ٠

٦ ـ **النفس لارسطوطاليس** ، ترجمة د٠ أحمد فؤاد الاهواني ، وجورج شحاته القنواتي ، ط٢ دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٢ ٠

٧ ـ **النفس ، ارسطو** ص٩ ٠ وانظر ص ١١ ٠

٨ ـ **النفس ، ارسطو** ص ١٢ ، ٢٠ ، ٢١ ٠

٩ ـ النفس ، ارسطو ص ٩ ـ ١٦ ٠

١ ـ تاريخ الفلسفة اليونانية ، د٠ يوسف كرم ص ٨٨ ـ ٨٩ وانظر في : أفلاطون للدكتور أحمد فؤاد الاهواني دار المعارف بمصر

١١ ـ افلاطون ، د٠ الاهواني ص ٨٧ ـ ١٠٦ ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، كرم ، ص ٨٨ ـ ٩٢ ٠

١٢ ـ النفس ، أرسطو ، ص ١٢ ـ ١٣ ٠

١٣ ـ النفس ، ارسطو ، ص ١٥ ٠

١٤ ـ في النفس ، لارسطوطاليس ، ترجمة اسحق بن حنين ، تحقيق د٠ عبد الرحمن بدوي ، دار النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٤ ، ص ١٤ وما بعدها وص ١٩١ ٠

١٥ ـ النفس ، أرسطو ، المقدمة ص ٨ ٠ وانظر في « الحاس والمحسوس » لارسطو بتلخيص ابن رشد طبع مع الترجمة العربية القديمة « في النفس » بتحقيق د٠ بدوي ، الهامش السابق ، وانظر تاريخ الفلسفة اليونانية ، كرم ، ص ١٥٣ ٠

١٦ ـ النفس ، أرسطو ، مقدمة الاهواني ص ٨ وههنا نلحظ موافقة هذا الدارس العربي لذينك الباحثين Robin و Taylor ، ثم يعرض الاهواني آراء أخرى في هذه القضية انظر ص ٩ من المقدمة السابقة ٠

١٧ ـ كتاب « النبات » لارسطوطاليس ترجمة اسحق بن حنين ٠ تحقيق د٠ عبد الرحمن بدوي (ضمن مجموعة « في النفس لارسطو » ط دار النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٤ ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤) ٠

١٨ ـ تاريخ الفلسفة اليونانية ، كرم ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ ٠

١٩ ـ النفس ، أرسطو ص ٤٣ وانظر تاريخ الفلسفة اليونانية ، كرم ، ١٥٦ ٠

٢٠ ـ المصدر السابق ص ٤٣ ٠

٢١ ـ المصدر السابق ص ٤٤ ، ٤٧ ، ١١٢ ٠

٢٢ ـ المصدر السابق ص ٥٣ ـ ٨٦ ٠

٢٣ ـ المصدر السابق ص ٩٣ ـ ١٠١ ٠

٢٤ ـ المصدر السابق ص ١٠٢ ـ ١١٢ ٠

٢٥ ـ نشر هذا القسم من الشفاء بتحقيق الاب الدكتور جورج قنواتي والاستاذ سعيد زايد في الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٥ استكمالا لمشروع نشر

الموسوعة كاملة بداية من الخمسينات ونعيد الى مقدمة هذه الطبعة العلمية للاطلاع على المطبوعات الاخرى لها ٠

٢٦ ـ طبع **النجاة** بتحقيق محي الدين صبري الكردي بمصر ١٩٣٨ ناقصا قسم **الرياضيات** ومشتملا على **المنطق والطبيعيات ، والالهيات** ٠

٢٧ ـ حقق هذه الرسائل جميعا وقدمها في نشرة واحدة د٠ أحمد فؤاد الاهواني ، دار احياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) ، القاهرة ١٩٥٢ ٠

٢٨ ـ **الشفاء (الالهيات)** جـ١ لابن سينا ، تحقيق الاب جورج قنواتي وأسعد زايد ، وزارة الثقافة بالجمهورية العربية المتحدة ، القاهرة ١٩٦٠ ص ١٤٠ ٠

٢٩ ـ **القانون** لابن سينا ، جـ١ ط٠

٣٠ ـ **الادراك الحسي عند ابن سينا** ، د٠ نجاتي ص ٢٤ ، ٢٧ ، ٧١ ، مقدمة **الشفاء / النفس** د٠ ابراهيم مدكور ص ز ٠ **تاريخ الفلسفة في الاسلام** ، دي بور ٠ ترجمة عبد الهادي أبو ريده ص ٢١١ ـ ٢١٢ ط لجنة التأليف والنشر القاهرة ١٩٥٤ ٠

٣١ ـ الشفاء / النفس ، ابن سينا (سنحيل في الهوامش التالية إلى المواضيع التفصيلية لهذه المسائل) ٠

٣٢ ـ الشفاء / النفس ، ابن سينا ص ١٥٢ ٠

٣٣ ـ مقدمة الشفاء / النفس د٠ ابراهيم مدكور ص (ك) والادراك الحسي عند ابن سينا ، د٠ نجاتي ص ٢٨ وسواهما من المراجع ٠

٣٤ ـ **الشفاء / النفس ، ابن سينا** ص ١٠ ٠

٣٥ ـ الشفاء / النفس ، ابن سينا ص ٣٢ ـ ٣٣ ٠

٣٦ ـ الشفاء / النفس ، ابن سينا ص ٣٤ ـ ٣٥ ٠

٣٧ ـ الشفاء / النفس ، ص ٣٥ ـ ٣٧ ٠

٣٨ ـ الشفاء / النفس ، ص ١٨٤ ٠

٣٩ ـ الشفاء / النفس ، ص ١٨٤ ـ ١٨٦ ، **النجاة** ابن سينا ص ١٦٤ ٠

٤٠ ـ الشفاء / النفس ، ص ٤٠ ـ ٤١ وص ١٥٢ ٠ **والنجاة** ص ١٦٨ وص ١٨٢ ٠

٤١ ـ الشفاء / النفس ص ١٨٧ ـ ١٩٦ ٠

٤٢ ـ مفتاح العلوم ، السكاكي ٠ ط٠ المطبعة الادبية القاهرة ١٣١٧ هـ ص ١٣٧ ، وص ١٧٨ ٠ ونعتمد على طبعة مكتبة عيسى البابي الحلبي لشروح التلخيص ، القاهرة ١٩٣٧ ٠

٤٣ ـ « المعاني » علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال ·

٤٤ ـ شروح التلخيص : السبكي ١ ص ١٥٧ ، ١٦٠ ·

٤٥ ـ المصدر نفسه ص ١٧٥ ـ ١٧٨ ·

٤٦ ـ بناء على قول التلخيص : الجامع الوهمي بأن يكون بين تصورهما شبه تماثل كلوني بياض وصفرة ، فان الوهم يبرزهما في معرض المثلين أو تضاد كسواد والبياض ·

٤٧ ـ التلخيص للقزويني ص ٥٣ ـ ٥٤ ·

٤٨ ـ شروح التلخيص ، المغربي ٢/٢٧٦ ، التفتازاني ٢/٢٧٣ ·

٤٩ ـ شروح التلخيص ، المغربي ٣ / ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ ·

٥٠ ـ الشروح ، التفتازاني ٣ / ٢٧٧ ـ ٢٨٢ ·

٥١ ـ الشروح ، التفتازاني ٣ / ٢٧٧ ـ ٢٨٢ ·

٥٢ ـ النفس من طبيعيات « الشفاء » ص ١٤٨ ، وفي أحوال النفس ، ص ٦٨ ، الشروح التفتازاني ٤/١٩٧ ·

٥٣ ـ في الشفاء ، « العصبة المجوفة » ، وكذلك « الصماخ » بدلا من الصماخين · الشروح ، التفتازاني ٣/٣٣٢ ·

٥٤ ـ الشروح ، التفتازاني ٣/٣٣٦ ـ ٣٤٣ ·
٥٤ ـ المغربي ٣/٣٣٢ ـ ٣٣٣ ، ٣٣٦ ـ ٣٣٧ ، ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ·

٥٥ ـ النفس من « الشفاء » ص ٣٤ ، ٥٨ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٧٧ ·

٥٦ ـ أحوال النفس ص ٥٩ ـ ٦٠ ·

٥٧ ـ النجاة لابن سينا ص ١٥٩ ـ ١٦٠ ·

وانظر الحواس الباطنة في الشروح ت٣ ٣١٧ ـ ٣١٨ ، ٣١٨ ـ ٣٢٠ ، ٣/١٩٧ ، ٣٢٠ ـ ٣٢١ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ص ٣ / ٧٦ ـ ٧٧ ،
والحواس الظاهرة م ٣/٣٠٦ ، ٣٢٢
ـ ٣٢٣ ، ٣٣٦ ، ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ، ٣٣٨ ،
٣٤١ ، ت٣ ٣٣٤ ـ ٣٣٦ ·

٥٨ ــ الشروح ، المغربي ٣ ، ٨١ ٠

٥٩ ــ الشروح ، المغربي ٣ / ٨١ ٠

٦٠ ــ النفس من الشفاء ص ٣٥ ــ ٣٧ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٦٥ ٠

٦١ ــ النفس ص ٦١ ــ ٦٢ ٠

٦٢ ــ النجاة ص ١٦٢ ــ ١٦٣ ٠

٦٣ ــ الشروح ، التفتازاني ٣/٨٢ ــ ٨٥ ، ١٠١ ــ ١٠٢ ٠

٦٤ ــ « النفس » لارسطو ترجمة أحمد فؤاد الاهواني ص ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٩٣ ، ١٠٢ ــ ١٠٥ ، في النفس لارسطوطاليس بتحقيق د٠ عبد الرحمن بدوي ص ٤٤ ــ ٦١ ، ٦٢ ــ ٧٢ ٠

ابن سـينا
رائد الطب النفسي

الاستاذ
صلاح الدين الخالدي
باحث

ان أول عمل عظيم قام به العرب في علم الفلسفة هو التوفيق بين فلسفة اليونان والفكر الاسلامي ، بين الايمان والعقل ، بين الدين والعلم . فالفلسفة عند المسلمين هي معرفة مسببات الامور كما هي على قدر ما تستطيع الوصول الى تحقيقه قوى الانسان العاقلة ، لذا كان اهتمام الفلاسفة العرب بالنفس اهتماما كبيرا ، وهذا ما سنراه في موضوع بحثنا هذا بعد أن استحوز العرب على مجمل التراث الفلسفي اليوناني بما حوته مؤلفات « أرسطو » ، كما استحوزوا على مجمل تراث اليونان الطبي بما حوته مؤلفات « جالينوس » ، وعندما شحذ العرب أذهانهم وأعملوا في الهامش المشترك بين الفلسفة وعلوم الدين ، وبين الفلسفة والطب ، فاتحفوا العالم بمبتكرات قيمة في كل العلوم والمعرفة الانسانية ، وبما أن العلم في العصور الوسطى ، ولا سيما في العالم الاسلامي أقل تجزئة واختصاصا مما هو عليه اليوم . فالفيلسوف مثلاً ربما كان طبيبا ، ورياضيا ، وفلكيا ، وموسيقيا ، وقد يكون شاعرا ، وهذا أيضا ما تجمع في فيلسوفنا « ابن سينا » الذي ولد في عام ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م Avicenne وهي تحريف للكلمة العربية « ابن سينا » وقد أتى هذا التحريف من الكلمة العبرية Aven Sinā ويعرف ابن سينا بلقب الشيخ والرئيس أيضا واليك « سيرة حياته من أن أباه من « بلخ » أتى بخارى في زمن « نوح بن منصور » وزاول مهنة الصرافة وتزوج امرأة فرزق منها ولدين كان فيلسوفنا أكبرهما وبعدها انتقل الاب الى مركز مدينة بخارى حيث وكل الى معلم بالصبي « ابن سينا » ليتعلم على يديه مبادىء الكتابة والادب وتلاوة القرآن ، ولما بلغ العاشرة من سنيه اتفق له من التقدم ما كان يثير به العجب ، ووافق ذلك وصول بخارى دعاة الاسماعيلية من مصر كانوا يعلمون نظرية مذهبهم في النفس والعقل ، فاعتنق والد ابن سينا هذا المذهب ، وأما فيلسوفنا فيقول لنا : « وكانوا ربما تذاكروا بينهم وأنا اسمعهم وأدرك ما يقولونه ولا تقبله نفسي » وكذلك كان هؤلاء الدعاة يعلمون العلوم الدنيوية كالفلسفة اليونانية، والهندسة، وحساب الهند » ، وقد تعلم « ابن سينا » هذا النوع من الحساب من تاجر يقال له « محمود المساح » ثم توجه تلقاء بخارى الحكيم « أبو عبد الله الناتلي » فأنزله والد « ابن سينا » عنده وآواه وأكرمه ، فتعلم منه فيلسوفنا مبادىء المنطق ، وكان الناتلي يدعى « المتفلسف » ومن مبادىء المنطق انطلق « ابن سينا » يدرس بنفسه ، فقرأ رسائل المنطق وأنعم النظر في الشروح ، وقد فعل مثل هذا

لم يكن أولئك الذين سماهم العرب «فلاسفة» نسخا عن سابقيهم من الفلاسفة اليونانيين، فهم رغم أنهم جميعا باحثون عن الحقيقة الا أنهم خطوا في أبحاثهم خطوات طبعوا عليها سماتهم الخاصة ، ويقدم « الشهرستاني » قائمة بأسماء عشرين رجلا استحقوا لقب « الفيلسوف » قبل ظهور « ابن سينا » ، وأشهر الذين ذكرهم « الشهرستاني » من أولئك اثنان هما : « الكندي » و « الفارابي » وهما العميدان الكبيران اللذان يهيمن اسمهما على الدور التدريجي للفلسفة العربية الممتد مدى القرنين السابقين لابن سينا ٠

فعلم النفس عند الكندي الذي يسميه في رسالة (العقل) الموجزة حيث النفس عنده هي على ذات النقطة فيما بعد الطبيعة عنده ، فهو يميز أربعة أنواع أو درجات للعقل ، ثلاثة منها داخل النفس ، وواحدة منها خارجها ٠ وأول هذه الانواع الثلاثة التي في النفس هو بالقوة ، وثانيها بالفعل على وجه تمارس النفس به هذا الفعل متى تريد ، وذلك كالكاتب الذي يمارس فن الكتابة وثالثها هو هذا العقل الذي هو في حال الاستعمال فعلا ككتابة الكاتب ، وأما النوع الذي يوجد خارج النفس فهو العقل الفعال ، وهذا النوع من العقل غدا ذا شأن كبير في فلسفة « الفارابي » وفلسفة « ابن سينا » فيما بعد ٠ فالعقل الفعال عند « الكندي » هو (أن كل ما كان بالقوة يخرج الى الفعل بآخر هو ذلك الشيء بالفعل) ، فاذن النفس العاقلة بالقوة وخارجة بالفعل الاول (العقل الفعال) ، بشيء من القوة ، ومتى اتحدت النفس بالصورة المعقولة ، نظرا الى العقل الفعال ، فان هذه الصورة والعقل يكونان الشيء عينه في النفس ، بيد أن العقل الذي يكون بالفعل دائما ، وخارج النفس ، أي العقل الفعال ، ليس المعقول عينه ، ولا مكان لهذه المطابقة في غير النفس ٠

النفس عند الفارابي يوجد لدينا كتاب رئيسي لدراسة علم النفس عند الفارابي وهي رسالته حول معنى كلمة « العقل » ٠

كان لهذه الرسالة الناضجة في أسلوبها أهمية عظيمة في القرون الوسطى فترجمت الى اللاتينية عدة مرات في عصر النهضة الاوربية بعنوان « العقل » أو « العقل والمعقول » ٠

في هذه الرسالة تناول الفارابي ذات المسألة في رسالة « العقل » للكندي ، ولكن مع دقة ووضوح أكثر مما في هذه بدرجات ، فهو يصنع كما صنع الكندي فيقسم العقل الى أربع درجات ، وهي العقل بالقوة ، والعقل بالفعل ، والعقل المستفاد ، والعقل الفعال ٠ وهو على ـ حد تعبيره ـ يقول : « ان العقل الذي هو بالقوة هو نفس ما أو جزء نفس أو هو قوة من قوى النفس أو شيء ما ذاته معدة أو مستعدة لان تنتزع ماهيات الموجودات كلها وصورها دون

موادها فتجعلها كلها صورة لها » · ومتى صارت هذه الصور التي كانت مواد خارج النفس ، معقولات بالفعل : « فان هذه المعقولات بالفعل ليس وجودها من حيث هي معقولات بالفعل ، هو وجودها من حيث هي صور في مواد » · و « متى عقل العقل بالفعل لم يعقل موجودا خارجا عن ذاته ، بل انما يعقل ذاته » · ويطلق اسم العقل المستفاد ، وهو اسم حال العقل الثالثة ، على العقل بالفعل في وقت عقله المعقولات التي هي صورة ، ولهذه المعقولات وجود بذاتها ، فان الوجه الذي به نقول فيما هو فينا بالفعل عقل انه فينا ، فعلى ذلك المثال ينبغي أن يقال في تلك الصور انها في العالم » · والعقل المستفاد هو كالقوام لهذه المعقولات التي هي صوره الحاضره ، ولكنه ذاته كالصورة بالنسبة الى المعقول بالفعل ، وذلك على حين يكون العقل بالفعل اليه كالقوام والهيولي ، والعقل بالفعل هو صورة بدوره ، وذلك بالنسبة الى العقل بالقوة ، وهذا العقل بالقوة هو كالهيولي من حيث الاساس ، ويهبط بعد هذا ، الى الصورة الجسمية والمادية ، ولهذا توجد سلسلة تصعد فيها الصور بدءا من المادة الاولى التي في الاساس متفرقة من المادة بالتدريج ، وتكون أصفى صور المادة متفوقة ، ويوجد تحت العقل بالقوة قوى النفس الاخرى التي هي دون هذه الدرجة من العقل ، ثم توجد الطبيعة وصور العناصر التي هي أسفل صوّر في الوجود ، ويوجد فوق العقل المستفاد عقول الاجسام المنفصلة ، ويكون العقل الفعال في المرتبة الاولى ·

علم النفس (الانفس) عند ابن سينا :

جرت عادة القدماء أن يبدأوا بتعريف العلم الذي يبحثونه ، ولم يكن تعريف النفس مجهولا عند « ابن سينا » منذ أن وضع أرسطو أركان علم النفس فالنفس عنده هي : « النفس كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة » · غير أن « ابن سينا » ينظر الى الاجسام الطبيعية ، ويقسمها من جهة القوى الفعالة فيها الى قسمين :

١ ــ قوى تعمل في الاجسام بالتسخير ·

٢ ــ قوى تفعل بالقصد والاختيار ·

والطبيعة عند ابن سينا اسم للقوى الفعالة على سبيل التسخير فعلا أحدي الجهة · وان النفس النباتية اسم للقوى الفعالة على سبيل التسخير فعلا متكثر الجهة ، والنفس الحيوانية اسم للقوة الفاعلة على سبيل القصد والاختيار فعلا متكثر الجهة · أما النفس الانسانية فهي اسم للقوة الفاعلة على سبيل القصد والاختيار فعلا أحدي الجهة ·

حيال هندسة « اقليدس » بعد أن كان تعلم على « الناتلي » خمسة أشكال أو ستة ، ثم انتقل الى دراسة المجسطي ، ثم اشتغل بتحصيل الكتب من النصوص والشروح من الطبيعي والالهي (وصارت أبواب العلم تنفتح عليه) · على حد تعبيره ـ هناك رغب في علم الطب ، وبرز فيه في أقل مدة لان علي ـ حد قوله ـ (علم الطب ليس من العلوم الصعبة) · فبعد أن أخذ « ابن سينا » يقرأ الكتب المصنفة فيه وصار يتعهد المرضى ، فانفتح عليه من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف ، وبدأ الاطباء يقدمون للدراسة عليه ، مع أن سنه كانت لا تزيد عن ست عشرة سنة في ذلك الحين · وهكذا يتبحر « ابن سينا » الشاب في سلسلة من العلوم المنطقية والطبيعية والرياضية والطبية الى الحد الذي يستطيع الرجل أن يبلغه وكان قد فرغ من هذه العلوم كلها في الثامنة عشرة من سنيه ، ولما بلغ الحادية والعشرين من عمره صار يؤلف ، وفي الثانية والعشرين فقد أباه ، ودخل الحياة السياسية ، وقلده السلطان شيئا من أعماله · ثم أخذ في التنقل بين المدن وفي جرجان اتصل به « أبو عبيد الجوزجاني » وعندها تقف سيرة « ابن سينا » بقلمه لتبدأ سيرته على يد تلميذه « الجوزجاني » الذي هو شاهد عياني لسيرة فيلسوفنا · وفي « جرجان » اشترى « أبو محمد الشيرازي » المحب للعلوم دارا لابن سينا في جواره كان يتلقى من أستاذه في كل يوم دروسا في الفلك والمنطق ، وصنف له « ابن سينا » وهو في هذا المنزل قسما من مؤلفاته ، ثم انتقل « ابن سينا » الى الري واتصل بسيدة الري وابنها « مجد الدولة » واشتغل بمداواته وكان هذا الآمير مصابا بالسوداء ، ثم سافر « ابن سينا » الى قزوين والى همذان · وكان أميرها « شمس الدولة » مريضا فعالجه وشفاه · ثم يسند اليه منصب الوزارة ، وثم ثار الجند عليه وسجنوه ، فلما أقصاه الامير عن الوزارة اختفى في دار صديقه « أبو سعيد بن دخدوك » فلما عاود المرض الامير وبحث عن « ابن سينا » قلده الوزارة مرة أخرى ، واختار « الجوزجاني » الوقت ليطلب من أستاذه « ابن سينا » أن يؤلف شرحا عاما على كتب أرسطو ففعل فيلسوفنا وابتدأ بالطبيعيات من كتاب « الشفاء » وكان قد صنف الكتاب الاول في الطب (القانون) وكان يجمع في كل ليلة في داره لفيفا من أهل الفضل وطلبة العلم وكان « الجوزجاني » يقرأ « الشفا » نوبة ، ويقرأ « القانون » نوبة ، وهكذا تتناوب القراءة حتى يكون كل واحد قد قرأ في دوره ، ثم تناول الشراب ، وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار خدمة للامير وعلى هذه الصورة كان الشيخ الرئيس يقضي حياته في « همذان » بيد أن حاميه مات ، وخلفه ابنه « شمس الدولة » الذي عهد اليه بمنصب الوزارة ، فرفض « ابن سينا » ذلك المنصب واختبأ في دار « أبي غالب العطار » حيث قام بتصنيف كتبه فألف فصول الطبيعيات ، وما بعد الطبيعة من كتاب الشفاء ، خلا كتابي الحيوان والنبات ، وفي غضون ذلك راسل أمير أصفهان « علاء الدولة » لكي يكون في جواره ولكن أمير همذان الجديد « تاج الملك » يعلم بهذه المراسلة السرية ويغضب

ويأمر بالقبض على فيلسوفنا الذي دل عليه أعداؤه ، فأودع قلعة « فردجان » ، ثم بعد أشهر يغادر سجنه ويخرج من « همذان » متنكرا مع تلميذه « الجوزجاني » وأخيه وغلامين معه في زي الصوفية ، ويصلان الى « أصبهان » ويحسن الامير « علاء الدين » قبوله ويكرمه • ويستمر « ابن سينا » في عقد ندواته العلمية ومجالسه الفلسفية وفق المنهاج الذي اتبعه في همذان ، وكان الامير نفسه يرأس هذه المجالس ، فأتم « ابن سينا » الشـفاء وصـنف كتبا كثيرة ، ولا سيما « النجاة » • واستمر في البقاء بجوار الامير حتى وفاته سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م عن ثمان وخمسين سنة من عمر حافل بالنشاط العلمي ألف فيه كتبا عديدة في شتى ميادين العلم والمعرفة ولا سيما في علم النفس موضوع بحثنا عنه حيث نجد من رسائله الكثيرة جدا عن النفس رسائل معزوة اليه ومن الصعب على حد قول ـ البارون كارا دو فو ـ أن يعرف بعنوانها وحده هل هذه الرسائل هي خلاصات من كتب عامة في الفلسفة ، ولا سيما من « النجاة » ، أو هي مؤلفات خاصة مستقلة • وقد نشر « لندوير » رسالة في علم النفس لابن سينا وتحمل ترجمة لاتينية قديمة لهذه الرسالة محفوظة في فلورنسا اهداء للسلطان « نوح بن منصور » ، وهذا يدل على أن هذه الرسالة من عمل « ابن سينا » في شبابه ، ولفيلسوفنا رسالة في النفس نقلها الى اللاتينية «أندره البلوني» توجد كمخطوطة في المكتبة البودلية باكسفورد رقم (٣٦٦) ، وكانت قد طبعت مع رسائل أخرى لابن سينا في البندقية عام ١٥٤٦ م ، وتوجد في معظم قوائم مكتبات أوربا رسائل في النفس ، كالتي بسان بطرسبرغ « ستالينغراد » رقم (٢٠٥٢) وبليدن رقم (١٤٦٤ ، ١٤٦٧ •• الخ) • وبالاسكوريال رقم (٦٥٦ ، ٦٦٣) وبالمتحف البريطاني (القسم الثاني من القائمة ذات الصفحة ٢٠٩) ، وبأماكن أخرى • هذا اضافة الى أن لابن سينا قصيدة شعرية صغيرة في النفس نقلها « ابن أبي أصيبعة » نقلا ناقصا في حديثه عنه ويبين قطع شعرية أخرى ، واشتهرت قصيدته الشعرية العينية هذه في الشرق ، وشرحت عدة مرات ، وقد نشرها وترجمها في القرن الماضي عام (١٨٩٩ م) « البارون كارادوفو » في المجلة الآسيوية الجزء الثاني في الصفحة (١٥٧) • فضلا عن ذلك فان « الجوزجاني » يذكر كتبا مختلفة في « علم النفس » لفيلسوفنا منها كتاب « مناظرات في النفس » مع أبي علي النيسابوري ، ورسالة في « القوى الانسانية وادراكاتها » التي طبعت بالآستانة في مجموعة (رسائل في الحكمة) •

علم النفس عند العرب قبل ابن سينا :

لا يخلو فيلسوف من كلام في النفس الانسانية ، لانها أقرب الاشياء الينا ، وهي الى ذلك القرب شديدة الغموض ، وقد ضرب العلم الحديث صفحا عن طلبها، واكتفى بتحليل الظواهر النفسية ، وترك للفلاسفة ميدان الجوهر يسلكون اليه السبيل ، عسى أن يصلوا يوما الى معرفة حقيقة النفس •

وقد يقال عن النفس ، انها قوة ، أو صورة ، أو كمال • فهي قوة بالنسبة الى فعلها ، وصورة بالقياس الى المادة ان كانت ممتزجة بالمادة ، وكمال بالقياس الى النوع الحيواني والانساني •

ميز ابن سينا بين النفس والعقل ، فالنفس تقال « عند وجودها فعالة في جسم من الاجسام » • « أما اذا فارقت فالاشبه أن تسمى العقل » • وهكذا فالصلة بين النفس والعقل صلة دقيقة غامضة • وعنده أن القوى المدركة صنفان ، صنف يدرك من خارج ، وهذه الحواس الخمس ، وصنف يدرك من باطن ، وهذه اما أن تدرك صور المحسوسات ، واما أن تدرك المعاني المستمدة من المحسوسات ، واما أن تتصرف في الصور والمعاني فتركب بعضها مع بعض • ولكل نوع من أنواع هذه الادراكات اسم معين • وأول هذه القوى « فنطاسيا » وهو اسم يوناني يراد به التخيل ، وتسمى الخيالة أو المتخيلة Phantasia مشتقة من فـاوس Phaos أي النور • ويسميها « ابن سينا » (الحس المشترك) ومكانها التجويف الاول من الدماغ ، وتقبل جميع الصور المنطبعة في الحواس • وأن القوة التي تلي فنطاسيا (بنطاسيا) التي يسميها فيلسوفنا تارة (الخيال) ، وتارة أخرى (المصورة) ، وموضعها آخر التجويف المقدم من الدماغ ، ووظيفتها أن تحفظ ما قبله الحس المشترك بعد غيبة المحسوسات • والقوة الثالثة هي المتخيلة ، وتسمى (المفكرة) بالنسبة الى النفس الانسانية ، وموضعها في التجويف الاوسط من الدماغ ، ومن شأنها أن تركب بعض الخيال مع بعض وتفصله عن بعض بحسب الاختيار • والرابعة هي (المتوهمة) أو (الوهمية) ، ومركزها في نهاية التجويف الاوسط من الدماغ ، وهي التي تدرك المعاني غير المحسوسة الموجودة في المحسوسات الجزئية • والقوة الخامسة هي (الذاكرة) أو (الحافظة) ، ومركزها في التجويف المؤخر من الدماغ ، وتحفظ ما تدركه القوة الوهمية • الى هنا تنتهي القوى الحيوانية الباطنية • وقد لاحظ الدكتور أحمد فؤاد الاهواني على القوى الحيوانية عند « ابن سينا » أمرين :

الاول ان علم النفس الحديث عدل عن القول بوجود قوى أو ملكات تصدر عنها الافعال النفسانية • والثاني أن ابن سينا يجعل لكل قوة من هذه القوى مركزا في الدماغ ، ويسمي هذه المركز آلة ، فكما أن الحواس المختلفة تدرك بآلات ، كالبصر العين آلته ، كذلك التخيل أو التصور أو الوهم له آلة خاصة به • أما العقل فلا آلة له ، وهذا أيضا مما لا يسلم به علم النفس الحديث ، فهو يقر بوجود مناطق في المخ تختص كل منطقة منها بوظيفة نفسانية ، حتى التفكير والتعقل • وهذا كله يدل على أهمية « علم النفس السينوي » وعلى أثره العظيم في العصور الوسطى (فنقلت كتبه ورسائله في النفس الى اللغة اللاتينية من أول مؤلفاته في النفس التي كانت بعنوان « رسالة القوى النفسانية » التي الفها في صدر شبابه فاستهل بها حياته الفكرية لانه في رأيه « من عرف

نفسه فقد عرف ربه » • وبعد أربعين سنة من تأليف هذه الرسالة ألف رسالة أخرى صغيرة في « النفس الانسانية » وبها اختتم أبحاثه في النفس وفي خلال هذه السنوات ألف كثيرا من الرسائل النفسية ، وكذلك الفن السادس من الطبيعيات في كتابه « الشفاء » ـ كما أسلفنا ـ وهو كتاب النفس الذي يعد أوفى ما كتب في هذا الباب • أما أثره من ناحية علم النفس في الفلاسفة الاسلاميين فلا يحتاج الى دليل ، فقد أقر له المتأخرون ، وسموه الشيخ الرئيس ، واحتذوا مثاله في معظم أبواب علم النفس •

قام « ابن سينا » أيضا بتأليف رسالته التي تسمى (أحوال النفس) لكي يتاح لطالب هذا العلم أن يطلع عليه في كتاب مستقل يحتوي على جملة آرائه الرئيسية في النفس ، بعد أن كان قد ذكر كثيرا من قضايا النفس في الشفاء الذي اختصره أو على الاصح نقل بعضه بتمامه في (النجاة) لان(الشفاء) من الضخامة بحيث لا يقوى على اقتنائه والاطلاع فيه الا الخاصة • أما (النجاة) فهو مختصر (الشفاء) أيسر تداولا ، وأليق بأوساط المتعلمين ، ومع ذلك فان المباحث النفسانية متفرقة في كتاب (النجاة) لان بعضها يأتي في آخر قسم الطبيعيات ، وبعضها الآخر في آخر القسم الالهي • لهذا السبب رأى « ابن سينا » أن يجمع أطراف هذا العلم المتفرقة في (النجاة) ويجعله متسقا مترابطا في رسالة مستقلة سماها (أحوال النفس) •

موقع علم النفس السينوي من علم النفس الحديث :

نقلت آراء « ابن سينا » الى الفلاسفة المتأخرين في الغرب خلال أبحاث الفيلسوف اليهودي « موسى بن ميمون » وألبرت العظيم الذي عاصر القديس توماس وتلميذه « ألبرت » المسمى أريخ الستراسبرغي Urich of Strasburg و « جنديسالفي » الذي يعتبر كتابه في (خلود النفس) ثلثه مقتبس من أقوال وأفكار « ابن سينا » ، وكذلك فان فلسفة القرن الثالث عشر الميلادي ما هي الا فلسفة سميت حديثا بالفلسفة الاوغسطينية الضاربة الى السينوية •

وخير من يمثل هذه الحقبة هو « روجر بيكون » ١٢١٤ ـ ١٢٩٤ م فقد وقف على الكتب الاسلامية وأفاد منها ، وبخاصة كتب « ابن سينا » و « ابن الهيثم » • كان أعرف معاصريه بحياة ابن سيناومصنفاته فهو يعتبره أول اسم كبير بعد ارسطو و (أهم شراحه) و (زعيم الفلسفة) واعتنق توماس الاكويني رأي ابن سينا في طبيعة الكون ، ونجده في كتابه « شرح الاحكام » في المقالتين الاولى والثانية يحيل ثلاث عشرة مرة القارىء الى كتاب لابن سينا (في المعقول) ومرة الى كتاب له في (صدور الموجود) وقد ضاع الكتابان وكانا مقتبسين من جزء الشفاء في ما بعد الطبيعة • ويبدو اعتداده بابن سينا

وابن رشد في رسالة (في الوجود والماهية) يكثر فيها من ذكرهما تارة للاستشهاد وطورا للمناقشة • وأيضا من ثمرات المذهب الحسي الآنف الذكر « الاوغسطيني ــ السينوي » كتاب « في النفس » (De Anima) لكبير أساقفة طليطلة « يوحنا الطليطلي Jean de la Rochelle فهذا الكتاب مؤلف شخصي لكنه متأثر كلية بابن سينا وهذا الكتاب ذاته نسب بعض الوقت الى « جند يشلب Gundisalvi » وفي ذلك يقول عن هذا الكتاب « جيلســون M. Gilson » : (ان كتاب النفس المنسوب الى جند يشلب ــ القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ــ يعين بدء دخول آراء ابن سينا في الفكر المسيحي) • وفي القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ، نجد هذا الاتجاه ظاهرا الى حد كبير أو قليل في كتابات « ويليام الاوفيرني William of Auvergne » وفي أعمال كبار رهبان الفرنسسكان

من أساتذة جامعة باريس من أمثال « اسكندر الهاليسي Alexander of Halaies و « يوحنا دي لاروشيلJean de la Rochelle » والقديس بونافنتورا St. Bonaventura بالاضافة الى الفرنسسكان الانكليز من أمثال « روبرت جروسيتست Robert Grosseteste » ، و « يوحنا بيكهام John Peckham » وقد قدر لهذا الاتجاه الآتي من ابن سينا أن ينتشر ويزدهر الى أقصى حد في فكر « روجر بيكون Roger Bacon » المستنير الذي تأثر بابن سينا ــ كما ورد سابقا ــ الى درجة ان نظريته عن قداسة البابا تتفق تمام الاتفاق مع النظريات التي قال بها « ابن سينا » عن الخلافة • ولنضيف الى ما تقدم ان التأثير الضخم الذي كان لفكر « ابن سينا » في ذلك الوقت ، تجاوز كثيرا الاطار الخاص للمذهب (الاوغسطيني ــ السينوي) بمعناه الضيق ، ونجد هذا التأثير حيا قويا في تعريف ألبرت الاكبر Albertus Magnus للنفس وفي نظريته في النبوة • كما أن اقتباسات القديس « توما الاكويني » ــ الآنف الذكر ــ قد شملت أيضا كثيرا من عناصر عدته من الوسائل والمنهج والمصطلحات ، كما أن « دانس سكوتس Dans Scotus » اتخذ من فلسفة « ابن سينا » الى حد ما أساسا بنى عليه أقواله فيما وراء الطبيعة وأخيرا حاول بعض العلماء أن يجدوا عند ابن سينا سوابق للكيجيتو الديكارتــي التي تقول : (أنا أفكر ، اذن أنا موجود) (Cogito ergo sum, di cartesio. فالمشهور عن «ديكارت» أنه امام الفلسفة الاوربية الحديثة وهو مسبوق الى ثلاثة من أهم قضاياه الفلسفية فيما كتبه « الغزالي » و « ابن سينا » على الخصوص • وأول هذه البراهين اليقينية عند « ديكارت » هو قضيته التي يثبت بها الوجود وهي المقولة التي أطلق عليها اسم (الكيجيتو الديكارتي) فيقول : (أنا أفكر ، فأنا موجود) وهي بعينها قضية (الانسان المعلق) بالفضاء كما عبر عنه « ابن سينا » حين تصدى لاثبات (الانية) أي وجود النفس بمعزل عن الموجودات الخارجية • فقال : « يجب أن يتوهم الواحد منا كأنه خلق دفعة واحدة وخلق كاملا ، ولكنه حجب بصره عن مشاهدة الخارجات ، وخلق يهوى في الهواء أو الخلاء هويا لا يصدمه فيه قوام الهواء

صدما يحوج الى أن يحس ، وفرق بين أعضائه فلم تتلاق ولم تتماس ، ثم يتأمل أنه هل يثبت وجود ذاته ، فلا يشك في اثباته لذاته موجودا ، ولا يثبت مع ذلك طرفا من أعضائه ولا باطنا من أحشائه ولا قلبا ولا دماغا ولا شيئا من الاشياء من خارج ، بل كان يثبت ذاته ولا يثبت لها طولا ولا عرضا ولا عمقا . ولو أنه أمكنه في تلك الحال أن يتخيل يدا أو عضوا آخر لم يتخيله جزءا من ذاته ولا شرطا في ذاته . وأنت تعلم أن المثبت غير الذي لم يثبت ، والمقر به غير الذي لم يقر به . فان للذات التي أثبت وجودها خاصية لها ، على أنها هو بعينه غير جسمه وأعضائه التي لم تثبت » .

وواضح أن هذه البرهنة ــ كبرهنة ديكارت ــ قائمة على أن الادراكات المتميزة تستلزم حقائق متميزة تصدر عنها ، وأن الانسان قد يستطيع أن يتجرد من كل شيء ، اللهم الا من نفسه التي هي عماد شخصيته وأساس ذاته وماهيته . ونأتي بعد ذلك مسالة الموجودات وحاجتها الى النعمة الالهية لدوام قوة الوجود فيها فهي لا تكسب الايجاد مرة واحدة بل تكسبه على التجدد بنعمة فياضة من الله جل وعلا ، وهذا هو مذهب « ابن سينا » و « ديكارت » ، وان في براهين « ابن سينا » جهدا وابتكارا وآراء قيمة تسمو به على بيئته وتلتقي مع ما انتهى اليه علماء النفس المعاصرون .

وقد سبق « ابن سينا » أطباء عصره في بيان الاساس العلمي للطب العقلي فقد أدرك كما بينا العلاقة بين الجسم والعقل ، وهي علاقة وثيقة الصلة وعلى أن التأثير في العقل بالوهم أو الايحاء الذاتي يؤثر في الجسم بالمرض أو الشفاء . ففي كتابه الشفاء في جزئه الاول وفي الصفحة / ٣٤٤ يقول : « تأمل حال المريض الذي نوهم أنه قد صح ، والصحيح الذي توهم أنه قد مرض ، فان كثيرا ما يعرض من ذلك أن يكون اذا تأكدت الصورة في نفسه وفي وهمه ، انفعل منه عنصره (جسمه) فكان الصحة أو المرض . ويكون ذلك أبلغ مما يفعله الطبيب بآلات ووسائط . ولهذا السبب يمكن الانسان مثلا أن يعدو على جذع تبقى مطروحة في القارعة من الطريق ، وان كانت موضوعة كالجسر وتحتها هاوية ، لم يجسر أن يمشي عليها دبيبا الا بالهوينا ، لانه يتخيل في نفسه صورة السقوط تخيلا قويا ، فيجيب الى ذلك طبيعة وقوة أعضائه ، ولا يجيب ضده من الثبات والاستقرار ، فالصورة اذا استحكم وجودها في النفس ، واعتقاد أنها يجب أن توجد فقد يعرض كثيرا أن تنفعل عنها المادة التي من شأنها أن تنفعل عنها » .

ففي هذه الاقوال حقائق علمية يعتمد عليها كثيرا علم النفس الحديث وعلماء الطب النفسي في علاج مرضى النفوس عن طريق الايحاء الذاتي ، وقد

بطول بك العجب أن ترى كبار الاطباء النفسانيين الفرنسيين هو الكتور « كوه Coué » شرح بكثير من التفصيل عن تأثير الوهم في قوة الارادة وهو يعتبر من الاطباء المعاصرين لنا ٠

ومن آيات أهمية علم النفس السينوي أن لابن سينا سبقا آخر في استخدامه طرق « التداعي النفسي » فنجد في موسوعته الطبية « كتاب القانون » في الجزء الثاني الصفحة (٧١) في فصل العشق ، في وصفه لمرض العشق وحالة مريض العشق فيقول : « هذا مرض وسواسي شبيه بالمالنخوليا يكون الانسان قد جلبه الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل التي له ثم أعانته على ذلك شهوته أو لم تعن ٠٠ » ثم يصف لنا كيف يتغير نبض العاشق وحاله عند ذكر المعشوق خاصة ، وعند لقائه بغتة ، ويمكن من أن يستدل على المعشوق من هو اذا لم يصرح بذلك العاشق عن طريق التداعي النفسي والحيلة في ذلك أن يذكر أسماء كثيرة تعاد مرارا ، وتكون اليد على نبض المريض ، فاذا اختلف النبض اختلافا كبيرا ، وصار شبه المنقطع ، ثم عاودت وجربت ذلك مرارا علمت اسم المعشوق ٠ ثم يذكر كذلك السكن والمساكن ، والحرف والصناعات ، والنسب والبلدان وتضيف منها الى اسم المعشوق ، ويحفظ النبض ، حتى اذا كان يتغير عند ذكر شيء مرارا جمعت من ذلك خواص معشوقه من الاسم والمحلة والحرفة ، وعرفته ٠ فانا قد جربنا ذلك ، واستخرجنا ما كان في الوقوف عليه منفعة ٠٠ والتطبيق على ذلك نجدها في حادثة رواها « النظامي السمرقندي » عن « ابن سينا » وهو يقوم بفحص عاشق في كتاب « جهار مقالة » ففي هذا الكتاب يروي « السمرقندي » الحالة التالية : وهي أن ابن أخت « شمس المعالي قابوس بن وشكمير » أمير جرجان عرض ابن أخت هذا الامير على طبيبنا الفيلسوف وكان قد أعيا الاطباء أمره ، فلما رآه وخاطبه في شأن مرضه تبين له أن شفاء هذا المرض يتوقف على معرفة محبوبته وازالة ما عنده من وجدانات وعواطف مكبوتة وكامنة مرتبطة بمحبوبته ، فأخذ « ابن سينا » على نفسه أن يعرف اسمها وشخصها بأية وسيلة فأمر باحضار أكبر سكان المدينة سنا وأعرفه بأحيائها وسكانها ، فلما حضر قال له : « أتعرف شوارع هذه المدينة وسكانها » ٠ قال له « نعم » ٠ فأمره أن يذكر أسماء الشوارع شارعا شارعا ، وهو قابض على يد المريض العاشق ، ليتعرف على مقدار سرعة نبضه ، فلما ذكر اسم أحد الشوارع أسرع نبض المريض فأمر « ابن سينا » الرجل أن يذكر له الشوارع المتفرعة من هذا الشارع الرئيسي ، فلما أتى الى اسم أحدها ازدادت سرعة النبض ثانية ، فأمر رجلا آخر أن يقص عليه أسماء البيوت الواقعة ضمن هذا الشارع الفرعي ، فعندها لاحظ طبيبنا زيادة نبض المريض عند ذكر أحد البيوت ، فطلب ابن سينا من رجل آخر خبيرا بأسماء القاطنين في هذه الدار من الفتيات والبنات ، فلما ورد اسم محبوبته

أسرع نبض مريضنا العاشق ، فالتفت « ابن سينا » الى المريض مواجها اياه باسم محبوبته قائلا له : (أليست هذه محبوبتك) فأقر واعترف ، ولم يلبث أن شفي من علته ·

فأمثال هذه الممارسات العلاجية في الطب النفسي قام بها « ابن سينا » قبل ما يقارب الالف سنة أصبحت حقائق علمية في عصرنا الحاضر بعد أن مر المريض النفسي في فترات من تاريخنا تائها في حجرات الدجالين والمشعوذين ودعاة العلم بالارواح ·· فزادت معاناته فوق ما يعانيه من آلام المرض النفسي التي هي أشد ضراوة من آلام أي مرض آخر وان حضارة الشعوب من وجهة الطب النفسي عزت في أيامنا وتقاس بمدى اهتمامها بمرض النفوس والعقول ، وان الذي صنعه « ابن سينا » في القصة الآنفة الذكر لم يصل الى معرفته عمليا والاستفادة منه في عصرنا الا بعد مئات من السنين ، فقد روى قاض عربي كبير هو الاستاذ « محمد فتحي » أستاذ علم النفس الجنائي بمعهد الدراسات الجنائية بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الاول سابقا ، وهي جامعة القاهرة حاليا فانه قام بتطبيق نظرية « ابن سينا » حول تسارع نبضات القلب بتأثير الانفعالات النفسية مستندا الى تجارب العلامة « منستربرغ » أستاذ علم النفس بجامعة « هارفورد » بالولايات المتحدة الامريكية · فيقول الاستاذ « محمد فتحي » عندما كان مستشارا لمحكمة استئناف مصر أنه « بينما أنا مسترسل في أفكاري وحيرتي ، اذ تذكرت في الحال بعض تجارب العلامة « منستربرغ » بشأن ضربات القلب وتأثير الانفعالات النفسية فيها »، فوضعت يدي في يد المتهم :· ولما تملكت موضع النبض منه ، وأصبحت دقات قلبه تحت اشرافي ومراقبتي ألقيت عليه عدة أسئلة متتابعة بشأن محل اخفاء السلاح »، وعددت الامكنة التي يحتمل أن يكون اخفاه فيها ، فذكرت له بعض المزارع ثم ساقيته الخاصة ثم الترعة فالقناة فالمصرف المائي ، وهكذا ، فلاحظت أن النبض عند ذكر المصرف كان يشتد ويسرع كثيرا ، واذا ما حولت الكلام عنه الى أماكن أخرى كان النبض يهدأ ويكاد يعود الى حالته الطبيعية ، فتكرار ذكر المصرف المائي يعود النبض يقوى ويسرع ، وكان أثر الانفعال محسوسا لدرجة أثارت دهشتي ، وكانت دقات قلبه قوية واضحة حتى خيل الي أني أسمعها من صدره ، فترجح لدي أن المتهم ألقى سلاحه في ذلك المصرف ، وبالفعل لم تمض خمس دقائق في البحث حتى انتشلت البندقية من قاع المصرف ·

من كل ما تقدم في بحثنا عن النفس عند ابن سينا ما يدل على أنه رائد من رواد «علم النفس» وعلم من أعلامها ، فهو من الذين مهدوا لظهور هذا العلم وكعالم من علماء هذا العلم نادى بأن للمخ مكانا محددا لكل جزء منه وظيفة خاصة به ، فدرس الاضطرابات العصبية ، وعرف بعض الحقائق النفسية والمرضية عن طريق التحليل النفسي وكان يرى ان للعوامل النفسية والعقلية كالحزن والخوف

والقلق والفرح والعشق وغيرها تأثيرا كبيرا في أعضاء الجسم ووظائفها ، ولهذا لجأ ـ كما أسلفنا ـ الى الأساليب النفسية في معالجة مرضاه بالعلاج النفسي معتمدا على الفهم العلمي لظواهر السلوك والتحسين المستمر لحالة مرضاه مما يدل على عبقريته العلمية في مجال الانتقال من ميدان البحوث العلمية الى مجال التطبيق العلمي العملي لنتائج البحوث التي كان يقوم بها ٠ مما أهل « ابن سينا » أن يعتبر « أعظم علماء الاسلام ومن أشهر مشاهير العلماء العالميين بشهادة مؤرخ العلم (جورج سارتون) » ٠ وحق له أن نرفع ذكره ونخلد اسمه بمناسبة مرور ألف سنة على ولادته لما له من أثر في العلم وقدم راسخة في البحث والتنقيب ، ووفرة في الكتابة والتأليف ، فذكره عاطر في الخافقين جدير بفخر العالمين العربي والاسلامي والانسانية جمعاء ٠

المصـــــــادر

أحوال النفس	ابن سينا	تحقيق د٠ أحمد فؤاد الاهواني
كتاب النفس	أرسطوطاليس	نقله الى العربية د٠ أحمد فؤاد الاهواني
كتاب الشفاء	ابن سينا	
كتاب القانون	ابن سينا	
عيون الانباء في طبقات الاطباء	ابن أبي أصيبعة	تحقيق د٠ نزار رضا
تاريخ حكماء الاسلام	ظهير الدين البيهقي	تحقيق محمد كرد علي
تاريخ مختصر الدول	ابن العبري	
ابن سينا	البارون كارادوفو	تعريب عادل زعيتر
تاريخ الحضارة الاسلامية	ف٠ بارتولد	تعريب حمزة طاهر
المدارس الفلسفية	د٠ أحمد فؤاد الاهواني	
الفلسفة الاسلامية	د٠ محمد عاطف العراقي	
تاريخ الفلسفة الاوربية	يوسف كرم	
تراث الاسلام	شاخت وبوزورث	
أثر العرب في الحضارة الاوربية	عباس محمود العقاد	
في الفلسفة الاسلامية	د٠ ابراهيم مدكور	
الطب النفسي	د٠ عادل صادق	
الصحة النفسية	د٠ سلوى الملا	
العلوم عند العرب	قدري حافظ طوقان	
من تراث ابن سينا	د٠ محمد عارف طرقجي	مجلة الشرطة السورية

Muslim Thought its Origin and Achievenment	M. M. shrif
La Civilisation Arabe	Jacque C. Risler
La Philosophie Antique	Jean Paul Dumont
La Philosophie Medievale	Edouard Jeauneau
L'Islam	Dominique Sourdel

ابن سينا الطبيب

الدكتور عبد الكريم شحادة
كلية الطب ـ جامعة حلب

شغف ابن سينا بالطب ، في سن مبكرة جدا ، واستهواه هذا العلم ، كما استهوته العلوم كلها ، وهو حدث يافع ، فقرأ الكتب المصنفة في الطب ، ولم يجد في فهمها واستيعابها أدنى صعوبة ، ولقد عبر عن ذلك بقوله :

« وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة ، فلا جرم أني برزت فيه ، في أقل مدة ، حتى صار فضلاء الطب يقرأون علي علم الطب · وتعهدت المرضى فانفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف ، وأنا في هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنة » ·

ولذا فقد سطع نجم ابن سينا في عالم الطب باكرا ، وذاعت شهرته الطبية ذيوعا مذهلا ، بين العامة والخاصة ، ودعي للمشاركة في معالجة سلطان بخارى نوح بن منصور الساماني حين عرض له مرض أعجز الاطباء ، فنجح في معالجة السلطان الذي قربه ووسمه بخدمته ·

وعلى الرغم من أن شهرة ابن سينا قد قامت على مختلف فروع العلم والمعرفة ، الا أن صيته في عالمي الطب والفلسفة ، قد بلغ مبلغا عظيما ، ولقد اختلف العلماء حول أي الكفتين كانت عنده أرجح ، وبايهما كان أشهر ·

ولا أود ، في هذه العجالة ، أن أزج بنفسي في هذا الميدان ، فأنا لست من أرباب الفلسفة بل حسبي أن أقصر حديثي على ابن سينا الطبيب ·

يعد ابن سينا علما من أعلام الطب ورائدا من رواده العالميين ، تربع عرشه عن جدارة واستحقاق ، طوا لسبعة قرون ، وطبقت شهرته الطبية الآفاق لما أبدعه في تآليفه الطبية الدقيقة الواضحة التي تداولها الناس تداولا واسعا في مشارق الارض ومغاربها ·

وقديما قيل :

« كان الطب معدوما فأوجده أبقراط ، وكان ميتا فأحياه جالينوس ، وكان متفرقا فجمعه الرازي ، وكان ناقصا فأكمله ابن سينا » ·

والحقيقة ان انتاج ابن سينا الطبي كان غزيرا ومتنوعا ، ولقد بلغ ما هو معروف من مؤلفاته الطبية ، حتى يومنا هذا ، أربعة وأربعين مؤلفا ، منها ما كان مطولا ومفصلا يبلغ أجزاء عدة ، ويبحث في مختلف أقسام الطب وفروعه ، ومنها ما كان مختصرا على شكل رسالة أو مقالة تبحث في موضوع طبي معين • ومنها أيضا ما كان نظريا بحتا ، استقى معلوماته فيها من مؤلفات من سبقه من القدامى كاليونان والفرس والسريان والهنود ، وأما بعضها الآخر فقد كان نظريا وعمليا ، ضمنه آراءه الشخصية وخبراته العملية •

وهذه المؤلفات تبحث في جميع الامراض التي تعتري جسم الانسان ، وفي أسبابها ومعالجاتها والوقاية منها ، كما تبحث في حفظ صحة هذا الجسم والعناية به ، وتبحث أيضا في غذائه وشرابه ودوائه ، وما يفيده ، وما يضر به ، وما يجمله ويحسنه ، ولذا كانت جامعة لكل قواعد الطب والعلوم المتعلقة به •

وأجل هذه المؤلفات طرا ، وأعظمها شانا ، (القانون في الطب) الذي علت شهرته على كل ما ألف وصنف في هذا الفن ، بل على كل ما ألف وصنف فيه من قبل ابن سينا ومن بعده •

والقانون من أعظم الكتب الطبية التي عرفتها الحضارة العربية الاسلامية ، في أوج ازدهارها ، والحضارة الاوربية المسيحية في ابان نهضتها ، وكان الانجيل الطبي لاطول مدة من الزمن « كما قال عنه الطبيب الانكليزي الشهير السير ويليام أوسلر » •

ولقد بقي القانون ، زمنا طويلا ، المنهل الغزير والمرجع الرئيسي للعلوم الطبية كلها ، يعب منه طلاب الطب مسلمين ومسيحيين من أهل الشرق ومن أهل الغرب •

ففي البلاد الاوربية ، ظل القانون في الطب الكتاب الاساسي الذي تعتمده كبرى الجامعات الايطالية والفرنسية والاسبانية وغيرها طوال سبعة قرون ، واستمر ذلك حتى نهاية القرن السابع عشر •

كما انه لا يزال يدرس حتى اليوم ، في بعض المعاهد الطبية الاسلامية ، في الهند والباكستان • وان الطبيب مهما كان اختصاصه ليجد في القانون بغيته وضالته المنشودة • وهو في الحقيقة موسوعة طبية شاملة ، احتوت على جميع قوانين الطب وأحكامه الكلية والجزئية ، كما احتوت على جميع فروع هذا الفن وأقسامه ، النظرية والعملية •

ولقد لخص ابن سينا محتوى القانون في فاتحته فقال : « وأما الآن فاني أجمع هذا الكتاب وأقسمه الى خمسة ؛ على هذا المثال :

الكتاب الاول : في الامور الكلية في علم الطب ·

الكتاب الثاني : في الادوية المفردة ·

الكتاب الثالث : في الامراض الجزئية الواقعة بأعضاء الانسان ، عضوا عضوا ، من الفرق الى القدم ، ظاهرها ، وباطنها ·

الكتاب الرابع : في الامراض الجزئية التي اذا وقعت لم تختص بعضو ، وفي الزينة ·

الكتاب الخامس : في تركيب الادوية ، وهو الاقراباذين ·

ثم قسم كل كتاب الى فنون عدة ، وكل فن الى عدد من التعاليم ، وكل تعليم الى عدد من الفصول ·

وهكذا فان القانون حسن التنسيق والتبويب محكم التصنيف ، غزير المادة ، واضح العبارة سهل الفهم ·

وبلغ من شدة اعجاب المؤلفين العرب القدامى بالقانون أن شرحوه شروحا كثيرة واختصروه وأوجزوه ، وجزؤوه ، وعلقوا عليه ·

ومن أشهر مختصراته (موجز القانون) لابن النفيس ، و (شرح تشريح القانون) لابن النفيس أيضا ·

وهناك شروح كثيرة على (موجز القانون) ودراسات على (شرح تشريح القانون) ، لا مجال للتفصيل في الحديث عنها الآن ·

ولقد ترجم القانون ، منذ القرن الثالث عشر الميلادي الى العبرية ، كما ترجم الى اللاتينية مرارا وتكرارا ، وطبع في روما وميلانو وبادوفا والبندقية ، مرات عدة ·

أما في البلاد الاسلامية ، فقد ترجم الى الفارسية والتركية وغيرهما من اللغات الشرقية ·

وطبع القانون بالعربية ، أول مرة في لومة ، عام ١٥٩٣ م · وتوجد نسخة من هذه الطبعة الفريدة في معهد التراث العلمي العربي بحلب ، كما توجد نسخة أخرى في مكتبة الاوقاف الاسلامية بحلب أيضا ·

ويطول الحديث كثيرا ، اذا أردنا التكلم على كتب ابن سينا ورسائله ومقالاته وأرجوزاته في الطب ٠

ويكفي أن أشير اشارة عابرة الى أرجوزته الشهيرة في الطب التي تعرف باسم (الارجوزة الكبرى) ، كما تعرف باسم (الالفية الطبية) ، وهي في الحقيقة أكثر من ألف بيت ، ويختلف عدد أبياتها بحسب النسخ ٠ فهي تبلغ في نسخة مدينة فاس (١٣٢٦) الفا وثلاثمائة وستة وعشرين بيتا ، وهي النسخة التي طبعت في باريس مع ترجمتيها الفرنسية واللاتينية عام ١٩٥٦ م ٠ ومطلع المقدمة في هذه النسخة :

الحمـــد لله الملـــك الواحـــد ... رب الســـموات العـــلي الماجـد

سبحانـــه منفـــردا بالقـدم ... مخـــرج موجـــوداتنا مـن عـدم

ومطلع الارجوزة ذاتها :

الطـــب حفـــظ صحـة بـرء مرض ... مـــن سبب في بـــدن عنـــه عـرض

ولقد اختصر ابن سينا ، في الارجوزة ، القانون كله وضمنها جميع تعاليم الطب ٠ ويقال : انه قد أتم نظمها قبل وفاته بأربعين يوما ٠

وترجمت الارجوزة الى اللاتينية في القرن الثالث عشر الميلادي ، تحت اسم كانتيكوم أو كانتيكا ، ومعناها الاغنية أو القصيدة ٠

تمتاز مؤلفات ابن سينا الطبية بالدقة والعمق ، فضلا عن الوضوح والترتيب ، ولا عجب في ذلك ، فصاحبها ذو عقلية منطقية وتفكير مستقيم ، يستقرىء بالمنطق والملاحظات الدقيقة والفكر الثاقب القوانين ليصل الى الاستنتاجات الصحيحة المبتكرة ٠

ولذا فقد سبق غيره قرونا طويلة الى اكتشافات طبية رائدة ، كالتهاب أغشية الدماغ (السحايا) وتوصل الى طريقة معالجتها ، وشلل العصب الوجهي (اللقوة) ، والتفريق بين الشلل الناجم عن سبب في داخل الدماغ وسبب خارج عنه ، والسكتة الدماغية عن كثرة الدم ، وألم غشاء الجنب الناخس ، والسل الرئوي وانتقاله بالعدوى عن طريق الماء والتراب ، وخراج الكبد ، وفرق بين اليرقان الناشىء عن انحلال الدم واليرقان الناشىء عن انسداد الطرق الصفراوية ، كما توصل الى معرفة الاصابة بالانكلستوما التي دعاها (الدودة المستديرة) ، ووصف حصيات المثانة وصفا دقيقا ، وفرق بين الجذام ذلك الداء الخبيث وبين البهق ذلك الداء السليم الذي دعاه بالتغير في لون الجلد فقط ٠

ومآثر ابن سينا في معالجة الامراض النفسية معروفة وأخباره فيها مشهورة.

وخلاصة القول : ان ابن سينا علم من أعلام الطب العربي الاسلامي عرفه الغربيون منذ القديم وبوأوه مقاما عاليا في تاريخ العلوم . ويطيب لي أن أردد في ختام حديثي ما قاله عنه مؤرخ العلم الكبير (جورج سارتون) في كتابه الشهير (المدخل الى تاريخ العلوم) : « ان ابن سينا أعظم علماء الاسلام ، ومن أشهر مشاهير العلماء العالميين » .

لمحات حول الحياة والمعرفة
عند ابن سينا

الصيدلي : كمال شحادة
باحث

مخطط البحث :

١ ـ مقدمة عن البذور الاولى للفكرة الفلسفية ٠

٢ ـ عرض سريع للمدارس الفلسفية الاغريقية التي تفاعل معها ابن سينا ٠

أ ـ مدرسة الفيثاغوريين ورائدها فيثاغوراس
Pythagore (٥٧٢ ـ ٤٩٧ ق٠م)

ب ـ المدرسة السقراطية ورائدها سقراط
Socrate (٤٦٩ ـ ٣٩٩ ق٠م)

جـ ـ المدرسة الافلاطونية ورائدها أفلاطون
Platon (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق٠م)

د ـ المدرسة الارسطوية ورائدها أرسطو
Aristote (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق٠م)

هـ ـ المدرسة الرواقية ورائدها زينون
Zenon (٣٣٦ ـ ٢٦٤ ق٠م)

و ـ المدرسة الابيقورية ورائدها أبيقور
Epicure (٣٤١ ـ ٢٧٠ ق٠م)

ز ـ المدرسة الشكية ورائدها بيرون
Pyrrhon (٣٦٥ ـ ٢٧٥ ق٠م)

ح ـ المدرسة الافلاطونية الحديثة ورائدها أفلوطين
Plotin (٢٠٥ ـ ٢٧٠ م)[1]

٣ ـ آراء ابن سينا الفلسفية من تحليل لرسالتيه التاليتين :

---

١ ـ هذه التواريخ هي لميلاد ووفاة مؤسسي المدارس الفلسفية المذكورة أعلاه ٠

أ ــ رسالة في دفع الغم من الموت •

ب ــ رسالة الطـير •

٤ ــ مقارنة مختصرة ما بين آراء ابن سينا الفلسفيــة وآراء المـدارس الفلسفية الاغريقية أعلاه •

٥ ــ خلاصة وخاتمة •

منذ أن وعى الانسان وجوده على هذه الارض ، بدأ تأملاته في الكون الفسيح الذي يحيط به ، بسمائه ونجومه ، وشمسه وقمره ، كما فكر في نفسه ، في صحته ومرضه وموته ، وتأمل الطبيعة في صفائها وغضبها ، فوجد نفسه أمام ألغاز محيرة • فتساءل من أوجد هذا الكون العجيب وكيف وجد ومن يديره ، كما تساءل عن ذاته الى أين تصير روحه بعد الموت هل تفنى مع فناء جسمه وكأن شيئا لم يكن ، أم أنها تبقى ؟ واذا بقيت فأين تذهب ، وأسئلة كثيرة أخرى غيرها •••

ومن هذه الاسئلة والبحث عن أجوبة لها ، كانت نشأة التفكير الفلسفي وبذوره الاولى في معرفة الطبيعة وما وراءها •

ولئن كانت المعتقدات والآراء التي تجيب على هذه الاسئلة تغيرت بتغير المجتمعات الانسانية ، وبتغير الافراد والحضارات والازمان ، الا أن هذه الاسئلة تبقى مطروحة من قبل بني الانسان وهدفها المعرفة •

لن أتكلم عن العلوم المادية والتجريبية فهي ليست من صميم بحثي ، وانما ينصب اهتمامي في هذا البحث نحو المعرفة الفلسفية ، بل وبجزء منها ، وهو ما يتعلق بالاله وكنه المادة وبالانسان روحه وجسمه والعلاقة بين هؤلاء جميعا وذلك من وجهة نظر واحد من أبرز أعلام الفكر في التاريخ الانساني ، وهو الشيخ الرئيس ابن سينا الذي نحتفل الآن بالعيد الالفي لميلاده •

ولن يكون بحثي عن ابن سينا والهياته بمعزل عن التيارات الفلسفية الهامة التي تفاعل معها ابن سينا ، وخاصة تلك التيارات المنبثقة عن الفلسفة الاغريقية القديمة والتعديلات التي طرأت عليها والتي جاءت بها مدارس فلسفية اغريقية كان لها أنصارها وأتباعها الكثيرون في العصر الذي عاش فيه ابن سينا • ولذا فاني سأمر على أهم هذه المدارس الفلسفية مرورا سريعا مع ذكر الاسس

التي قامت عليها ، دون الدخول في التفاصيل ، وذلك ليتاح لي أن أبين نقاط الالتقاء ونقاط الاختلاف فيما بينها وبين آراء ابن سينا الفلسفية ·

المدرسة الفيثاغورية :

مؤسس هذه المدرسة فيثاغورس (١) وتتلخص آراء مدرسته الفلسفية فيما يلي :

١ ــ ان مبادىء الاعداد هي عناصر الموجودات في العالم ، وان « هذا العالم أشبه بعالم الاعداد منه بالماء أو النار أو التراب ، أو ان الموجودات أعداد ، وان العالم عدد ونغم » (٢) ·

٢ ــ تصوروا العالم كائنا كبيرا يستوعب خلاء لا متناهيا هو عبارة عن هواء في غاية اللطافة لا بد من الفصل بين الاشياء لمنعها من أن تكون شيئا واحدا ، واعتبروا الموجودات تحدث بالتكاثف والتخلخل ولا يتحول بعضها الى بعض لان نظام الاعداد ثابت متجانس (٣) ·

٣ ــ يقول الفيثاغوريون : ان النفس هي الذرات المتطايرة في الهواء والتي لا تدركها الحواس لدقتها ، ولعلهم ظنوا أن هذا التصور يفسر أيضا كون المولود يجد ساعة ميلاده نفسا تحل فيه ، ويقولون بأن النفس مادية ولكنها من مادة لطيفة جدا وانها تتألف من ذرات تنسجم فيما بينها انسجاما عدديا (٤) ·

٤ ــ لم يرد في تعاليم الفيثاغوريين نصح صريح على وجود روح للعالم ، أو وجود نفس كلية أو اله واحد وانما قالوا بوجود العديد من الآلهة دون أن يبينوا بالتحديد طبيعتهم ولا دورهم ، وأن الحياة صدرت عن حرارة بثتها النار الاولى في الوجود ·

---

١ ــ يذكر أن فيثاغوراس هو أول من وضع لفظ « فلسفة » اذ قال لمن نعته بالحكيم : « لست حكيما ، فان الحكمة لا تضاف لغير الآلهة ، وما أنا الا فيلسوف أي محب للحكمة » ·

٢ ــ أورد هذا التعريف ارسطو في « ما بعد الطبيعة » المقالة ١ فصل ٥ (طبعة أكاديمية برلين) ·

٣ ــ من كتاب « تاريخ الفلسفة اليونانية » ليوسف كرم (دار القلم بيروت) ص / ٢٣ ·

٤ ــ انظر كتاب « ربيع الفكر اليوناني » لعبد الرحمن بدوي ص / ١١٤ (الطبعة الخامسة / وكالة المطبوعات بالكويت) ·

٥ ـ يعتقدون بأن الارواح تتناسخ • وأن الروح تكون سجينة البدن ، وأن الذي وضعها في سجنها هم الآلهة ، ولا تستطيع النفس أن تتخلص من هذا السجن الا عن طريق الموت (١) ، وأن النفس تهبط بعد الموت الى الجحيم وتتطهر بالعذاب ثم تعود الى الارض لتتقمص جسما بشريا أو حيوانيا أو نباتيا ولا تزال مترددة بين الارض والجحيم حتى يتم تطهيرها • أما أزمنة التقمص فقد حددتها الآلهة ولا يجوز أن نخالف ارادتهم بالانتحار (٢) •

المدرسة السقراطية :

مؤسس هذه المدرسة هو سقراط الذي لم يترك لنا شيئا مكتوبا وانما عرفت عقيدته وآراء مدرسته عن طريق كتابات تلميذه أفلاطون وعن طريق أرسطو تلميذ أفلاطون وتتلخص آراؤه بما يلي :

١ ـ يقول ان نسيج العالم والطبيعة الفيزيائية للاشياء لا يمكن للانسان ان يعرفها لانها تتجاوز امكانياته ، وان الانسان لا يستطيع أن يعرف سوى نفسه ، ويعبر عن ذلك بكلمته الشهيرة : « اعرف نفسك » (٣) •

واهتمامه بالنفس هو بقصد تقويمها وكان سقراط يقول عن نفسه ان الله أقامه مؤدبا مجانيا للناس لمساعدتهم وانارة أفكارهم وكان يقول انه يحترف صناعة أمه (وكانت قابلة) الا أنه يعمل على توليد نفوس الرجال (٤) •

٢ ـ يعتبر أن الدين يجب أن يكون تكريما للضمير النقي الذي تتصف به العدالة الالهية لا تلاوة الصلوات مع تلطيخ النفس بالاثم ، وكان سقراط يؤمن بالخلود ، وأن النفس من طبيعة تخالف طبيعة البدن ، ولا تفسد أو تفنى بفساد البدن ، وانما هي سجينة البدن ولا تخلص من سجنها الا بالموت ، وعندما تتخلص من هذا السجن تعود الى صفاء طبيعتها (٥) •

٣ ـ كان يرى في كل شيء طبيعة (أو ماهية) يكشفها العقل وراء الاعراض المحسوسة وان غاية العلم هي في السعي لادراك هذه الماهيات •

---

١ ـ نفس المصدر السابق ص / ١١٥ •

٢ ـ « تاريخ الفلسفة اليونانية » ليوسف كرم ص / ٢٤ •

٣ ـ انظر الموسوعة الفلسفية لروزنتال ويودين ترجمة سمير كرم (دار الطليعة / بيروت الطبعة الثانية) ص / ٢٤٥ •

٤ ـ أفلاطون : تيتيانوس ص ١٤٩ ـ ١٥٢ •

٥ ـ تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص / ٥٤ •

المدرسة الافلاطونية :

مؤسس هذه المدرسة ورائدها هو أفلاطون وأهم آرائها الفلسفية هي :

١ ـ لكل جسم صورة محسوسة وصورة كلية ، والصور الكلية للاجسام هي ماهيات لا تدركها الحواس ولكن يدركها العقل وهي مفارقة للمادة وغير قابلة للتغير والفساد ٠

٢ ـ الرو حموجودة قبل اتصالها بالبدن ، وهي لا تموت بموت البدن ، وهي خالدة لانها من جوهر روحي ، ولذا فهي تدرك الروحانيات وتعلم ما بينها وبين المادة من تغاير كما تدرك أن حياتها الخاصة لا تتحقق تماما الا بخلاصها من المادة (البدن) في عالم روحي مثلها (١) ٠

٣ ـ يؤمن أفلاطون ومدرسته بتناسخ الارواح ويقول في كتابه «الجمهورية» (المقالة العاشرة) ان كل روح تهبط الى الارض مرة كل ألف سنة وتدعى الى اختيار حياة أرضية جديدة ، فتعرض عليها نماذج من حيوات (جمع حياة) بشرية وحيوانية لتختار الحياة التي تريدها ٠
وقصد أفلاطون من نظريته هذه أن كل نفس مسؤولة عن اختيارها وأن لا دخل للاله في ذلك ولكن الله هو الذي قرر قانون هذه الآلية ٠ ويزيد أفلاطون على ذلك أن استماع الانسان الى أقوال الفلاسفة وتفهمها والتمعن فيها يعطي لروحه المقدرة على حسن الاختيار في حياتها القادمة بعد ألف سنة من مغادرتها للبدن ٠ وغرض التناسخ عند أفلاطون هو اقتراب النفس من الكمال توخيا لبلوغ السعادة وللتشبه بالله (٢) ٠

٤ ـ يرى أفلاطون أن العالم آية فنية غاية في الجمال والكمال والانتظام ولا يمكن أن تكون موجوداته نتيجة علل اتفاقية ، ولذا فهو من صنع قوة عاقلة توخت الخير ورتبت كل شيء عن قصد ، وهذه القوة العاقلة المتمثلة بالله تعني بكل شاردة وواردة في الكون بما في ذلك شؤون بني الانسان ٠

المدرسة الارسطوية :

مؤسس هذه المدرسة ورائدها أرسطو تلميذ أفلاطون ومعلم الاسكندر الكبير المكدوني ٠ ولما كان من عادة أرسطو أن يلقي الدروس على طلابه وهو يتمشى في ملعب « اللوقيون » الذي أنشأ فيه مدرسته ، فقد سمي هو وأتباعه بالمشائين ٠

---

١ ـ انظر تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص / ٩٢ ٠

٢ ـ أرسطو : كتاب النفس ، المقالة الاولى ، الفصل الرابع ص ٤٠٨ ٠

وأهم اراء هذه المدرسة :

١ ـ المعقولات موجودة بالقوة في الصور المحسوسة أي أن ماهية الجسم غير مفارقة للمادة (بعكس ما قاله أفلاطون) • ولذا لا يمكن أن يتم الفهم من غير الاحساس ، وبتعبير آخر : يصاحب التعقل دوما صورة صادرة من المخيلة • والمخيلة ليست مشاركة للعقل وانما هي لازمة لتقديم مادة التعقل ، فهذا التخيل هو الذي ينقل المعقولات من موجودة بالقوة الى موجودة بالفعل •

٢ ـ ويقول أرسطو ان في النفس « عقلا فعالا » وآخر منفعلا فالعقل الفعال يجرد الصور المعقولة ، فيتيح للعقل المنفعل أن يتحد بالصور كما يتحد الحس بموضوعه ، وذلك طبقا للمبدأ الكلي وهو : « ان ما هو بالقوة ، يصير بالفعل بتأثير شيء هو بالفعل » •

وينفي أرسطو عن العقل المنفعل صفة الخلود ، وأما العقل الفعال فهو غير قابل للفناء ولا تكون طبيعته سعيدة وصافية الا بانتهاء صلته بالبدن وذلك بالموت ، الا أن هذا العقل الفعال لا يحفظ أي أثر من ظروف الحياة عند مفارقته للبدن أي لا تكون لديه ذاكرة • وهذا يعني أن أرسطو اعتبر النفس مؤلفة من جزئين أحدهما يفنى بفناء البدن والآخر يبقى خالدا ولكن بدون تذكر أي شيء يتعلق بالبدن •

٣ ـ لا يؤمن أرسطو بالتناسخ لانه يعتبر الاساس في النفس أنها ملازمة لمعلولاتها في الوجود •

٤ ـ ويعتقد أرسطو أن الكون متناه لانه جسم والجسم يحده سطح بالضرورة ، وفي نفس الوقت يعتقد ارسطو بوجود اله في الكون ولكنه اله لا يتدخل في تطور هذا الكون وما فيه ، لان كل شيء في الوجود يحمل في طبيعة بنيته قانون تطوره •

ويعتقد أن الله كائن معنوي لا مادي ، غير مرئي ، لا مكان له ، لا يتغير ولا يتأثر •

والله بالنسبة لارسطو هو المحرك الاكبر في الكون ، ولكنه هو نفسه لا يتحرك ولا يحرك الكون كقوة دافعة أو كقوة ميكانيكية ، ولكنه يحركه كما يحرك المحبوب المحب •

ويصور أرسطو الله روحا مدركة لنفسها ، أو بالاحرى روحا غامضة مبهمة ، لان الله لا يفعل شيئا بنظر أرسطو وليست له رغبات ولا هدف • انه كامل كمالا مطلقا فاذا عقل غيره تنحط قيمة ذاته ، ولذا فهو لا يشعر بالرغبة بأي

شيء وبالتالي لا يفعل شيئا وعمله الوحيد هو التفكير في جوهر الاشياء ، وبما أنه هو جوهر جميع الاشياء وصورة جميع الصور ، فان وظيفته الوحيدة هي ان يفكر في ذاته فقط ٠

« فياله من فقير هذا الاله الذي يعتقد به أرسطو ، انه لا يفعل شيئا ، هو يملك ولا يحكم ، هو ملك بالاسم لا بالفعل » (١) ٠

ونحن اذا تعمقنا في مذهب أرسطو ، نجده يتجه نحو اله فعال ، ولكنه مع هذا صور لنا الكون مفتقرا ليس فقط الى محرك ، بل أيضا الى موجد ترجع اليه كل أنواع التغيير وتفسر به الغائية في الطبيعة ، تلك الغائية التي دافع عنها أرسطو أحر دفاع ثم تركها معلقة ٠ ومن يدري فربما كان أرسطو شاعرا بعجزه في هذا المجال ، ألم يقل هو ان الحقيقة الكاملة عسيرة المنال ولا يمكن الوصول اليها الا بتعاون جهود الفلاسفة والعلماء ؟ (٢) ٠

المدرسة الرواقية :

وضع أصول هذه المدرسة زينون القيسيوني Zenon de Citium الذي أنشأ مدرسة بأثينا في رواق كان في وقت من الاوقات مكانا لاجتماع الشعراء فدعي هو وأصحابه بالرواقيين Stoigs ويسميهم بعض العلماء العرب بأصحاب المظلة ٠ وترتكز فلسفة الرواقيين على أن علل الوجود كلها مادية ، فابتداء من الله حتى الصفات الموغلة في التجريد كلها عناصر مادية ، وتفسر على أساس مادي خالص ، فالالوان والاصوات والطعوم وحتى العقل كلها أجسام مادية ، وحينما يتكلمون عن المعقولات يفسرونها على أنها أفعال لاجسام مادية ، كما أن الزمان والخلاء هما أجسام مادية أيضا لانها أوساط فارغة تقبل ما يملئها ٠ وبكلمة مختصرة فانهم يقولون بأن الوجود الحقيقي هو الوجود المادي ، وما عداه لا يعد وجودا (٣) ٠

ويرى الرواقيون أن حكم العالم بمجموعه كحكم أي جسم وهو جسم يتألف كل ما فيه من ذرات صغيرة لا متناهية في الصغر يربط فيما بينها ويسبب تماسكها ما يسمونه (بالنفس الحار) فالحرارة أو النار هي المبدأ الفاعل والمادة هي المبدأ المنفعل ، وأن أصل الكون كان نارا في خلاء لا متناه ٠ توترت النار فتولد الهواء ، وتوتر الهواء فولد الماء ، وتوتر الماء فولد التراب وهكذا ، فالكون اذن تشكل بكامله من هذه التوترات ٠

---

١ ـ قصة الفلسفة لول ديورانت (مكتبة المعارف ١٩٧٩) ص ١١٣ ـ ١١٤ ٠
٢ ـ أرسطو : « ما بعد الطبيعة » مقالة ١٢ بداية الفصل العاشر ٠
٣ ـ خريف الفكر اليوناني لعبد الرحمن بدوي ص ٢٣ ـ ٢٨ (مكتبة النهضة المصرية ـ الطبعة الرابعة ١٩٧٠) ٠

فالعالم الهي بالنار التي هي العلة الاولى والوحيدة ، ويعتبرونها علة عاقلة لها قوانينها وضروراتها وأقدارها ، وهم يذكرون الله ويتوجهون اليه بالصلاة ويقصدون النار وقانونها ، وهذا يعني أن الرواقيين يؤمنون باله هو القوة الحالة في جميع أجزاء المادة التي يتكون منها العالم (١) ٠

المدرسة الابيقورية :

مؤسس هذه المدرسة أبيقور Epikouros وقد أنشأ مدرسته عام ٣٠٦ قبل الميلاد ، وكان أكثر اجتماعاته بطلابه في الحديقة لا في حجرات البناء فقيل لتلك الحديقة « حديقة أبيقور » ٠

وترتكز فلسفة الابيقوريين على المعتقدات التالية :

١ ـ الوجود الوحيد في الكون هو الوجود المادي المحسوس المنفعل والفاعل ، والاصل في كل معرفة هو الحس وعن طريقه وحده تتم المعرفة ، والحس لا يخطيء ، وما يتراءى للناس من خطأ فهو أن الناس تختلف في التقاطها لهذه الصور مع أن الموضوع واحد بالاصل ٠

٢ ـ الكون يتحرك ولذا فقد افترض أبيقور خلاء تتحرك فيه الاشياء ٠ وكل جسم يمكنه الانحلال والانقسام ، ولكن هذا الانقسام لا يمكن أن يستمر الى غير نهاية ، بل لا بد من وقوفه عند حد ، وهذه النظرية أدت بأبيقور لافتراض جواهر فرده صغيرة لا تقبل ذرتها الانقسام هي الاصل في كل ما هو في الكون ٠

٣ ـ النفس الانسانية جسم حار لطيف للغاية ، والنفس تتشكل مع الجسم وتنحل بانحلاله ، ولها وظيفتان الواحدة حيوية تبث الحياة في الجسم وتكون آلية عملها بجواهر لطيفة متحركة حارة منتشرة في الجسم كله ، والثانية وجدانية وهي الشعور والفكر والارادة تؤديها جواهر أكثر لطافة محلها القلب ٠ ووجود الجسم شرط لوجود النفس فاذا فني الجسم بالموت تتبدد جواهر النفس وتتلاشى ٠

٤ ـ يعتقد الابيقوريون أن الدين شر ما بعده شر ، وأن العناية الالهية وهم من الاوهام ، فأين العناية الالهية في عالم يطغى فيه الشر على الخير ؟ ويقولون اننا اذا دققنا في واقع ما يجري في الطبيعة لا نجد فيه ما يليق بمقام أو وجود لاله ٠ الا أن الابيقوريين يشفقون على بني الانسان فيقولون ان البشر بحاجة الى تجسيد آمالهم وأمانيهم في صورة مثالية عليا هي الله أو الآلهة ٠

---

١ ـ تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ٠

وهذا يعني أن الآلهة هي من خلق أماني البشر وآمالهم أكثر من أن تكون من معطيات العقل والواقع .

ومن هذا المنطلق فان الابيقوريين يقولون انه اذا كان لا بد من افتراض وجود للآلهة فيجب أن يكونوا على صورة انسان وان يتمتعوا بصفات الانسان من مأكل ومشرب وملبس ، لان الانسان لا يستطيع أن يتصور آلهة (هي من صنع أحلامه) الا على هذا النحو الانساني ، وعلينا في هذه الحال أن نفترضهم غير خاضعين لعوامل الفناء .

٥ ـ وبالرغم من النزعة الالحادية الواضحة للابيقوريين ، فانهم أعطوا للاخلاق الفردية كل عنايتهم فهم يدعون الى فضيلة العفة وضبط النفس ، فبالنسبة لهم لا بد من ضبط النفس لان الانسان بواسطته ، أي بواسطة ضبط النفس ، يستطيع التحكم بشهواته فلا يدع اللذات التي هي في المرتبة الدنيا تطغى على اللذات السامية ، كما يشيدون بالتحلي بالشجاعة والعدل ويشددون على هاتين الصفتين اللتين تجنبان الانسان عذاب الضمير فيبقى مستمتعا بالطمأنينة والحياة السعيدة .

المدرسة الشكية Scepticisme :

يبني أنصار هذه المدرسة نظريتهم الفلسفية على أساس الشك في المعرفة . وقد استمرت هذه المدرسة من أوائل القرن الرابع قبل الميلاد واستمرت حتى القرن الثاني بعد الميلاد أي أكثر من ستمائة سنة . الا أن هذه المدرسة شهدت تطورات مختلفة في نظراتها الفلسفية القائمة على الشك ، مما يمكن معه أن نقول ان الفلسفة الشكية تعاقبت عليها مدارس عديدة أهمها مدرستان هما :

مدرسة بيرون الايلي Pyrrhon d'Elis ، ومدرسة الاكاديمية الجديدة والمدرسة الثانية سميت كذلك لان مقرها كان في الاكاديمية التي كان أسسها أفلاطون ، وبعد وفاة أفلاطون بحوالي قرن من الزمن نشأ فيها تحول باتجاه الفلسفة الشكية .

فبيرون وتلاميذه وأنصاره ينكرون للمعرفة الحسية أو العقلية أن يكون لها أدنى قيمة في ايصالنا لمعرفة حقيقة الاشياء ، فنحن لا ندرك الا مظاهرها ، أما طبيعتها فلا نستطيع ادراكها ، وهذا يؤدي بطالب المعرفة أن يقول أمام كل موضوع يعرض عليه سواء كان ماديا أو روحيا : « لا أدري » ، واذا أراد أن يعطي رأيا بمزيد من الايجابية فيجب أن يبدأ رأيه بجمل شكية كأن يقول : من المحتمل أن يكون كذا ، وربما كان كذا . والغرض من ذلك أن يكون الانسان بمأمن من تضارب الآراء مما من شأنه احداث القلق في النفس ، لان

الغاية من الفلسفة برأي هذه المدرسة هي أن يظل المرء سعيدا مطمئن النفس •

وأما الشكاكون من أنصار « الاكاديمية الجديدة » فقد أصبحوا يشكون في الاسس الرئيسية التي تقوم عليها المعرفة الانسانية ، وبالتالي محاربة كل التيارات اليقينية التي نادى بها الفلاسفة منذ أقدم العصور • وهؤلاء يؤمنون بوجود الله ولكنهم يرفضون اعطاءه أي وصف سوى أنه أزلي وأبدي ، ومن هذا المنطلق يرفضون أن ينسبوا الى الله أية صفة ايجابية كالحياة والعلم والفضيلة والعدل والقوة وما شابه ذلك ويعللون ذلك بالاسلوب التالي :

اذا قلنا بأن الله يتصف بالحياة فهذا يستدعي أن يكون له من الاحساسات ما للانسان على الاقل ، ولكن من طبيعة الاحساسات أن تغير في الذات الحساسة ، واذن فالله قابل للتغير ، وما يتغير لا يمكن أن يكون أزليا وأبديا ، ولما كان الله أزليا وأبديا فلا يمكن أن ننسب اليه صفة الحياة •

ويسيرون في هذا الاسلوب لينفوا الصفات الايجابية الاخرى عن ذات الله ، وهم في ذلك يعلنون عجزهم عن تحديد أية صفة ايجابية لله ، منسجمين مع فلسفتهم الشاكة في المعرفة الانسانية الحقيقية ، تلك المعرفة التي يؤمنون بعجز الانسان مهما سمت مداركه وامكانياته عن الوصول اليها •

المدرسة الافلاطونية الحديثة (أو المحدثة) :

الرائد الاول لهذه المدرسة هو أفلوطين Plotin وتتلخص آراء هذه المدرسة بما يلي :

١ ــ في الوجود عالمان هما عالم المحسوسات وعالـم المعقـولات • وأما المحسوسات فهي ذات الطبيعة المادية ، وأما عالم المعقولات فلها ثلاثة أقانيم هي :

الله وهو ما يوصف بالاول •

والعقل وبه تتحقق صور ما في الوجود (والمقصود بالصور : الصور العقلية لقوانين الوجود) •

والنفس وبها يجري تحقيق الصور في المحسوسات •

٢ ــ يرفض أتباع هذه المدرسة أن يصفوا الاله بأية صفة مما هو معروف في المفاهيم الانسانية ، فلا يقولون انه قادر وانما يقولون انه فوق القدرة ، ولا يقولون أنه ذو ارادة فهو فوق الارادة ، ولا يقولون انه عالم ، فهو فوق العلم ، ويبقى الله جوهرا لا كمثله جوهر وهو يسمو على أية صفة • ولكنهم يتساهلون أحيانا فيقولون ان مثل هذه الصفات يمكن أن تطلق على آثار الله في الكون،

٣ ـ يؤمنون بنظرية الفيض Emanation أي ان عالم المعقولات وكل شيء في الوجود ينشأ عن الله بفيض منه دون أن ينقص هذ االفيض من ذاته ؛ وانه كلما قلت الوسائط بين الله وبين الحادث بنتيجة هذا الفيض كانت مرتبة هذا الحادث ودرجته في الوجود والكمال أعظم • وهذا يعني أن كل ما في الوجود يتوقف على الاول (أي الله) من حيث انه يفيض بذاته فينتج عن هذا الفيض موجودات تتسلسل بطريق تنازلي ، يبدأ من الاول (الاله) حتى يصل الى أبعد الاشياء بالنسبة لهذا الاول وهو (الابعد) متمثل بالمادة البحتة الخالية من كل معقولية أي الخالية من الصورة •

ويقولون ان هوة كبيرة كائنة بين الله وبين عالم المعقولات والمحسوسات ، وان الجسر الذي ينتصب فوق هذه الهوة يتجلى بتلك التبعية لعالم المعقولات والمحسوسات تجاه الاله ، تلك التبعية التي تقوم على أن كل ما سواه يقوم به ويتحرك بقوته أي أن الكل في واحد ولكن الواحد ليس في الكل • ويضيف أنصار هذه المدرسة الى ذلك أن التسلسل التنازلي المبتدىء بالله مارا بالمعقولات ومنتهيا بالمادة يقوم على تعلق الادنى بالاعلى ، وعلى هذا فان الجسم يتعلق بالنفس ويشتاق اليها ، والنفس تشتاق للعقل وتتعلق به ، والعقل يتعلق بالاول الواحد وهو الله ويشتاق اليه •

٤ ـ وبالنسبة للنفس الانسانية ، فان المدرسة الافلاطونية المحدثة ترى ان النفس كانت تحيا حياة أبدية ثم هبطت من هذه الحياة الابدية الى الحياة الجسمية البدنية • ويقولون بوجود النفس الفردية وهي المتعلقة بالشخص ، ووجود النفس الكلية التي هي مظهر من مظاهر الفيض الالهي ، كما يعتقدون ان النفس الفردية تنتج بفيض من النفس الكلية ، ولذا فالنفس الانسانية الفردية تختلف عن طبيعة البدن ، وهي خارجة عن الزمان لانها أبدية شأنها شأن النفس الكلية ، ولذا فالنفس الفردية خالدة • وهذه النفس كان من الممكن أن لا تنزل هذا النزول الى البدن ، وانما هي الضرورة التي تجبرها في وقت معين لان تتخذ هذا المظهر • ويقولون أيضا ان النفس الانسانية من ناحية الادراك تتبع طريقا ذا ثلاث درجات :

تبدأ النفس بالاحساس وهو أعلى درجات المعرفة ثم ترتفع الى درجة أعلى يوفق فيها الانسان بين التصورات ويربط فيما بينها وهي المرحلة التي تكون فيها النفس في درجة متوسطة بين العالم الاعلى وبين المحسوسات ، ثم تصل الى المرحلة الثالثة وتمثل درجة أعلى من المعرفة يرتفع فيها التعارض بين الموضوع وبين الذات ويكون فيها الانسان خارجا عن طوره وفي نشوة كبرى وتكون النفس حينئذ في حالة من الفناء والمحو ، واذا ارتفعت النفس عن هذه الدرجة ، تصل الى مرتبة الطمأنينة والسكينة ويصبح الانسان وكأنه هو الله ،

وهنا يصبح الموضوع هو الذات والذات هي الموضوع فيتحدان وتكون بينهما هوية مطلقة واحدة أي يكون الانسان في تلك المرحلة خارجا عن ذاته ومتحدا بالذات الالهية ، وهذه المرحلة الاخيرة يتلقاها الانسان وكأنها نور يهبط عليه ٠

ابن سينا وآراؤه الفلسفية :

أصل الآن الى الشق الثاني من بحثي لاقدم عرضا موجزا لاهم آراء ابن سينا الفلسفية فيما يتعلق بما وراء الطبيعة ٠ واني اذ أقول الشق الثاني فذلك لانفي ما يمكن لعنوان البحث أن يحدثه من التباس فيظن ان كل ما عرضته حتى الآن كان بمثابة مقدمة للبحث ؛ ذلك لاني أعتقد أن الكلام عن التيارات الفلسفية التي تفاعل معها ابن سينا في عصره ، انما هو أمر لا بد منه ، اذا أردنا ، عن طريق الدراسة المقارنة ، أن نحدد الهوية الفلسفية الابداعية لشيخنا الرئيس ٠

وابن سينا هو الحسين بن عبد الله بن علي الملقب بالشيخ الرئيس ، ولد عام ٣٧٠ للهجرة وتوفي عام ٤٢٨ هـ ٠ وبالرغم من أن حياته كانت قصيرة نسبيا فانه وعى علوم زمانه وهو في سن مبكرة ، ومن العلوم التي نالت من اهتمامه الكبير ، كانت تلك المتعلقة بالمجالات الفلسفية والالهيات وما وراء الطبيعة ، ويبدو هذا الاهتمام بما أورده ابن أبي أصيبعة (١) نقلا عن أبي عبيد الجوجزاني (٢) ان الشيخ الرئيس تحدث عن نفسه فيما يتعلق بعلوم عصره التي اكتسبها قبل بلوغه سن العشرين : « ٠٠٠ وقفت على جميع العلوم بحسب الامكان الانساني ، فأحكمت على المنطق والطبيعي (٣) والرياضي ، ثم عدلت الى الالهي ، وقرأت كتاب « ما بعد الطبيعة » (٤) فما كنت أفهم ما فيه والتبس علي غرض واضعه ، حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لي محفوظا وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به ، ويئست من نفسي وقلت : هذا كتاب لا سبيل الى فهمه ٠ واذ أنا في يوم من الايام حضرت وقت العصر في الوراقين وجدت دلالا بيده مجلد ينادي عليه ٠ فعرضه علي فرددته رد متبرم ومعتقد أن لا فائدة من هذا العلم ٠ فقال لي اشتر مني

---

١ ـ انظر كتاب « عيون الانباء في طبقات الاطباء » لابن أبي أصيبعة ص / ٤٣٨ (منشورات دار الحياة / بيروت ١٩٦٥) ٠

٢ ـ أبو عبيد الجوزجاني لازم ابن سينا كصديق طيلة ٢٥ سنة وكان يتعلم من ابن سينا في العلوم الطبية والفلكية ، كما بقي الجوزجاني يعمل بشؤون الرصد الفلكي باشراف ابن سينا مدة ثماني سنين ، وكان ابن سينا يملي على الجوزجاني كتبه ٠

٣ ـ الطبيعي : هو ما يختص بعلم طبائع الاشياء وما فيها من خصائص وماهيات وقوى ٠

٤ ـ كتاب « ما بعد الطبيعة » هو من كتب أرسطو ٠

هذا فانه رخيص أبيعكه بثلاثة دراهم ، وصاحبه محتاج لثمنه ، واشتريته فاذا هو كتاب لابي نصر الفارابي (١) في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة • ورجعت الى بيتي وأسرعت قراءته • فانفتح علي في الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه كان لي محفوظا على ظهر القلب • وفرحت بذلك وتصدقت في ثاني يومه بشيء كثير على الفقراء شكرا لله تعالى » •

ولابن سينا مؤلفات عديدة في المجالات الفلسفية وشؤون ما وراء الطبيعة منها كتاب « الشفاء » والنجاة ، و « الاشارات والتنبيهات » وخاصة الباب الثامن المتعلق بالبهجة والسعادة ، والباب التاسع في مقامات العارفين ، والباب العاشر في أسرار الآيات ، وله في هذا المجال رسالة حي بن يقظان ورسالة الطير ورسالة دفع الخوف من الموت ، ورسالة في العشق وغير ذلك • وسأتناول في البحث ذكر وتحليل رسالة ابن سينا في « دفع الغم من الموت » و « رسالة الطير » (٢) •

رسالة دفع الغم من الموت :

يتوجه الشيخ الرئيس في هذه الرسالة الى الناس فيقول :

« لما كان أعظم ما يلحق بالانسان من الخوف هو الخوف من الموت ، وكان هذا الخوف عاما ، هو مع عمومه أشد وأبلغ من جميع المخاوف وجب أن أقول أن الخوف من الموت ليس يعرض الا لمن لا يدري ما الموت على الحقيقة ، أو لا يعلم الى أين تصير نفسه ، أو لانه يظن » « انه اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه بطلان عدم ودثور ••• أو لانه يظن أن للموت ألما عظيما غير ألم الامراض التي ربما تقدمته ••• » • ثم يسرد ابن سينا أسبابا أخرى لمخاوف الناس من الموت من ذلك خوفهم من أن تتعرض روحهم للعقوبة في الحياة الآخرة ، وقلقهم على ما يخلفونه من مال ومقتنيات • وبعد أن يصف مظاهر الخوف والقلق من الموت لدى الناس يلتفت اليهم فجأة ليقول لهم بلهجة الجازم :

« هذه كلها ظنون باطلة لا حقيقة لها ، أما من جهل الموت ولم يدر ما هو فانا أبين له أن الموت ليس أكثر من ترك النفس استعمال آلاتها وهي الاعضاء التي مجموعها يسمى بدنا كما يترك الصانع آلاته • فان النفس جوهر غير

---

١ ــ هو أبو نصر محمد الفارابي ولد في فاراب وتوفي في دمشق • أقام في حلب في بلاط سيف الدولة الحمداني • هو من أعظم فلاسفة العرب ، لقب « بالمعلم الثاني » بعد أرسطو •

٢ ــ اعتمدت في الرسالتين على نص المخطوطتين من مكتبة جامعة ليدن في بلجيكا والمحققتين من قبل السيد يوسف المهرني (مطبعة بريل / ليدن ١٨٨٩) •

جسماني وليس عرضا وهي غير قابلة للفساد .. فاذا فارق هذا الجوهر البدن ، بقي البقاء الذي يخصه وصفي من كدر الطبيعة وسعد السعادة التامة ولا سبيل الى فنائه فان الجوهر لا يفنى من حيث هو جوهر ولا تبطل ذاته وانما تبطل الاعراض والخواص والنسب والاضافات التي بينه وبين الاجسام » .

وبعد أن يبين ابن سينا أن النفس والبدن من طبيعتين مختلفتين ، وأن البدن هو من طبيعة مادية فانية ، والنفس من طبيعة روحانية خالدة ، يستطرد ليبين أن النفس مع خلودها تقبل المضي في طريق الكمال .

وبعد أن يوضح هذه المبادىء يعود فيقول للخائفين من الموت انهم اذا كان خوفهم ناتجا من جهلهم لخلود النفس والمعاد ، فالجهل هو المخوف لهم في الحقيقة لا الموت ، ولو علموا بذلك لما خافوا ، فالجهل مرض في النفس والبرء منه فيه اللذة والخلاص والراحة السرمدية ، ويمضي في الكلام عن الجهل فيقول :
« ... وهذا الجهل هو الذي حمل العلماء على طلب العلم والتعب فيه وتركوا لاجله لذات الجسم وراحات البدن .. فلما تيقن الحكماء ذلك واستبصروا فيه وهجموا على حقيقته ووصلوا الى الروح والراحة هانت عليهم أمور الدنيا كلها واستحقروا جميع ما يستعظمه الجمهور من المال والثروة واللذات الحسية والمطالب ... وهي شؤون كثيرة الهموم اذا وجدت عظيمة الغموم اذا فقدت ، فاقتصروا على المقدار الضروري في الحياة الدنيا » .

ثم يقول ان تلك المطالب الدنيوية على ما تجلبه من هموم وغموم لا نهاية لها ويعبر عن ذلك بقوله :

« .. ولانها مع ذلك بلا نهاية وذلك لان الانسان اذا بلغ منها الى غاية تداعت الى غايه أخرى من غير وقوف على حد ولا انتهاء الى أمد .. » ويمضي الشيخ الرئيس فيقدم تعاريف فلسفية للموت والحياة فيقول :

« .. ولذلك جزم الحكماء الحكم بأن الموت موتان موت ارادي وموت طبعي ، وكذلك الحياة حياتان حياة ارادية وحياة طبعية وعنوا بالموت الارادي اماتة الشهوات وترك التعرض لها ، وعنوا بالحياة الارادية ما يسعى له الانسان في الحياة الدنيا من المآكل والمشارب والشهوات ، وبالحياة الطبعية بقاء النفس السرمدية في الغبطة الابدية بما تستفيده من العلوم وتبرأ به من الجهد ولذلك وصى أفلاطون الحكيم ، روح الله رمسه ، طالب الحكمة بأن قال مت بالارادة تحيى بالطبيعة » .

ونلاحظ هنا التقدير الكبير الذي يكنه ابن سينا لافلاطون ، فقد نعته بالحكيم كما دعا له مترحما عليه بقوله « روح الله رمسه » .

ويمضي ابن سينا موجها كلامه للخائفين من الموت فيقول :

« ان الانسان حي ناطق مائت فالموت تمامه وكماله وبه يصير الى أفقه الاعلى ·· فمن أجهل ممن يخاف تمام ذاته ومن هو أسوأ حالا ممن يظن أن فناءه بحياته ونقصانه بتمامه ·· فاذاً يجب على العاقل أن يأنس بالتمام ويطلب كل ما يتممه ويكمله ويعلي منزلته ··· وأن يثق بأن الجوهر الشريف الالهي اذا تخلص من الجوهر الكثيف الجسماني خلاص نقاء وصفاء لا خلاص مزاج وكدر فقد صعد العالم الاعلى وقد سعد وعاد الى ملكوته وفاز بجوار رب العالمين وخالطته الارواح الطيبة من أشكاله وأشباهه ونجا من أضداده وأغياره ، ومن هنا نعلم أن من فارقت نفسه بدنه وهي مشتاقة اليه مشفقة عليه خائفة من فراقه فهي في غاية الشقاء والالم من ذاتها وجوهرها » ·

ثم يتابع ابن سينا كلامه مخاطبا من يظن ان للموت ألما عظيما فيقول لهم ان الالم انما يكون بالادراك ، والادراك يكون للحي التي تكون النفس ملازمة له ، وأما الجسم الذي ليس فيه أثر النفس فانه لا يألم ولا يحس · فالموت الذي هو مفارقة النفس للبدن لا يكون له ألم لان البدن انما كان يألم ويحس بالنفس وتأثيرها فيه فاذا صار جسما لا أثر فيه للنفس فلا حس له ولا ألم ·

ثم يستطرد ابن سينا فيقول ان من يخاف الموت لاجل العقاب فهو ليس خائفا من الموت بل خائفا من العقاب ، أي خائفا من ذنوبه ، وهذه الذنوب تبقى لها آثار ومنعكسات سيئة على النفس بعد الموت · والاحرى بهؤلاء أن يجتنبوا ارتكاب الذنوب ·

ثم يتكلم عن أولئك الذين لا يخافون الموت وانما يحزنون على ما يخلفونه من أهل وولد ومال ، ويأسفون على ما سيفوتهم من ملاذ الدنيا وشهواتها ، فيقول ان مثل هذا الحزن لا يجديهم طائلا فالانسان من طبيعته الموت فمن أحب أن لا يموت كمن أحب أن لا يكون ، فكأن الواحد من هؤلاء يحب أن يكون وفي نفس الوقت يحب أن لا يكون وهذا من باب المحال ·

ويستطرد في أسلوبه المنطقي فيقول :

« فلو جاز أن يبقى الانسان لبقي من كان قبلنا ولو بقي الناس على ما هم عليه من التناسل ولم يموتوا لما وسعتهم الارض » ويبرهن على ذلك بمثال هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فيقول :

« ·· لو أن رجلا واحدا ممن كان منذ أربعمائة سنة هو موجود الآن كأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وله أولاد ولاولاده أولاد وبقوا كذلك يتناسلون

ولا يموت منهم أحد ثم مقدار من يجتمع منهم في وقتنا هذا فانك تجده أكثر من عشرة آلاف رجل .. واحسب كل من في ذلك العصر في بسيط الارض شرقها وغربها مثل هذا الحساب فانهم اذا تضاعفوا هذا التضاعف لم نضبطهم كثرة ولم نحصهم عددا ثم امسح بسيط الارض فانه محدود معروف المساحة لتعلم ان الارض حينئذ لا تسعهم قياما ومتراصين فكيف قعودا متصرفين ولا يبقى موضع لعمارة ولا مكان لزراعة ولا مسير لاحد ولا حركة وهذا في مدة يسيرة من الزمن فكيف اذا امتد الزمن وتضاعف الناس على هذه النسبة » .

ويستنتج من هذه المعطيات ليقول ان الموت هو تدبير الهي حكيم وهو الصواب الذي لا غنى عنه ، فالخائف من الموت هو الخائف من عدله وحكمته ووجوده وعطائه وينهي رسالته ليوضح أن الذي يخاف الموت هو الجاهل بطبيعة ذاته ، وأن الموت هو مفارقة النفس للبدن ، وليس في هذه المفارقة فساد للنفس ، وأن جوهر النفس ليس بجسم فيلزم فيه ما يلزم في الاجسام أو الاعراض فهو لا يحتاج الى مكان ولا الى زمان ، وهذا الجوهر يستفيد بالحواس والاجسام كمالا ، فاذا كمل بها ثم تخلص منها سار الى عالمه الشريف الى قرب بارئه ومنشئه وهو الله عز وجل .

رسالة الطير (١) .

يقدم لنا ابن سينا في رسالته هذه ، رسالة الطير ، لوحات روائية جميلة ، تتراءى معانيها وراء جمل مجازية يقصد منها شيخنا الرئيس تصوير الروح على أنها سجينة في البدن وهي تتمنى الانفلات من هذا السجن بعامل شوقها الى عالمها الالهي الخالد وتظل مشتاقة الى التحرر من عبودية البدن الى أن يأذن الله بفك أسرها وذلك بالموت ، أي بفناء البدن .

يقول الشيخ الرئيس في هذه الرسالة :

« .. برزت طائفة تقنص فنصبوا الحبائل ورتبوا الشرك(٢) وهيؤوا الاطعمة وتواروا في الحشيش وأنا في سربة طير اذ لحظونا فصفروا مستدعين .. فابتدرنا اليهم مقبلين وسقطنا في الحبائل أجمعين ، فاذ الحلق ينضم على أعناقنا والشرك يتشبث بأجنحتنا ، والحبائل تتعلق بأرجلنا ، ففزعنا الى الحركة فما زادتنا الا تعسرا فاستسلمنا للهلاك وشغل كل واحد منا ما خصه

---

١ — اورد ابن أبي أصيبعة نقلا عن الجوزجاني عنوان هذه الرسالة كما يلي : « رسالة الشبكة والطير » انظر كتاب « عيون الانباء في طبقات الاطباء » لابن أبي أصيبعة ص / ٤٤٠ .

٢ — الشرك جمعه شرك وأشراك = حبائل الصيد .

من الكرب عن الاهتمام بأخيه . وأقبلنا نتبين الحيل في سبيل التخلص زمانا حتى أنسينا صورة أمرنا ، واستأنسنا بالشرك واطمأننا الى الاقفاص » .

قبل أن أكمل سرد هذه الرسالة ، أود أن أبين أن المقصود بالطيور انما هي الارواح البشرية ، وأما سقوطها في الحبائل والشرك والاسر فمعناه حلولها في الابدان بعد أن كانت طليقة في عالمها العلوي ، وأن هذه الارواح استأنست الى هذا الاسر على كره منها بعد أن فشلت في محاولاتها الخلاص من هذا الاسر .

أعود الى نص الرسالة . يقول ابن سينا مستطردا :

« فاطلعت ذات يوم من خلال الشبك فلحظت رفقة من الطير أخرجت رؤوسها وأجنحتها عن الشرك وبرزت عن أقفاصها تطير وفي أرجلها بقايا الحبائل فذكرتني ما كنت أنسيته ونغصت علي ما ألفته فكدت أنحل أسفا أو ينسل روحي تلهفا فناديتهم من وراء القفص أن اقربوا مني توقفوني على حيلة الراحة .. فوافوني حاضرين فسألتهم عن حالهم فذكروا أنهم ابتلوا بما ابتليت به فاستأيسوا واستأنسوا بالبلوى ثم عالجوني فنحيت الحبالة عن رقبتي والشرك من أجنحتي وفتح باب القفص وقيل لي اغتنم النجاة فطالبتهم بتخليص رجلي عن الحلقة فقالوا لو قدرنا عليها لابتدرنا وخلصنا أرجلنا أولا واني يشفيك العليل فنهضت عن القفص أطير فقيل لي ان أمامك بقاعا لن تأمن المحذور الا أن تأتي عليها قطعا فاقتف آثارنا ننج بك ونهدك سواء السبيل » .

يود ابن سينا ، في هذا المقطع من الرسالة ان يقول : ان روحه أتيح لها من ساعدها وعلمها وهداها الى طريق النجاة وذلك عن طريق العلم والتأمل في قدرة الله وعبادته ، مما مكن لروحه أن تستعيد شيئا من الحرية التي قيدها به البدن ولكنها حرية محدودة لا بد لاكتمالها من تجشم المصاعب ويقصد بها الرياضة الروحية الشاقة .

يستطرد ابن سينا في رسالته فيقول :

« فساوى بنا الطيران .. ووافينا هامة الجبل فاذا أمامنا ثماني شواهق تنبو عن قللها اللواحظ فقال بعضنا لبعض سارعوا فلن نأمن الا بعد ان نجوزها ناجين ، فمانقنا الشد حتى أتينا على ستة من شوامخها وانتهينا الى السابع فلما تغلغلنا تخومه قال بعضنا لبعض هل لكم في الجمام فقد أوهتنا النصب .. فوقفنا على قلته فاذا جنان مخضرة الارجاء عامرة الاقطار مثمرة الاشجار جارية الانهار يروي بصرك نعيمها بصور تكاد لبهائها تشوش العقول وتستبهت الالباب ، وتسمعك ألحانا مطربة وأغاني شجية وتشمك روائح لايدانيها المسك السري

ولا العنبر الطري فأكلنا من ثماره وشربنا من أنهاره ومكثنا به ريثما أطرحنا الاعياء فقال بعضنا لبعض سارعوا فلا مخدعة كالامن ٠٠ وأجمعنا على الرحلة وحللنا بالثامن منها فاذا شامخ خاض رأسه في عنان السماء تسكن جوانبه طيور لم ألق أعذب ألحانا وأحسن ألوانا واظرف صورا وأطيب معاشرة منها ٠٠ ولما تقرر بيننا وبينها الانبساط أوقفناها على ما ألم بنا فأظهرت المساهمة في الاهتمام وذكرت أن وراء هذا الجبل مدينة يتبوؤها الملك الاعظم وأي مظلوم استعداه وتوكل عليه كشف عنه الضراء بقوته ومعونته ٠٠ وتيممنا مدينة الملك حتى حللنا بفنائه منتظرين لاذنه فخرج الامر باذن الواردين فادخلنا قصره فاذا نحن بصحن لا يتضمن وصف رحبه ٠٠ حتى وصلنا الى حجرة الملك فلما رفع الحجاب علقــت به أفئدتنا ودهشنا دهشا عاقنا عن الشكوى فوقف على ما غشينا فرد علينا الثبات بتلطفه حتى اجترأنا على مكالمته وعبرنا بين يديه عن قصتنا ٠٠ فقال لن يقدر على حل الحبائل عن أرجلكم الا عاقدوها بها واني منفذ اليهم رسولا لاماطة الشرك عنكم فانصرفوا مغبوطين وهو ذا نحن في الطريق مع الرسول واخواني متشبثون بي يطلبون مني حكاية بهاء الملك ٠٠ وسأصفه وصفا موجزا وافرا فأقول ٠٠ كل كمال بالحقيقة حاصل له وكل نقص ولو بالمجاز منفي عنه ، كله لحسنه وجه ولجوده يد ، من خدمه فقد اغتنم السعادة القصوى ومن صرمه فقد خسر الآخرة والدنيا » ٠

يشير هذا المقطع الى أن روح ابن سينا مع الارواح المرافقة له في رحلته تجشموا الكثير من العناء فقطعوا ست شوامخ اشارة الى التدرج الصاعد في سيرهم نحو الآفاق الالهية ، ثم وقفوا على الشامخ السابع وهذه المرحلة هي التي يسمونها في الصوفية مرحلة بدء الفناء الدنيوي تمهيدا للاتصال بالروح الالهية ، وأما في الشاهق الثامن والاخير فقد وجدوا طيورا سعيدة طليقة هي الارواح التي اتصلت بالذات الالهية قبلهم وهي التي دلتهم على قصر الملك ، والملك هنا هو الله ، وقد استجاب الله الى طلبهم فأرسل معهم رسولا هو ملك الموت ليحررهم من عبودية الجسد ٠ ويلاحظ هنا في وصف ابن سينا لله أنه يستعمل الاوصاف الصوفية المعبرة عن الجمال والحسن والبهاء والكمال الخ ٠٠٠

ويختتم ابن سينا رسالته بكلمة وجهها الى أولئك الذين لا يؤمنون بما يؤمن به من امكانية اتصال الروح بخالقها فيقول :

« كم من أخ قرع سمعه قصتي فقال أراك مس عقلك مسا أو ألم بك لم ولا والله ما طرت ولكن طار عقلك وما اقتنصت بل اقتنص لبك أنى يطير البشر أو ينطق الطير ٠٠٠ » ٠

ويجيبهم بمرارة قائلا :

« ما أكثر ما يقولون وأقل ما ينجع قولهم ٠٠ فمن اعتقد غير هذا خسر في الآخرة والاولى وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » ٠

وهكذا تنتهي « رسالة الطير » ، واني أنتهز الفرصة ، لاقول ان ابن سينا كان يعجبه تشبيه النفس الانسانية في بدنها كالطير السجين في القفص ، فهو في احدى قصائده الشعرية الفلسفية الجميلة يتكلم عن النفس ويشبهها بالحمامة (الورقاء) وقد جاء فيها :

هبطت اليك من المحل الارفع	ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف	وهي التي سفرت ولم تتبرقع
انفت وما انست فلما واصلت	الفت مجاورة الخراب البلقع
تبكي اذا ذكرت ديارا بالحمى	بمدامع تهمي ولما تقطع
اذ عاقها الشرك الكثيف وصدها	قفص عن الاوج الفسيح الاربع
حتى اذا قرب المسير الى الحمى	ودنا الرحيل الى الفضاء الاوسع
غدت تغرد فوق ذروة شاهق	والعلم يرفع كل من لم يرفع
فلاي شيء اهبطت من شاهق	عال الى قعر الحضيض الاوضع
ان كان اهبطها الاله لحكمة	طويت على الفذ اللبيب الاروع
وهبوطها ان كان ضربة لازب	لتكون سامعة بما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية	في العالمين فخرقها لم يرقع
فكانها برق تالق بالحمى	ثم انطوى وكانه لم يلمع (١)

وفي هذه القصيدة نلاحظ وجود أفكار ولوحات فلسفية شبيهة ببعض ما جاء في رسالة الطير حتى اننا نجد ابن سينا يكرر بعض الكلمات التي كررها مرارا في رسالة الطير كالشرك والقفص والشاهق ٠ وكأن ابن سينا يود أن يقول ان مدة اتصال الروح في البدن هي قصيرة جدا بالنسبة لعمر الزمان فهي أشبه ما تكون بقصر البرق الخاطف ، ويتساءل أيضا لماذا هبطت الروح من عليائها لتحل بالبدن ؟ ان كان هبوطها لتحصيل الكمال فان أكثر النفوس تغادر أبدانها دون وصولها الى الكمال ، وأما ان كان هذا الهبوط لامر آخر ، فتلك حكمة تتجاوز فهم الانسان ٠

---

١ ــ انظر ص ٤٤٦ من « عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة » وقد سبق التعريف به في احدى الحواشي والصفحة ٣٤ من كتاب « الكشكول » للعاملي / الجزء الثاني (دار احياء الكتب العربية / القاهرة) ٠

من تدقيق نصوص هاتين الرسالتين للشيخ الرئيس ، أي رسالته في « دفع الغم من الموت » و « رسالة الطير » يتبين لنا ما يلي :

١ ـ يفصل ابن سينا بين النفس والبدن ويتبين ذلك واضحا من قوله في الرسالة الاولى : « ان الموت ليس شيئا أكثر من ترك النفس واستعمال آلاتها ، كما يترك الصانع الآلة ٠٠٠ » ويقصد بالآلات جسم الانسان أو بدنه ٠

وابن سينا في فصله ما بين النفس والبدن يلتقي مع المدارس الفيثاغورية والسقراطية والافلاطونية والارسطوية والافلاطونية المحدثة ، وذلك كما سبق أن فصلت في مطلع هذا البحث ٠

الا أن ابن سينا يختلف مع المدرسة الابيقورية التي تؤمن بأن النفس الانسانية تتشكل مع البدن وتنحل بانحلاله ، كما يختلف مع المدرسة الرواقية التي ترى أن كل الموجودات في العالم هي موجودات حقيقية ومادية ، وان كل ما خلا ذلك مما هو خال من المادة لا يمكن أن يعد موجودا حقيقيا ٠

٢ ـ يصف ابن سينا النفس بأنها جوهر غير جسماني وغير قابل للفناء ، وفي هذا يتفق مع آراء المدرسة الفيثاغورية والسقراطيةوالافلاطونيةوالارسطوية والافلاطونية المحدثة ٠

ولكنه يختلف مع المدرستين الرواقية والابيقورية أيضا اللتين ترجعان الوجود الى عناصر مادية ٠

٣ ـ يعتقد ابن سينا ان النفس حلت بالبدن لعلة مفارقة ، وهي في ذلك أصبحت سجينة مقيدة الحرية في هذا البدن ، وتتطلع دوما للتخلص من سجنها ، ولذا فهي عندما تترك البدن بالموت تصبح طليقة متحررة من الاكدار التي قيدها به البدن ٠

هذا الرأي قالت به المدرسة الفيثاغورية بشكل واضح ، حتى انها استعملت نفس تعبير السجن لوضع النفس في البدن ٠ وتؤيـد المدرستان السقراطيـة والافلاطونية هذا الرأي ٠

أما المدرسة الارسطوية فتصف النفس التي تتحرر من البدن عن طريق الموت ، بانها تكون سعيدة ولكن دون أن تتذكر شيئا عن فترة وجودها في البدن ٠

وتلتقي المدرسة الافلاطونية الحديثة بهذا الاتجاه ، وتقول بأن الضرورة اضطرت النفس في وقت معين لان تحل في البدن ولكنها لا تصورها بالمتضايقة

أو المسجونة وانما تصف هذه المدرسة النفس بأنها تبقى في شوق للعودة الى عالمها . وفي هذا المجال أيضا تشذ المدرستان الرواقية والابيقورية عن هذا الاعتقاد لنفس الاسباب التي وردت قبل قليل .

٤ ـ يرى ابن سينا أن النفس ، باعتبارها جوهرا روحانيا ، فانها لا تقبل استحالة في ذاتها وانما تقبل المضي في طريق الكمال والتسامي .

وهو عندما يصف النفس بقبولها للكمال والتسامي فهو ينفي ويرفض أن يتم ذلك عن طريق التناسخ . ولئن جاء ذلك تلميحا في رسالة « دفع الخوف من الموت » الا أن الشيخ الرئيس يورد رفضه للتناسخ بشكل واضح وصريح في كتابه « الشفاء » (١) وتؤيد المدرسة الارسطوية « أي المشائين » ابن سينا في هذا المجال ، فأرسطو ينفي التناسخ بشدة كما سبق الكلام عن ذلك حين استعراض المدارس الفلسفية اليونانية .

أما المدرسة الفيثاغورية فقد سبق الحديث عن ايمانها بالتناسخ ، الا أن افلاطون أعطى للتناسخ مفهوما خاصا وهو أن النفس تهبط الى الارض مرة كل ألف سنة لتنتخب الحياة الارضية الجديدة والبدن الذي تحل فيه ، وان حسن اختيارها يتعلق بمدى ما اكتسبته من علوم ومعرفة في حيواتها (جمع حياة) السابقة .

وبالنسبة لافلوطين أي للمدرسة الافلاطونية المحدثة ، فلا يجري الكلام عن شيء اسمه التناسخ ، وهي تؤمن أن النفس الكلية ، وهي العقل الكلي (أي الله) وفعله ، تفيض نفوسا من جوهر واحد .

٥ ـ بالرغم من اعتقاد الشيخ الرئيس أن النفس هي جوهر روحاني ، فانه لا ينكر ما تتعرض له النفس من ضغوط البدن عليها بدليل لما ورد قبل قليل في رسالته « دفع الغم من الموت » أن الذنوب تبقى لها آثار في النفس والاحرى بالناس أن يحترزوا من ارتكاب الذنوب وان يجتنبوا التعرض لها . وتاتي فكرة ابن سينا عن ضغط البدن بطبائعه وغرائزه على النفس ، بشكل جلي في كتابه « الشفاء » (٢) اذ يقول : « ان جوهر النفس له فعلان : فعل له بالقياس الى البدن ، وفعل له بالقياس الى ذاته ومبادئه وهو الادراك بالعقل . وهما متعاندان متمانعان ، فاذا اشتغل بأحدهما انصرف عن الآخر

---

١ ـ كتاب الشفاء ـ الطبيعيات ٦ ـ النفس ص / ٢٠٧ (طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥) .
٢ ـ نفس المصدر ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .

ويصعب عليه الجمع بين الامرين • وشواغله من جهة البدن هي الاحساس والتخيل والشهوات والغضب والخوف والغم والفرح والوجع » •

ويقول في مكان آخر من الكتاب نفسه (١) :

« قد تحتاج النفس في كثير من الامور الى البدن ، فيبعدها البدن عن أفضل كمالاتها • فاذا زالت عن النفس هذه العوائق عادت للنفس أفضل التعقلات وأوضحها وألذها » • ونرى هنا أنه فيما عدا مدرستي الشكاكين والرواقيين ، فان جميع المدارس الفلسفية اليونانية التي ذكرناها تتضمن آراؤها الفلسفية مثل هذا الرأي بشكل أو بآخر حتى ان الابيقوريين يدفعون تأثر النفس بالبدن وتأثر البدن بالنفس الى أبعد مدى ممكن لانهم يعتقدون أن التأثير متبادل وحميمي ما بين النفس والجسد بحيث تفنى النفس مع فناء الجسد •

٦ ــ وجود الله وطبيعته : بينما نرى الابيقوريين ينكرون وجود الله ويعتبرونه وهما من صنع البشر ، وبينما نرى الرواقيين يعتبرون الله قوة من نوع النار منحلة في جميع أجزاء المادة التي يتكون منها العالم ، وبينما نرى أرسطو يعتقد باله يملك ولا يحكم ، وبينما نجد فيثاغوراس يؤمن بوجود العديد من الآلهة دون أن يحدد دورهم وطبيعتهم •

بينما نرى هذه التيارات ، يبرز لنا ابن سينا مؤمنا باله واحد مبدع للكون بفيض يصدر من ذاته ، ملتقيا مع المدرسة الافلاطونية المحدثة في هذا المجال • ولئن سلمنا بصحة ما يقوله الكثيرون من أن ابن سينا تأثر بنظرية الفيض الالهي من المدرسة الافلاطونية المحدثة ، الا أنه صبغها بصبغة اسلامية فجاءت فكرته عن الاله أكثر وضوحا ومصبوغة أيضا بصبغة صوفية •

فالله بالنسبة للشيخ الرئيس ، هو الكمال المطلق وهو علة الوجود وان كل ما في هذا الكون صدر بفيض من ذاته دون أن تتأثر هذه الذات ، وان النفس باعتبارها فيضا من الذات الالهية ومن نفس نوعية جوهرها ، فانها تشتاق لان تتحرر من البدن لتعود الى صفائها وطبيعتها ، ويرى ابن سينا أن الانسان عندما يميت شهوات بدنه ممارسا الرياضات الروحية الشاقة فان نفسه لا تلبث ان تجد طريقها ، ولو قبل الموت الجسدي ، للاتصال بالروح الكلية (أي الله) وذلك في حالات يسميها الصوفيون بالشطح (٢) وهذا واضح من « رسالة الطير » التي تلوت قبل قليل كثيرا من مقاطعها •

---

١ ــ نفس المصدر ص ٢١٠ •

٢ ــ ورد في كتاب « شطحات الصوفية » لعبد الرحمن بدوي ص / ٩ ــ ١٠ (وكالة المطبوعات بالكويت / طبعة ثالثة ١٩٧٨) وصف للشطح كالتالي : « الشطح هو تعبير عما تشعر به النفس حينما تصبح لاول مرة في حضرة الالوهية » •

ولئن كان المتصوف أبو الحسين النوري (١) (المتوفي عام ٢٥٩ هـ) يعرف المتصوفين بأنهم « أولئك الذين صفت أرواحهم فساروا في الصف الاول بين يدي الله » فان مثل هذا التعريف ينطبق على معتقدات الشيخ الرئيس بشكل لا يحتمل الشك ·

بعد أن بينت باختصار نقاط الالتقاء ونقاط الاختلاف فيما بين آراء ابن سينا الفلسفية والآراء المقابلة في المدارس الفلسفية اليونانية ، أود أن أوضح أني لم أورد هذه الدراسة المقارنة على أساس أن فلسفة ابن سينا في واد وفلسفة تلك المدارس في واد آخر لا صلة له بالاول ، وانما قمت بذلك منطلقا من اعتقادي بأن ابن سينا ، وهو العالم المتعطش دوما للمعرفة ، تفاعل مع هذه المدارس جميعا · وهي وان كان قيامها قبل عصره بقرون عديدة الا أن تياراتها كانت ما تزال فاعلة في العصر الذي عاش فيه ابن سينا · ويؤكد هذا التفاعل ابن سينا نفسه في مقدمة كتابه « منطق المشرقيين » اذ يقول :

« وبعد فقد نزعت الهمة بنا الى أن نجمع كلاما فيما اختلف أهل البحث فيه ، لا نلتفت فيه لفتة عصبية أو هوى ، أو عادة الف ، ولا نبالي مفارقة تظهر منا لما ألفه متعلمو كتب اليونانيين الفا عن غفلة وقلة فهم ، المشغوفين بالمشائين والظانين أن الله لم يهد الا اياهم ولم ينل برحمته سواهم ، مع اعتراف منا بفضل سلفهم (يقصد بذلك أرسطو) في تنبيهه لما نام عنه ذووه وأساتذته ·· » ثم يلاحظ شدة التيار الارسطوي فيستطرد القول :

« ولما كان المشتغلون بالعلم شديدي الاعتزاء الى المشائين من اليونانيين ، كرهنا شق العصا ومخالفة الجمهور فانحزنا اليهم ·· » ·

ولكن سرعان ما يوضح الشيخ الرئيس ان هذا الانحياز ليس بالاعمى ، وأن لا شيء يحول بينه وبين أن يصحح ما أخطؤوا فيه ، وأن يكمل ما قصروا في بلوغه فيقول في نفس المقدمة :

« وأكملنا ما قصروا فيه ولم يبلغوا أربهم فيه ، وأغضينا عما تخبطوا فيه ، وجعلنا له وجها ومخرجا ونحن بدخلته شاعرون وعلى باطله واقفون ، فان جهرنا بمخالفتهم فمن الشيء الذي لا يمكن الصبر عليه ، وأما الكثير فقد غطيناه بأغطية التغافل ··· » ·

نلاحظ من هذا المقطع من مقدمة كتابه « منطق المشرقيين » :

---

١ ـ انظر كتاب « التصوف في الاسلام » للدكتور أبو العلا عفيفي ص / ٤٣ (دار الشعب / بيروت) ·

أولا ــ الجملة الأولى من هذا المقطع أتت بتعبير عن سلوك علمي عام لابن سينا ٠

أي انها تحدد منهاجا عاما يسلكه ابن سينا باعطائه الرأي دون عصبية أو هوى تجاه ما اختلف أهل البحث فيه ٠

ثانيا ــ نرى في هذا الكلام نقدا صريحا للمدرسة الارسطوية (المشائين) ولكنه نقد بدون تجريح يدل على أخلاق علمية عالية ، وربما كان تمرسه في الحكم أعطاه العقلية الدبلوماسية التي تغلف النقد والرفض بغلالة شفافة من الايجابية(١) ٠ ومن الواضح ــ على ضوء ما سبق من حديث عن ابن سينا والمدارس الفلسفية اليونانية ، أن ابن سينا تفاعل مع جميع التيارات الفلسفية المعروفة في زمانه ، ولا شك أنه تأثر بها ويبدو تأثره واضحا بالمدرسة الافلاطونية منها وهي التي تقول ان Emanation المحدثة وبشكل خاص بنظرية الفيض كل ما في الوجود هو فيض من الذات الكلية التي هي الله ٠

الا أن شيخنا الرئيس لم يكن في تأثره من تلك التيارات والمدارس الفلسفية مقلدا ولا ناقلا ٠ وانما هو تمثل هذه التيارات وصهرها في بوتقه فكره الخلاق ليبني فلسفة خاصة به متكاملة الجوانب ٠ وهو أمر طبيعي فالعلم الانساني سلسلة متصلة الحلقات بدأت أول حلقة منها منذ أن وعى الانسان وجوده في هذا الوجود ٠

فتحية لذكرى الشيخ الرئيس في العيد الالفي لميلاده ولعل في تكريم هذا العالم الذي ساهم في بناء المعرفة الانسانية تكريما لكل باحث عن الحقيقة والمعرفة في مختلف العصور ٠

---

١ ــ تقلد ابن سينا الوزارة مرتين لدى الامير شمس الدولة (أبو طاهر بن فخر الدولة البويهي) حاكم همدان وكرمنشاه حتى انه كان يعمل في شؤون الحكم نهارا وفي شؤون العلم ليلا [من عيون الانباء لابن أبي أصيبعة ص ٤٤٠ ــ ٤٤١] ٠

ابن سينا : فخر العرب وعبقري الاسلام

محمد فؤاد عينتابي
باحث

تتجلى العبقرية في كثير من الاحيان مبكرة منذ الصغر ، تتألق باشعاع الفكر، وبفيض من أنوار الحكمة والنبوغ، تنطلق بحيوية وقوة ومضاء عزم لتنير ما حولها من ظلمات الجهل والتخلف ، تدعمها قوة العزيمة والصمود في معترك الحياة لتقلبات الظروف ومحن الزمن وصروفه ·

كان الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن سينا ، حامل لواء النهضة الفكرية من الشرق الى الغرب ، فخر العرب وعبقري الاسلام · اتسمت عبقريته بالغرابة والشذوذ فهي دائما طليقة وثابة حرة لا تستقر على حال · فهو نادرة عصره في علمه وذكائه وتصانيفه · خاض معترك الحياة وهو قوي الحجة ، ثبت الجنان ، قاوم تياراتها المختلفة بقوة وعزم ، وساعده على صموده ومواقفه هذه ذكاؤه الفطري واستقلاله الفكري ، مما أبرز شخصيته الفذة وجعلها موئلا للتقدير والاكبار ·

ابن سينا أعظم شخصية اسلامية تمثل المعرفة الموسوعية في جميع العلوم · فقد كان موسوعيا في تفكيره وعلمه ، وهو « ذو عقل كبير » كما وصفه أحد كتاب الغرب ، فقد كان طبيبا ، فيلسوفا ، اداريا ، أديبا شاعرا ، بالاضافة الى ما ألفه في جميع العلوم التي كانت معروفة في عصره ، ومنها : الفلسفة والطب ، والتاريخ الطبيعي ، والفيزياء والكيمياء ، والفلك والرياضيات والموسيقا ·

ومن تجاربه في الحكم والادارة وتقلده « شيئا من أعمال السلطان » كما يقول ، والمناصب التي أنيطت به فقد أفاد من تجاربه هذه وحنكته : السياسة وعلم الاقتصاد ·

بلغ ابن سينا الذروة التي وصلت اليها جهود اليونان وتجاربهم بالاضافة الى ما اكتسبه العرب وما ارتقوا اليه في العلوم والفلسفة ، وقد امتدت هذه الجهود أحد عشر قرنا بعد أن تقدمت بوساطتهم تجارب اليونان بما لا يقل عن قرنين من الزمن ·

كان ابن سينا ذا معرفة متألقة ، اشتهر بسعة ادراكه ، فقد كان يريد الاحاطة بأنواع المعرفة كلها ، نسج على منوال أرسطو وتتبع آراءه الفلسفية الى مصادرها الاولى ·

ولقد استقى ابن سينا كثيرا من معلوماته في الفلسفة والمنطق من الترجمات اليونانية عن طريق السريانية وشروحها ، ومن مؤلفات المعلم الثاني « الفارابي » ولا سيما في المنطق فقد سار على نهجه ، اذ حاول ابن سينا التوفيق بين الفلسفة والدين كما فعل غيره من قبل ومن بعد للتوفيق بين الفكرة الفلسفية والتعاليم الدينية سواء في الشرق أو في الغرب • ولكن ابن سينا امتاز على كثيرين من الفلاسفة بسعة أفقه وادراكه ، فكان حر الفكر يعالج الامور بلباقة وذكاء (١) •

كان ابن سينا عملاقا ليس في الطب والعلوم الاخرى فحسب بل من حيث هو فيلسوف أيضا ، وكان أثره في هذين المجالين مؤيدا بالاثبات والتأكيد حتى يومنا هذا • وترجع شهرته أولا الى مؤلفاته الطبية ولا سيما « القانون » الذي أصبح الحاكم المسيطر على الطب الاوروبي عصورا كثيرة بعد أن قام بترجمته الى اللاتينية جيرار الكريموني • « وشهرته هذه تعود الى جمعه الشامل بين المعرفة النظرية والفكرة المنسقة مع الملاحظة السريرية الدقيقة » (٢) •

كان ابن سينا أول من أشار بوضوح الى عدوى السل الرئوي وانتقال الامراض بالماء والشراب ، وهو أول من وصف داء الفيلاريا أي الفيال وانتشاره في الجسم ، والفيال تضخم هائل في عضو من أعضاء الجسم • وابن سينا أول من وصف داء الجمرة الخبيثة وسماها بالنار الفارسية ، وأول من قال بالعدوى الوراثية (٣) •

وقد عرف ابن سينا كثيرا من العقاقير والمواد الطبية التي لم يعرفها اليونان قبله وبلغ عدد هذه العقاقير (٧٦٠) بالعدد (٤) •

ولتصفية الذهن واراحة الفكر وحل المغاليق المبهمة استعمل ابن سينا الرياضة الروحية والرياضة البدنية في طلب الهداية والغفران •

---

١ ــ انظر بحث « ينابيع المعرفة عند ابن سينا » ل : غريغوريوس بولس بهنام ، مطران الموصل وتوابعها للسريان الارثوذكس (الموصل) ــ مجلة المجمع العلمي العربي ص ٢١٣ ــ ٢٣٧ الجزء الثاني ــ المجلد (٣٣) نيسان ١٩٥٨ •

٢ ــ W. Montgomery Watt : The Majesty .

ص (٢٢٨) Thak was Islam .

٣ ــ انظر : سلسلة الابحاث عن « ثقافة الاطباء العرب » للدكتور عبد الرحمن الكيالي في مجلة المجمع العلمي العربي (١٩٥٩ ــ ١٩٦٠ م) •

٤ ــ دائرة معارف Chambers's مجلد (٢) ص (١٨) •

وقد أجرى « جورج سارطون » الكاتب المعروف في تاريخ العلوم ، دراسة مقارنة بين أشهر العلماء بالنسبة الى أهميتهم في القرن الرابع عشر الميلادي ، فجاء في الدرجة الاولى أرسطو ثم تلاه ابن سينا فبطليموس فجالينوس ثم بترارك الشاعر الايطالي ثم القديس توما الاكويني وبقراط وابن رشد (٥) ٠

كانت لابن سينا أطماع سياسية مما جعله يتنقل من بلد الى بلد في المملكة الاسلامية الممتدة شرقا حتى حدود الهند ، وكانت سيرة حياته حافلة بالاحداث والمفارقات فقد أكمل العلوم وحصل الطب وهو بين السادسة عشرة والعشرين من عمره ٠ كان قوي الذاكرة والحجة والبرهان سريع الحفظ والقياس والفهم ، حفظ القرآن واستظهر كتب اللغة والفقه والحديث واطلع على ما ترجم في زمنه من كتب الفرس واليونان وقرأ كتاب ما وراء الطبيعة للفارابي أربعين مرة حتى فتحت عليه مغاليقه وما أبهم عليه من القضايا والمسائل الفلسفية ، كما كان متبحرا في العلوم الالهية ، وشغفه بالفلك والرياضيات والموسيقا معروف ، واما اتقانه اللغة العربية فكان عميقا بالغ الشأو عظيم الاثر ٠

وله قصائد في التصوف والالهيات دلت على شعور صوفي فلسفي عميق ويتسم شعره بنزعة فلسفية صوفية كما يتجلى لنا ذلك في قصيدته العينية في النفس ٠ ومن شعره :

هـذب النفس بالعـلوم لترقـى — فترى الـكل فهـي للـكل بيـت
انمـا النفـس كالزجاجـة والعلـ — ـم سـراج وحكمـة الله زيـت
فهـي ان اشرقـت فانـك حـي — وهـي ان اظلمـت فانـك ميـت

قضى ابن سينا قسما مهما من حياته طبيبا في بلاط الملوك والامراء متنقلا بين بخارى وطهران وهمذان وأصفهان ، وبلغت مؤلفاته (٣٣٥) مؤلفا (٦) بين كتاب ورسالة وبحث وأكثرها مؤلفات علمية باللغة العربية ، ومنها الصحيح والمتحول ، وله بعض المؤلفات الاخرى في الشعر باللغة الفارسية ٠

صنف كتاب « الشفاء » في الحكمـة ، و « النجـاة » و « الاشـارات » و « القانون » وغير ذلك ، ورسالة في فنون شتى وله رسائل بديعة : منها

---

٥ ــ George Sarton : Appreciation of Ancient and Medival Science . ص (١٨٠) ٠

٦ ــ يراجع بهذا الصدد كتاب الدكتور جورج شحاته قنواتي « مؤلفات ابن سينا » مصر ١٩٥٠ ٠

رسالة « حي بن يقظان » ورسالة « سلامان وابسال » ورسالة « الطير » وغيرها (٧) ٠

وشملت تآليفه كل ما توصل اليه الانسان من معرفة وعلم حتى عصره الذي عاش فيه ، ومنها الرياضيات والفيزياء والكيمياء والفلك والنبات وخراج الممالك والفلسفة واللغة حتى علم الاحافير (المستحاثات) الى غير ذلك (٨) ٠

وأما في الفيزياء فقد قدر بثاقب فكره أنه لا قيمة للزمن في عالم ثابت لا يتحرك ، وبهذا فقد استطاع أن يلم بقانون الحركة قبل نيوتن بسنين كثيرة ٠ وقام ببعض الارصاد الفلكية ودرس الحركة والقوة والضوء والوزن النوعي ، ولم يقبل بنظرية امكان تحويل المعادن الخسيسة الى ذهب وفضة ٠

وأما معرفته بنظرية الايقاع الموسيقي فكانت أفكاره فيها سابقة لعصره وزمانه (٩) ٠

وكان ابن سينا قد وضع نظاما للفلسفة الطبيعية معتمدا على التجارب العلمية ، جامعا بذلك بين الفكر اليوناني والعلم الفارسي وذلك قبل فرنسيس بيكون ووليام هارفي بستمائة سنة (١٠) ٠

يتساءل سارطون عن حقيقة ابن سينا وهل يعد عربيا لانه ألف باللغة العربية أو فارسيا أو تركيا بالنسبة الى مقره وموطنه (١١) ؟ ٠

ويجيب عن ذلك قائلا :

« لا يهمنا ذلك كله لان ابن سينا رجل من أعاظم رجال العالم ، ويسمو على كل اعتبار اقليمي ، فشخصيته الفذة تبين لنا بوضوح جميع الملابسات والتعقيدات بكل ما له صلة باللغة أو العرق أو الدين التي كانت سائدة في

---

٧ ــ ابن خلكان ص ١٦٠ ج٢ ٠

٨ ــ (الاجنحة الستة) ص (١٦٢) George Sarton : "Six Wings" .

٩ ــ دائرة معارف Chanbers's مجلد ٢ ص ٨ ٠

١٠ ــ ص ٤٩٧ مجلد ١ New English Encyclopedia .

١١ ــ انظر مقال Aydin M. Sayili في مجلة « ايزيس » العدد ٣١ ص ٨ ــ ٢٤ وسارطون ص ١٤٩ المصدر السابق ٠

البيئة التي عاش فيها ، ولكن ما يهمنا هو جهوده وانتاجه العلمي فقد كان عبقريا جامعا ، شملت عبقريته ووعت كل ما وسعته كنوز اليونان والبيزنطيين والعرب من العلم والمعرفة التي اكتسبها ، ولا مراء في أن المؤثرات التي تعرض لها ابن سينا في بحوثه العلمية « كانت اسلامية ، فارسية ، عربية ، وأما مؤلفاته فمعالم خالدة في اللغة العربية »(١٢) ٠

ألف ابن سينا موسوعة فلسفية هي كتاب « الشفاء » Sanatio ، وموسوعة طبية هي « القانون » التي فسخت ما كان قبلها وحلت مكان المؤلفات الطبية لدى القدماء ، وظل القانون ، بمثابة « كتاب مقدس » في الطب بما لا يقل عن ستة قرون ، ولم يكن « القانون » الكتاب المقدس من الناحية الطبية للقرون الوسطى فحسب بل تعدى ذلك الى عصر النهضة وما بعده بقرن ونصف (١٣) ٠

أما كتاب « الشفاء » Sanatio فبحث مستفيض عن منطق أرسطو وما وراء الطبيعة وعلم النفس ، تحدث به عن مناح كثيرة من المعرفة النظرية وما وراء الطبيعة والرياضيات كما تضمن أبحاثا تتصل بالاخلاق والاقتصاد والسياسة ٠ وفلسفة ابن سينا ذات صبغة صوفية متأثرة بالافلاطونية الحديثة ، تعتمد على آراء أرسطو وفلسفته ، فقد أراد ابن سينا أن يوفق بينها وبين تعاليم الاسلام أي بين العلم والدين ٠

ترجم « الشفاء » الى اللاتينية وسمي Sufficienta وكان له أعظم الاثر في مفكري الغرب وفلاسفته مما حدا بروجر بيكون الى أن يشير الى ابن سينا بأنه المرجع الرئيس في الفلسفة بعد أرسطو :

(The Chif anthority in Philosophy after Aristotle)

ان هذين المؤلفين العظيمين : « القانون » و « الشفاء » جعلا من ابن سينا زعيما غير منازع في الطب والفلسفة والتاريخ الطبيعي (١٤) ٠

حياتـه : (٩٨٠ ـ ١٠٣٧ م ـ ٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ)

---

١٢ ـ سارطون ص ١٨٤ ٠

١٣ ـ المصدر السابق ص ٤٠ ـ ٤١ ٠

١٤ ـ دائرة المعارف الاسلامية (النسخة الانكليزية) ـ الطبعة الثانية الحديثة مجلد ٣ ، ص ٩٤٤ (بحث « ابن سينا » للاساتذة : غواشون) ٠

ولد ابن سينا (١٥) في العام ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م · في قرية أفشنة بالقرب من بخارى من بلاد ما وراء النهر وكان أبوه من أهل بلخ ثم انتقل منها الى بخارى (بمقاطعة تركستان في آسيا الوسطى) في أيام الامير نوح بن منصور الساماني · وتوفي في مدينة همذان من بلاد ايران في العام ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ ـ ١٠٣٧ م حيث يوجد ضريحه ويزوره حتى اليوم كثير ممن يحجون الى قبره ·

وفي عامه السابع عشر عين طبيبا للامير نوح بن منصور ·

ولندع ابن سينا يحدثنا بنفسه عن منشئه وحياته قال :

« ان أبي كان رجلا من أهل بلخ وانتقل منها الى بخارى في أيام نوح بن منصور واشتغل بالتصرف بقرية خرميشن وتزوج أمي من قرية يقال لها أفشنة وولدت منها بها وولد أخي ثم انتقلنا الى بخارى وأحضرت معلم القرآن والادب وكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الادب ، حتى كان يقضى مني العجب ، وأخذ والدي يوجهني الى رجل كان يبيع البقل ويقوم بحساب الهند حتى أتعلمه منه ، ثم جاء بخارى أبو عبد الله الناتلي(★) · وكان يدعي الفلسفة وأنزله أبي دارنا رجاء تعلمي منه وكان أي مسألة قالها لي أتصورها خيرا منه ، فقرأت ظواهر المنطق عليه وأما دقائقه فلم يكن عنده منه خبرة · ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي وأطالع الشروح حتى أحكمت علم المنطق وكذلك كتاب أقليدس فقرأت من أوله خمسة أشكال أو ستة عليه ثم توليت حل بقية الكتاب بأسره ثم انتقلت الى المجسطي ولما فرغت من مقدماته وانتهيت الى الاشكال الهندسية قال لي الناتلي :

« قول قراءتها وحلها بنفسك ثم اعرض علي ما تقرؤه لابين لك صوابه من خطئه » وما كان الرجل يقوم بالكتاب ، وأخذت أحل ذلك الكتاب ، فكم من شكل مشكل ما عرفه الا وقت ما عرضته عليه وفهمته اياه ·· » ثم فارقني الناتلي (١٦) ·

ويستطرد ابن سينا فيتابع قوله :

---

١٥ ـ ترجمته : القفطي : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص (٢٦٨ ـ ٢٧٨) ـ ابن أبي أصيبعة ص ٢٣٩ وما بعد ، ابن العبري (٣٢٧ ـ ٣٢٩) وابن خلكان : ص ١٥٧ ـ ١٦٢ ·

(★) نسبة الى « ناتلة » وهي قصبة في اقليم طبرستان وتبعد خمسة فراسخ عن مدينة آمل كما ذكر ذلك ياقوت الحموي ·

١٦ ـ القفطي : ص ٢٦٩ ·

« واشتغلت أنا بتحصيل الكتب من النصوص والشروح ، من الطبيعي والالهي وصارت أبواب العلوم تتفتح علي • ثم رغبت في علم الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه ، وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة ، فلا جرم أنني برزت فيه في أقل مدة حتى بدأ فضلاء الطب يقرؤون علي علم الطب وتعهدت المرضى فانفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف وأنا مع ذلك اختلف الى الفقه وأناظر فيه • وأنا في هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنة • ثو توفرت علي القراءة سنة ونصفا فأعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة وفي هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها ولا اشتغلت في النهار بغيره ،/فاذا تحيرت في مسألة ولم أظفر بالحد الاوسط في قياس ترددت الى الجامع وصليت وابتهلت الى مبدع الكل حتى فتح لي المغلق منه والمتعسر وكنت أرجع بالليل الى داري وأضع السراج بين يدي وأشتغل بالقراءة والكتابة ، فمهما غلبني النوم أو شعرت بضعف عدلت الى شرب قدح من الشراب ريثما تعود الي قوتي ثم أرجع الى القراءة ومتى أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها حتى ان كثيرا منها انفتح لي وجوهها في المنام، ولم أزل كذلك حتى أحكمت علم المنطق والطبيعي والرياضي ، ثم عدت الى العلم الالهي وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة فما كنت أفهم ما فيه والتبس علي غرض واضعه حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لي محفوظا وأنا مع ذلك لا أفهمه وأيست من نفسي وقلت : هذا كتاب لا سبيل الى فهمه • واذا أنا يوما حضرت وقت العصر في الوراقين وبيد دلال مجلد ينادي عليه فعرضه علي فرددته رد متبرم معتقد أن لا فائدة في هذا العلم • فقال لي : اشتر مني هذا فانه رخيص أبيعكه بثلاثة دراهم وصاحبه محتاج الى ثمنه ، فاشتريته فاذا هو كتاب لابي نصر الفارابي في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة فرجعت الى بيتي وأسرعت الى قراءته فانفتح علي في الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه قد صار لي على ظهر القلب وفرحت بذلك وتصدقت بشيء على الفقراء شكرا لله تعالى • فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري فرغت من هذه العلوم كلها وكنت اذ ذاك للعلم أحفظ ولكنه اليوم معي أنضج والا فالعلم واحد لم يتجدد لي بعده شيء • ثم مات والدي وتصرفت بي الاحوال وتقلدت شيئا من أعمال السلطان • ودعتني الضرورة الى الارتحال من بخارى والانتقال عنها الى جرجان وكان قصدي الامير قابوس (شمس المعالي قابوس بن وشمكير) فاتفق في أثناء هذا أخذ قابوس وحبسه وموته • ثم مضيت الى دهستان ومرضت بها مرضا صعبا وعدت الى جرجان وأنشأت في حالي قصيدة فيها بيت القائل :

لما عظمت فليس مصر واسعي   لما غلا ثمني عدمت المشتري

قال أبو عبيدة الجوزجاني : الى هنا انتهى ما حكاه الشيخ (الرئيس ابن سينا) عن نفسه • وفي هذا الموضوع أذكر أنا (أي الجوزجاني) بعض ما شاهدت من أحواله في حال صحبتي له والى حين انقضاء مدته •

قال : في مدة مقامه بجرجان صنف أول القانون ومختصر المجسطي وغير ذلك • ثم انتقل الى الري واتصل بخدمة السيدة وابنها مجد الدولة • ثم خرج الى قزوين ومنها الى همذان فاتصل بخدمة كدبانويه وتولى النظر في أسبابها • ثم سألوه تقلد الوزارة فتقلدها ، ثم اتفق تشويش العسكر عليه واشفاقهم منه على أنفسهم فكبسوا داره وأخذوه الى الحبس وأخذوا جميع ما كان يملكه وساموا الامير شمس الدولة قتله فامتنع عنه وعدل الى نفيه عن الدولة طلبا لمرضاتهم • فتوارى الشيخ (ابن سينا) في دار بعض أصدقائه أربعين يوما • فعاد الامير طلبه وقلده الوزارة ثانية • ولما توفي شمس الدولة وبويع ابنه طلبوا أن يستوزر الشيخ فأبى عليهم وتوارى في دار أبي غالب العطار وهناك أتى على جميع الطبيعيات والالهيات ما خلا كتابي الحيوان والنبات من كتاب الشفاء • وكاتب علاء الدولة سرا يطلب المسير اليه فاتهمه تاج الملك بمكاتبته وأنكر عليه ذلك وحث في طلبه • فدل عليه بعض أعدائه فأخذوه وأدوه الى قلعة يقال لها بردجان وأنشأ هناك قصيدة فيها :

دخولـــي باليقـــين كمـــا تـــراه   وكل الشـــك في امـــر الخـــروج

وبقي سجينا اربعة أشهر في القلعة ثم أخرج من سجنه وحمل الى همذان ، ثم خرج منها متنكرا الى اصفهان وأنا وأخوه وغلامان معه في زي الصوفية الى أن وصلنا الى أصفهان فصادف في مجلس علاء الدولة الاكرام والاعزاز الذي يستحقه مثله • وصنف هناك كتبا كثيرة •

ويتابع الجوزجاني كلامه قائلا : « وكان الشيخ (ابن سينا) قوي القوى كلها وكانت قواه الشهوانية أقوى وأغلب فأثر ذلك في مزاجه ، وكان سبب موته قولنج عرض له ، ولحرصه على برئه حقن نفسه في يوم واحد ثماني مرات فتقرح بعض أمعائه وظهر به سحج وعرض له الصرع الذي قد يتبع القولنج وصار من الضعف بحيث لا يقدر على القيام ، فلم يزل يعالج نفسه حتى قدر على المشي لكنه مع ذلك لا يتحفظ ويكثر التخليط في أمر المعالجة ولم يبرأ من العلة كل البرء وكان ينتكس ويبرأ كل الوقت ، ثم قصد علاء الدولة همذان وسار معه الشيخ (ابن سينا) فعاودته في الطريق تلك العلة الى أن وصل الى همذان وعلم ان قوته قد سقطت وأنها لا تفي بدفع المرض فأهمل مداواة نفسه وأخذ يقول : « المدبر (أي الطبيعة) الذي كان يدبرني قد عجز عن التدبير والآن فلا تنفع المعالجة » • وبقي على هذا أياما ثم انتقل الى جوار ربه ودفن بهمذان وكان عمره ثمانيا وخمسين سنة ، وكان موته في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة هجرية وفيه قال بعضهم :

ما نفع الرئيس من حكمه الطب ولا حكمه على النيرات

ومن وصيته التي أوصى بها صديقه أبا سعيد بن أبي الخير الصوفي ، قال :
« ليكن الله تعالى أول فكر له وآخره ، وباطن كل اعتبار وظاهره ، ولتكن عينه نفسه مكحولة بالنظر اليه ، وقدمها موقوفة على المثول بين يديه ، مسافرا بعقله في الملكوت الاعلى وما فيه من آيات ربه الكبرى » (١٧) ٠

القانون في الطب :

كان لقانون ابن سينا حرمة بالغة وتقدير عظيم ، وربما كان أكثر المؤلفات الطبية أهمية بالنسبة الى المؤلفات التي عني العالم بدراستها اطلاقا اذ ما زال القانون حتى يومنا يحظى باهتمام العلماء ودراسته ودراسات علمية منهجية دقيقة وهو من أمهات الكتب الطبية التي لها آثارها العظيمة في البلاد الاسلامية وفي الغرب حيث لقب بأمير الاطباء ٠

« وبلغ كتاب القانون قمة ما وصل اليه العرب من التنظيم والتبويب العلمي وهو روعة التآليف العربية وربما كان أكثر الكتب الطبية التي انكب على دراستها العلماء ، ويعود اليه الاهتمام الشديد بالجزئيات والتقسيمات الفرعية التي سادت الدراسات الكلاسيكية في القرون الوسطى في أوروبا »(١٨) ٠

ولبث القانون المرجع الرئيس لدراسة الطب وممارسته من القرن الثاني عشر حتى أواخر القرن السابع عشر ٠ « وأول من ترجم القانون الى اللاتينية ترجمة كاملة جيرار الكريموني (القرموني) وذلك بين عامي ١١٥٠ و ١١٨٧ م وقد ترجم القانون (٨٧) مرة منها الكامل والناقص وكان أغلب هذه الترجمات الى اللغة اللاتينية ، وبعضها الى العبرية ، وذلك في اسبانيا وايطاليا وجنوب فرنسا ٠ ولم تكن هذه الترجمات في أغلبها دقيقة مضبوطة ، ولكن القانون كان يشكل الدراسة الرئيسة في جميع الجامعات التي تعنى بالطب ، كما يظهر لنا في أقدم برنامج تعليمي لدراسة الطب في جامعة مونبيليه في فرنسا (١٩) ٠

---

١٦ ـ الشفاء والنجاة من أهم مؤلفات ابن سينا ٠
ـ انظر : ابن القفطي : « اخبار العلماء بأخبار الحكماء » ص : ٢٦٨ ـ ٢٧٨ ، ابن العبري : « تاريخ مختصر الدول » ص : ٣٢٧ ـ ٣٢٩ ٠

١٧ ـ انظر : الدكتور عبد الرحمن الكيالي : « ثقافة الاطباء عند العرب » ، مجلة المجمع العلمي العربي : مجلد (٣٥) لعام ١٩٦٠ ، ص : (٣٣) ٠

١٨ ـ شارل سنجر : « موجز تاريخ الطب » ص ١٣٤ ٠

١٩ ـ دائرة المعارف الاسلامية م (٣) ص (٩٤٤) ٠

ومما يدلنا على التقدير العظيم الذي أحرزه القانون أنه طبع باللغة العربية في رومية في العام ١٥٩٣ م وما زالت بعض هذه النسخ محفوظة في بعض المكتبات الاسلامية وفي بلاد الغرب · وهي في مجلد ضخم ·

وقد بلغ من ولع الاوربيين وحبهم للغة العربية أن بعض الاطباء والعلماء في أوروبا كانوا يتعلمون اللغة العربية على صعوبتها هادفين من ذلك مطالعة مؤلفات ابن سينا ودراستها بلغتها الاصلية وأهم طبعة للقانون في بلاد المشرق هي : طبعة بولاق في عام ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م) ·

يشتمل « القانون » على قوانين الطب في القسم النظري والعملي ، وأحكام قوى الادوية المفردة ثم في جزئياتها ثم في الامراض الواقعة بعضو عضو ، فابتدأ أولا بتشريح الاعضاء ثم الامراض الجزئية ثم القانون الكلي للمعالجة وقسمه الى خمسة كتب :

١ ــ في الامور الكلية من علم الطب ·

٢ ــ في الادوية المفردة Materia Medica & Pharmacology of Herbs

٣ ــ في الامراض الجزئية من الرأس الى القدم ·

٤ ــ في الامراض الجزئية التي لم تختص بعضو كالحميات والاعراض وغـيرها ·

٥ ــ في تركيب الادوية Pharmacopocia .

ولكتاب الكليات في الطب شروح كثيرة ومنها شرح ابن النفيس علاء الدين علي بن الحزم القرشي الشافعي المتوفى سنة ٦٨٧ هـ · واختصره وسماه الموجز (٢٠) ·

ويقال : أنه كان للقانون ذيول وملاحق تصف الحالات الطبية والتجارب التي أجراها ابن سينا ، ولكن هذه الملاحق فقدت ولم يعثر لها على أثر حتى الآن (٢١) ·

القصيدة العينية :

أما القصيدة العينية ومطلعها :

---

٢٠ ــ حاجي خليفة : كشف الظنون مجلد / ٢ / ص (٢١٦) طبعة استانبول ·

٢١ ــ دائرة معارف تشيمبرز مجلد (٢) ص (٨) ·

هبطت اليك من المحل الارفع   ورقاء ذات تعزز وتمنع

فهي من عيون الشعر الفلسفي والاشراق النفساني ، وقد اوضح فيها ابن سينا بعض أسرار الروح الانسانية وما يكتنفها من غموض ، فاذا تامل الانسان عظمة الكون ودقة ما يحويه من نظام متكامل ونواميس خشع من جلال روعتها وكمال مبدعها ولا سيما اذا أمعن نظره في أكمل موجودات الكون الذي خلقه الله في أحسن تقويم ، ألا وهو الانسان ، وقد حمله الله بين ضلعيه قلبا يعقل وفكرا ينفذ بشماعه الى ما وراء سجف الاجسام ليبلغ الكمال الاعلى الذي يؤهله ليكون خالدا بعد فناء عنصره المادي ، وما الروح الا حقيقة الانسان وذاتيته الخالدة ٠

وأما ابن سينا فقد حار في معرفة حقيقة الروح وسر هبوطها الى عالمنا المادي ، ولكنه كان يحاول استكناه هذا السر المكنون والامر الغامض ، فعبر بالورقاء وهي الحمامة المتصفة بالوداعة والسلام ، عن الروح التي تنزلت من العالم العلوي وهبطت الى الانسان في عالمه المادي واتصلت بالجسم الفاني فالفته لحكمة ربانية بالغة ٠

ولقد منح الله الانسان النفس لتقوم بالوساطة بين الروح والجسم ، والروح لا تعتريها أعراض المادة ، وأما النفس فهي معرضة دائما للاعراض الجسمانية من فرح وحزن وألم ومرض الى غير ذلك ،

فكانها برق تالق بالحمى   ثم انطوى فكانه لم يلمع

وأما الروح فتبقى دائما منزهة عن أعراض المادة ، مترفعة عزيزة المنال لا تمسها الايدي ولا تدركها الابصار ٠

وكان جبران خليل جبران الشاعر والكاتب اللبناني المهجري قد أولع بالقصيدة العينية ولعا شديدا وتأثر بها أيما تأثر واقتبس منها بعض آرائه الفلسفية ، قال :

« ليس بين ما نظمه الاقدمون قصيدة أدنى الى معتقدي وأقرب الى ميولي النفسية من قصيدة ابن سينا في النفس ٠ في هذه القصيدة النبيلة قد وضع الشيخ الرئيس أبعد ما يراود فكرة الانسان ، وأعمق ما يلازم خياله من الاماني التي تولدها المعرفة والسؤالات التي يثمرها الرجاء والنظريات التي لا تصدر الا عن التفكر المستمر والتاملات الطويلة ، وليس من الغرائب صدور هذه القصيدة عن وجدان ابن سينا وهو نابغة زمانه ، ولكن من الغرائب أن تكون مظهرا لرجل صرف عمره مستقصيا أسرار الاجسام ومزايا الهيولى ،

فكأني به قد بلغ خفايا الروح عن طريق المادة وادراك مكنونات المعقولات بواسطة المرئيات ، فجاءت قصيدته هذه برهانا نيرا على أن العلم هو حياة العقل يتدرج بصاحبه من الاختيارات العلمية ــ الى النظريات العقلية ــ الى الشعور الروحي ــ الى الله » ٠

وقد يجد المطالع مما نظمه كبار شعراء الغربيين مقاطع متفرقة تذكره بهذه القصيدة السامية ٠ ففي روايات شكسبير الخالدة وفي أقوال الشاعر شلي وتأملات غوته وأشعار براوننغ ما يماثلها ، ولكن الشيخ الرئيس قد تقدم جميع هؤلاء بقرون عدة ، فوضع في قصيدة واحدة ما هبط بصور متقطعة على أفكار مختلفة ، وهذا ما يجعله نابغة لعصره وللعصور التي جاءت بعده ، ويجعل قصيدته في النفس أبعد وأشرف ما نظم في أشرف وأبدع موضوع (٢٢) ٠

---

٢٢ ــ « مجلة المقتطف » (مصر) مجلد (٩٣) ص ٣١٦ اغسطس ١٩٣٨ م ٠

ســـيرة ابن ســـينا

بقلم : محمود فاخوري
جامعة حلب ـ كلية الآداب

. يعد أبو علي ، الحسين بن عبد الله بن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ) من الاعلام البارزين ، والمفكرين المبدعين في تراثنا العربي والاسلامي المؤثل ، لتعدد جوانبه العلمية والادبية واللغوية • وقد برز في الطب والفلسفة خاصة ، حتى عد أعظم فلاسفة الاسلام على الاطلاق ، ولقب بالشيخ الرئيس تارة ، وبالفيلسوف الرئيس تارة أخرى • وهو لقب رفيع ، ووسام خالد يجعل ابن سينا أشبه بالحاكم الفيلسوف الذي طمح اليه أفلاطون في جمهوريته ، لانه جمع بين الحكمة والسياسة معا •

وقد برع ابن سينا ـ الى جانب الطب والفلسفة ـ في العلوم الطبيعية والرياضية وغيرها ، وله في ذلك مؤلفات كثيرة ، كما ألف في اللغة ، والسياسة ، والتفسير ، والتصوف والاخلاق ، والارصاد ، والموسيقا ، والحيوان والنبات •• الخ • ولا نغالي اذا قلنا انه لم يكد يترك ميدانا من ميادين الثقافة المعروفة في عصره الا ألف فيه ، مبدعا لا مقلدا ، ومبتكرا لا محتذيا ، حتى بلغ عدد مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة نحو مائتين وسبعة وسبعـين ، ما بين رسـالة وكتاب(١) ، عدا آثاره التي فقدت ولم تصل الينا •

وكان ـ الى ذلك كله ـ شاعرا أيضا ، وان لم يكن مكثرا • وقد رويت له بضع وعشرون قصيدة أو مقطوعة(٢) نظمها في الغزل والخمرة ، وفي الشيب والحكمة والزهد والدنيا • وأشهر قصائده عينية التي تحدث فيها عن النفس حديثا رمزيا ، ورسمها في صورة حمامة ورقاء تهبط علينا من السماء في نقاب شفيف ، وغلالة لطيفة ، تخفى على البصر ، ولكنها لا تفوت البصيرة • ومطلع تلك القصيدة :

هبطـت اليـك من المحل الارفـع ورقـاء ذات تعـزز وتمنـع
محجـوبة عـن كل مقـلة عـارف وهـي التي سفرت ولـم تتبرقـع

وقد عرف الغربيون مكانة ابن سينا ، فدرسوا بعض كتبه وترجموها الى لغاتهم عدة مرات ، ولا سيما كتابه (القانون) في الطب ، الذي يعد أعظم مصنفاته الطبية ، لغزارة مادته ، واحاطته بفروع الطب كافة • فهو موسوعة كاملة في هذا الميدان •

★ ★ ★



على أن من أهم آثار ابن سينا : سيرته الذاتية التي أملاها بنفسه على تلميذه أبي عبيد الجوزجاني في جرجان ، وهو في الثانية والثلاثين من عمره ، ووصف فيها شطرا من حياته ، منذ ولادته حتى بدأت شهرته تدرج وتأخذ طريقها الى الناس ، وتحدث فيها عن دراسته الاولى وتنقله بين البلاد ، وأسماء بعض أساتذته ، وتفتح عبقريته المبكر ٠٠ ولكنه لم يمل سيرته هذه كاملة ، بل وقف فيها عند مرحلة معينة من حياته ، ثم أكملها تلميذه الجوزجاني ، الذي اتصل به ولازمه ، وامتد بها حتى وفاة أستاذه سنة ٤٢٨ هـ ، مضيفا الى أصل السيرة ما شاهده من أحوال الشيخ الرئيس خلال صحبته له مدة خمس وعشرين سنة ، وما صنفه من كتب ، وأشار الى المناصب التي تولاها ، ولا سيما الوزارة ، والبلاد التي وطىء ترابها ، والتجارب الطبية التي عالجها ، وآلات الرصد التي وضعها ولم يسبق اليها ٠

وابن سينا واحد من علمائنا الاوائل الذين دونوا سيرة حياتهم بأنفسهم ، ولكنه لم يكن بدعا في ذلك أو رائدا ، لان هذا الفن يمتح من معين النفس الانسانية عامة ، ومن ثم كانت له صور متباينة ، وطرائق شتى عند أمم مختلفة : كالمصريين في عصور الفراعنة ، وبعض القياصرة ، والفرس ، واليونان ، وكذلك المعينيون في الجزيرة العربية ، الذين وصلت الينا بعض نقوشهم وكتاباتهم القديمة (٣) ٠

وفي تراثنا التليد عدد من فلاسفة العرب وعلمائهم الذين نثروا جوانب من سيرهم الذاتية في أبواب كتبهم ورسائلهم المختلفة ، وفي مواضع متفرقة منها ، بحيث يستطيع الباحث أن يلم شتاتها ، ويقيم منها بناء كاملا أو أقرب الى الكمال ٠ وهم يتفاوتون فيما يتناولونه من شؤونهم واشاراتهم ، كل على طريقته الخاصة ٠

وممن سبق ابن سينا في هذا المضمار : الجاحظ (ـ ٢٥٥ هـ) في بخلائه وحيوانه وغيرهما ، وأبو حيان التوحيدي (ـ ٤١٠ هـ) في البصائر والذخائر وأخلاق الوزيرين ، والامتاع والمؤانسة ٠٠ ، وابن حزم (ـ ٤٥٦ هـ) في طوق الحمامة ٠٠

ووردت بعض السير الذاتية ، أو جوانب منها ، في خلال التراجم التي أثبتها ابن أبي أصيبعه في كتابه « عيون الانباء في طبقات الاطباء » ، مثل حنين بن اسحاق (ـ ٢٦٠ هـ) الذي تحدث في احدى رسائله عما أصابه من المحن والشدائد على أيدي خصومه الذين ناصبوه العداوة من أشرار أطباء زمانه المشهورين ، والظالمين الحاسدين ٠ ومثل ابن الهيثم (ـ ٤٣٠ هـ) معاصر ابن سينا ، والذي ألف مقالة ذكر فيها انصرافه الى علوم الاوائل ،

ولا سيما الفلسفة ، وما صنعه وصنفه في تلك العلوم ، وشرح محاولة انفلاته من عقال الشك الى برد اليقين (٤) ٠

ثم استفاض هذا الفن بعد القرن الخامس ، واتخذ سبيله متدرجا في معارج الرقي والتطور ، حتى العصر الحديث ٠



وتأتي اليوم مناسبة الاحتفال بالذكرى الالفية لابن سينا في عدد من بلدان العالم ، مصحوبة بقدوم القرن الهجري الخامس عشر ، بعد أن دعت الى ذلك المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) واتخذ مؤتمرها العام قرارا بذلك (٥) ٠

وهي مناسبة كريمة أتاحت لنا احياء معالم تلك الترجمة الشخصية التي أملاها مفكرنا الفيلسوف بنفسه ، وأكملها تلميذه البار ، وبقيت دهرا طويلا في مطاوي النسيان ، حتى في المهرجان الالفي الاول لذكرى ابن سينا ، الذي أقيم في بغداد ، وطبع كتابه الذهبي سنة ١٩٥٢ م ، وخلا هذا الكتاب من العناية بتلك السيرة أو التنويه بها ٠

على أن لهذه السيرة أهمية كبيرة ، بالقياس الى غيرها من السير الذاتية : فهي ليست سردا آليا جافا لا روح فيه ، وانما هي سيرة غنية ، تنبض بالخصب والحياة ، وتتحفنا ــ على ايجازها ــ بجوانب من الحالة السياسية والاجتماعية والعلمية عصرئذ ، وتفصل لنا حياة ابن سينا : في جده ولهوه ، وفي نومه وسهره ، وفي أبحاثه ومناظراته ، بحيث نجد في ذلك كله صورة الشيخ الرئيس وصورة عصره معا ، متلازمتين تلازما عجيبا ، في تفصيل متلاحم ، وحبك طريف ، جمع بين الفائدة والامتاع جمعا انفرد به ولم يسبق اليه ، في وثيقة تاريخية حجة ، لا يدب اليها الشك ٠

انها سيرة حية ، ترى من خلالها (أبا علي) دؤوبا في تحصيل العلم منذ يفاعته ، وتتعرف الى من تتلمذ له من الاساتذة ، والى المدن والقرى التي تقاذفته ، والامراء الذين اتصل بهم أو نادمهم ، وتعجب لما تؤنسه من عبقرية فذة ، وقدرة على حل المعضلات العلمية ، والمسائل المشكلة ٠

في السيرة طب وحكمة ، الى جانب الادب والشعر ٠ والسياسة هناك قرينة الاجتماع ، والفلسفة صنو اللغة في البناء ٠٠ ومن وراء ذلك كله تطل عليك شخصية ابن سينا الذي لا ينسى أن يروح قلبه ساعة ببعض اللهو والهزل ٠

حتى اللغة ، لها عند ذلك الفيلسوف الطبيب حيز كبير ، وهو فيها ذو باع طويل ٠ فقد ورد في الشطر الثاني من سيرته ــ وهو الذي نهض به تلميذه

الجوزجاني ـ خبر طريف بالغ الدلالة على عمق هذا الجانب لدى أبي علي • ذلك أن مجلسا ضمه والعالم اللغوي أبا منصور الجبان في حضرة الامير علاء الدولة بهمذان ، فجرت في اللغة مسألة تكلم فيها ابن سينا بما حضره ، فانبرى له أبو منصور يتحداه ويعجزه في أن يجول في ميدان اللغة ، لانه فيلسوف وحكيم فحسب ، ولم يقرأ من اللغة ما ينال الرضا • فانكب ابن سينا على التعمق فيها ، وتوفر على درس كتبها حتى بلغ في ذلك طبقة قلما يتفق مثلها • ثم ألف ثلاث قصائد زاخرة بالغريب ، وثلاثة كتب من النمط العالي ، على طريقة ابن العميد ، والصاحب بن عباد ، والصابي ، وجمع ذلك كله في مجلد واحد ، ثم أخلق جلده حتى يبدو عليه طابع القدم ، وعرض على أبي منصور الجبان ، على أنه كتاب ظفروا به في الصحراء وقت الصيد ، فأشكل عليه كثير مما فيه ، فدله ابن سينا على مواضع ذلك من كتب اللغة ، كتهذيب الازهري وغيره • ففطن أبو منصور الى حيلة الشيخ وما حمله على ذلك ، وتنصل معتذرا اليـه •

★ ★ ★

وعلى الرغم من الاهمية الفائقة لسيرة ابن سينا الذاتية ، لم نسمع عن أحد من أبناء الضاد خاصة انه حقق نصها مستقلا ، أو نشرها نشرا علميا صحيحا وفق قواعد التحقيق الحديثة ، على توافر هذا النص في عدد من المصادر والمراجع المتداولة • في حين أن المستشرقين الغربيين عنوا بتلك السيرة عناية خاصة ، وترجموها الى لغاتهم ، ولا سيما الانكليزية والالمانية والفرنسية • وأحدثهم عهدا في ذلك المستشرق الاميركي (وليم • ا • غولمان : William E. Gohlman) (٦) •

وهذا ما حداني والاستاذ فريد جحا على أن ننتدب معا لهذا العمل ، فنقوم بتحقيق نص السيرة تحقيقا علميا دقيقا ، معتمدين على ما أمكننا الوصول اليه من مختلف المصادر ولا سيما كتب التاريخ والانسان والبلدان •• لنضع بين أيدي أبناء الضاد نصا مضبوطا ، مصحوبا بشروح وتعليقات مفيدة ، تتناول تفسير ما التبس من الالفاظ ، والتعريف بالاعلام والامكنة التي وردت في النص ، وما أكثرها •

أما مصادر سيرة ابن سينا الذاتية ومظانها ، فهي فئتان من كتب التراجم :

الاولى : تلك التي أوردت نص السيرة كاملا ، وهي ثلاثة كتب : للبيهقي ، والقفطي ، وابن أبي أصيبعة •

والثانية : تلك التي قدمت نصا مختصرا للسيرة ، وهو ـ على اختصاره ـ ينير بعض جوانبهـا ، مثـل : وفيات الاعيـان لابن خلكان ، وخزانة الادب للبغدادي •

ويهمنا هنا الفئة الاولى من هذه المصادر التي قلت انها ثلاثة :

ـ **أولها** ، وهو أقدمها زمنا : (تاريخ حكماء الاسلام) واسمه في الاصل : (تتمة صوان الحكمة) (٧) ، لظهير الدين البيهقي ، المعروف بابن فندق ، والمتوفى سنة (٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م) • وقد رويت السيرة في هذا الكتاب بضمير الغائب ، من ولادة ابن سينا حتى وفاته ، في احدى وعشرين صفحة (٥٢ ـ ٧٢) •

وتبدأ سيرة ابن سينا في هذا الكتاب على النحو التالي : « أبوه رجل من رجال أهل بلخ من الكفاة والعمال ، وانتقل الى بخارى في أيام الامير الحميد ملك المشرق نوح بن منصور ، واشتغل بالتصرف •• الخ » •

وختمها المؤلف ابن فندق بقوله : « نسخت عما كتبه أبو علي لنفسه ، وما كان في النسخة التي انتسخت منها غير مكتوب تركته ضرورة عدم وجوده » •
والنسخة الخطية التي اعتمد عليها المحقق المرحوم محمد كرد علي كتبها ناسخ أعجمي سنة ١١٥٠ هـ ، وهو لا يعرف ما يرسم وما يخط ، ولذا امتلأت النسخة بالاغلاط ، وشحنت بالتصحيف والتحريف ، والتقديم والتأخير ، وفيها ثغرات كثيرة • وقد بذل محققها جهودا مشكورة في تقويمها وحل غوامضها ، وكثيرا ما تصرف في النص ليأتي مفهوما ، واعتذر في المقدمة عما قد يكون من خطأ وقع ، لانه تحرى الصواب ، ما ساعدت الاسباب •

ـ **وثانيها** : كتاب (اخبار العلماء بأخبار الحكماء) للوزير الاديب جمال الدين القفطي (ـ ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) • ولهذا الكتاب طبعتان : حقق أولاهما المستشرق (ليبرت) وجعل عنوانها : « تاريخ الحكماء ـ وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي » • وقد أثار هذا المستشرق تساؤلات عن اسم الكتاب ومدى صحة نسبته الى القفطي ، ورجح أن تكون هذه النسخة المطبوعة منه مختصرة عن كتاب القفطي الذي لم يصل الينا ، وقام بهذا الاختصار محمد بن علي الخطيبي القفطي(٨) • وقد نشرت هذه الطبعة في ليبزيغ سنة ١٩٠٣ م ثم صدرت ثانية بطريقة التصوير عن مكتبة المثنى ببغداد في السنوات الاخيرة •

أما الطبعة الاخرى فقد صدرت في مصر سنة ١٣٢٦ هـ بعنوان (اخبار العلماء بأخبار الحكماء) وعني بتصحيحها محمد أمين الخانجي ، معتمدا على طبعة ليبزيغ ، ومقابلا اياها ـ كما يقول ـ على النسخ الثلاث الخطية المحفوظة في دار الكتب الخديوية بمصر • والحق أن الخانجي لم يصنع شيئاذا قيمة في

طبعته هذه ، ولا بذل أدنى جهد في المقابلة بين النسخ الاربع ، سوى أنه تصرف في بعض الالفاظ التي لم يتضح له وجه الصواب في رسمها أو في معرفة معناها · وتعليقاته ــ على ندرتها ــ تقف عند الصفحة الثانية عشرة بعد المائة ·

ومن هنا كانت طبعة ليبزيغ أوثق واضبط ، وأكثر اتقانا ، لان محققها الاستاذ (ليبرت) قد اعتمد على عدة نسخ خطية الى جانب اعتماده على الطبعة التي نشرها (مولر) لكتاب « عيون الانباء » لابن أبي أصيبعة · وقد قام بجهد ملموس في تحقيق النص والمقابلة بين الاصول ، ولكن عمله مع ذلك لم يسلم من بعض العثرات والهنات ، في الضبط والتقويم ، هذا الى أنه لم يعن قط بالشرح والتعليق ، ولا عرف بالاعلام والامكنة ·

وسيرة ابن سينا في كتاب القفطي بلغت بضع عشرة صفحة في طبعة ليبزيغ (٤١٣ ــ ٤٢٦) وهي التي أملى الشيخ الرئيس صدرها على تلميذه الجوزجاني بضمير المتكلم (٤١٣ ــ ٤١٧) وتبدأ بقوله : ان أبي كان رجلا من أهل بلخ ، وانتقل منها الى بخارى ·· الخ » وآخرها قوله : « وعدت الى جرجان ، واتصل أبو عبيد الجوزجاني بي ، وأنشأت في حالي قصيدة فيها بيت القائل :

لما عظمت فليس مصر واسعي لما غلا ثمني عدمت المشتري

أما شطرها الآخر فقد أكمل به الجوزجاني سيرة أستاذه بضمير الغائب حتى وفاته ، وبدأها بقوله :

« قال أبو عبيد الجوزجاني صاحب الشيخ الرئيس : الى ههنا انتهى ما حكاه عن نفسه · قال : ومن هذا الموضع أذكر أنا ما شاهدته من أحواله في حال صحبتي له والى حين انقضاء مدته ، والله الموفق » ·

ــ **وثالثها** : كتاب (عيون الانباء في طبقات الاطباء) لابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أحمد القاسم السعدي الخزرجي (ــ ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) · وقد طبع ثلاث مرات ، الاولى في مصر سنة ١٢٩٩ ــ ١٣٠٠ هـ (بلا تحقيق) ، والثانية أوربية عني بتحقيقها الاستاذ (ملر) وطبعت في كونسبرج سنة ١٨٨٤ م ، وهي نادرة الوجود · وظهرت أخيرا الطبعة الثالثة في بيروت سنة ١٩٦٥ م باشراف الدكتور نزار رضا ، وهي محشوة بالتصحيف والتحريف ، وهوامشها لا تروي الغليل ، بل انها تغفل كثيرا من الامور المهمة ·

وسيرة ابن سينا في « عيون الانباء » قريبة جدا في نصها مما ورد في « اخبار العلماء » للقفطي ، وكذا من حيث رواية شطرها الاول املاء على لسان الشيخ الرئيس نفسه بضمير المتكلم ، واكمال الجوزجاني لها بضمير الغائب ·

الا أن ابن أبي أصيبعة ألحق بالسيرة أقوالا لابن سينا ، وقصائد ومقطعات من شعره أكمل بها الترجمة ، مع ما فات أبا عبيد منها ٠



تلك هي المصادر والمظان التي حفظت لنا السيرة الذاتية لابي علي كاملة ، ودفعتنا الى تقديم نص صحيح لها ٠ وكانت أمنيتنا أن نظفر بنسخ خطية حين أزمعنا تحقيقها ، لان هذا أدعى الى زيادة توثيق النص والاطمئنان اليه ، ولكن هذه الامنية بقيت مطوية ، ولم يكن أمامنا ــ وفسحة الزمن قصيرة ــ الا الاعتماد على ما ذكرته من مصادر السيرة ، تلك المصادر التي يمكن أن يكون تنوعها ، وتعدد أصولها الخطية ، مغنيا ــ الى حد ما ــ عن العودة الى الاصول الاولى ، وموصلا العمل الى مرتبة قريبة جدا من الكمال ، لان أفاضل المحققين السابقين بذلوا جهودا مشكورة ، كل في حدود امكاناته ، فأمكن عندئذ الاستفادة من تلك الجهود ، مضافا اليها جهود جديدة تبني فتعلي على أساس متين ، وكل منها يضافر الآخر ٠٠ وكم ترك الاول للآخر ٠٠

وكان اعتمادنا في تحقيق سيرة ابن سينا على النص الذي ورد في طبعة ليبزيغ من كتاب (اخبار العلماء بأخبار الحكماء) للقفطي ، لانه أقدم كتاب وردت فيه السيرة مروية بضمير المتكلم على لسان صاحبها ٠ ويأتي بعده « عيون الانباء » الذي يطابقه في الرواية ، ويقاربه في الزمن اذ لا يتأخر ابن أبي أصيبعة عن القفطي بأكثر من ربع قرن تقريبا ٠

أما « تاريخ حكماء الاسلام » فقد تصرف مؤلفه البيهقي في نص السيرة ، كما رواها كلها بضمير الغائب ، بلا تمييز بين ما أملاه ابن سينا نفسه ، وما كتبه تلميذه أبو عبيد ٠

على أن هذه الكتب الثلاثة تتشابه في افتقار النص فيها الى شروح موضحة ، وتعليقات ميسرة ، وتعريف بالاعلام والامكنة ، وهي كثيرة جدا وتحتاج في ضبطها الى عناية ، وفي تقييدها الى دقة ، لتكون من القارىء على حبل الذراع ، وذلك هو السبيل الوحيد الى التمكن من النص ٠

وقد حاولنا ــ ونحن نحقق تلك السيرة ــ أن نقارن بين نصوصها المختلفة في مظانها ، ونزودها بالتعليقات الضرورية ، والتعريفات المناسبة ، ٠٠ وعددنا كتابي البيهقي وابن أبي أصيبعة أصلين آخرين نفيد منهما ، في اعتمادنا على نص القفطي ، وهذه المصادر الثلاثة يخدم بعضها بعضا في التقويم وازالة اللبس، وهي في مجموعها تكاد تتفق ــ بل هي تتقارب جدا ــ في المعنى والمضمون ، وان اختلفت في بعض الالفاظ والعبارات ٠

ولعل من المفيد ـ ونحن نتحدث عن تقارب تلك الاصول ـ أن نشير الى أبرز القضايا التي تتصل بسبب من هذا الموضوع :

١ ـ من ذلك أن تلك المصادر والاصول تتفق على أن وفاة ابن سينا كانت سنة (٤٢٨ هـ) الموافقة لسنة (١٠٣٧ م) ٠ وجمهورها يؤكد ان ابن سينا عاش ثمانية وخمسين عاما ، فتكون ولادته سنة (٣٧٠ هـ) ٠ وقلة قليلة منها كابن أبي أصيبعة تذهب الى أنه عاش ثلاثة وخمسين عاما ، فتكون ولادته سنة (٣٧٥ هـ) ٠ وقد رمز الاولون الى سني حياته الثماني والخمسين بقولهم : « نح » في حساب الجمل ، لان النون بخمسين ، والحاء بثمان ٠ ويصبح هذا الرمز عند الآخرين : « نج » والجيم بثلاث (٩) ٠

٢ ـ وابن أبي أصيبعة لم يقتصر في ترجمته لابن سينا على السيرة الذاتية التي رويت عنه وأكملها مريده ، بل أضاف اليها ـ كما ذكرنا ـ نصوصا مختلفة من أقوال ابن سينا وأشعاره ، وختمها بتعداد ما وقع بين يديه من مؤلفاته ، غير ما أثبته أبو عبيد الجوزجاني في تكملة سيرته ، وهي كثيرة جدا ٠

٣ ـ وانفرد كتاب البيهقي « تاريخ حكماء الاسلام » بأمرين في السيرة لم يردا في سائر المصادر ،

أولهما : ذكره أن ابن سينا ـ قبل موته ـ « اغتسل وتاب ، وتصدق بما بقي معه على الفقراء ، ورد المظالم الى من عرفه من أربابها ، وأعتق غلمانه ، وكان يحفظ القرآن ، فيختم كل ثلاثة أيام » (١٠) ٠

وثانيهما : خبر ساقه البيهقي في آخر السيرة ، وختمها به ، تحت عنوان : « حكاية عجيبة » خلاصتها أن الامير علاء الدولة غضب على ابن سينا ، بعد أن كان هذا من خواصه ، فهرب من أصفهان بعد أن غير ثيابه وملابسه ، وورد على الري في هيئة المتصوفة ، وعليه مرقعة ، وليس معه شيء ينفقه على نفسه ٠ فدخل السوق طائفا عساه يجد مرتزقا أو قوتا ، وكان يطالع الناس واحدا بعد واحد ، حتى اطلع على شاب ظريف اتخذ مقاما على باب داره ، وقد اجتمع عليه خلق كثير ، فأرته امرأة تفسرة (١١) ، فقال لها : هذه تفسرة يهودي ٠ فأقرت بذلك ٠ ثم قال الشاب : وقد تناول رائبا ٠ فقالت : نعم ٠ ثم قال : داركم في المدينة في موضع منخفض من الارض ٠ فقالت المرأة : هي كذلك ٠

فتعجب ابن سينا من ذلك ، ولا سيما حين التفت الشاب اليه وقال : أنت أبو علي بن سينا ، هربت من علاء الدولة ، فاجلس ٠ فجلس الى جانبه حتى فرغ الشاب من شأنه ، ثم أخذ بيده الى الدار وأصلح من شأنه ٠ فسأله ابن سينا عن تعليل ما رآه منه فقال :

رأيت في يد المرأة قميصا عليه علامة خاصة باليهود ، ورأيته ملوثا بالرائب ، فحدست أنه يهودي اشتهى الرائب وتناوله ٠ واليهود كلهم يسكنون المدينة الداخلة من بلدنا ، وجميع الدور في تلك المدينة في انخفاض ٠

فقال له الشيخ : وكيف عرفتني ؟ فقال الشاب : كنت أسمع بجمالك وحسن هيئتك وفطانتك ، فلما نظرت اليك حدست أنك هربت من علاء الدولة ٠ واني لاعلم أن غضبه عليك سيزول ، ويشتاق الى لقائك ، ويردك الى مجلسه ، فأردت أن أتخذ عندك يدا ٠

فقال أبو علي : فما حاجتك ؟ قال : أن تحضرني مجلس الامير ، وتحكي له ما رأيته لعله يستظرفني للمنادمة ٠ فما مضى الا أيام قلائل حتى طلب عـلاء الدولة ابن سينا ، وخلع عليه ورده الى مجلسه ٠ فحمل أبو علي معه الشاب الى أصفهان ، وحكى للامير ما رأى من حاله ، فارتضاه الامير وجعله من ندمائه (١٢) ٠

★ ★ ★

وحري بنا ، بعد هذا ، أن نقف عند تلك الطبعة التي أطلعنا عليها بأخرة لسيرة ابن سينا ، والتي حققها « غولمان » معتمدا على ما أمكنه الوصول اليه من النسخ الخطية والمطبوعة لكتب البيهقي ، والقفطي ، وابن أبي أصيبعة ٠ وقد أدت كثرة النسخ لديه ، ومحاولة التوفيق فيما بينها الى اختلاف نص السيرة في مواضع كثيرة ، شكلا ومضمونا ، عن النص الذي اعتمدناه وتوارد عليه القفطي وابن أبي أصيبعة ٠ وغزارة هذه الفروق تحول دون تحقيق السيرة ٠ ومع ذلك رجعنا الى طبعة « غولمان » وأخذنا منها في مواضع معدودة وجدنا ضرورة لها ٠

وقد ترجم « غولمان » النص الى الانكليزية ، وألحق بالسيرة وترجمتها شروحا وتعليقات بالانكليزية أيضا ، وهذا ما يحجب فائدتها عن جمهرة أبناء الضاد ، ولعل المستشرق هذا قد وضع نصب عينيه أبناء لغته في الدرجة الاولى ، فكان اهتمامه موجها اليهم ، دون غيرهم ٠

وللانصاف نقول : انه قام بجهود مضنية مشكورة في تحقيق النص ، تتجلى فيها الامانة العلمية ، والدقة التامة ، والصبر الدؤوب ، كما أنه أغنى تعليقاته الانكليزية بالاستقصاء والتتبع الصادق ٠ ولا ينال من هذا العمل البتة ، ندت عن المحقق هفوات يسيرة في بعض المواضع ، لا يخلو من مثلها أي عمل علمي كهذا ، من حيث التوفيق بين النسخ ، وايثار عبارة على أخرى ، وبعد الترجمة الانكليزية لبعض الالفاظ والتراكيب عن المعنى المراد ٠ يضاف الى ذلك أن نص السيرة لديه يفتقر الى الشكل والضبط الكافيين ، ولا سيما أعلام

الاشخاص والامكنة وما اليها ، وهي كثيرة ·· ولا يغني القياس في الاحاطة بها ، لانها تعتمد على السماع ، ومرجع السماع هنا كتب التراجم والبلدان واللغة والانساب ·· والا فكيف تضبط أمثال هذه الكلمات : كركانج ، ونسا ، وشقان ، وسمنقان ، ودهستان ، والبرقي ، وعناز ، والجوزجاني ·· الخ ·



وقد استطعنا ـ من خلال التحقيق والعودة الدائمة الى المظان ـ أن نهتدي الى تصحيح عدد من الاوهام التي استبدت ، ويمكن أن تستبد ، بالاذهان ، ورسخت ، أو يمكن أن ترسخ ، في العقول على هيئة معينة يتناقلها الناس خطأ ، في تصحيف أو تحريف أو غير ذلك ··· ولا بأس أن أذكر هنا بعضها على سبيل المثـــال :

١ ـ من ذلك مثلا أن « أبا عبد الله الناتلي » أستاذ ابن سينا يرد نسبه في بعض المصادر « النائلي » بالهمزة بعد الالف ، وصوابه بالتاء ، نسبة الى « ناتلة » أو « ناتل » وهي ـ كما في معجم البلدان ـ مدينة في سهل طبرستان ·

٢ ـ ومثله « أبو بكر البرقي الخوارزمي » ، العالم الفقيه ، جار ابن سينا وصديقه · فقد ضبطه « ليبرت » في « اخبار العلماء » (١٣) : « البرقي » بفتح الباء وسكون الراء ، والصواب فتحهما معا ، نسبة الى « برق » بفتحتين ، وهو بيت كبير من خوارزم ، انتقلوا الى بخارى وسكنوا بها (١٤) ·

٣ ـ وجاء في وفيات الاعيان أن سلطان بخارى ، الذي عالجه ابن سينا من مرضه الذي حار فيه الاطباء ، يدعى « نوح بن نصر الساماني » (١٥) ، وانما هو « نوح بن منصور » المتوفى سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م كما في السيرة الذاتية لابن سينا ، والكامل لابن الاثير · أما « نوح بن نصر » فهو أمير آخر سبق صاحبنا بل هو جده ، وتوفي سنة ٣٤٣ هـ ، أي قبل ولادة ابن سينا بنحو ربع قرن (١٦) ·

٤ ـ وذكر الجوزجاني في تكملته لسيرة أستاذه أن ابن سينا « اتصل بخدمة السيدة وابنها مجد الدولة » · ولم يسم هذه « السيدة » · وسماها المستشرق زامباور : « سيدة خاتون » (١٧) وكلمة « خاتون » بالفارسية تعني « سيدة » · ونقل « غولمان » عن ياقوت أن اسمها « شيرين » (١٨) ·

ومن الطريف ان تلك الاميرة سميت مؤخرا « زبيدة » !! في احدى المسرحيات التي مثلت في تونس سنة ١٩٨٠ م بمناسبة الذكرى الالفية لابن سينا (١٩) ·

٥ ـ ويرد في سيرة ابن سينا ذكر للامير شمس الدولة البويهي الذي عالجه ابن سينا أيضا من مرضه · وتساق الحوادث في السيرة بعد موته (ـ ٤١٢ هـ)

دون اشارة الى من ولي الامر بعده ٠٠ حتى يظهر اسم « تاج الملك » وما قام به من أعمال يخيل معها للقارىء أن تاج الملك هو الامير الجديد بعد شمس الدولة ، وانه ابنه أيضا ٠ وهو وهمٌ وقع لبعض المعاصرين الذين ترجموا لابن سينا وعصره ، حيث يقول أحدهم (٢٠) : « وتوجه شمس الدولة الى الحرب ، وتوفي في الطريق ، وبويع ابنه تـاج الملك ، فطلـب استيزار ابن سينا ، ولكنـه رفض ٠٠ الخ » ٠

والحق أن الذي تولى الامارة هو « تاج الدولة بن شمس الدولة » وليس « تاج الملك » (٢١) ٠ ولولا وفيات الاعيان وخزانة البغدادي لغم علينا وجه الصواب٠أما «تاج الملك» فكان وزير شمس الدولة،ثم أصبح مقدم عسكر همذان في أيام ابنه تاج الدولة ، واسمه أبو نصر بن بهرام (٢٢) ٠



وبعد :

فاننا لم نأل جهدا في خدمة السيرة الذاتية للشيخ الرئيس ، والعناية بها : ضبطا وشرحا وتعليقا ٠ وهذا ما أتاح لنا تقديم نص صحيح أو أقرب الى الصحة ، وازالة كثير من الاوهام التي انزلقت اليها أقلام الباحثين او المحققين ممن سبقنا في هذا المضمار ، مع تقديرنا لجهودهم ، واعترافنا بفضلهم طرا ٠

وقد حرصنا مخلصين على أن يأخذ عملنا سمات التحقيق العلمي الرصين ، وهو ما نزعم أننا فعلناه ، ليكون هذا العمل أدنى الى الكمال ، تجلة وعرفانا لواحد من أعظم مفكري العروبة والاسلام ، بل مفكري الانسانية جمعاء ٠

هذا ، ومن دواعي السرور والسعادة ــ في هذه المناسبة الكريمة ــ أن يقوم زميلنا الدكتور حكمة حمصي ، المحاضر في كلية الآداب بجامعة حلب ، بترجمة سيرة ابن سينا الى اللغة الفرنسية ، واعادة النظر في الترجمة الانكليزية التي قام بها « غولمان » ، وفي ترجمة ثالثة باللغة الالمانية ، والدكتور حكمة متضلع من اللغات الاجنبية الثلاث ، الى جانب العربية ، لغته الاصلية ، وسوف ندفع سيرة شيخنا الرئيس الى الطباعة باللغات الاربع الحية معا ، وهذه المحاولة الاولى من نوعها نخير هدية نقدمها الى ابن سينا في ذكراه الالفية ، في هذا القرن الهجري الخامس عشر ٠

هوامش وتعليقات

١ ـ نشر الاب جورج شحاتة قنواتي كتابه « مؤلفات ابن سينا » في مصر سنة ١٩٥٠ ، وأحصى فيه المطبوع والمخطوط فقط من آثار ابن سينا ، دون المفقود ، فبلغت ٢٧٦ . واذا اضفنا اليها « الرسالة الالواحية » التي نشرت في تونس سنة ١٩٧٥ م بتحقيق الدكتور محمد السويسي ، أصبح المجموع ٢٧٧ .

٢ ـ أثبت ابن أبي أصيبعة في « عيون الانباء » ٤٤٦ ، ٣٩٠ ، ٤٥٧ (ط. بيروت) معظم أشعار ابن سينا ، وبعضها منسوب اليه . ثم جمعها المستشرق (ايث Ethé) وترجمها الى الالمانيـــة ، ونشـــرها في مجلة « غوتنجـــن ناخـــر شـــتن Göttingen Nachrichten » سنة ١٨٧٥ م تحت عنوان « ابن سينا الشاعر الغنائي » . كما نشر معظم تلك الاشعار مع كتاب ابن سينا « منطق المشرقيين » المطبوع في القاهرة عام ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م .

٣ ـ انظر كتاب « الترجمة الشخصية » لشوقي ضيف ٧ والمفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٧٣/٢ .

٤ ـ اورد ابن أبي أصيبعة كلا من رسالة حنين بن اسحاق ، ومقالة ابن الهيثم ، في « عيون الانباء » ص ٢٦٤ ـ ٢٧١ و ٥٥٢ ـ ٥٥٨ (ط. بيروت) .

٥ ـ هـو القرار ذو الرقم (CL/2693) الذي اتخذه المؤتمر في دورته العشرين ، المنعقدة في باريس في التشرينين من عام ١٩٧٨ م .

٦ ـ حقق « غولمان » سيرة ابن سينا ونشرها سنة ١٩٧٤ م مع ترجمتها الى الانكليزية بعنوان : The life of Ibn Sina والحق بها تعليقات وافية بالانكليزية أيضا . وقد نشرتها له جامعة (State University of New York) في نيويورك باشراف « جمعية الدراسات في الفلسفة والعلوم الاسلامية » التي يرأسها الاستاذ جورج حوراني .

٧ ـ الصوان ، بكسر الصاد وضمها . ما تصان فيه الكتب والملابس ونحوها ، ج أصونة . وقد طبع في دمشق سنة ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م بعنوان « تاريخ حكماء الاسلام » وعني بنشره وتحقيقه : محمد كرد علي . وهو من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق .

٨ ـ انظر مقدمة الطبعة الاوربية لكتاب تاريخ الحكماء (٣ ـ ١٨) .

٩ ـ هناك رأي ثالث مرجوح ، يقول أصحابه ان ولادة ابن سينا كانت سنة ٣٧٣ هـ وقد ناقش هذا الرأي محمد محيط الطباطبائي في بحثه « ميلاد ابن سينا » المنشور في « الكتاب الذهبي للمهرجان الالفي لذكرى ابن سينا » ص ١٦٢ ـ ١٦٩ الذي طبع في مصر سنة ١٩٥٢ م .

١٠ ـ تاريخ حكماء الاسلام ، بتحقيق كرد علي ٦٩ ـ ٧٠ .

١١ ـ التفسرة : مقدار من البول يستدل به الطبيب ، بالنظر فيه ، على حال المريض وعلتـه ٠

١٢ ـ الحكاية كاملة في تاريخ حكماء الاسلام ٧٠ ـ ٧٢ ٠

١٣ ـ طبعة ليبزيغ ١٩٠٣ م ، ص ٤١٦ ٠ وجعل عنوانها « تاريخ الحكماء » كما سبق ٠

١٤ ـ اللباب في تهذيب الانساب ، لابن الاثير ١/١٤١ (ط٠ صادر) ٠

١٥ ـ وفيات الاعيان ، لابن خلكان ٢/١٥٨ (تحقيق احسان عباس ـ بيروت) ٠

١٦ ـ انظر ترجمتي الاميرين في أعلام الزركلي ٩/٢٨ (ط٠ ثالثة) وما ذكره من مراجع ومصادر ٠

١٧ ـ معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، للمستشرق زامباور (١/٧٢) أخرجه : زكي محمد حسن ، وحسن أحمد محمود ـ القاهرة ١٩٥١ م ٠ ١٩٥٢ م ٠

١٨ ـ سيرة ابن سينا ، تحقيق غولمان ١٢٦ ا نقلا عن ياقوت ٣/٢١١ ٠

١٩ ـ انظر « أمير الاطباء » ص (١٢ ، ٥٤) وهي « نشرة دورية تصدرها كلية الطب بتونس ، بمناسبة مرور ألف سنة على ميلاد ابن سينا » ٠

٢٠ ـ هو الدكتور أحمد فؤاد الاهواني ، ص ٤٠ من كتابه « ابن سينا » الذي نشرته دار المعارف ١٩٥٨ م في سلسلة (نوابغ الفكر العربي) ٠

٢١ ـ انظر وفيات الاعيان ٢/١٥٩ (تح٠ احسان عباس) وخزانة البغدادي ٤/٢٦٧ (بولاق) والعبارة فيهما : « ثم مات شمس الدولة وتولى تاج الدولة » ٠

٢٢ ـ انظر « الكامل في التاريخ » لابن الاثير ٩/٣٢٠ ، ٣٣٠ في حوادث سنتي ٤١١ و ٤١٤ هـ (ط٠ دار صادر ـ بيروت) ٠

الاراجيز الطبية

الدكتور سلمان قطاية

يعتبر الشعر الفن الاساسي الذي عرفه العرب وبرزوا فيه فكان في المقدمة بالنسبة لما أنتجه العالم ٠

كان العرب منذ أن وجدوا يعتمدون عليه الاعتماد الكلي : ففيه سجلوا أنسابهم ، وتاريخهم ، وأشواقهم ، وعشقهم ٠٠ وكل ما يمت الى حياتهم بالصلة ٠

ساعدهم على ذلك ذاكرة قوية ، وموهبة فطرية ٠ وربما كان أيضا من العوامل المساعدة كثرة تنقلهم مما لا يسمح لهم بالتدوين والكتابة ، فالمكتبات تحتاج الى استقرار ، كذلك تفشي الامية فيما بينهم ، وغنى اللغة العربية بالمرادفات وكثرة الكلمات ذات المقاطع الثلاثية مما يسهل النظم ، بالاضافة الى وجود الايقاع الذي بدأ مع الحداة وانتهى مع أكابر الشعراء ٠

ومن المعلوم أن الشاعر كان مرآة القبيلة الفكري ، ووجهها الثقافي ، ومباهاتها اللغوية والفنية ٠

وكان أطباء العرب موسوعيين بمعنى أنهم كانوا الى جانب الطب يهتمون بوجوه الثقافة الاخرى من فلسفة ، وشعر ، وموسيقا وغيرها ٠

وفيما يخص الشعر فقد كان كل مثقف عربي ، ولا يزال ، يقرض الشعر في فترة ما من حياته يودع فيه بعضا من تجاربه وأفكاره ٠

وهكذا فكثير من الاطباء المشاهير أنشدوا الشعر ، وعلى رأسهم الشيخ الرئيس ابن سينا ٠

فالى جانب قصيدته العينية الشهيرة (١) التي وصف فيها الروح وشبهها باليمامة (الورقاء) والتي مطلعها :

هبطت اليك من المكان الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

له قصائد كثيرة في مواضيع مختلفة ٠

فقد كان ابن سينا يحب المرأة ٠ وكان عندما ينتهي من عمله يحضر اليه الحسان والقيان ويشرب الخمرة ويقضي ليالي حمراء ٠

فقال في المرأة (٢) :

اسجيه الجفون أكل خود سجاياها استعرن من الرحيق
هي الصهباء مخبرها عدو وان كانت تناغي عن صديق

وقال أيضا :

وقلت دموع عيني دون سعدى على الاطلال ما وجدت سبيلا
على جفني لسعدى فرض دمع ألمت له به قلبي كفيلا
عقدت لها الوفاء وان عقدي هو العقد الذي لن يستحيلا

ووصف الخمرة أيضا فقال :

قم فاسقنيها قهوة كدم الطلا يا صاح بالقدح الملايين الملا
خمرا تظل لها النصارى سجدا ولها بنو عمران اخلصت الولا
ولو انها يوما وقد ولعت بهم قالت : ألست بربكم ٠ قالوا :بلى

وكان الشيخ فخورا متعاظما متكبرا مما زاد في حسد الحساد وغيرتهم ٠ ولكنه كان لا يأبه لهم ، ويصفهم في احدى قصائده وكأنهم وعول تنطح الصخر :

عجبا لقوم يحسدون فضائلي ما بين شبابي الى عذالي
عتبوا على فضلي وذموا حكمتي واستوحشوا من نقصهم وكمالي
اني وكيدهم وما عتبوا به كالطود يحقر نطحة الاوعال

ويزيد احتقارا لهم فيقول :

سيان عندي أن يبروا وان فجروا فليس يجري على امثالهم قلم

وله قطعة نفيسة من الشعر الصوفي اذ يقول :

هبت نسيم وصالكم سحرا بحدائق للشوق في قلبي
فاهتز غصن العقل من طرب فتناثرت درر من الحب
وبدت شموس الوصل خارقة لشعاعها لسرادق القلب
فبقيت لا شيء اعانيه الا ظننت بانه ربي

ويصف ابن زهر كتاب حيلة البرء لجالينوس :

حيلة البرء صنفت لعليل يترجى الحياة أو لعليلة
فاذا جاءت المنية قالت : حيلة البرء ، ليس في البرء حيلة

وللرازي قصيدة أيضا في الروح اذ يشك في مصيرها بعد الموت فيقول :

لعمري ما ادري وقد آذن البلى بعاجل ترحال الى أين ترحالي ؟
وأين محل الروح بعد خروجه من الهيكل المنحل والجسد البالي ؟

ولشرف الدين الرحبي قصيدة طويلة :

سهام المنايا في الورى ليس تمنع فكل له يوما وان عاش مصرع
وكل وان طال المدى سوف ينتهي الى قعر لحد في ثرى منه يودع

من الذين قرضوا الشعر ابن بطلان اذ يقول :

ولا احد ان مت يبكي لميتتي سوى مجلسي في الطب والكتب باكيا

وفي كتابه « دعوة الاطباء » وموضوعه أن شخصا يدعو طبيبا وعندما يسأله عن هويته يدعي أنه طبيب ، ثم جرائحي ، ثم كحال ، ثم صيدلاني . وكل مرة يبدأ ببيتين من الشعر .

فيقول الطبائعي :

اعذرني رب من حصر وعي ومن نفس اعالجها علاجا
ومن زلات نفسي فاغتفرها فاني لا اطيق لها لجاجا

ثم يقول الكحال (الاخصائي بطب العيون) :

مريض الجفون بلا علة ومكتحل الطرف لم يكتحل
شكا حسنه قبح افعاله فاثر في وجنتيه الخجل

وينشد الفاصد :

فصدت عرقا تبتغي صحة البسك الله به العافية
فاشرب بهذا الكاس يا سيدي مستمتعا من هذه الجارية
واجعل لمن اهداكها زورة تحظى بها في الليلة التالية

ويقول الطبيب :

قالـــت له النفس كـــن طبيبـــا	تقضـــي عـــلى الناس بالذهـــاب
تاخـــذ مـــال العليـــل قهـــرا	ثـــم تؤاتيـــه الى التـــراب

ويروى أن أحد الشعراء قال :

جس الطبيب يدي جهـلا فقلت لـــه	اليـــك عني فهـــذا يوم بحرانـــي
فقال لي ما الذي تشكو فقلـــت لـــه	اشكو اليك هـــوى من بعض جيرانـــي
فقام يعجـــب من قولي وقـــال لهـــم	انســـان ســـوء فداووه بانســـان

فأجابه طبيبه :

ومـــا بـــك عـــلة تشـــكى لطبهـــا	ولكـــن المليـــح لـــه دلال

والامثلة على هذا كثيرة • وكتاب ابن أبي أصيبعة مليء بمثل هذه الامثلة وأكثر • وليس هذا هو قصدنا • بل الاشارة الى استعمال الشعر كوسيلة تعليمية طبية •

والواقع : أن للشعر عدة مزايا ، فهو أولا يختصر معاني كثيرة في بيت واحد ، ولكن لهذه المزية بعض الشطط لان الرغبة في اختصار الفكرة تبدو هذه في بيت الشعر صعبة الفهم أحيانا ، خاصة بالنسبة للطالب المبتدىء • لذا : نجد كتبا تحاول شرح هذه الاشعار • كما فعل مثلا ابن رشد حينما شرح أرجوزة ابن سينا في الطب •

وثانيا : انها سهلة الحفظ • ولتسهيل الامر على الطالب عمد العلماء الى بحر الرجز ، وهو معروف بايقاعه وقصره ونغمة الموسيقا • كلها صفات تساعد على بقاء القصيدة مرسومة في ذاكرة الطالب ، وما عليه الا أن يتفكر بالامر حتى يأتي البيت ليقدم له مادة سهلة ومركزة ليبدأ في الكلام عنها •

ولقد انتشرت هذه الطريقة في كل أنواع العلوم في ذلك الزمان كالفقه والشريعة والنحو والصرف وغيرها •

بل ان ابن سينا كان أحيانا يجيب بالشعر على أسئلة أو استشارات طبية كما حدث معه عندما شكا اليه الوزير أبو طالب العلوي آثار بثر تبدى على جبهته ونظم شكواه شعرا وأنفذه اليه وهو :

صنيعه الشيخ ومولانا وصاحبه وغرس انعامه بل نشىء نعمته
يشكو اليه أدام الله مدته آثار بثر تبدى فوق جبهته
فامنن عليه بحسم الداء مفتنما شكر النبي له مع شكر عترته

فأجابه ابن سينا بوصفة في شعر ، استعملها الوزير فشفي وهي :

الله يشفي وينفي ما بجبهته من الاذى ويعافيه برحمته
أما العلاج : فاسهال يقدمه ختمت آخر أبياتي بنسخته
وليرسل العلق المصاص يرشف منها دم القذال ويغني عن حجامته
واللحم يهجره الا الخفيف ولا يدني اليه شرابا من مدامته
والوجه يطليه ماء الورد معتصرا فيه الخلاف مداقا وقت هجعته
ولا يضيق منه الرز مختنقا ولا يصحبن أيضا عن سخطته
هذا العلاج ومن يعمل به سيرى آثار خير ويكفي امر علته

ويروى أن ابن التلميذ عالج الشاعر أبا القاسم علي بن أفلح وحماه عن بعض المآكل فكتب اليه الشاعر يقول :

انا جوعان فانقذني من هذي المجاعة
لا تقل لي ساعة تصبر مالي صبر ساعة
فغواي اليوم لا يقبل في الخبز شفاعة

فأجابه ابن التلميذ بأبيات شعر لطيفة منها :

هكذا اضياف مثلي يتشاكون المجاعة
غير اني لست أعطيك مضرا بشفاعة

★ ★ ★

وأعتقد ان العرب أول من استعمل هذا الفن* : فدمج الفن بالعلم ، وأسس فن الاراجيز العلمية بشكل عام والطبية بشكل خاص .

وبالطبع فان أشهر أرجوزة طبية هي أرجوزة الشيخ الرئيس ومطلعها :

★ لمدرسة باليرمو بعض الاشعار الطبية ولكنها قليلة الاهمية خاصة اذا ما قيست بالشعر العربي .

الحمد لله الملك الواحد　　رب السماوات العلي الماجد
سبحانه منفردا بالقدم　　مخرج موجوداتنا من عدم
يفيض نوره على عقولنا　　حتى بدا الخفي من معقولنا
قد خلق بفضله الانسانا　　فضله بالنطق واللسانا

حتى يقول :

والشعراء امراء الالسن　　كما الاطباء ملوك البدن
هذا يسن النفس بالفصاحة　　وذا يطلب الجسم بالنصاحة
وهذه ارجوزة قد اكتمل　　فيها جميع الطب علما وعمل
فهانا مبتدىء بنظم　　منثور ما حفظته من علم

أي أنه أورد في الارجوزة ما كتبه في القانون ٠ ثم يبدأ بتعريف الطب فيقول :

الطب حفظ صحة برء مرض　　من سبب في بدن عنه عرض

ولقد نشرت الارجوزة مع ترجمة الى الفرنسية واللاتينية في باريس عام ١٩٥٦ م ، اشترك في التحقيق جاهيه ونور الدين ٠

وتقع في ١٣٢٦ بيتا ومن جزئين : عملي ونظري ٠ النظري مؤلف من ثلاثة فصول والعملي من فصلين ٠

ومنها هذه المقاطع :

« ذكر العلامات المنذرة بالموت ٠

وأولا في العلامات المأخوذة من الافعال ٠

كراهة الضوء ودمع جار　　بشدة التحريك وازورار
وصغر في العين فرد جانب　　والفم مفتوح بلا تثاؤب
والمرء يستلقي على قفاه　　قد ارتخت يداه أو رجلاه
وان بدا ينزل عن مرقده　　وكاشفا عن رجله ويده
وان تشكل بشكل منكر　　وقد بدا يعنى بنتف الزئبر
او تقلبت اطرافه في المنتهى　　وقد بدا معتلقا بما يرى

وصـــــرة الاســــنان دون عـــادة ووَلـــــع اليــــدين بالوســـادة
وان تخيـــل غــلاما أســــودا ، يريـــد أن يقتــــله اذا بـــــدا
وان يكـــن في مرض ذي حـــــدة فموتــه منـــه قريـــب المــدة » •

والواقع أن هذه الاوصاف نادرا ما تكون مجتمعة سوية كلها ، والاغلب أن يجتمع بعض ويغيب بعض • اذ تصف الابيات الثلاثة الاولى ، على ما نخمن ، حالة ورم دماغي حار ، أو التهاب سحايا في أطواره الاخيرة •

والابيات التي تليها ربما كانت أقرب الى الحميات الشديدة القاتلة (كالحمى التيفية) في مراحلها الاخيرة ، اذ يبدأ المريض بالهذيان ، والحركات اللاارادية •

وفي الجزء الثالث المكرس للعمل باليد يصف « العمل في العظم ، وأولا « الجبر » ــ فيقول :

« وكل ما تحـــدثه مـــن صـــــنع في العظـــم مثـــل الكسر او الخلـع
وكــــــل ما تطبـــه من كســـر فانـــــما علاجـــــه بالجبـــر
رد الشـــــظايا فيـه حتى تنطبــــع ونشـــــر ما ينخســـــنا فتنتجـــع
وشـــــدها بصنعـــــة حكيمـــــة ، لا ضـــاغط فيهـــــا ولا مرخيـــة
عصـــــائب يبــــدو بها من الوسط ثـــم يـــــزاد الشـــد حتى ترتبـــط
من فوقهــــا رفائـــــد ملفوفـــــة من فوقهـــا جبائـــر مصفوفـة •• »

وفي العمل في « الشرايين » نجده يصف طريقة فصد الشريان وبتره ، ويصف أيضا طريقة ارقاء الدم بكي الشريان وربطه فيقول :

« وامنعـــه بالربـــط أو المكــــواء عن نـــزف ما يجـــري من الدمـــاء
وداوه تدويـــــة الجـــــراحـــــة حتى تـــرى صاحبــــه في راحـة »

وتسمى الارجوزة (من بحر الرجز) في الطب أو ألفية ابن سينا (على غرار ألفية ابن مالك) رغم أنها تجاوز الالف بيت بكثير •

ولقد لاقت نجاحا منقطع النظير وانتشرت في الشرق والغرب • وكان ابن زهر يفضلها على القانون ، ويقول انها اشتملت على أهم قواعد الطب وانها تقوم مقام جملة كتب في هذه الصناعة •

ولقد ترجمت الى اللاتينية في القرن الثالث عشر تحت اسم :

Cantica Avicennae

ولقد طبعت باللغة العربية في أواسط القرن التاسع عشر في الهند ·

وفي بعض المخطوطات توجد مقدمة كتبها بالنثر الشيخ الرئيس للارجوزة · يشرح فيها السبب الذي دعاه لتاليفها : فيقول :

لما جرت عادة الحكماء وفضلاء القدماء بخدمة الملوك والامراء والخلفاء والوزراء ورؤساء القضاة والفقهاء بتصنيف المنثور والمنظوم ، وتواليف الصنائع والعلوم ، ولا سيما شعراء الاطباء ، فانهم كثيرا ما نظموا الاراجيز والفوا الكنانيش ليبين الكنهم من راجزهم ، وماهرهم من عاجزهم ·· فجريت على سنن القدماء ، واتبعت سنة الحكماء » ·

ثم يصف فوائد الارجوزة بقوله : « كسوتها رداء الكمال ، وحلة الجمال ، بسهولة الموضون ، وخفة الموزون ، لتكون أيسر طلبا ، وأقل تعبا ، وهو اذا نظر اليها بفهمه ، وحصلت في خزانة علمه ، استعان منها على العلم الجليل بالجرم القليل ، وميز بين الصناع والرعاع ، والمبتدىء والمنتهي ، والمحقق والمخرق » ·

ولم تقتصر شهرتها على الشرق بل تعدته الى أوربا وكان أول من ترجمها هو جيرار الكريموني ، وهو الذي ترجم القانون ·

وطبعت في بال عام ١٥٥٦ م ·

وفي عام ١٢٨٤ م ترجم أرمانجود دوبليز Armenguad de Blaise الارجوزة مع شرحها لابن رشد ·

ولقد طبعت في البندقية عام ١٥٢٠ م ـ ١٥٢٢ م مع كتاب الادوية القلبية الذي ترجمه أرنولد دو فيلنوف A. de Villneuve عم بليز ·

وفي العام نفسه أي ١٥٢٢ م صدرت طبعة لها في مدينة ليون بفرانسا ·

ثم تلتها طبعة أخرى في البندقية عام ١٥٢٧ م بدء من الشرح ، ومع مراجعة وتصحيح من قبل الباغوس ·

ثم طبعت عام ١٥٦٢ م ، وفي عام ١٦٠٨ م ، ثم عام ١٦٣٠ م ، وعام ١٦٤٩ م · وكانت آخر طبعة للقانون عام ١٦٥٨ م في لوفان في بلجيكا بدون الارجوزة ·

تاثر علماء الغرب بفن الاراجيز الطبية العربي فنسجوا على منوالها وكان من أشهرهم الفرنسي جاك ديسبارس الذي اهتم كثيرا بابن سينا، بحيث أمضى واحدا

وعشرين عاما من حياته في شرح القانون ، وشرحه هذا يقع في خمسة عشر مجلدا ، موجودة الآن في كلية الطب في باريس ٠

ومن شعره قوله في تقديم كتاب القانون :

انا قد هجرت المجتمع ٠
وآثرت العزلة والدراسة ٠
وبعد وقت طويل اكتسبت الحرية ٠
التي ساعدتني كثيرا على هذا الالتزام ٠
لقد اخذت عن القدماء
ومدحت العرب واليونان
أطباء اعترف بهم الجميع ٠
بعد أن كانوا في عداد المنسيين تقريبا ٠
والصنعة جمعت ما بقي من مؤلفات ابن سينا ٠
الكتاب الاول بكامله ٠
والثالث ايضا ، والجزء الاول من الرابع
يا رب ، انت من خلقت الطب
احمل الناس على احترام الاطباء
وليعالج هؤلاء بدورهم مرضاهم ٠
بكل شفقة واخلاق دمثة رحيمة ٠
تلك هي طريق الجنة ٠
طريق المجد الخالد الوعرة ٠
ولننقش هذا في ذاكرتنا ابدا
كي نحصل على الفرح الابدي

وكان الطبيب أرنولد دوفيلانوفا (توفي عام ١٣١١ م) الاستاذ في كلية الطب بباريس قد اهتم كثيرا بالكتب الطبية العربية وترجم عددا منها ٠ كما أنه تأثر بالاراجيز فألف قصيدة مؤلفة من ٣٧٠ بيتا عن « الحميات » (٣) ٠

ومنهم أيضا الفرنسي بيير جيل دوكوربي P. G. de Corbeil الذي درس الطب في مدرسة ساليرنو الطبية التي كانت الكتب الطبية العربية تدرس فيها بعد أن قام بترجمتها قسطنطين الافريقي ٠ ولقد نظم كوربي كتاب « البول »

لاسحق بن سليمان في أرجوزة باللغة اللاتينية • وكان كتاب البول قد اشتهر أمره بعد ترجمة قسطنطين له ، ودرس في الجامعات الاوربية ، فترة طويلة جاوزت القرن السادس عشر • وترجم شعر كوربي من اللاتينية الى الفرنسية ونشر في بداية هذا القرن (٤) •

ويبدو أن ابن سينا الف أراجيز طبية أخرى وهي :

أرجوزة وعنوانها : « في المجربات » وعدد أبياتها مائتان واثنان وخمسون وتبدأ بقوله :

بـــدات باسم الله في النظـــم الحسنْ   اذكـــر ما جربتـــه طـــول الزمـنْ

وتحتوي على نصائح طبية مختلفة • يختمها بقوله :

هـــذا الذي جربتـــه في عمـــري   نظمتـــه للمقتفـــي في الـــسري

وأرجوزة في التشريح وعدد أبياتها مئة وثمانية وستون بيتا ـ تبدأ بقوله :

الحمـــــد لله عـــــلى تهذيبـــــي   وعاصمـــــي من ام تهـذي بـــي

ويشرح فيها معلومات عن العظام والعضل والاعصاب والعروق والدماغ ، وأرجوزة في الفصول الاربعة وتحتوي على مائة واربعين بيتا أولها :

يقـــول راجـــي عضـده ابن سينا   ولـــم يـــزل بالله مستعينـــا
يا سائلـــي عـــن صحـــة الاجساد   اسمـــع صحيح الطـــب بالاسـناد

وموضوعها يتناول اختلاف تدبير الصحة باختلاف الفصـول • وتنتهـي بقـوله :

فهكـــــذا علمـــــني العلـــيم   وقال احفـــظ ما حكـــى الحكـــيم
من علـــم بقـــراط وجالينـــوس   وفضـــل سقـــراط وبطليمـــوس

أرجوزة في النبض والبول :

اولها : وبعد فالنبض دليـــل صـادق   يعرفـــه من الاطبـــاء الحـاذق
وآخرهـا : وآن ان نختم ما نظمتـــه   بحمـــد مـولانا تعـالى ذكـره

وأراجيز أخرى : كالارجوزة في حجر الذخيرة ، وفي التشريح ، وفي تدبير الصحة ، والوصايا الطبية ، ووصايا أبقراط الخمس والعشرين •

ولكن صحة نسبتها الى ابن سينا غير أكيدة . فربما وبسبب انتشار ونجاح الاراجيز كان البعض ينظم هذه الاراجيز وينسبها الى ابن سينا بغية الحصول على شهرتها وانتشارها .

أو أن البعض أخذ عدة أبيات في الارجوزة وصاغ حولها أبيات أخرى .

وانتشر فن الارجوزة الطبية ، فنظم كثيرون من الاطباء أراجيز طبية منهم :

ابن عزرون	أرجوزة في الحميات
ابن مناصف	أرجوزة في خلق الانسان
محمود الشيباني	في الفصد
المفضل بن ماجد	في الطب
محمد بن عباس	في الترياق
احمد بن حسن الخطاب	في الطب
الخضر بن علي	في الطب
لسان الدين بن الخطيب	في الاغذية ، وفي الترياق
ابو الوليد بن الشحنة	في الطب
محمد بن قرقماس	في البلاذر
منصور بن عبد الرحمن	في حفظ الصحة
محمد بن ابراهيم	كتاب برء الساعة للرازي نظما
داوود الانطاكي	ألفية في الطب
علي بن عبد الواحد السلجماني	في الطب
علي بن الطحان الازهري	في الطب
شمس الدين محمد بن مكي	أرجوزة في عدد العروق المفصودة
محمد بن مكي	أرجوزة في الختان

ـــ المصـــــادر ـــ

١ ـ و (٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ـ بيروت ـ دار الحياة ـ ١٩٦٥ م ٠

ـ ابن سينا : الارجوزة في الطب ـ د٠ جان جابي والشيخ عبد القادر نور الدين الاستاذان بجامعة الجزائر ـ باريس ١٩٥٦ م ٠

ـ ابن بطلان المختار بن عبدون : دعوة الاطباء ـ نشر : بشارة زلزل ـ الاسكندرية ـ عام ١٩١١ م ٠

— A. Hahn P. Dumaitre : Histoire de la médecine et du livre médical, Paris, 1962, Olirier Perrin editeur.

٣ ـ

Kenneth Walker : Histore de la medecine — Bruxelles — 1962, P. : 71.

٤ ـ

Dulieu Louis : La Medecine a Montpedier, T. I, Paris P. 118.

الافكار النفسية والتربوية

عند ابن سينا

الاستاذ حسن ملا عثمان
مديرية التربية بحلب

أولا ـ المقدمة :

ابن سينا فيلسوف وطبيب ذائع الصيت في العالم كله ، بحث في الانسان والحيوان والقوى النفسية والطرق التربوية . وقد انتشرت آراؤه وأفكاره في كتبه الكثيرة . ولقد صور ابن سينا في هذه الآراء عن منهج التربية الاسلامية ، كما استفاد من تجارب من سبقه ومن آرائهم المدونة في الكتب التي قرأها واطلع عليها .

وهذه المحاضرة محاولة سريعة تهدف الى ابراز جانب هام من جوانب عبقريته هو الافكار النفسية والتربوية عند ابن سينا .

١ ـ حياته :

هو الشيخ الرئيس الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا ، والشيخ لقب يعني الاستاذ ، ومعنى الرئيس لقب نسب اليه لتوليه الوزارة . ولد في قرية من قرى بخارى سنة ٣٧٠ هـ ـ ٩٨٠ م ، وكان أبوه فارسيا . ولما بلغ العاشرة من عمره كان قد أتقن علم القرآن والادب وحفظ أشياء من أصول الدين ، وحساب الهند والجبر ، وفي مدة انشغاله بالعلم لم ينم ليلة واحدة بكمالها ولا اشتغل بالنهار بسوى المطالعة . وهذا ما جعل شهرته الطبية تفوق معاصريه على الرغم من أنه لم يكن قد تجاوز ست عشرة سنة من العمر .

٢ ـ مؤلفاته النفسية والتربوية :

على الرغم من أن آراء ابن سينا النفسية والتربوية تنتشر في جميع مؤلفاته فاننا نستطيع أن نجد بين كتبه كتبا عديدة تحمل عناوين خاصة بالبحوث النفسية والتربوية ، من هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها .

٢ ـ رسالة في تعلق النفس بالبدن .

٣ ـ بحث في القوى النفسانية .

٤ ـ رسالة في الاخلاق .

٥ ـ كتاب البر والاثم ٠

٦ ـ رسالة اجابة الدعاء والحث على الزيارة ٠

٧ ـ رسالة في العشق ٠

٣ ـ الجانب النفسي في بحوثه وكتاباته :

أ ـ الصبغة الفلسفية لآرائه النفسية :

لا نستطيع ان نجد موقف ابن سينا من النفس والتربية في مؤلف واحد من مؤلفاته ، وذلك يرجع الى أن البحوث النفسية لم تكن قد عرفت في عصره كعلم محدود وانما كان تناول النفس بالبحث موضوع يتناوله كل فيلسوف من الفلاسفة ، لذا فقد اصطبغت آراء ابن سينا في النفس والتربية بالصبغة الفلسفية ٠ فهو يرى ان البحث في النفس جزء من العلم الطبيعي لان موضوعه هو النفس والجسم من حيث أنهما عنصران لجوهر واحد ، ومتحدان اتحادا جوهريا كاتحاد الصورة والهيولى ٠

ب ـ ماهية النفس :

تأثر ابن سينا برأي أرسطو في ماهية النفس الذي يرى أن النفس صورة البدن ، ولكن ابن سينا لم يكتف بذلك لعلمه ان الصورة لا تنفك عن المادة ، لذلك يرى أن النفس حقيقة مغايرة للجسم ومتميزة عنه كل التميز ، فلا يصح أن نقول : ان النفس صورة الجسم لان هذا القول يجعل مصير النفس تابعا لمصير البدن ، والنفس جوهر روحاني غير موصوف بصفات الاجسام ، يدرك الكليات المعقولة بغير آلة ، فالنفس من طبيعة غير طبيعة القوى الجسمية ٠

جـ ـ تحليل وظائف النفس وقواها :

اهتم ابن سينا بتحليل وظائف النفس وقواها المختلفة تحليلا عميقا فقد قسم النفس الى ثلاث نفوس هي :

١ ـ نفس نباتية ٠

٢ ـ نفس حيوانية ٠

٣ ـ نفس انسانية ناطقة ٠

ثم يوضح كل نوع من الانواع الثلاثة ويقسمها الى أقسام متعددة :

١ ـ فالنفس النباتية : هي كمال أولي لجسم طبيعي آلي من جهة ولادته ونموه وغذائه ٠ وهذه النفس تنقسم الى ثلاث قوى هي :

أ ـ القوة الغاذية ·

ب ـ القوة المنمية ·

جـ ـ القوة المولدة ·

والغاذية تحليل جسما آخر الى مشاكلة الجسم الذي هي فيه فتلصقه به بدل ما يتحلل عنه · والمنمية تستمد القوة من الغاذية لتضيف الى الجسم زيادة في أقطاره : طولا وعرضا وعمقا ، والمنمية هي التي تمد القوة المولدة بالقوة والقدرة على الفعل ·

٢ ـ والنفس الحيوانية : هي كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالارادة ، وهذه النفس لها قوتان : محركة ومدركة :

أ ـ **القوة المحركة** : وتنقسم الى قسمين :

١ ـ قوة باعثة : وهي القوة النزوعية التي تشوق الى الفعل ولها شعبتان :

ـ شهوانية : تبعث على طلب اللذة ·

ـ غضبية : تبعث على طلب الغلبة ·

٢ ـ قوة محركة : وتنبعث من الاعصاب والعضلات ومن شأنها أن تشنج العضلات فتجذب الاوتار والرباطات الى جهة المبدأ أو ترخيها أو تمدها فتصير الاوتـــار والرباطات الى خلاف جهة المبدأ ·

ب ـ **القوة المدركة** : وتنقسم الى قسمين أيضا :

١ ـ قوة تدرك من خارج : هي الحواس ·

٢ ـ قوة تدرك من داخل وتشمل نوعين :

ـ نوع يدرك صور المحسوسات ·

ـ نوع يدرك معاني المحسوسات ·

ولهذه القوة المدركة الداخلية قوى كثيرة منها :

ـ قوة الحس المشترك : وتقبل بذاتها جميع الصور المنطبعة في الحواس ·

ـ قوة الخيال (الذاكرة) : وهي تحفظ ما قبل الحس بعد غيبة المحسوسات ·

ـ قوة المتخيلة : ومن شانها أنها تركب بعض ما ترى في الخيال مع بعض ، وتفصل بعضه عن بعض بحسب الاختيار ٠

ـ القوة الوهمية : وهي تدرك المعاني غير المحسوسة كالقوة الحاكمة بأن الذئب مهروب منه ٠

ـ القوة الحافظة : وتحفظ ما تدركه القـوة الوهمية من المعاني غـير المحسوسة ٠

ويذكر ابن سينا ان كل قوة من هذه القوى لها تجويف في الدماغ ويذكر نسبة بعضها الى بعض ٠

٣ ـ النفس الانسانية الناطقة : وتنقسم الى عاملة وعالمة ، وكل قوة من هاتين القوتين تسمى عقلا :

أ ـ القوة العاملة : أو العقل العملي ، وهي المحركة لبدن الانسـان الى الافاعيل الجزئية الخاصة بالروية على مقتضى آراء تخصها اصلاحية ، ولها اعتبار بالقياس الى القوة الحيوانية النزوعية ، واعتبار بالقياس الى المتخيلة والمتوهمة ، واعتبار بالقياس الى نفسها ٠ فاذا اعتبرت بالقياس الى القوة النزوعية حدثت فيها هيئات تخص الانسان ، يتهيأ بها لسرعة فعل وانفعال مثل الخجل والحياء والضحك والبكاء ، واذا اعتبرت بالقياس الى المتخيلة والمتوهمة حدث عنها استنباط التدابير في الامور الكائنة الفاسدة واستنباط الصناعات الانسانية ، واذا اعتبرت بالقياس الى نفسها تولدت منها الآراء الذائعة المشهورة مثل ان الكذب قبيح ، وهذه القوة هي التي يجب ان تتسلط على سائر قوى البدن ، وهي التي تسمو أخلاقا ٠

ب ـ القوة العالمة : وهي قوة نظرية من شأنها أن تنطبع بالصور الكلية المجردة عن المادة ، فان كانت مجردة بذاتها فذاك ، وان لم تكن فانها تصيرها مجردة بتجريدها اياها حتى لا يبقى فيها من علائق المادة أي شيء ٠

ان لقوى النفس الانسانية ترتيبا في الرئاسة والخدمة فالعقل رئيس تخدمه جميع القوى ، والعقل العملي يخدمه العقل النظري ٠ واذا هبطنا من النفس الانسانية الى النفس الحيوانية وجدنا في قواها ترتيبا شبيها بترتيب قوى النفس الانسانية ٠ فالعقل العملي يخدمه الوهم ، والوهم تخدمه قوتان : قوة قبله هي جميع القوى الحيوانية ٠ وقوة بعده : هي القوة التي تحفظ ما أداه الوهم ٠ وكذلك المتخيلة التي تخدمها قوتان هما النزوعية والخيال ، والخيال يخدمه

الحس المشترك ، والحس المشترك تخدمه الحواس الخمس • أما النفس النباتية فان قواها بالجملة تخدم قوى النفس الحيوانية • وبين القوى النباتية ترتيب يظهر في خدمة المنمية للمولدة ، والغاذية للمنمية ، أما الغاذية فتخدمها القوى الطبيعية الاربع : الهاضمة ، والماسكة ، والجاذبة ، والدافعة •

من خلال ما سبق نستنتج أن ترتيب جميع هذه القوى من حيث الرئاسة والخدمة يدل على وحدة النفس ، فالنفس كما يصفها ابن سينا ذات واحدة ، ولها قوى كثيرة بعضها فوق بعض •

ثانيا ـ آراء ابن سينا النفسية :

تشتمل آراء ابن سينا النفسية على عدة نواح نفسية أو متعلقة بالنفس ، كالاحساس والادراك والتصور والتخيل والانفعال والذاكرة والارادة والتفكير والمزاج والشعور بالذات والشخصية ، وسوف نعرض لاهم هذه النواحي عند ابن سينا •

أ ـ الاحســاس :

يرى ابن سينا ان الاحساس تقوم به الخواس الخمس ، فكل حاسة تختص بمحسوس معين ، وأن الحس طليعة النفس ودليلها ، ثم يقسم الحديث عن كل حاسة من الحواس وأولها :

١ ـ **السمع** : ويتصل به الصوت الذي ينتج عن قرع أو قلع وما يترتب على ذلك من حركة قوية من الهواء أو ما يجري مجراه •

٢ ـ **البصر** : ويتصل به الضوء الذي ينتقل عبر وسط معين كالهواء والماء، وينبع من مصدر ضوئي كالشمس أو النار ، أو ينعكس على الاشياء الاخرى فنرى الاشياء بوساطة هذا الانعكاس ، لذا فالاجسام ثلاثة أقسام : مضيئة ، ملونة ، شفافة •

٣ ـ **الشم** : وحاسة الشم أضعف في تمييز موضوعاتها من حاستي الذوق واللمس فالانسان لا يقبل الروائح قبولا قويا حتى يحدث في خياله منها مثل ثابتة ، والشم يستلزم وسطا لا رائحة له هذا الوسط هو الماء والهواء لان الحيوانات المائية تشم أيضا مثل الحيوانات البرية •

٤ ـ **الذوق** : ويعتمد على اذابة اللعاب للغذاء وتحويله من الحالة الجافة الى الحالة شبه السائلة ، لان الذوق هو مذاق الاشياء السائلة ، لذلك كان اللسان

وسطا بين الجفاف والسيولة ، ولو غلب الجفاف أو السيولة على اللسان لما أمكننا أن نذوق الطعوم ٠

٥ ــ **اللمس** : ويعده ابن سينا أول الحواس ، ولا بد منه لكل حيوان أرضي ، ويرى أنه طريق الى معرفة الشيء لا علمه لاننا انما نعلم الشيء بالفكرة والقوة العقلية ٠

ويتحدث ابن سينا عن الاحساسات فيميز بين نوعين :

١ ــ **الاحساسات المشتركة** : التي لا تدرك بحاسة واحدة وانما بعدة حواس مجتمعة وذلك كالمقادير والاوضاع والاعداد والحركات والسكونات والاشكال والقرب والبعد ٠

٢ ــ **الاحساسات بالعرض** : وهي عبارة عن الجمع بين احساسين مختلفين وقعا في وقت واحد ، مثل ذلك اذا رأينا رجلا فقلنا هذا ابن فلان ، فليس البصر هو الذي علاقة البنوة ، ولكن عرفنا هذا الشخص بالبصر وعرفنا عن طريق آخر انه ابن فلان فلما رأيناه تذكرنا أنه ابن فلان ، أو كلما قيل ابن فلان تذكرنا شخصه ٠

وللحس المشترك بحسب رأي ابن سينا ثلاث وظائف هي :

١ ــ ادراك المحسوسات المشتركة والسكون والعدد ، والشكل والمقدار ٠

٢ ــ ادراك المحسوسات بالاستناد الى خبرة سابقة ٠

٣ ــ ادراك الادراك أي الشعور بحالتنا النفسية ٠

ب ــ الادراك :

يؤكد ابن سينا ارتباط الادراك بالاحساس ، ويبين أهمية العنصر العقلي في عملية الادراك ٠ والادراك في نظر ابن سينا قوة باطنة ، والاحساس قوة ظاهرة ، والقوة الظاهرة (الاحساس) تحصل بالحواس الخمس ، لان الاحساس لا يدرك الامور المجردة كما أنه لا يدرك الكليات بل يدرك الجزئيات ٠

جـ ــ الانفعالات :

يصف ابن سينا بعض الظواهر الانفعالية كالغضب والفرح واللذة والحزن ، ويعبر عن الحالات الانفعالية المذكورة بحركات الروح الى خارج أو الى داخل ، اما دفعة واحدة أو بصورة تدريجية ، فانفعال الغضب يتصل بالحركة الى خارج أي هو مقترن بالفعالية ، لذلك ينشأ عنه القتال أو الدفاع عن النفس ، وانفعال

الفزع أو الخوف يتصف بالحركة الى داخل أي هو مقترن بتوقف الفعالية وانقباض النفس والتمركز حول الذات ٠

د ـ الذاكرة :

يعرفها ابن سينا بأنها ملكة ادراك الزمان ، وتتعلق بالماضي ولا تؤدي وظيفتها من غير التخيل ، وليست وظيفتها ادراك الصور الحاضرة ولكن وظيفتها ادراك الماضي ٠ ويربط ابن سينا بين التذكر والارادة تمييزا للذاكرة عن التداعي الذي يتم بصورة عفوية آلية ٠

هـ ـ الارادة :

ومفهوم الارادة عند ابن سينا متفق مع علم النفس الحديث الذي يرى أن الارادة مجموعة من الوظائف النفسية تعمل متآزرة لتحقيق استجابة رأي الشخص، كما أن ابن سينا يبرز عنصر تصور الهدف في العمل الارادي ويسميه الغرض ، ثم عنصر اتخاذ القرار أو العزم ويسميه الشوق ، ويرى أن مرحلة التنفيذ تحصل من قوة الشوق التي تحرك القوة الموجودة في العضلات الى التنفيذ أو التحصيل ٠ ويؤكد على أهمية فكرة الغرض أو الهدف في أفعال الانسان بينما توجه الغريزة أفعال الحيوان ٠

و ـ التفكير :

وهو قبول الصور المعقولة ، وليس له صورة ايجابية خاصة به وانما هو قوة أو هو لا شيء بالفعل قبل أن يقوم بوظيفته وهو لذلك مستقل عن الجسم ٠ فالفكر يدرك الماهية ، أي الصورة المجردة عن أعراض المادة ، أما الاحساس فيدرك الصورة الجزئية المادية كما هي واقعة ٠

ثالثا ـ آراء ابن سينا التربوية :

ينطلق ابن سينا في آرائه التربوية منذ أن يكون الانسان جنينا في بطن أمه فيوصي بالعناية بالام الحامل حرصا على جنينها ، ثم يفصل اهتمامه بالوليد فيتحدث عن رعاية جسده وحمايته من البرد والاهتمام بنظافته ، ثم ينتقل الى الحديث عن ارضاع الطفل وفطامه فيوصي بأن يرضع الطفل ما أمكن من لبن أمه وان لم يمكن ذلك فينبغي أن يختار له مرضعة ذات شروط معينة تتوفر فيها ، على أن يمنع الطفل من الرضاع منها اذا عرض للمرضعة مرض أو مزاج رديء أو اسهال أو احتباس ، ويرى ابن سينا ان المدة الطبيعية للرضاع سنتان ، ثم يتحدث عن الامراض التي تعرض للصبيان وعن علاجها وذلك كأورام في اللثة واستطلاق البطن عند نبات الاسنان ، والسعال وسوء التنفس والسيلان في الاذن ٠

١ ــ التربية الخلقية :

بعد ذلك ينتقل ابن سينا الى تربية الاطفال اذا انتقلوا الى سن الصبا فيرى أنه يجب أن تكون العناية مصروفة الى مراعاة أخلاق الصبي ، وذلك بأن يحفظ كيلا يعرض له غضب شديد أو غم أو سهر وذلك بأن يتأمل كل وقت ما الذي يشتهيه ويحن اليه فيقرب اليه ، وما الذي يكرهه فينحى عن وجهه ، كما يجب أن يجنب الصبي شرب الماء على الطعام وأن يسمح له باللعب ، واذا بلغ عمر الطفل ست سنين يقدم الى المؤدب والمعلم ويدرج في ذلك ولا يجبر بملازمة الكتاب كرة واحدة ٠

وبعد الرابعة عشرة من العمر يرى ابن سينا أن تربية الصبيان تقوم على حفظ صحة أبدانهم وفي ذلك يقرر أن معظم تدبير حفظ الصحة يرجع الى ثلاثة أصول هي الرياضة وتدبير الغذاء وتدبير النوم ٠ والرياضة عنده حركة ارادية تضطر الى التنفس العظيم المتواتر وعدم الرياضة يؤدي الى تراكم الفضلات في الجسم مما يؤدي الى الامراض المختلفة ، ويرافق الرياضة الدلك الذي يهتم به ابن سينا فيتحدث عن أنواعه وأوقاته ويعده جزءا من الرياضة ثم ينتقل الى عملية أخرى ملازمة للرياضة وهي الاستحمام ، ويوصي بألا يبادر المرتاض الى الحمام حتى يستريح بالتمام ، ويرفق ذلك الحديث بحديث عن أحوال الحمامات وشرائطها التي يجب أن تتوفر فيها ٠

٢ ــ التربية النفسية والاجتماعية :

بعد هذا الاهتمام بالتربية البدنية والخلقية ينتقل ابن سينا الى الاهتمام بالتربية النفسية والاجتماعية فيرى أن الانسان لا يستطيع أن يعيش الا في مشاركة اجتماعية ولا تتم المشاركة الا بالمعاملة ، ولا بد للمعاملة من سنة وعدل أي قانون وشريعة ولا بد للسنة والعدل من سان وعادل ، والنبي هو الذي يسن للناس سننا بأمر الله تعالى ، فحياة الانسان في الجماعة تقتضي وجود النبي لانه من غير المعقول ان يترك الناس وشأنهم فيختلفون في معايير العدل والظلم ٠

ولا بد لكل منزل من مدبر كما لا بد لكل مدينة من مدبر ، ومدبر المنزل لا يصح أن يتولى تدبير المدينة وتدبير المنزل ، وتدبير المدينة لا بد له من قانون ، والقانون لا بد له من مقنن ، وهذا المقنن غير مدبر المنزل ومدبر المدينة ، وانما هو النبي الذي يضع القواعد التربوية للناس بأمر الله سبحانه وتعـالى ٠

وفي رأي ابن سينا ان الانسان لا يستطيع أن يصل المرتبة الفاضلة ويكتسب الاخلاق الفاضلة والملكات الا عن طريق اضعاف الجسم والسيطرة على غرائزه ،

وبذلك تستعد النفس وتتهيأ للسعادة القصوى • واذا استطاع الانسان أن يفعل ذلك فانه يستطيع أن يعرف نفسه ومعرفة النفس تقودنا الى معرفة الله التي هي مصدر السعادة في الدنيا والآخرة •

واللذة الحقة عند ابن سينا ليست اللذات الحسية وانما هي اللذات العقلية ، فأعظم اللذات الحسية هي لذة الطعام ولذة الجنس ، ومع ذلك فقد يتركها الانسان طلبا للذة العقلية حين يكون منهمكا في لعبة الشطرنج مثلا ، ولولا أن هذه اللذة العقلية أقوى من لذة الطعام والجنس لما رجحها الانسان عليهما ، وقد يحتاج الانسان الى طعام ومع ذلك نراه يؤثر به غيره على نفسه ومعنى هذا أن لذة الايثار أقوى من لذة الطعام ، وربما استصغر الموت في سبيل مبدأ أو غاية كل ذلك يؤكد أن اللذات العقلية والنفسية أقوى من اللذات الحسية البدنية •

أما السعادة عند ابن سينا فهي لا تتم الا اذا أصلحت النفس الجانب العملي منها في هذه الدنيا ، ذلك الجانب الذي تصدر عنه الافعال الخلقية والذي هو مجال الاختيار والاتجاه في السلوك وهذا الاصلاح يتم بتحصيل ملكة التوسط ، فالفعل الخلقي الفاضل وسط بين الافراط والتفريط •

وعن المدينة يرى ابن سينا أن يكون ترتيب المدينة على أجزاء ثلاثة : المدبرون والصناع والحفظة • فلا يكون في المدينة انسان معطل ليس له مقام محدد بل يكون لكل واحد منهم منفعة في المدينة كما يجب ان يكون في المدينة مال مشترك •

ويوصي بأن تفرض الغرامة ليس على المخالف أو على صاحب جناية ما فقط بل يجب أن يفرض بعضها على أوليائه وذويه الذين لا يزجرونه ولا يحرسونه •

ويحث على ألا يكون طلب الرزق عن طريق ما لا يرضاه الشرع ، ثم اذا حصل الانسان مالا فان السيرة العادلة أن يكون بعضه مصروفا في الصدقات وبعضه مستبقى ذخرا لنوائب الدهر •

أما عن علاقة الرجل بأسرته فيرى ابن سينا أن من واجب المرأة أن تهاب زوجها وتحترمه كما أن على المرأة أن تهتم بسياسة أولادها وتفقد ما يضمه بيتها ، فان المرأة اذا كانت ساقطة الشغل خالية البال لم يكن لها هم الا التصدي للرجل بزينتها والتبرج بهيئتها •

ويرفض ابن سينا ان تقوم المرأة بالعمل اذا كان زوجها يستطيع القيام بنفقات الاسرة حرصا على عدم تفكك الاسرة اذا استغنت المرأة عن الرجل ماليا ٠

رابعا ـ آراء ابن سينا النفسية والتربوية في الميزان :

١ ـ نظرة في آراء ابن سينا النفسية :

ان ما عرض له في هذا البحث السريع من آراء نفسية وتربوية لابن سينا لا يشمل جميع ما نجده في آثاره في هذا المجال ، ولكنه ملاحظات سريعة عن عينات مأخوذة من أمهات مؤلفاته ، هذه الملاحظات والآراء تمثل ـ باعتقاد البحث ـ وجهة نظر ابن سينا وتبين منزلته في أبحاث النفس والتربية ، في الوقت الذي لم يكن علم النفس قد ظهر بالمفهوم الذي هو عليه اليوم وانما كان فرعا من الفلسفة ومع ذلك فانه قد أتى بآراء وأفكار جديدة في مجالات الاحساسات والانفعالات والشخصية وعلاج الامراض النفسية ، سبق بها عصره بقرون عديدة ٠

فمثلا يؤكد ابن سينا على وجود الرابطة بين النفس والجسد ، ومن ناحية أخرى يبدو أن ابن سينا قد سبق علماء الفيزياء باكتشافه أن الصوت موجات تنتقل بالهواء وهذه الموجات الهوائية تتصل بحاسة السمع ويحدث الاحساس السمعي ، ان ابن سينا لم يصرح بأن الصوت موجات هوائية ولكنه قال : حركة قوية من الهواء أو ما يجري مجراه وهذا تعبير دقيق عن وصف حقيقة الصوت بالمفهوم العلمي الحديث ٠

ومن خلال موقف ابن سينا من الانفعال نجد انه يقرر ان الانفعالات تصدر عن النفس والجسم معا ، وبذلك يختلف عما ذهب اليه أفلاطون من أن الانفعالات حالات نفسية خالصة ، ولا علاقة لها بالبدن ، وهذه هي وجهة نظر الروحيين . كما أنه يخالف ما ذهب اليه الماديون في العصر الحديث وعلى رأسهم وليم جيمس الذي يرى أن الانفعال هو تبدل في وضع الجسد كالارتجاف والاصفرار أو تغير في الدورة الدموية ٠ ولذلك أعلن جيمس رأيه المشهور الذي يقول اننا اذا حذفنا تلك الظواهر الجسدية من الانفعال فلا يبقى من الانفال شيء ٠ وفي الواقع فان ابن سينا قد أعطى الصورة الواضحة عن الانفعال من حيث اثبات أثر الجسم والنفس وانه لا يوجد تعاقب زمني بين الظاهرتين اللتين يتكون منهما الانفعال وهما الظاهرة النفسية والظاهرة الفيزيولوجية ، بل هما تحدثان معا ٠

وقد اهتم ابن سينا بعلاج الامراض النفسية ، ونستطيع من خلال راي ابن سينا في علاج الامراض النفسية أن نستنتج الاسس التالية التي يعتمد عليها ذلك العلاج والتي تقترب كثيرا من أسس العلاج النفسي الحديث :

١ ـ نشأة المرض النفسي انما تكون عن التصورات والافكار كما في مرض العشق أو هوى الحب ٠

٢ ـ تأكيد العلاقة بين الحالات النفسية والمظاهر الجسدية ٠

٣ ـ للمرض النفسي سبب أو موضوع كما في العشق ٠

٤ ـ يجب معرفة سبب المرض أولا ليمكن العلاج ٠

٥ ـ طريقة تشخيص المرض تعتمد على المعلومات التي تدل على حدوثه ووقوع المريض فيه ٠

٦ ـ اعتماد ابن سينا على التجربة والمنهج الاستقرائي في الوصول الى الحقائق ٠

٧ ـ مراعاته مبادىء الاسلام فيما يفرض من علاج للمشكلة النفسية ٠

٢ ـ نظرة في آراء ابن سينا التربوية :

لقد رأينا في مجال تربية الطفل ما قرره ابن سينا من أمور تعد غاية في الدقة والروعة ، من ذلك ارضاعه وتعليمه والعناية بجسمه وتوجيهه الى ما يلائم طبعه ، وقد كتب كل ذلك في الوقت الذي كان العالم غير المسلم من حوله يعيش في ظلام شامل ويفرض الآباء والمربون على الطفل نظاما تربويا قاسيا وأسلوبا عقيما في التعليم يقضي على مواهبه ويقتل شخصيته ويقضي أن يردد عن ظهر قلب ما يطلب منه قراءته في الكتب ، واننا لنعجب ونحن نعيش في هذا القرن أن مبادىء التربية الحديثة التي ينادى بها المفكرون الغربيون والامريكيون هي الافكار ذاتها التي نادى بها ابن سينا قبلهم بعشرة قرون ٠

لم يضع ابن سينا كتابا مستقلا جامعا في التربية ولكن الافكار التربوية التي ذكرها متفرقة في كتبه تعبر عن احاطة وشمول بتربية الانسان منذ أن يكون جنينا في بطن أمه الى أن يولد وينمو ويمر في مراحل العمر المختلفة ، واذا كان ابن سينا قد تعرض لهذا الموضوع من الناحية الطبية في كتابه الطبي الشهير (القانون) الا أن بحثه جاء شاملا للناحية الطبية والتربوية معا ، كما هو شأنه في جميع البحوث التي يعالجها ٠

خامسا ـ خاتمة :

وبعد ٠٠ فقد قضينا دقائق معدودة مع الفيلسوف الكبير الشيخ الرئيس ابن سينا ، في زاوية من زوايا عبقريته المتعددة الجوانب ، وأعتقد أننا نستطيع من خلال هذه العجالة التي بنيت على أساس الرجوع الى كافة كتبه أن نحكم بأن ابن سينا كان عالما نفسيا من الطراز الرفيع آتاه الله ذكاء وقادا لايعجز عن فهم أدق

وبخارى اليوم احدى مدن أوزبيكستان احدى جمهوريات الاتحاد السوفياتي، تقع على ملتقى الطرق بين روسيا وفارس والهند والصين • وتقع أوزبيكستان شمالي أفغانستان وغربي تركستان وكازكستان وشرقي تركمانستان • وكانت خراسان تضم أجزاء من الدول الحالية أوزبيكستان وتركمانستان وأفغانستان وايران •

أما كركانج فهي قصبة بلاد خوارزم ومدينتها العظمى وقد عربت فقيل الجرجانية ، كانت تقع غربي نهر جيحون ثم جربها التتر سنة ٦١٨ هـ (٤) ولو بقيت لكانت اليوم احدى مدن تركمانستان •

أما باقي البلاد التي أقام فيها ابن سينا من جرجان والري وهمذان وأصفهان فهي مدن ايرانية (انظر الخريطة) •

أ ـ لقد كان أبوه عبد الله من أهل بلخ (من مدن خراسان) وتعتبر حاليا من أفغانستان وتقع في شمالها • ثم انتقل منها الى بخارى القصبة السياسية لولاية خراسان وعاصمة الدولة السامانية في ذلك الوقت في أيام أميرها نوح بن منصور الساماني • وبعد قليل استطاع عبد الله هذا أن يحصل على عمل له من السلطان بقريه يقال لها (خرميشن) من ضياع بخارى وهي من أمهات القرى وبقربها قرية يقال لها أفشنة تزوج منها وقطن بها فولدت له الحسين بن سينا ثم أخا له • وكانت ولادة ابن سينا سنة ٣٧٠ هـ ـ ٩٨٠ م •

ب ـ ثم انتقلت الاسرة الى بخارى (٥) وفيها أحضر له أبوه معلم القرآن ومعلم الادب •

---

٤ ـ معجم البلدان •

٥ ـ في وقت لم يستطع التاريخ أن يقول في تحديده أكثر من أنه كان بين سنة ٣٧٥ هـ وسنة ٣٨٠ هـ •



يقول ابن سينا عن نفسه : أكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الادب حتى كان يقضي مني العجب ·· وتعهدت المرضى فانفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف وأنا مع ذلك أختلف الى الفقه وأناظر فيه وأنا في هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنة · ثم توفرت على القراءة سنة ونصف السنة فأعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة(٦) ·

---

٦ ــ انظر عيون الانباء ووفيات الاعيان ·

فما أتم ابن سينا سنة الثامنة عشرة من العمر حتى كان قد حفظ القرآن ودرس التفسير والادب والفقه واللغة والحساب والهندسة والمنطق والطب وعلم الكلام والفلسفة ثقافة شتى ومتنوعة بعضها يربطه بعالم السماء والآخر يصله بالارض (٧) ٠

لم يعرفه المجتمع البخاري طبيبا فحسب بل عرفه كذلك مؤلفا في الادب والفلسفة فقد ظهر له في ذلك الوقت أول مؤلفاته في العروض وهو (معتصم الشعراء) على ما يقوله ابن أبي أصيبعة ، وقد ألف أيضا لابي الحسين العروضي كتابا جامعا في الفلسفة سماه (بالحكمة العروضية) ، ثم ألف في هذه الفترة كتابين آخرين لابي بكر البرقي وهما كتاب (الحاصل والمحصول) وكتاب (البر والاثم) في الاخلاق وكان عمره اذ ذاك احدى وعشرين سنة (٨) ٠

جـ ـ ثم بسبب اضطراب أمور الدولة السامانية وسقوطها بعد ذلك بيدي سلطان غزنه محمود بن سبكتكين الذي اشتهر بتعصبه ضد الفلسفة والفلاسفة اضطر ابن سينا الى الارتحال الى كركانج سنة ٣٩٢ هـ في عهد أميرها الخوارزمي علي بن مأمون ٠

وكان وزيره أبو الحسين السهلي يحب الفلسفة ويعطف على المشتغلين بها فطابت الحياة لابن سينا حينا وظل بها فترة طويلة من عمره حيث التقى ببلاط هذا الامير بنخبة كبيرة من العلماء منهم وزيره السهلي والبيروني وأبو سهل المسيحي وأبو نصر العراق وأبو الخير بن الخمار ٠ فبقي فيها حتى رحل عنها سنة ٤٠٣ هـ الى نسا وباورد من بلاد خراسان ومن الاخيرة رحل الى جرجان ٠

د ـ أقام ابن سينا في جرجان (٩) منذ سنة ٤٠٣ هـ ولبث فيها عامين وفيها اشتغل بالدراسة والتأليف كتابه الخالد (القانون في الطب) ، وقد قال عنه ابن أبي أصيبعة : صنف بعضه بجرجان والري وتممه بهمذان وعول على أن يعمل له شرحا وتجارب ٠ ومن الكتب التي صنفها في جرجان مختصر المجسطي وكتاب المعاد وكثير من الرسائل ٠

---

٧ ـ ابن سينا بين الدين والفلسفة ٠

٨ ـ ابن سينا بين الدين والفلسفة ٠

٩ ـ مدينة مشهورة قرب بحر قزوين (الخزر) بين طبرستان وخراسان فبعضهم يعدها من هذه وبعضهم يعدها من هذه كما في معجم البلدان وهي اليوم من المدن الايرانية ٠

وفي جرجان صادق أبا محمد الشيرازي وقابله أخلص تلاميذه أبو عبد الله الجوزجاني الذي ظل في صحبة ابن سينا حتى شيعه الى القبر ٠

هـ ـ ثم ترك جرجان الى الري عاصمة مجد الدولة بن بويه وصنف فيها كتاب (المعاد) ٠

و ـ ثم خرج الى قزوين (مدينة في ايران) ومنها انتقل الى همذان سنة ٤٠٥ هـ فاقام فيها حتى سنة ٤١٤ هـ ، ومعظم حياته فيها كان في كنف أميرها شمس الدولة بن بويـه ، وفيها ألف معظم كتاب (الشفاء) و (الادوية القلبية) ٠

ز ـ وفي سنة ٤١٤ هـ وصل أصفهان فقضى أربع عشرة سنة في كنف عـلاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه (١٠) الذي أحبه ٠ وفيها أتم (الشفاء) وهو أكبر موسوعة فلسفية عرفها العالم الاسلامي ، وصنف كتاب (النجاة) و (الكتاب العلائي) وكتاب (الاشارات والتنبيهات) وهو أهم كتبه الفلسفية على الاطلاق وكان ابن سينا يعتز به ويضن بعرضه على غير أهله وفيه تلمح الروح التصوفية التي تغمر الانسان حينما تأخذ شمس حياته في الانحدار (١١) ثم صنف الشيخ كتابا في اللغة سماه لسان العرب لم يصنف في اللغة مثله ولم ينقله في البياض حتى توفي فبقي على مسودته لا يهتدي أحد الى ترتيبه كما حكى ذلك عنه أبو عبيد الجوزجاني (١٢) ٠

فمن أجل الوطن الاول خراسان وبخارى وكركانج يعتز الاتراك بابن سينا ويقولون انه تركي لانه ولد وترعرع وتعلم في بلاد تركية حتى صار طبيبا وفيلسوفا ٠ ومن أجل هذا الوطن تعتز أوزبيكستان احدى دول الاتحـاد السوفياتي وهي تضم بخارى ٠

ومن أجل استيطانه أخيرا في المدن الفارسية الايرانية يعتز الايرانيون بابن سينا لان خراسان كانت في القديم تابعة للدولة الفارسية الساسانية ، ولان ابن سينا قضى في البلاد الفارسية فترة لا يستهان بها ألف فيها كثيرا من التأليف

---

١٠ ـ وكان يلي أصبهان من قبل مجد الدولة البويهي ثم أقر على ولايته من قبل مسعود الاول الغزنوي مقابل جزية سنوية ، كما في تاريخ الاسلام للدكتور حسن ابراهيم حسن الجزء الثالث الطبعة السادسة صفحة (٩٧ و ١١٣) ٠

١٢ ـ ابن سينا بين الدين والفلسفة ٠

١٢ ـ عيون الانباء ٠

المعضلات ، وحسا مرهفا مكنه من الغوص في أعماق النفس البشرية وفهم خصائصها وظواهرها وربط هذه الظواهر بالسلوك والاستفادة من ذلك كله في فهم النفس الانسانية وسلوكها ودوافعها ·

وهو مرب صائب النظرات عارف بما يحتاج اليه الانسان من عناية ورعاية، بنى أسس تربيته على معرفة دقيقة لنفس الانسان في مراحل عمره المتعاقبة ، كما استخدم معلوماته الغزيرة في الطب في خدمة مبادئه التربوية ، يضاف الى ذلك ما اكتسبه منذ نشأته الاولى من ثقافة اسلامية واعية من حفظ للقرآن الكريم وفهم دقيق لآياته ودراسة للفقة والحديث وعلوم اللغة العربية ، فقد صاغت هذه الدراسة نفسه صياغة اسلامية وأثرت في توجيه تربيته تلك الوجهة الاسلامية وصبغتها بها ، فظهرت في كل رأى من آرائه وفي كل طريقة من طرق علاجه واصلاحه ·

أوطان ابن سينا ولسانه وايمانه

للدكتور محمود ناظم نسيمي
باحث

انطلقت الحضارة العربية بعد الاسلام ، ونمت في ظل خلفاء المسلمين وملوك العرب المسلمين ، فهي اذن حضارة عربية اسلامية ، ولا يمكننا أن نفرق تاريخيا وواقعيا بين الحضارة العربية والحضارة الاسلامية ، فلقد انصهرتا في بوتقة واحدة وشبتا معا متداخلتين لا يمكن فصل احداهما عن الاخرى وذلك لتأثرهما بالرسالة الاسلامية ، ولقد أصبحت اللغة العربية بعد الفتح الاسلامي لغة العلم والادب في كل البلاد التي دخلها ، فكما دخل الناس في الدين الجديد فقد تعلموا لغته لغة الدين والعلم فأتقنها العلماء وألفوا بها وساهموا في دعم الحضارة العربية الاسلامية ٠

وابن سينا علم من أعلام هذه الحضارة عاش في ظلها وتعلم بلغتها وأخذ عن علمائها وحكمائها وكتبهم ، وساهم بتآليفه العربية في دعمها ٠

والكلام عن ابن سينا ذو شعب ، وسأكتفي في بحثي هذا بالكلام عن أوطانه ولسانه وايمانه تاركا التحدث عن الشعب الاخرى للزملاء الباحثين ٠

أوطانـه :

عاش أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا في عصر النفوذ البويهي(١) من عصور الدولة العباسية(٢) ، وقضى العقدين الاولين من حياته في ظل الدولة السامانية(٣) ٠

عاش شطر عمره الاول في بخارى عاصمة خراسان ، ثم في كركانج من البلاد التركية ثم عاش شطر عمره الثاني في البلاد الفارسية في جرجان ثم في الري وهمذان التابعتين للنفوذ البويهي ثم في أصفهان ٠

---

١ ـ استمر من سنة ٣٣٤ ـ ٤٤٧ هـ وكان البويهيون من الشيعة المغالية في عقائد هذا المذهب ٠

٢ ـ في العصر العباسي الثاني في عهد بعض خلفائه الطائع ثم القادر ثم القائم بأمر الله ٠

٣ ـ استمرت الدولة السامانية من سنة (٢٦١ ـ ٣٨٩ هـ) (٨٧٤ ـ ٩٩٩ م) ٠

الهامة وان كانت غالبيتها العظمى بالعربية والنادر منها بالفارسية مثل (كتاب النبض) وكتاب (الاشارات والتنبيهات) و (دانش نامه العلائي) وبعض رسائل ٠

وسنرى كيف أن ابن سينا كان من العرب المستعربين ٠

لســـانه :

وان كان ابن سينا من أصل غير عربي فانه من العرب المستعربة وهل العرب الا عرب عاربة وعرب مستعربة ٠

ان أباه كان يتقن العربية بدليل أنه كان على اتصال بدعاة الشيعة الاسماعيلية من المصريين وكان محبا للفلسفة والفلاسفة يطالع رسائل اخوان الصفا كما كان يستضيف الحكماء في داره والعربية هي اللغة العلمية للعلماء والحكماء في ذلك العصر ٠

ولقد بدأ ابن سينا ثقافته كما يحدث عن نفسه بحفظ القرآن ودراسة ما يلزمه لفهمه من اللغة والادب ، واستطاع أن يجيد ذلك اجادة تامة وهو في سن العاشرة مما أصبح حديث الناس وموضع اعجابهم ٠ ثم بدأ بعد ذلك بدراسة الفقه ٠ ولقد بكر في دراسته العلوم العربية ، فقد حكى حاجي خليفة في كشف الظنون(١٣) أن أبا بكر الخوارزمي كان أستاذ ابن سينا في الادب أي أن ابن سينا درس العربية وهو صغير فانه ولد سنة ٣٧٠ هـ وتوفي الخوارزمي سنة ٣٨٣ هـ ٠

ولقد كانت الاغلبية العظمى لتاليفه بالعربية الفصحى ، ومنها ما يتعلق بالادب العربي ذاته فلقد ظهر له في المجتمع البخاري أول مؤلفاته في العروض وهو (معتصم الشعراء) على ما يقوله ابن أبي أصيبعة وفي يوم من أيام حياته في أصفهان كان جالسا بين يدي الامير علاء الدولة وأبو منصور الجبائي حاضر فجرى في اللغة مسألة تكلم الشيخ فيها بما حضره ، فالتفت أبو منصور الى الشيخ يقول : انك فيلسوف وحكيم ولكن لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك منها ، فاستنكف الشيخ من هذا الكلام وتوفر على درس كتب اللغة ثلاث سنين واستهدى كتاب تهذيب اللغة من خراسان من تصنيف أبي منصور الازهري فبلغ الشيخ في اللغة طبقة قلما يتفق مثلها وأنشأ ثلاث قصائد ضمنها ألفاظا غريبة من اللغة وكتب ثلاثة كتب أحدها على طريقة ابن العميد والآخر على

---

١٣ ـ ج٣ ، ص ٢٧٦ ٠

طريقة الصابي والآخر على طريقة الصاحب وأمر بتجليدها واخلاق جلدها ، ثم أوعز الى الامير فعرض تلك المجلدة على أبي منصور الجبائي وذكر أنا ظفرنا بهذه المجلدة في الصحراء وقت الصيد فيجب أن تتفقدها وتقول لنا ما فيها ، فنظر فيها أبو منصور وأشكل عليه كثير مما فيها . فقال له الشيخ : ان ما تجهله من هذا الكتاب فهو مذكور في الموضع الفلاني من كتب اللغة وذكر له كثيرا من الكتب المعروفة في اللغة كان الشيخ حفظ تلك الالفاظ منها ، وكان أبو منصور مجزفا فيما يورده من اللغة غير ثقة فيها ، ففطن أبو منصور أن تلك الرسائل من تصنيف الشيخ وأن الذي حمله عليه ما جبهه به في ذلك اليوم فتنصل واعتذر اليه .

ثم صنف الشيخ كتابا في اللغة سماه (لسان العرب) لم يصنف في اللغة مثله ولم ينقله في البياض حتى توفي فبقي على مسودته لا يهتدي أحد الى ترتيبه ، كما حكى ذلك عنه أبو عبيد الجوزجاني(١٤) .

ولابن سينا شعر جيد أقدم باقة منه للدلالة على قوته في اللغة العربية وانه كان يعبر عن مشاعره بالعربية .

قال رحمه الله تعالى في النفس :

هذب النفس بالعلوم لترقى	وذر الكل فهي للكل بيت
انما النفس كالزجاجة والعلـ	ـم سراج وحكمة الله بيت
فاذا اشرقت فانك حي	واذا اظلمت فانك ميت (١٥)

وقال في النفس أيضا :

هبطت اليك من المحل الارفع	ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف	وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما	كرهت فراقك وهي ذات تفجع
انفت وما انست فلما واصلت	الفت مجاورة الخراب البلقع

★ ★ ★

---

١٤ ـ عيون الانباء .

١٥ ـ الطب العربي للدكتور أمين أسعد خير الله .

حتى اذا قــرب المســير الى الحمى ودنا الرحيل الى الفضــاء الاوســع
وغــدت تغــرد فوق ذروة شاهــق والعــلم يرفــع مــن لــم يرفــع
وتعــود عالمــة بــكل خفيــة في العالمين فخرقها لم يرقــع (١٦)

وقال في الشيب :

الشيب يوعــد والآمــال واعدة والمرء يغتــر والايــام تنصــرم
مالــي أرى حكم الأفعــال ساقطــة واسمع الدهــر قولا كلــه حــكم
مالي أرى الفضــل فضــلا يستهان بــه قد أكرم النقص لما استنقص الكرم(١٧)

ولابن سينا أرجوزة في الطب وهي منظومة من الشعر من بحر الرجز جمع فيها علم الطب في ١٣١٤ بيتا ، وهي قطعة من الادب العربي تسهل درس الطب وحفظه على أطباء العرب المشهورين بجودة الذاكرة • والقسم الاول من الارجوزة يبحث في النظريات الطبية وحفظ الصحة ، والقسم الثاني في العلاج وعلق عليها ابن رشد وابن زهر تعليقا حسنا • فيها يقول :

الطــب حفــظ صحة برء مــرض من ســبب في بــدن منذ عــرض

ويقول في اختيار الظئر :

واخــتر له المرضــع مــن فتــاة في سنهــا مــن متوســطات
لحيمــة ليس بهــا مــن رهــل مزاجهــا يقــرب من معتــدل
جسيــمة عظيمــة الثــديين نقيــة الراس مــع العينــين
سليمــة مــن كل ضــر داخــل صحيحــة الاعضــاء والمفاصــل
ذات لبــان ليــس باللطيــف في رقــة وليس بالكثــيــف

ايمانــه :

اتهم ابن سينا بالالحاد لانه فيلسوف له بعض المفاهيم الخاطئة ، واتهم بالنفاق في محاولة التوفيق بين الدين والفلسفة ، ولكن الاطلاع على مؤلفاته وعلى تاريخ حياته يشير الى أنه كان من المؤمنين المصلين وذا عاطفة دينية •

---

١٦ ـ وفيات الاعيان •

١٧ ـ عيون الانباء •

لقد كان من نتيجة ثقافته الدينية والفلسفية أن حاول في كتاباته الفلسفية أن يوفق بين العقيدة الاسلامية والافكار الفلسفية وكلاهما يتكلمان فيما وراء الطبيعة ، الاول عن طريق الوحي والرسول ، والثانية عن طريق الفكر ، وفي محاولته هذه لم يستطع في كثير من الافكار الوصول الى قول يرضي الطرفين ، وانتهى به الامر الى تأويل كثير من النصوص تأويلا بعيدا عن حقيقة الدين ٠ وأدى عمله هذا الى اثارة العلماء عليه حتى رماه بعضهم بالالحاد ٠ ولكن آثاره وما كتب عنه قديما تدل على أنه لم يكن يخفي الحادا وانما كان مؤمنا بالله موحدا ومؤمنا بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وان ضل السبيل في تكوين أفكار فلسفية أدت الى تأويله بعض النصوص الاسلامية واعتبار بعضها رموزا (١٨) ٠

كان ابن سينا نبيلا في عمله وكانت أشرف الاحاسيس هي التي تسيطر عليه وقت أن قام بعملية التوفيق هذه وان خانه منطقه وما ترتب عليه من نتائج ٠

فقد رأى أن الفلسفة تعلي من شان الله وتضفي عليه خصائص هي أعلى وأكمل مما يفيده ظاهر النص فحاول أن يرد ظاهر هذه النصوص الى هذه الخصائص ليحقق لله الكمال المطلق ٠٠٠

وابن سينا حينما رأى أن النبي لا يمكن أن تكون رؤيته للملك وهو متلبس بالمادة ناشئة عن الملك نفسه بل هي آتية من داخل نفسه (أي النبي) لم يكن يرمي لاكثر من تطهير الملائكة وابعادهم عن ملابسة هذه الاشياء الحسية الدنسة ٠

والثابت من تاريخ الرجل أنه كان كثير الاعظام للنبوة وكان في أغلب أحواله يحافظ على الصلاة هو ومن يحيط به مما يدل على أن هذه الافكار لم تكن الا مجرد نتائج استلزمتها هذه الاحاسيس الطيبة التي كانت تجول في نفسه ٠

ومما لا شك فيه أن الرجل قد أخطأ في عملية التوفيق هذه ولكن الرجل كان مجتهدا فهل يشفع له حسن نيته وكبير اجتهاده في تنزيه الله وتمجيده والتبشير بهذه المبادىء التي تدعو الى ايثار الفضيلة واجتناب الشر في موقفه من الله للحساب يوم القيامة (١٩) هذا ما نرجو من رحمة الله وعفوه لكل المجتهدين باخلاص ٠

---

١٨ ــ ابن سينا بين الدين والفلسفة ــ الباب الثالث ٠

١٩ ــ ابن سينا بين الدين والفلسفة ٠

ولم يكن ابن سينا اسماعيليا فقد تكلم عن نفسه فيما حكاه أبو عبيد الجوزجاني فقال : وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين من الاسماعيلية ، وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم وكذلك أخي • وكانوا ربما تذاكروا بينهم وأنا أسمعهم وأدرك ما يقولونه ولا تقبله نفسي (٢٠) •

تدل مؤلفات ابن سينا على رسوخ ايمانه بالله تعالى وكمال تصديقه لرسالة محمد عليه الصلاة والسلام واليكم هذه الشواهد من مؤلفاته :

١ ـ قال في مطلع أرجوزته في الطب :

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله :

الحمد لله الملك الواحد	رب السماوات العلي الماجد
سبحانه منفرد بالقدم	مخرج موجوداتنا من عدم
يفيض نوره على عقولنا	حتى بدا الخفي من معقولنا
قد خلق بفضله الانسانا	فضله بالنطق واللسانا
يوحي اليه العلم بالاحساس	كما بدا الخفي بالقياس

٢ ـ واستهل (القانون في الطب) ب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله حمدا يستحقه بعلو شانه وسبوغ احسانه ، والصلاة على سيدنا محمد النبي وآله وسلامه •

٣ ـ وقال في القانون في بحث (كمأة) : ••• ماؤه كما هو يجلو العين ، مرويا عن النبي صلى الله عليه وسلم واعترافا من المسيح الطبيب وغيره •

فهذه الجملة تشير الى ايمان ابن سينا وثقافته الاسلامية واستسلامه لما جاء به الرسول محمد عليه الصلاة والسلام •

٤ ـ وقال في القانون في بحث اللبن : أنفع الابوال بول الجمل الاعرابي وهو النجيب وبول الانسان • وبول الجمل ينفع في الاستسقاء وصلابة الطحال لا سيما مع لبن اللقاح ، روى لو شربتم من ألبانهم وأبوالها لصححتم فشربوا وصحوا •

---

٢٠ ـ عيون الانباء •

يشير ابن سينا الى ما رواه البخاري ومسلم في هذا الشأن ٠

٥ ـ وقال في مطلع أرجوزته في الفصول الاربعة وأغذيتها وأدويتها (٢١) :

الحمد لله على ما أنعما	حمدا به يجلو عن القلب العمى
يقول راجي ربه ابن سينا	ولم يزل بالله مستعينا
يا سائلي عن صحة الاجساد	اسمع صحيح الطب بالارشاد
ان فصولات الوجود اربعة	اوجد فيها الله سرا ابدعه
عناصر محكمة الفنون	مخلوقة من كافه والنون
طبيعة قاهرة بقدرته	سبحانه أبدعها بحكمته
اسكن فيها حكمة التقدير	كانت بكون الفلك المنير

★ ★ ★

نرى في أقواله تلك مؤشرات الى ايمانه ورسوخ يقينه بالله تعالى ٠ فليس ابن سينا من العلماء الذين تحجبهم ظواهر الكون ومعرفة قوانينه وتسخير ما فيه عن دلائل قدرة خالقه القاهرة وعلمه الواسع وحكمته البالغة ، فليس من أولئك الذين يصدق فيهم قول الله سبحانه : « يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة هم غافلون » (٢٢) بل انه من العلماء الذين عناهم الله بقوله : « ٠٠ ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا ٠٠ » (٢٣) وقوله : « ٠٠ انما يخشى الله من عباده العلماء ٠٠ » (٢٤) ٠

ولقد حدث ابن سينا عن نفسه كما نقله أبو عبيد الجوزجاني فقال : ثم انتقلنا الى بخارى وأحضرت معلم القرآن ومعلم الادب ، وأكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الادب حتى كان يقضي مني العجب ٠٠ وكنت أشتغل بالفقه والتردد فيه الى اسماعيل الزاهد ، وكنت من أجود السالكين(٢٥) ٠ ولقد صادق ابن سينا أبا بكر البرقي الذي وصفه بقوله : وكان متوحدا في الفقه والتفسير والزهد ٠

---

٢١ ـ هذه الارجوزة مسجلة في آخر مخطوطة (المصابيح السنية في طب البرية) للفقيه الشافعي المصري أحمد شهاب الدين القليوبي ، الموجودة في (خزائن كتب الاوقاف ببغداد) ، ومنسوبة الى ابن سينا ٠ ولقد توسطت مديرية معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب في تصوير هذا المخطوط ٠

٢٢ ـ سورة الروم : (٧) ٠

٢٣ ـ سورة آل عمران : (١٩١) ٠

٢٤ ـ سورة فاطر : (٢٨) ٠

٢٥ ـ عيون الانباء ٠

ولم يكن ابن سينا دارسا الشريعة الاسلامية دراسة علمية فحسب بل كان مع ذلك صاحب عاطفة دينية قوية ، كان لها أثرها في اعتبار الدين جانبا قويا يجب ارضاؤه والعمل على احترامه اذا كان هناك ما يعارضه • والادلة على قوة هذه العاطفة كثيرة وحاسمة ••

حكى ابن سينا عن نفسه فقال : كلما كنت أتحير في مسالة ولم أكن أظفر بالحد الوسط في قياس ترددت الى الجامع وصليت وابتهلت الى مبدع الكل حتى فتح لي المنغلق وتيسر المتعسر •

وحكي عن نفسه ايضا أنه لما اشترى كتاب أبي نصر الفارابي في (أغراض كتاب ما بعد الطبيعة) وقرأه في يومه ذاك ففهم بسببه كتاب (ما بعد الطبيعة) الذي قرأه أربعين مرة دون جدوى فتصدق في ثاني يومه من شرائه وفهمه بشيء كثير على الفقراء شكرا لله تعالى (٢٦) •

ومن دلائل ايمانه ما يصف به السمرقندي حياة ابن سينا عندما كان وزيرا لمجد الدولة بن بويه في الري عاصمة امارته ، قال : انه كان يستيقظ قبل الفجر ليكتب بضع صحائف من الشفاء ، وعند الفجر كان يستقبل تلاميذه للدراسة حتى تنتشر تباشير الصبح فيصلي بهم اماما • وعند خروجه الى الديوان كان يلقاه بالباب ألف من الفرسان ومن بينهم وجوه الدولة وأصحاب الحاجات فيركب الوزير فرسه وحوله حاشيته حتى يصل الى مقر عمله فيمكث الى الظهر ثم يعود ليتناول الغذاء الذي كان يشاركه فيه خلق كثير • ثم يتقيل بعد ذلك طلبا للراحة • ثم يستيقظ فيؤدي صلاة العصر • وبعد ذلك يلزم الامير للمنادمة والمحادثة حتى يصلي المغرب • ويضيف الجوزجاني الى ذلك قوله : (وكان يجتمع كل ليلة في داره طلبة العلم وكنت أقرأ من الشفاء نوبة وكان غيري من القانون نوبة) (٢٧) وفي خبر السمرقندي ما يدل على محافظة ابن سينا على الصلاة ، هو ومن يحيط به وتلاميذه •

قال الدكتور غرابة : ولقد صرح ابن سينا في (رسالة السعادة) بوجوب محافظة الحكيم على الاوضاع الشرعية ، بل انك لتلمس في رسالة (الحث على الذكر) ما ينبيء عن صوفية عميقة متغلغلة في نفسه ، فالانسان ـ في رأيه كما يصرح فيها ـ كي يصل الى مرتبة الواصلين يجب عليه أن يستعين بسلاح الذكر على لقمع النفس وأن يشتغل عن الخلق بذكر الحق ، وأن يستغرق في ذلك

---

٢٦ ـ عيون الانباء •

٢٧ ـ اخبار الحكماء للقفطي •

أستغراقا تاما يصرفه عن أهواء نفسه ونجواها حتى تثمر في قلبه المعارف ويصبح موضعا للنصرة والرعاية • بل اذا أردت أن تلمس روح ابن سينا الحقيقية وما كان يجول في نفسه من معان نبيلة فاقرأ له في عيون الانباء ج٢ ص٩ وصيته لابي سعيد بن أبي الخير الصوفي وهي وصيته يكررها لنفسه أمام ربه ويقطع على نفسه الميثاق في رسالة (العهد) أن يعمل بها ، وأهم ما فيها المحافظة على الاوضاع الشرعية وتعظيم السنن الالهية والمواظبة على التعبدات البدنية وان يضحي في سبيل الناس مع المحافظة على النفس من غبارهم ، الى غير ذلك من معان لا تنتج الا من نفس أشرقت جوانبها واستنارت خفاياها (٢٨) •

ولقد كانت خاتمة ابن سينا محمودة • فعندما ألحت عليه علة القولنج وانحباس الريح بسببها ضعف جسمه وخارت قواه حتى أصبح على يقين من أنه لا أمل في النجاة فاهمل العلاج ثم اغتسل وتاب وتصدق بما معه على الفقراء ورد المظالم الى من عرف ممن اتصل بهم وأعتق مماليكه وأقبل بكليته على قراءة القرآن فكان يختمه مرة كل ثلاثة أيام(٢٩) الى أن أخذته سكرات الموت فرجع الى ربه مبدع الكل ومفيض الخير على الوجود ـ كما كان يدعوه ـ وكان ذلك بهمذان في الجمعة الاولى من رمضان سنة ٤٢٨ هـ ١٠٣٧ م وقبره كما يقول الجوزجاني تحت السور من جانب القبلة وما يزال يزار الى اليوم (٣٠) •

★ ★ ★

يتأكد لنا من كل ما سبق أن ابن سينا كان عربيا مستعربا عربي الثقافة ، عربي الانتاج ، مؤمنا بالله حقا مسلما يقينا ، نجما من نجوم الحضارة العربية الاسلامية وكل حضارة هي جزء من الحضارة الانسانية •

فحق لبخارى وأوزبيكستان وتركمانستان وسائر البلاد التركية أن تفتخر بأبي علي الذي ولد فيها وشب على خيراتها وتعلم في ديارها حتى أضحى طبيبا وفيلسوفا •

وحق لايران وبلدانها جرجان والري وهمذان وأصفهـان أن تفتخـر بمواطنها الرئيس ابن سينا الذي خط معظم مؤلفاته في ربوعها ، وبعضها كان باللغة الفارسية •

---

٢٨ ـ ابن سينا بين الدين والفلسفة ـ الصفحة ٤٨ ـ ٤٩ •

٢٩ ـ وفيات الاعيان •

٣٠ ـ ابن سينا بين الدين والفلسفة • وفي الحاشية ذكر الاختلاف حول شهر ومكان الموت •

وحق للمسلمين والعرب أجمعين أن تفتخر بالشيخ الرئيس الطبيب الفيلسوف المسلم المؤمن العربي المستعرب الذي نهل علومه المختلفة باللغة العربية ثم ساهم بمؤلفاته العربية الكثيرة في تغذية ودعم الحضارة العربية الاسلامية ، ولم يعرف عنه أي اتجاه شعوبي ٠

فتحياتنا اليه مقرونة بالتقدير والاكبار ، ورجاؤنا من الله سبحانه أن يتغمده برحمته وأن يسكنه فسيح جناته ٠

مصـــادر البحث

١ ـ ابن سينا بين الدين والفلسفة للدكتور حموده غرابة ٠

٢ ـ الطب العربي للدكتور أمين أسعد خير الله ٠

٣ ـ تاريخ الاسلام للدكتور حسن ابراهيم حسن ـ الجزء الثالث ـ الطبعة السادسة الصفحات (٩٧ ـ ١١٣) والصفحات (٣٨٤ ـ ٣٩٠) ٠

٤ ـ القانون لابن سينا ٠

٥ ـ أرجوزة ابن سينا في الطب أو منظومته ٠

٦ ـ عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة ٠

٧ ـ وفيات الاعيان لابن خلكان ـ في الكلام عن الحسين بن علي بن سينا ٠

٨ ـ أطباء الحكماء للقفطي ص (٢٧٣) ٠

٩ ـ كشف الظنون لحاجي خليفة ج٣ ص (٢٧٦) ٠

١٠ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي ٠

الابحاث العامة

« اعلم أن منشأ هذه الطبقة من الغشاء الصلب الذي ذكرنا بعد أن يصير منه الطبقة الصلبة ووضعها أمام العنبية وبينها فرجة وفضاء ، ويدلك على ذلك وقت القدح يرى المهت داخلا من غير توقف ولا تعثر ، وهي طبقة قوية مشفة ، لونها كلون القرن المشف ، ولذلك سميت قرنية وهي مركبة من أربع قشرات ، فالظاهرة شديدة الصقال صلبة ، أما صلابتها فلتقي ثقب العين وتمنع عن نفسها ما يرد من خارج الاشياء المؤذية ، وأما صقالها فلينفذ فيها الشعاع ، والقشرة التي تلي العنبية منها قليلة الصقال وانما جعلت كذلك لتجلب الغذاء ، والقشرتان اللتان في الوسط معتدلتان ، وأما أمزجتها فالخارجية أميل الى البرد واليبس ، والداخلية أميل الى الحرارة والرطوبة ، واللتان في الوسط أميل الى الاعتدال •

وأما الحكمة في جعلها أربع فليكون اذا فقد أو تأذي احدها قام غيرها مقامها وقد يستتم غذاؤها من العنبية ، مع ما تتغذى من الغشاء نفسه الذي نشأت منــه •

القسم الثاني :

من اختلاف أمزجة العين وألوانها في الناس على اختلافهم •

القسم الثالث :

في معرض أمراض العين الكلية وأسبابها وعلاماتها وعلاجاتها العامـة والكلية ، ومنها قوله :

« اعلم أن الاوجاع المشهورة بالاتعاب التي تحدث للعين هي هذه : الناخس ، والوجع الخشن والضاغط ، والحكاك ، والوجع المنخس ، والممدد ، والرخو ، والضرباني ، والثاقب ، والمسلي واللاذع •

وقد شرح كل هذه الاوجاع وبين صفاته •

القسم الرابع :

في حفظ صحة العين ، ومنها قوله :

« وحفظ الصحة في العينين وفي كل عضو ، يكون بتوقيه من الآفات ، واستعمال ما يقوي وينفع ، وبتقدير الاسباب الستة الضرورية العامة المشركة للصحة والمرض وهي :

الهواء المحيط بأبدان الناس ، وما يؤكل ويشرب ، والحركة والسكون ، والنوم واليقظة ، والاحتقان والاستفراغ ، والاحداث النفسانية ، فهذه متى قدرت كما ينبغي في الكمية والكيفية والوقت والترتيب ، أحدثت الصحة وحفظتها وبالضد اذا قدرت أحدثت المرض وحفظته » ٠

جـ ـ أما الجزء الثاني فيبحث في الادوية المفردة وأجناسها وينقسم الى قسمين :

القسم الاول :

يبحث في قوانين يتعرف منها على قوى الادوية وذكر أجناسها ٠

القسم الثاني :

يبحث في أنواعها وأفعالها الخاصة بالعين على حروف المعجم ومنها البصل :

حار في الرابعة اذا اكتحل بعصارته نفع من بدء الماء وظلمة البصر من اختلاط غليظة ٠ الا أنه يهيج خروج الشعر ، وأكله يضر البصر لتبخيره ٠

الجــــوز :

دهنه ينفع في الاكلة والحمرة والنواصر في نواحي العين ٠ وقد ذكر من الادوية مائتين وخمسين دواء مختلفا للعين ٠

د ـ الجزء الثالث :

في أمراض العين الجزئية وعلاجها وهو سبعة أقسام :

١ ـ القسم الاول :

في أمراض الملتحمة وكميتها وأسبابها وعلاماتها ومداواتها ٠

٢ ـ القسم الثاني :

في أمراض الاجفان وكميتها وأسبابها وعلاماتها ومداواتها ٠

٣ ـ القسم الثالث :

في أمراض المــــوق وكميتها وأسبابها وعلاماتها ومداواتها ٠

٤ ـ القسم الرابع :

في أمراض الطبقة القرنية وكميتها وأسبابها وعلاماتها ومداواتها ٠

« نهاية الافكار ونزهة الابصار »
لعبد الله بن قاسم الحريري الاشبيلي البغدادي

الدكتور حسان الامام

وهو مكتوب بخط المؤلف عام ٦٢٤ هـ ، هدية للسلطان السلجوقي شاه أرمن ، كتبه المؤلف بخط أندلسي غير منقوط فأضحى صعب القراءة ، صعب التحقيق • وقد قام الدكتور حازم البكري بجهود مشكورة في البحث عن نسخة أخرى للكتاب في مختلف بلاد العالم ومكتباتها ، فلم يعثر على نسخة ثانية ، وأصبحت هذه النسخة معتمدة وحدها للتحقيق برغم ما في ذلك من صعوبة ، الى أن عثر الاستاذ الدكتور نشأت الحمارنة على النسخة الثانية لهذا الكتاب في طهران تحت اسم « مفتاح الشفاء » وهو كتاب منسوب الى ابن النفيس ، وسنقارن بين الكتابين بعد تقديم لمحة موجزة عن الكتاب الذي هو موضوع البحث •

يتكون الكتاب من فهرس ومقدمة وأربعة أجزاء :

أ ـ المقدمة :

وهي فصل واحد في نعت الكحال وما يجب عليه ومنها قوله :

« يستحب أن يكون الكحال متناسب الاعضاء ، فان ذلك يدل على اعتدال المزاج والمعتدل المزاج قل ما تصدر عنه الافاعيل غير تامة كاملة ، وأن يكون ذكي الحواس ، فان يسيرا من ضياء الحس ، خير من كثير من درس الحكمة ، وأن يكون قد أنفق زمانه في تحصيل صناعته ، وخدم المشايخ وعمل بين أيديهم فان هذه الصناعة تحتاج الى مباشرة وتطبيق على قانون طبي ، وينبغي أن تطاوعه يده على الحذق في الاعمال الدقيقة كلقط السبل وكشط الظفرة وقدح الماء والتشمير الى غير ذلك مما يقع فيه الخطأ بسبب عدم الحذق والخوف » •

ب ـ وينقسم الجزء الاول الى أربعة أقسام :

القسم الاول :

يبحث في أمور تعرف منها أحوال العين ، وشرفها ، وفعلها ، ووصفها ، وكيفية الابصار بها ، ووصف طبقاتها ، وكيفية تركيبها وأمراضها الكلية • ومنها وصفه للقرنية :

٥ ـ القسم الخامس :

في أمراض الطبقة العنبية وكميتها وأسبابها وعلاماتها ومداواتها ٠

٦ ـ القسم السادس :

في الامراض الخفية عن الحس وكميتها وأسبابها وعلاماتها ومداواتها ٠

٧ ـ القسم السابع :

في ذكر أمراض ومعالجات تتعلق بالعين ليست في العين نفسها كالصداع والشقيقة ، ومنها ما يتعلق بالعين كالنزلات الحادة ، وكيفية معالجتها ومنها قوله :

ان كانت الظفرة لاصقة فلا بد من كشطها وسلخها ،وذلك أن تفعل بالعليل كما فعل به في لقط السبل ، ثم تعلقها بصنارة أو بخيط ، وترفعها اليك ، وتدخل تحتها مبضعا وتسلخها وتبريها ، وتقطع من ناحية المآق الاكبر ، ثم بعد القطع تدبر العين مثل التدبير الذي ذكرنا في السبل لئلا يحدث التصاق ٠

هـ ـ الجزء الرابع :

وهو يبحث في الادوية المركبة المستعملة في أمراض العين شربا وكحلا وضمادا وغير ذلك ، وهو أربعة أقسام :

القسم الاول :

في الحاجة الى الدواء المركب ٠ وكيفية التركيب ٠

القسم الثاني :

في الادوية المستعملة في أمراض العين شربا وكحلا وضمادا وغير ذلك مما سوى الاكحال كالاقراص والمطابخ والسفوفات ٠

القسم الثالث :

في نسخ الادوية المختصة بالعين كالاشافات والقطورات والاكسيرات ٠

القسم الرابع :

كالخاتمة للكتاب في الادوية التي تصلح لعلاج مرض العين وهو مقالتان :

المقالة الاولى :

في أدوية الامراض الظاهرة للحس كالملتحمة والمرق والقرنية ·

المقالة الثانية :

في أدوية الامراض الخفية عن الحس وهي ١٥ فصلا لادويـة أمراض الرطوبة البيضية والجليدية والزجاجية والعصب النوري وغيرها ·

ومما يجدر بنا ملاحظته أن النسخة التي بين أيدينا مبتورة ، تتوقف عند فصل القطورات والمعسلات ، وهو الفصل الخامس من القسم الثالث ، أما النسخة العراقية فهي شبه كاملة بنقصها صفحة أو صفحتان من النهاية ·

المقارنة بين نسختي المخطوطة :

تبدو النسخة التي حققها الدكتور حازم البكري ، مبتورة ، فهناك صفحة مفقودة أو صفحتان ، حيث يبدأ الكتاب بعبارة :

« في الدنيا وقد جعلها المنجمون كالنيرين ، الشمس لليمنى والقمر لليسرى، ومنها يستدل على كثير من أحوال بدن الانسان في الصحة والمرض » ·

أما النسخة التي حققها الاستاذ الدكتور نشأت الحمارنة فتبدأ بعبارة :

« الحمد لله ملهم الحكم وموجه الاشياء بعد العدم ، خالق الانسان من امشاج الخ ·· » ·

الى أن تلتقي مع النسخة السابقة في العبارة التي أشرنا اليها ، وتطابقها ، الا أنها تخلو من الاهداء الى شاه أرمن السلجوقي الموجود في الكتاب الاول تحت النص التالي :

« وقد عزوته الى خزانة مولانا السلطان العالم العادل ، المؤيد المظفر المنصور الملك الاشرف مظفر الدنيا والدين غياث الاسلام والمسلمين ، قامع الكفرة والمشركين ، شاه أرمن أبي الفتح موسى بن الملك العادل أبي بكر ، وقد سميته : نهاية الافكار ونزهة الابصار » ·

خاتمـــة :

ألمح محقق المخطوطة الدكتور حازم البكري الى الصعوبات التي عاناها في تحقيق هذه النسخة التي كان يظن أنها وحيدة فريدة كتبت بيد المؤلف

وبخط النسخ ، ومن هذه الصعوبات الفروق في رسم بعض الكلمات المتشابهة ومزج بعض الحروف ببعضها الآخر ، واختفاء كلمات قلائل من بعض السطور ، وعدم اهتمام بتنقيط الحروف ، مما جعل قراءة المخطوطة عسيرا وأشبه ما يكون بعملية فك الطلاسم والرموز مما أهاب به الى الرجوع الى الكثير من المصادر المطبوعة أو المخطوطة في موضوع الكتاب ولا سيما ما يتعلق منها بالمصطلحات العلمية وتصحيح الاغلاط اللغوية والنحوية ·

وكان الاستاذ الدكتور نشأت الحمارنة قد قام بتحقيق المخطوطة التي عثر عليها في طهران تحت اسم « مفتاح الشفاء » منسوبة الى ابن النفيس وهي طبق الاصل عن المخطوطة التي حققها الدكتور البكري ، الا في بعض الامور التي ألمحنا اليها سابقا ·

نرجو أن تتم طباعة هذا التحقيق ، لما في ذلك من خدمة للتراث العربي في جانب من جوانبه والقاء الضوء على أثر يمثل مرحلة تاريخية وعلمية من مراحل هذا العلم ·

البيمارستان في حلب
ودوره في تقدم العلوم الطبية عند العرب

الاستاذ محمود حريتاني

مدير متحف التقاليد الشعبية بحلب

مدينة حلب ، تعد واحدة من أقدم المدن المأهولة في التاريخ ، يؤكد ذلك سلسلة من الحقائق التاريخية التي بدأت تنكشف في القرن العشرين ، فهذه المدينة العريقة في القدم ، عاصرت مدنا هامة من مدن الشرق القديم مثل : نينوى وبابل وماري وابلا ، وقد انقرضت هذه المدن وتحولت الى اكوام من التلال ينقب عنها الباحثون ، بينما بقيت حلب خالدة ٠

وقد مرت هذه المدينة ، في عصور عميقة ، وموغلة في القدم ، فجميع الدراسات الاثرية العلمية تدل على ان منطقة حلب ، اكتسبت أهمية خاصة لموقعها الجغرافي كملتقى طرق القوافل ، ولعبت دور الوسيط الفعلي بين آسيا الصغرى وبلاد ما بين النهرين وفارس وبين عالم البحر الابيض المتوسط ٠ وقد سكنها الانسان القديم الذي ربى الماشية وعرف الزراعة وبنى البيوت البدائية كما ظهر مؤخرا في حفريات موقع تل المريبط ، كما سكن حلب نفسها في مغاور كبيرة تمتد على مسافات واسعة تحت المرتفع الصخري في جنوبي حلب ٠

وان أقدم ذكر لمدينة حلب ورد في النصوص الاكادية في منتصف الالف الثالثة قبل الميلاد وأيضا في نصوص مدينة ماري الآمورية في الالف الثانية قبل الميلاد ، وأخيرا في نصوص ابلا التي اكتشفت عام ١٩٧٥ م ٠ وقد ذكرتها جميع هذه النصوص كمدينة تجارية متطورة بين ماري وكركميش وأوغاريت ٠

وبعد الحكم الآرامي خضعت سورية الشمالية للحكم الفارسي عام ٥٣٩ ق٠م وأصبحت مقاطعة فارسية الى أن جاء الاسكندر المكدوني عام ٣٣٣ ق٠م وأهتم بمنطقة حلب التي تدفق عليها اليونانيون ، وعاش بها الفلاسفة والعلماء مثل أرسطو الذي أعجب بحال تربتها وصحة هوائها فأقام فيها حتى شفي من مرضه ٠ وقد انتشرت العادات والتقاليد اليونانية في المدن الشرقية ونشأت الحضارة الهلنستية من امتزاج الحضارتين الشرقية واليونانية ٠ غير أن حروب البطالمة والسلوقيين ، مهدت الطريق للغزو الروماني عام ٦٤ ق٠م ٠

وفي العهد البيزنطي انتشرت الديانة المسيحية في سورية ولعبت حلب دورا بارزا في دعمها • وخلال الحروب الفارسية ـ البيزنطية هاجم الفرس في ٤٥٠ ميلادية حلب وأحرقوها ـ ثم قام سلم بين الامبراطوريتين الى أن أتى العرب وانتهى حكمهما •

وفي العهدين الاموي والعباسي ازدهرت مدينة حلب حضاريا وسياسيا وعاش فيها أمثال : ياقوت الحموي وابن خلكان والمتنبي والفارابي وأبي فراس والاصفهاني والمعري وغيرهم •

ومنذ القرن الثامن الميلادي تابعت حلب نهضتها فازدهرت وقال عنها ابن بطوطة : « ان حلب هي من المدن التي تصلح للخلافة » • وفي عام ١٥٣٧ ميلادية زارها الرحالة « بلون » وذكر أن « قوافل العجم والهند العراق كانت تحمل اليها محاصيلها ، وان كل المسافرين نحو هذه الاقطار المذكورة كانوا يجدون بحلب تجارا مستعدين لمرافقتهم ، وكان الانسان يجد في هذه المدينة كل حاصلات الشرق ، وكان البنادقة يرسلون أولادهم ليتعلموا لغة وعادات أهل سورية » •

وفي القرن التاسع عشر هام بها الاديب الفرنسي لامارتين حين زارها في عام ١٨٣٠ م وأطلق عليها اسم أثينا الآسيوية •

هذه المدينة العريقة في القدم ، ضربت بسهم وافر في التقدم العلمي منذ القرن الثامن الهجري وتابعت ازدهارها حتى قبيل العهد العثماني في القرن العاشر الهجري ، وخلفت لنا ثرة كبيرة من دور العلم لازالت قائمة ، شاهدة على المدى الكبير الذي وصلته في تطور الحركة العلمية •

ولدى الرجوع الى ما كتبه ابن شداد وابن الشحنة وابن العديم يمكننا توضيح هذا التقدم ، وقد نقل عنهم الطباخ والغزي الكثير وأضافوا وصفا شيقا لما كانت عليه حلب في أواخر القرن الرابع عشر الهجري المنصرم •

وان من يلقي نظرة سريعة على دور العلم التي انتشرت في مدينة ضمن الاسوار وفي أجزاء صغيرة خارجها ، يرى العدد الكبير الذي لم يتوفر في أي مدينة عربية أخرى •

فالرباطات الاربعة عشرة والتي أختص بعضها في الامور الدينية والبعض الآخر بالامور العامة ، والزوايا السبع والسبعين التي اتخذت أماكنها في مختلف أحياء حلب والحق بعضها بالمساجد الكبيرة ، ضربت بسهم وافر في الحركة

العلمية ، وقد كان لبعض رجال العلم زواياهم التي طارت شهرتها في آفاق العالم العربي ، وتعدته أحيانا ، مثل زاوية المنصوري والزاوية الصيادية التي بقيت حتى العهد العثماني منار علم ومعرفة ، وأخيرا زاوية النسيمي نسبة الى الشاعر المشهور والتي هي اليوم محج الكثيرين العارفين بالنسيمي وشعره وفلسفته •

أما المدارس وقد بلغ تعدادها مائة وثمان وعشرين مدرسة فقد كان دورها في العلوم والفقه كبيرا وكانت المدرسة ـ بغير مفهومها الحالي ـ مركزا للعلم والعلماء ، وملجا لطلبة العلم ، يقيمون فيها ويطعمون ، وكان أهالي حلب من مسئولين وغيرهم يتسابقون في تخصيص الاوقاف لها من قرى وحوانيت ودور ومدر وأراضي زراعية ، وكتب ، ولدينا نصوص وقفية مؤرخة في أوائل القرن الثامن الهجري وما بعده ، تعطينا بالتفصيل معلومات هامة عن شروط العمل في هذه المدارس ، ولن يكون من المستغرب اذا قلنا ان ريع بعض هذه الاوقاف يرسل الى الحرمين الشريفين لغايات علمية ودينية •

وان الخانقاهات الستون التي ذكرها ابن الشحنة ، وقد دثر بعضها وبقي البعض الآخر ، تدل على مدى اهتمام أهالي حلب بتنظيم الحياة العامة في المدينة ، وان مديرية الآثار تقوم بترميم احدها فتظهر معالمه ليبقى شاهدا على الخانقاهات التي انتشرت في مدينة حلب وتسابق الولاة والقضاة في بنائها •

أما دور العلم فقد عددها ابن شداد وبلغت في عهده مائة وسبع وعشرون دارا للعلم والفقه والحديث ، وقد كانت كل دار منها مركزا للبحث والدرس والمناظرة • وعرف بعضها بأسماء قضاة حلب كدور بني العديم وبني الشحنة ودار ابن خطط وابن الرومي ، وبعضها باسم دار الحديث والعدل والفقه والحكمة • وقد بنيت بعضها مستقلة ، وبعضها اقتطع من دور السكن ، وبعضها ألغي السكن فيه وخصصت بكاملها للبحث والدراسة ، ولا تنسى أن بعضها خصص لضرب العملـة ، وأخرى للزردخانة وما شابه ذلك من أمور علمية تطبيقيـة •

أما عن الجوامع والمساجد ، فقد كان انتشارها في مدينة بلغ تعداد سكانها في بدء القرن الرابع عشر الهجري نيف وسبعمائة وأربعة وستون ألف نسمة ، عدد الذكور منهم يقارب الاربعمائة ألف نسمة • فقد كان عددها أربعمائة وأربع وثمانون مسجدا وجامعا ، بعضها لا يتجاوز قاعة الصلاة وبعضها بلغ في اتساعه وسعته حدا كبيرا ، مثل الجامع الاموي وجامع العثمانيـة والعدليـة وغـيرها •

والجامع في الاسلام أكثر من أن يكون للصلاة فقط ، وقد وقع في أيدينا بعض نصوص الاوقاف تناولت ما أوقف للجامع ، وبعضها من الكتب القيمة في لغات متعددة كالتركية والفارسية اضافة الى العربية ، وطرقت مواضيع متعددة ٠

وأخيرا البيمارستانات ودورها في العلوم الطبية عند العرب :

لقد عدد ابن الشحنة خمس بيمارستانات في حلب دثرت ثلاثة ، وبقي اثنان قائمان ، احداها في حالة جيدة جدا ٠ ولقد تقدمت صناعة الطب في حلب تقدما عظيما وارتفع شأنها وأصبحت ضرورية ، اذ كان لا بد ، لتأمين الخدمات الطبية للمرضى والعناية بهم عناية صحية ، والفقراء منهم بصورة خاصة الذين لا يملكون الوسيلة للمعالجة في منازلهم من انشاء البيمارستانات أو المشافي لايوائهم والعناية بهم ومعالجتهم ، فضلا عن الاستفادة من البيمارستان للدراسة والتدريس ٠

وأول بيمارستان عرف في حلب ، ذكره المختار ابو الحسن صاعد بن عبدون المعروف بابن بطلان ، كان موجودا عام ٤٤٠ للهجرة ، ولم يذكر لنا اسمه أو موقعه واكتفى بالقول : « وفي البلد جامع وست بيع وبيمارستان صغير والفقهاء يفتون على مذهب الامامية ٠٠٠ الخ » وحتى اليوم لم نستطع معرفة مكان ذلك البيمارستان ولا من أنشأه في حلب ٠

أما البيمارستان الثاني فقد ذكره أبو ذر صاحب كنوز الذهب قال : « نقلت من كلام ابن حجة الحموي صاحب البديعية » قال : « وكان بحلب بيمارستان آخر قديم يعرف ببني الدقاق وقد أدخل دار سودون الدوادار التي غربي الحلاويه والتي كان يسكنها أركان الدولة » ٠ ولم نتمكن من معرفة منشيء هذا البيمارستان ٠

أما البيمارستان الثالث ، وذكره المؤرخون القدماء ، فقد كان على باب الجامع الكبير الشمالي ، وله بوابة كبيرة عظيمة ، ينسب لابن خرخار ، ويقول ابن الشحنة : « والآن قد أغلق بابه ورأيت فيه الكحالين ، وقد صار مسكنا » ٠ وقد زالت آثاره طبعا مع الدور التي أزيلت شمالي الجامع الكبير بعد أن فتح الشارع المؤدي الى القلعة ودار الحكومة ٠

وان البيمارستان الرابع المعروف بالبيمارستان النوري منذ أنشأه الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي في أواسط القرن السادس الهجري في موقع داخل باب انطاكية في محلة الجلوم الكبرى ، وان انتقاء موقعه كما ورد في كنوز الذهب جرى بناء على دراسة كالتي جرت لاختيار مكان بناء البيمارستان العضدي في بغداد ٠

وقد وقف عليه بانيه القرى والمزارع واراضي زراعية ودكاكين في أسواق حلب واحكار خارج الاسوار ، وقد دلت كثرة هذه الاوقاف على مقدار المال الوفير الذي تمدره لتأمين نفقات هذا البيمارستان الكبير الذي نرى بقاياه حتى الآن والذي تسعى مديرية الآثار لاخلاء ساكنيه وترميمه ، كما فعلت بالبيمارستان الارغوني ٠

واننا نلاحظ بدليل الكتابات التي ما تزال موجودة أن بعض قاعاته خصصت للنساء وانها بنيت في ٦٥٥ هجرية ، وذلك بعد حوالي قرن كامل من بناء البيمارستان ، من قبل أبي المعالي محمود بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم العجمي الشافعي في دولة صلاح الدين يوسف بن ايوب ٠ وفي عام ٨٤٠ هجرية أحدث ايوان بجانبي قاعة النساء الصيفية ، من قبل الحاج محمد البيمارستاني٠ وان قاعة المنسهلين كانت سماوية فاسقفها القاضي شهاب الدين ابن الزهري ٠ وهذا يدل على أن اصلاحات ادخلت عليه وزيادات أضيفت اليه عصرا بعد عصر قام بها رجال الدولة والافراد آنذاك فقد فرشت أرضه بالرخام وأنشئت فيه بركتا ماء جلب اليها الماء الحلو في أقنية من حيلان ، وذكره القلقشندي في صبح الاعشى في حديثه عن حلب قال : « وفيها بيمارستان حسن لعلاج المرضى ، ومن الوظائف الديوانية فيها نظر البيمارستان » ٠ كما أورد لنا ابن أبي أصيبعة الوصف الشيق التالي فقال : « ولما أنشأ الملك العادل نور الدين البيمارستان الكبير [وهذه اشارة لوجود بيمارستانات أخرى في ذلك الوقت] جعل أمر الطب فيه لابي المجد أبي الحكم وأطلق له جامكية وجراية ، وكان يتردد اليه ويعالج المرضى فيه ، وحدثني شمس الدين ابو الفضل بن أبي الفرج الكحال المعروف بالمطواع رحمه الله أنه شاهده في البيمارستان وان أبا المجد ابن أبي الحكم كان يدور على المرضى به ويتفقد أحوالهم ويعتبر أمورهم وبين يديه المشارقون والقوام لخدمة المرضى ، فكان جميع ما يكتبه لكل مريض من المداواة والتدبير لا يؤخر عنه ولا يتوانى في ذلك ٠ قال ، وكان بعد فراغه من ذلك وطلوعه الى القلعة ، وافتقاده المرضى من أعيان الدولة يأتي ويجلس في الايوان الكبير الذي للبيمارستان وجميعه مفروش ويحضر كتب الاشتغال ، وكان نور الدين ، رحمه الله قد وقف على هذا البيمارستان جملة كبيرة من الكتب الطبية وكانت في الخرستانين اللذين في صدر الايوان ، فكان جماعة من الاطباء والمشتغلين يأتون اليه ويقعدون بين يديه ثم تجري مباحث طبية ويقرىء التلاميذ ولا يزال معهم في اشتغال مباحثة ونظر في الكتب مقدار ثلاث ساعات ثم يركب الى داره » ٠

من ذلك كله يتبين ما كان عليه هـذا البيمارستان من حسن وترتيب واهتمام ، أما الآن فقد أصبح أطلالا سوى مدخله وتقوم مديرية الآثار التي تمتلك البناء ، باعمال الترميم في هذا المكان الجميل الذي كان في قديم الزمان مركزا للعلم والاشعاع ومقرا يجد فيه المرضى الاعتناء والراحة والدواء ٠

أما عن الاطباء الذين عملوا فيه ، فلا نعلم شيئا عنهم ، كما لا نعرف أسماءهم ، وقد تكشف الوثائق والتحقيقات يوما عنهم • الا انه من المحتمل أن يكون أكثر الاطباء المعاصرين في ذلك الزمن المتطببين في حلب قد عملوا في هذا البيمارستان ، وقد ذكرهم ابن أبي أصيبعة ، أمثال أبي الفضل بن أبي الوقار المتوفي بحلب في عام ٥٥٤ هجرية والذي كان لا يفارق نور الدين ، ويوسف بن يحيى بن اسحق السبتي المغربي الذي كان من أطباء الخاصة في الدولة الظاهرية والمتوفي في عام ٦٢٣ هجرية وسكرة الحلبي وابنه عفيف بن سكرة الحلبي وقد كان ماهرا في الصناعة وتوفي عام ٥٨٤ هجرية وأولاده وكلهم كانوا من أرباب المهارة في صناعة الطب • وقد ذكر الطباخ صاحب أعلام النبلاء ، حسون الرهاوي المتوفي عام ٦٢٥ هجرية ، وذكر الطبيب احمد عيسى بك ، أن هاشم بن محمود بن السيد ناصر الدين السروجي الحسيني كان رئيسا للبيمارستان النوري ، وقد توفي عام ٩٦٤ هجرية •

أخيرا : البيمارستان الارغوني الكاملي ، وعلى بابه كتابة بخط ثلثي جميل محفورة بالحجر وهي كما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها • أمر بانشاء هذا البيمارستان المبارك في أيام مولانا السلطان الملك الصالح ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون خلد الله ملكه الفقير الى ربه أرغون الكاملي نائب السلطنة بحلب المحروسة غفر الله له وأثابه الجنة في شهور سنة خمس وخمسين وسبعماية » • وهذا يدل على تاريخ بناء البيمارستان وبانيه ، وكان محله بيت لاحد الامراء كما يقول المؤرخ الطباخ ، حصل عليه بالطريق الشرعي فحافظ على بوابة هذا البيت وتركها على حالها وكتب عليها ما كتب وهي معمورة • وقد ذكر ان أبا الفتح داوود قال : « في هذه السنة أي ٧٥٥ هـ أنشأ الامير أرغون الكاملي البيمارستان المنسوب اليه بحلب داخل باب قنسرين ، واجتهد في أمره ورفل في أنواب ثوابه وأجره ، وشيد بنيانه ومهد مجالسه وايوانه ورفع قواعده وهيأ بيوته ومراقده وأعد له الآلات والخدم ورتب لحفظ الصحة فيه أرباب الحكم واباحه للضعيف والسقيم وفتح بابه للراحل والمقيم ورواه بالمياه الكثيرة وانفق عليه أموالا غزيرة واجرى عيونا معلومة وجراية ، ووقف للقيام بمصالحه ما يزيد على كفايته ، منها قرية بنش من أعمال سرمين قرب ادلب ، وقد رتب فيه القراء يقرأون القرآن طرفي النهار وخبزا يتصدق به ، ورتب له جميع ما يحتاج اليه من أشربة وكحل ومراهم ودجاج وجميع الملطفات ، وكان هذا البيمارستان بكفالة نائب السلطنة بحلب ، ولما تولى جانم الاشرفي نيابة السلطنة بين عامي ٨٥٩ و ٨٦٣ هجرية جعل أمامه كافلاً لهذا البيمارستان •

لقد كان لهذا البيمارستان تأثير كبير في تطور العلوم الطبية وخاصة في مداواة الامراض العقلية ومعالجة كل حالة على حدة ، حتى أن البناء نفسه صمم عمرانيا بحيث يحجز كل مريض في غرفة خاصة به ، وتقديم الدواء والمعالجة له بشكل علمي ، وان أجنحة البيمارستان الثلاثة معزولة عزلا كاملا لدرجة انها تخنق كل صوت أو ضجيج يمكن أن يقلق راحة السكان المجاورين ٠ أما الجناح الرئيسي الكبير فهو معد لايواء المجانين الهادئين ، وقد ذكر الطباخ في كتابه أعلام النبلاء فقال : « وقد بلغنا انه كان في أطراف الصحن الخارجي ، وعلى أطراف الحوض الذي وسطه أنواع الرياحين ليناظرها المجانين ، وكانوا يأتون بآلات الطرب والمغنين فيداوون المجانين بها أيضا ، وكذلك بقية الاجنحة فان في ساحاتها برك الماء أيضا مع النوافير ، وجدران البرك سميكة وهي معدة لوضع أصص الازهار والرياحين عليها ، وبذلك يتأمن للمريض الهدوء الكامل ، وصوت الماء المهدىء ، ومنظر الزهر البهيج فيساعد ذلك على تهدئتهم وراحتهم ٠ فبمثل هذه العناية والرعاية كان يعامل المجانين المساكين في هذا البيمارستان وغيره ٠ في الوقت الذي ظل به المجانين يعاملون معاملة الوحوش الكاسرة في بلاد الغرب ، حيث يكبلون بالحديد ويعاملون بالضرب والتعذيب ، حتى جاء عصر الثورة الفرنسية فكان الطبيب « بنييل » أول من امتدت يده لكسر السلاسل والقيود الحديدية من أيدي المجانين وأرجلهم وذلك في عام ١٧٩٣ ميلادية ٠

وقد بقي أمر هذا البيمارستان جاريا على هذا النظام حتى أواخر القرن العاشر الهجري ومنذ ذلك الحين ، أهمل أمره وزالت تلك الاوضاع منه كما أهمل أمر نظارته وتبعثرت غلة أوقافه ، وحولت وارداته الى أوقاف الجامع الكبير عام ١٢٨٤ هجرية ، وهكذا عملت فيه يد التخريب والتهديم فتصدع بلاط أرضه وتهدم حوضه ، حتى كان جميل باشا واليا على حلب عام ١٣٠٢ هجرية ، فاهتم بترميمه واعادة تبليطه وتجديد حوضه ٠ الا أن بعض العائلات سكنته وأساءت اليه كثيرا حتى السبعينات ، فلجأت مديرية آثار حلب الى أخلائه من ساكنيه والعمل على ترميمه ، وأصبح اليوم بحالة جيدة تمكن معها زيارته ودراسه طرازه المعماري الفريد واجتلاء أهميته الاثرية والتاريخية ٠

سياسة الحبالى والاطفال والصبيان وتدبيرهم وحفظ صحتهم

بين

أحمد بن الجزار القيرواني

وأحمد بن محمد البلدي العراقي

الاستاذ حسين عمر حماده

جاء في طبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل[1] أن « أبو جعفر[2] أحمد بن ابراهيم بن أبي خالد الجزار ، قيرواني الدار ، مسلم النحلة ، طبيب ابن طبيب وعمه أبو بكر طبيب ، وله في الطب تواليف عجيبة ، وكان من أهل الحفظ والتطلع والدراسة للطب وسائر العلوم . وله تواليف في غير الطب ، كتاليفه التواريخ وتاليفه كتاب الفصول والبلاغات . ولم يرَ كتب الى أحد من رجال أفريقية[3] ، ولا الى سلطانها الا الى أبي طالب[4] عم معد[5] .

كان له صديقا قديما . وكان ينهض في كل عام الى المنستير[6] فيكون هناك طول أيام القيظ ثم ينصرف الى افريقية . وكان قد وضع على باب داره

---

(١) هو أبو داود سليمان بن حسان الاندلسي (طبقات الاطباء والحكماء) .

(٢) ابن جلجل ، طبقات الاطباء والحكماء (مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ـ القاهرة ١٩٥٥م) ص ٨٨ ـ ٩٠ .

(٣) أفريقية : اسم قديم لارض تونس حاليا وريثة مدينة قرطاج التاريخية (راجع تونس العربية الاسلامية) ص ٣ .

(٤) هو أحمد بن عبد الله المهدي (ابن جلجل ص٩٠) .

(٥) هو الخليفة المعز لدين الله أبو تميم معد مؤسس دولة الفاطميين بمصر توفي سنة ٣٦٥ هـ (ابن جلجل ص ٩٠) .

(٦) المنستير رباط على البحر الابيض المتوسط شيده أواخر القرن الثامن الميلادي هرثمة بن أعين يبعد عن القيروان ٨٠ كم وعن تونس العاصمة ١٥٦ كم (تونس العربية الاسلامية) .

سقيفة ، أقعد فيها غلاما له ، يسمى برشيق[٧] ، أعد بين يديه جميع المعونات والاشربة والادوية ، فاذا رأى القوارير بالغداة ، أمر بالجواز الى الغلام وأخذ الادوية منه نزاهة بنفسه أن يأخذ من أحد شيئا • ولما مات وجد له أربعة وعشرون ألف دينار ، وخمسة وعشرون قنطارا من كتب طبية وغيرها » •

وذكر الدكتور سلمان قطاية في دراسته حول سيرة ومؤلفات أحمد بن ابراهيم بن الجزار القيرواني[٨] أن ابن جلجل أثبت أن ابن الجزار عاش ثمانين عاما[٩] وهو التحديد الذي لم أقف عليه في طبقات ابن جلجل بل الذي ورد أنه عاش نيفا وثمانين عاما ، ومحقق مخطوطة ابن جلجل فؤاد سيد أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية أورد في هوامش ترجمته لابن الجزار[١٠] أنه توفي سنة ٣٦٩ هـ • كما في البيان المغرب لابن عذارى ١ : ٣٨٨ • وفي طبقات الادباء لياقوت الحموي ٢ : ١٣٧ • وفي جذوة المقتبس لابن الخطيب ورقة ١٠ أن مولده سنة ٣٤١ هـ ووفاته بمدريد سنة ٣٩٥ هـ • وفي هدية العارفين أنه توفي بالاندلس مقتولا سنة ٤٠٠ هـ • ووردت ترجمة ابن الجزار في طبقات الامم لصاعد الاندلسي ٦١ ، وعيون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة ٢ : ٣٧ ـ ٣٩ ، ومسالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري ج ٥ ق ٣ لوحة ٥٧٨ ـ ٥٧٩، وطبقات الادباء لياقوت الحموي ٢: ١٣٦ ـ ١٣٧، والوافي بالوفيات لخليل بن ايبك الصفدي ١ : ١١٧ نسخة تيمور ، وسلم الوصول ص : ٦٢ ، وهدية العارفين لحاجي خليفة ١ : ٧٠ ، والمجلة الآسيوية الفرنسية سنة ١٨٥٣م ج١ ص : ٢٨٩ ، وتاريخ الآداب العربية لبروكلمان ١ : ٢٣٨ وملحق ١ : ٤٢٤ ، ونقل عنه المقريزي في (اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا) وذكره أبو عبيد البكري في (المسالك والممالك) وابن البيطار في (المفردات) • وقد ترجم له حسن حسني عبد الوهاب التونسي في كتابه المخطوط (الذخيرة في تاريخ افريقية) وذكر من مؤلفاته نحو أربعين مصنفـا •

وفي حين يذكر فؤاد سيد عام ١٩٥٥ م أن الكتاب الاخير لا زال مخطوطا •

---

(٧) الاصح رشيق والباء حرف جر زائد على الاسم لمعرفتي بشيوع اسم رشيق في القيروان وفي المدن التونسية التي زرتها عامي ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ م •

(٨) مجلة المورد التراثية العراقية (المجلد التاسع ، العدد الاول ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م (ص : ٤٧ ـ ٦٠) •

(٩) المورد : ص٤٨ •

(١٠) ابن جلجل : ص ٨٨ •

يثبت الدكتور محمد الحبيب الهيلة في تحقيقه لكتاب (سياسة الصبيان وتدبيرهم) ص ٢٥ ، « أن الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب أورد ترجمة مفصلة لابن الجزار في كتابهورقات ج ١ ص ٣٠٦ ـ ٣٢٢ المطبوع سنة ١٩٦٥ م • بل وكتب حسن حسني عبد الوهاب موضوعا عنه بمجلة الندوة التونسية عدد فيفري سنة ١٩٥٣ م ، وموجزا آخر عنه في مجلة المخطوطات العربية سنة ١٩٥٥ م ص ٧٦ • وموضوعا ثالثا في مجلة الفكر التونسية جوليية ١٩٥٨م • ويورد محمد الحبيب الهيلة قائمة بمصادر ترجمة ابن الجزار تفوق ما جاء في هوامش تحقيق ابن جلجل وهي دراسات وأبحاث أنجز بعضها بعد تحقيق فؤاد سيد لمخطوطته • فقد ذكره خير الدين الزركلي في قاموس تراجمه (الاعلام) ج١ ، ص ٨٢ ـ ٨٣ ، الطبعة الثانية ، وعمر رضا كحالة في معجم المؤلفين ج١ ص ١٣٧ ، وعمر فروخ في كتابه تاريخ الفكر العربي الى أيام ابن الرشيق المؤرخ القيرواني المتوفي سنة ٤١٧ هـ لمعاصرته لابن الجزار •

وقد اختلف المصنفون والمؤلفون في سنة ميلاده ووفاته ، واتفق مع ترجيح محمد الحبيب الهيلة بتحديد ابن عذارى الذي نقل عن ابو اسحاق ابراهيم الرشيق المؤرخ القيرواني سنة ٤١٧ هـ لمعاصرته لابن الجزار •

والرشيق يرى أن ابن الجزار توفي قبل سنة ٣٧٧ هـ ، ٩٨٧ م • وهو تاريخ تأليف طبقات ابن جلجل الذي يذكر موته • وعليه فان ولادته بالقيروان كانت أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) أي في نهاية عهد الاغالبة •

ريادة ابن الجزار في طب الاطفال التخصصي :

أقتنيت من احدى مكتبات تونس القديمة كتاب ابن الجزار القيرواني في (سياسة الصبيان وتدبيرهم) ظنا أنه أحد مناهج تربيتنا العربية الاسلامية الاصلية في تعليم الاطفال • وبدراستي لمضمون الكتاب وجدتني أمام دراسة ريادية في طب الاطفال الجسدي والنفسي وتدبيرهم منذ خروجهم من الرحم وحتى تعتبر أفعالهم طبيعة من طبائعهم أي من سلوكهم وتصرفاتهم • وهو يعطينا صورة عن المستوى العلمي والثقافي الذي بلغته القيروان ، احدى حواضرنا العربية الاسلامية الزاهية ابان القرن الرابع للهجرة • ومما يزيد في أهمية دراستنا المقارنة لمصنف ابن الجزار أنه في كثير من أجزائه يشكل أساسا لطب الاطفال التخصصي المعاصر والمتفق مع أحدث التشخيصات الطبية النظرية وتطبيقاتها السريرية (الاكلينيكية) وهذا يعطي لمصنفنا ميزة السبق في ريادته العلمية والصدق في معاملته الطبية الانسانية • واذا كان الباحث الدكتور محمد الحبيب الهيلة يرى أن « المغرب كان خلال هذه القرون الاولى في تبعية ثقافته للشرق رغم أنه سار في خطوات محتشمة نحو استقلاله السياسي

في عهد الاغالبة ، ونلمس هذه التبعية الثقافية في صـدى الحركات العلميـة والادبية الصادرة عن بغداد في القيروان ليصل بعد ذلك الى المغرب الاقصى الاندلسي » [11] فاني أرى في نتاج مشرقنا ومغربنا العربيين من عطاء خلاق ، انما هو تواصل وانتقال وابداع حضاري انساني متواصل الحلقات المترافدة بوشيج الصلات والعلائق الاخوية فيما بين دور حكمتهـا وبيمارستاناتها • وحديثنا فيما بعد عن العلامة البلدي معاصر ابن الجزار شاهـــد حق على ما ذهبنا اليه •

وصف المخطوط ومحتواه وأسلوبه ومصادره :

يثبت الباحث محمد الحبيب الهيلة أن بروكلمان أحال بشان كتـــاب (سياسة الصبيان وتدبيرهم) على فهرست المخطوطات الشرقية بمكتبة تانيانا : تـأليف (Ab. S. Assemani) طبع بمدينة Padova سنة ١٩٧٠ م • وبالرجوع الى هذا الفهرست لم نجد للكتاب ذكرا ثم بعد بحث عثرنا على المخطوط ضمن مجموع طبي رقم ١٥٧ بمكتبـة مارشيانا Biblioteca Marciana بالبندقيـة وحصلنا على نسخة مصورة منه غير مرقمة الورقات •

والكتاب يقع في ٢٥ ورقة بخط شرقي جميل وبكل صفحة ١٧ سطرا ، والناسخ مجهول الاسم لم يذكر تاريخ نسخه للكتاب • وبالمخطوط نقص يشمل نهاية الباب العشرين وكامل الباب الواحد والعشرين وبداية الباب الثاني والعشرين [12] •

وأثبت الدكتور سلمان قطاية في قسم مؤلفات ابن الجزار [13] اعتمادا على قائمة فؤاد سيزكين صاحب كتاب تاريخ التراث العربي • أن كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم موجود في البندقية بمكتبة مارسيانا رقم ٢٤٠ ، وفي مكتبة الاسكوريال القديمة : مجموعة من أقوال الاوائل في سياسة الاطفال والكتاب محقق على نسخة البندقية فقط ومنشور في تونس عن الدار التونسية للنشر عام ١٩٦٨ م ، من قبل الدكتور محمد الحبيب الهيلة » •

---

(١١) أحمد بن الجزار القيرواني : سياسة الصبيان وتدبيرهم • الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٦٨م ، ص : ١٩ ـ ٢٠ •

(١٢) سياسة الصبيان وتدبيرهم : ص ٥١ •

(١٣) مجلة المورد : ص ٥٥ •

ونلاحظ فارقا بين الرقم الذي أثبته محقق المخطوط الهيلة وهو ١٥٧ وبين الرقم الذي نقله قطاية اعتمادا على سزكين وهو ٢٤٠ ...

« ويذكر الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب أن منه نسخة بالاسكوريال ولكن ديرنبورغ Derenbourg لم يذكرها »[١٤] .

« ويتضمن فهرس المخطوط المحقق[١٥] اثنين وعشرين بابا » .

الباب الاول في تدبير الاطفال عند خروجهم من الرحم وحديث عن الام ، وخروج الطفل ، قطع سرته ، تمليحه ، وغذاء الرضيع ، نضج الطفل ، غسله ، تنيظفه ، ارضاعه ، وقت غذائه ، جلوسه ، مشيه وبكائه .

والباب الثاني في صفة المرضع التي تحتاج لرضاع الصبيان من حيث سنها ، 'خلقها ، َخلقها ، جسدها ، والحاضنة .

والباب الثالث في صفة لبن (حليب) الظئر[١٦] المحمود منه والمذموم وكيف ينبغي أن يكون تركيب اللبن (الحليب) .

والباب الرابع في الاطعمـة والاشربة التي تدبـر بهـا المرضـع ليكون صحيحـا .

والباب الخامس في سبب قلة اللبن (الحليب) وتغير لونه .

والباب السادس في تدبير المرضعة القليلة اللبن (الحليب) واصلاحـه وعلاج غلظه ورقته والادوية التي تحسن اللبن (الحليب) .

والباب السابع في الاغراض التي تعرض للصبيان في كل درجة من أسنانهم . وكلمة في أسنان الاطفال .

والباب الثامن في السعفة (قروح) والرية (قروح مع قشور) المتولدة في رؤوس الصبيان وعلاجهما .

والباب التاسع في الداء المسمى الدواس (كبر الرأس) العارض للصبيان وعلاجه ، علاج كبر الرأس ، ورم اليافوخ ، انتفاخ البطن ، داء المطاس .

---

(١٤) سياسة الصبيان وتدبيرهم : ص ٤٢ .

(١٥) مرجع سابق ذكره : ص ١٩١ .

(١٦) الظئر : المرضع لولد غيرها .

والباب العاشر في داء الصرع العارض للصبيان ويسمى ابلبسيا (Epilepsie) (الصرع أو الهراع عند الصبيان) ٠

والباب الحادي عشر في السهر العارض للصبيان ٠

والباب الثاني عشر في الرطوبة السائلة من آذان الصبيان وعلاجه (التهاب الاذن مع خروج القيح) ٠

والباب الثالث عشر في زوال الحدقة وهو الحول العارض للصبيان وانتفاخ العين وعلاجه ٠

والباب الرابع عشر في الوجع الحادث للصبيان حين خروج الاسنان ٠

والباب الخامس عشر في القروح العارضة في أفواه الصبيان ، القلاع وعلاجه ٠

والباب السادس عشر في السعال وعلاجه ٠

والباب السابع عشر في القيء والاختلاف (الاسهال) وعلاجهما وصفة ضماد لاطلاق الصبيان الصغار ٠

والباب الثامن عشر في الحيات والدود التي تتولد في أمعاء الصبيان ٠

والباب التاسع عشر في نتوء السرة وورمها وعلاجه ٠

والباب العشرون في الحصى المتولدة في مثانة الصبيان وعلاجه ٠

والباب الحادي والعشرون في تربية الصبيان ٠

وأسلوب ابن الجزار وجيز العبارة ، سهل الاسلوب علمي المادة ، تشخيصه مبني على التحليل والتجارب والمعاينة المخبرية والعلمية التطبيقية المتوافقة مع دراسات طب الاطفال التخصصي الحديث جسديا ونفسيا ٠

ويبدو أن هذا الكتاب هو أول تأليف في طب الاطفال Pèdiatrie لان ابن الجزار يشير في خطبته الى أنه لم ير للسابقين كتابا يختص للحديث عن سياسة الصبيان ٠ والمصادر التي أعتمد عليها ابن الجزار في كتابه هي : (كما وردت

في ثنايا مصنفه) فصول ابقراط ، كتاب السياسة لجالينوس ، مقالة بولوس في تدبير الاصحاء لجالينوس ، كتاب الصنعة الطبية لجالينوس ، ينقل أربع مرات عن يحيى بن ماسويه ، وأربع مرات عن اسحاق والمظنون أنه يقصد اسحاق بن ماسويه ، ينقل عن سلموس من الاطباء القدماء ، ينقل عن الفيلسوف أبو واس وينقل عن أطباء دون ذكر أسمائهم ٠

وبالمقارنة سنجد أن مصنف (كتاب تدبير الحبالى والاطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الامراض العارضة لهم) لاحمد بن محمد يحيى البلدي العراقي ، ان لم يواز في كتابه معاصره ابن الجزار القيرواني ، فهو بالتأكيد ترك لنا مصنفا أشمل موضوعا وأوسع مادة من أي مصنف آخر ٠

كتاب تدبير الحبالى والاطفال والصبيان للبلدي :

بعد أن قاربت انتهاء دراسة كتاب (سياسة الصبيان وتدبيرهم) لابي جعفر بن الجزار القيرواني ، حصلت خلال زيارتي لبيروت أوائل هذا العام ١٩٨١ م على (كتاب تدبير الحبالى والاطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الامراض العارضة لهم) وقد ألفه العلامة أحمد بن محمد بن يحيى البلدي بالعراق قبل حوالي ألف سنة ، فألفيت فيه بعض مبتغاي ولهفتي على ما يساعدني على اغناء دراستي واستقصاءاتي حول طب الاطفال الجسدي والنفسي عند المتقدمين من علماء حضارتنا العربية الاسلامية ، خاصة وأن القيرواني من علماء مغربنا العربي والبلدي من علماء مشرقنا العربي ، وقد عاشا في زمن واحد تقريبا ٠

وقد انشغل الطبيب العراقي محمود الحاج قاسم محمد زمنا بتحقيق مخطوطة البلدي حتى ظهرت ١٩٨٠ م عن دار الرشيد للنشر ضمن سلسلة كتب التراث رقم ٩٦ الصادرة عن وزارة الثقافة والاعلام بالجمهورية العراقية ٠

واسم المؤلف هو « الشيخ ابو العباس احمد بن محمد بن يحيى البلدي من مدينة بلد (بلط) وهي مدينة اسكي موصل الحالية والقريبة من مدينة الموصل في العراق[١٧] وقد ذكره ابن أصيبعة في طبقات الاطباء العراقيين وأطباء الجزيرة وديار بكر »٠ وكان خبيرا بصناعة الطب ، حسن العلاج والمداواة[١٨] ٠

---

(١٧) احمد بن محمد البلدي : كتاب تدبير الحبالى والاطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الامراض العارضة لهم ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨٠م ، ص ٣٥ ٠

(١٨) موفق بن أبي أصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، دار الحياة للنشر ، بيروت ١٩٦٥م ص : ٣٣٢ ٠

والبلدي من أبناء القرن الرابع الهجري[١٩]. فقد ورد في الصفحة الاولى من مخطوطته أنه صنف كتابه للوزير الاجل أبي الفرج يعقوب بن يوسف[٢٠]. ومع اختلاف محقق عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة الطبيب نزار رضا عن خير الدين الزركلي صاحب الاعلام في تحديد سنة وفاة ابن كلس . فاننا لا نملك ثبتا بتاريخ ولادة أو وفاة العلامة البلدي . وان كنا نرجح اتفاقا مع ما ورد عن ظروف تاليف مصنفه أنه من أبناء القرن الرابع للهجرة والعاشر للميلاد .

وقد ذكر « مانفرد اولمان تونيكن بأنه توفي حوالي ٣٨٠ هـ ولم يتاكد ذلك في أي مصدر آخر[٢١] » وقد « ذكر الاستاذ فؤاد سيزكين بأن هناك خمس نسخ مخطوطة من الكتاب »[٢٢] للبلدي وقد اعتمد الطبيب محمود الحاج قاسم محمد في تحقيقه لمصنف البلدي على المخطوطات الخمسة جميعها .

وكتاب البلدي ينقسم الى ثلاث مقالات :

المقالة الاولى :

في تدبير الحبالى والاطفال والاجنة ومداواة ما يعرض من الامراض فيهم وذكر ما ينبغي أن يتقدم بذكره . وهذه المقالة تشتمل على سبعة وخمسين بابـــا[٢٣] .

---

(١٩) كتاب تدبير الحبالى ص : ٥٩ .

(٢٠) وهو « يهودي من أهل بغداد اشتهر بادارته المالية ثم أسلم وأصبح حجة في العلوم الاسلامية ٩٣٠ ــ ٩٩١ م » (عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٣٣٣) . ثم « انتقل الى المغرب الاقصى فخدم المعز الفاطمي العبيدي سنة ٣٦٣ هـ وتولى أموره في سنة ٣٦٨ هـ . لقبه المعز بالوزير الاجل . توفي أيام العزيز ٣٨٠ هـ ــ ٩٩٠ م » (الاعلام للزركلي ج : ٩ ص : ٢٦٧) .

(٢١) الرواية العربية لاعمال روفس الافسيس ، قدم المقال للندوة العالمية الاولى لتاريخ العلوم عند العرب . حلب ٥ ــ ١٢ نيسان ١٩٧٦ م .

(٢٢) فؤاد سيزكين ــ تاريخ التراث العربي ــ مجلد ٣ ص ٣١٨ .

(٢٣) كتاب تدبير الحبالى ص ٧٣ .

المقالة الثانية :

« في تربية الاطفال والصبيان وتدبيرهم وحفظ صحتهم وهذه المقـــالة تشتمل على ثمانية وأربعين بابا[٢٤] » ٠

المقالة الثالثة :

« في الامراض والاوجاع الحادثة بالاطفال والصبيان ومداواة كل واحد منها ٠ وهذه المقالة تشتمل على واحد وستين بابا[٢٥] »٠

ويرى محقق مخطوطة البلدي « أن كتاب البلدي يعتبر في نظرنا أكمل وأشمل ما كتب من قبل الاطباء العرب في هذا الحقل »ودليلنا على هذا :

١ ــ لاحتوائه على مسألة العناية بالام الحامل والولادة ٠ بجانب العناية بالطفل من الناحية الجسمية والنفسية والتربوية ٠ فرسالة الرازي في طب الاطفال مع كونها باتفاق المؤرخين تعتبر أول مؤلف في طب الاطفال ، الا أننا نجدها تفتقر الى مسألة متعلقة بالطفل ألا وهي مسألة العناية به سواء أثناء الحمل أو بعد الولادة ٠ ومسألة تربيته النفسية وتعليمه ٠ ومع جودة ما كتبه أحمد بن محمد الطبري في كتابه المعالجات البقراطية وابن الجزار القيرواني في كتابه سياسة الصبيان وتدبيرهم وعريب القرطبي في كتابه خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين ، عن كيفية العناية بالطفل والرضع وتربية الطفل ، الا أن كتاباتهم جاءت مختصرة ولم يحيطوا بالموضوع من كل جوانبه كما فعل البلدي ٠ ورب قائل يقول بأن كتابه لايفوق كثيرا ما كتبه ابن سينا ، الا اننا اذا أخذنا بنظر الاعتبار كون ابن سينا جاء بعده (في القرن الخامس للهجرة) وان كتاباته في العناية بالطفل جاءت متفرقة في القانون ورسائل أخرى ، ازداد اعجابنا بالبلدي وكتابه[٢٦] » ٠

٢ ــ ويمتاز كتاب ابن البلدي عن سواه لاحتوائه أمراضا لم يذكرها غيره من الاطباء العرب وغير العرب الذين سبقوه وعاصروه ٠ فكتاب ابن الجزار الذي يعتبر أوسع من غيره في هذا الباب جاء كتاب البلدي أكثر احاطة منه وشمولا ٠

وأمراض الاطفال التي ذكرها البلدي اضافــة لما ذكـــره ابن الجزار هي : أمراض العين كالرمد وبياض العين وأمراض الاذن كالاورام وبنات

(٢٤) مرجع سبق ذكره ص ١٧٧ ٠

(٢٥) مرجع سبق ذكره ص ٢٢٣ ٠

(٢٦) مرجع سبق ذكره ص ١٣ ــ ١٤ ٠

اللحم والدود في الاذن ، الرعاف ، الزكام وأورام الحلق . واخراج العظم من البلعوم عند بلعه والمغص والحصر والاعتقال ، وخروج مقعدة الصبي والحميات وأمراض الجدري والحصبة والحميقاء[٢٧] » .

وسأورد نصوصا مقتبسة عن ابن الجزار والبلدي تبين لنا تشابها كبيرا بين موضوعهما وتطابقا حرفيا في بعض موضوعاتهما نتيجة لاقتباسهما عن مصادر واحدة .

تبين لنا أن حركة الترجمة والنقل الى العربية الذي حققه علماؤنا العرب ، واصلت بين مشرقنا العربي ومغربه بالاضافات والابداعات النابعة من ارثنا الثقافي وحضارتنا العربية الاسلامية .

في تدبير الاطفال عند خروجهم من الرحم :

قال أبو جعفر في صفات الام السوية وراثيا وبيئيا محيطيا :

« ان الذي يحتاج اليه من المرأة عند طلب الولد أمران : أحدهما من البدن والآخر من النفس ، وذلك أول صلاح الولد والاساس الذي يبنى عليه تأديبه وتمرينه[٢٨] » .

وأبو جعفر بهذا يتفق مع الرأي التربوي الذي يلح على دور التربية والتعليم الضروري منذ ولادة الطفل وخروجه للحياة . « فالذي من البدن ، اعتدال مزاج الطفل ومسيته (حسن الوجه والقد) وأن تكون المرأة خيرة صحيحة البدن . وأما الذي من النفس فصحة القريحة وقوة الذهن وتهذيب الخاطر[٢٩] » .

الفقرة السابقة كانت بداية الباب الاول عند أبي جعفر . وبداية الباب الاول عند البلدي تقدم لنا تعريفات اجرائية وفق المنهج العلمي لكل من الجنين والطفل والصبي فيقول[٣٠] :

« ان الاطباء والفلاسفة الاولين يريدون بقولهم جنينا ما دام الانسان حملا في الرحم الى حين ولادته . هذا لا خلاف فيه ، ويريدون بقولهم طفل

---

(٢٧) مرجع سبق ذكره ص ١٤ .

(٢٨) كذا بالاصل ولعلها تربيته (هامش سياسة الصبيان وتدبيرهم) ص ٥٩ .

(٢٩) سياسة الصبيان وتدبيرهم ص ٥٩ .

(٣٠) كتاب تدبير الحبالى ص ٧٥ .

الانسان منذ ابتداء تكوينه في الرحم والى أن ياكل ويشرب وتقوى افعاله الطبيعية على هضم الاغذية وتقوى أفعـــاله الحيوانية والنفسانية وحركاته ومشيه • ويريدون بقولهم صبي الانسان منذ كونه والى حين بلوغه سن الشباب وذلك عند اتمام احدى وعشرين سنة من عمره وهذا اختلاف فيه أيضا » •

ويحدد معنى تدبير الاطفال والصبيان وتربيتهم قائلا نظريا وبعد الخبرة الحسية التجريبية المتوصل اليها بالمعاينة والاقتباس[٣١] •

« تدبير الاطفال والصبيان وتربيتهم وحفظ صحتهم ومداواتهم وما يعرض لهم فليس ينبغي أن يكون تدبيرهم كتدبير غيرهم ولا مداواتهم كمداواة سواهم من ذوي الاسنان • ويجب أن يكون تدبيرا مفردا بهم وخاصا ملائما لطبائعهم ينتفعون به من أمورهم ويؤمن معه من ضرر يدخل عليهم لضعفهم وقصور قواهم وقلة اعتيادهم ، والفهم بالامور الخارجية عنهم مما يشهد القياس بصحته والتجربة بمنفعته • وما قد سطره المتقدمون وصحت تجربته الى غيره مما جربناه بعدهم واستعملنا معهم » •

خروج الطفل وقطع سرته وتمليحه :

يقول أبو جعفر : « انه ينبغي أن نبتدىء من تدبيره عند خروجه فيقطع من سرته أربع أصابع ، ويملح ساعة يولد تمليحا معتدلا ليكون بذلك جلده صلبا قويا • فاذا ملح الصبي فيجب أن يمر ذلك على جسده كله الا الفم والانف ولا يزال ذلك عليه حتى ينحط وسخه ثم يغسل حينئذ بماء فاتر وينظف وينقى منخراه وفوه وأذناه برفق ويفتح دبره بالخنصر فيخرج جميع ما فيه ، ويقطر في عينيه شيء من زيت وتربط سرته وتفتل فتلا رقيقا وتوضع عليها خرقة قد غمست في زيت ويلف الطفل في الخرق النقية[٣٢] » •

والتدبير الذي أجمله أبو جعفر بشان الحبالى فصله البلدي وجمله طبا اختصاصيا (مفردا) قائما بذاته[٣٣] لان « الحبالى لما كان تدبيرهن في حفظ صحتهن وازالة أمراضهن ليس كالحال في تدبير غيرهن من جميع الناس » •

---

(٣١) مرجع سبق ذكره ص ٧٦ •

(٣٢) سياسة الصبيان وتدبيرهم ص : ٦١ •

(٣٣) كتاب تدبير الحبالى ص : ٧٨ •

وعن الطفل المولود يقول البلدي[٣٤] « فان مداخله ومخارجه كثيرة مختلفة كالفم والمنخرين فقط . فالفم يدخل منه الغذاء والشراب والنفس ويخرج منه النفس وما يكون من الغذاء والشراب بالقيء وخارجا عن الطبع . والمنخران مدخلان ومخرجان للهواء لا غير . وقد يخرج منهما المخاط . ومن ما هو خارج فقط كالاحليل والدبر أما الاحليل فيخرج منه المني والبول فقط والدبر يخرج منه البراز فقط ، فيجب أن تكون هذه المداخل والمخارج سليمة بتنقيتها وتنظيفها لئلا يحتقن فيها فضل يسدها ولئلا يسهل خروج ما يخرج منها ودخول ما يدخل فيها » .

وفي أول ما يجب أن يستعمل في الاطفال عند ولادتهم من التدابير يقول البـــــلدي[٣٥] .

« أن تقطع سرته عند ولادته بشفرة حادة وماضية ويترك منها نحو من أربع أصابع ثم يعصر الدم منها وينثر عليها شيء من ملح أو كمون . وذلك أن الكمون حريف حار . ويربط عند أصلها بخيط صوق دقيق .

وتملح سائر جسده كله الا الفم والانف بمقدار معتدل من الملح ليصير الجلد أشد وأكثف مما داخله من الاعضاء . فلذلك يجب أن ينشر على أبدانهم الملح حين يولدون ويغطسون غطسا معتدلا ولا يزال ذلك الى أن ينحط وسخهم عنهم ثم يغسلون حينئذ بماء فاتر وينظفون من جميع أوساخهم وتنقى مناخرهم وأفواههم وآذانهم ويتصاعد بالتنقية بأصبع مقلمة الظفر ويقطر في أعينهم شيء من زيت صافي أو دهن ويفتح الدبر بالخنصر فانه سيخرج منه ويسيل على المكان رجيع أسود يسمى باليونانية (ممعاس) . ويلف في خرق صوف نقي أو مرعز أو قطن أو خز (حرير) يوقون من الحر والبرد » .

وبالمقارنة بين نص أبي جعفر ونص البلدي نجد تشابها وآضحا يصل أحيانا الى حد التطابق الحرفي واللفظي على اختلاف موقع الرجلين زمانا ومكانا ، وان كنتُ لا أجزم في هذه المرحلة من دراستي باقتباس أحدهما عن الآخر ، فانني أرى امكانية رجوعهما الى مصدر واحد استفادا منه في الاقتباس .

غذاء الرضيع :

قال أبو جعفر[٣٦] « ان المولود يغذى باللبن ، إعني اللبن في ثدي المرأة .

---

(٣٤) مرجع سبق ذكره ص : ١٨٥ .
(٣٥) مرجع سبق ذكره ص : ٢٠٢ .
(٣٦) سياسة الصبيان وتدبيرهم ص : ٦٢ .

فان أنت وضعت حلمة الثدي في فم المولود وجدته يعصرها ويمض عليهـــا بشفتيه ثم يقنت لسانه ويجذبه فيدفع اللبن الى حلقه كأنه قد تعلم ذلك وتفنن فيه منذ زمن طويل » ٠

وليس هناك ما يؤكد لابن الجزار أفضلية لبن الام٠لذكره أن جالينوس[٣٧] « زعم أن لبن الام هو أفضل الالبان وذلك ان لم تكن الام عليلة ، لان لبن الام وقد اعتاده وبه جبل ونشأ ، ولا ينفي أن يرضع الطفل أمه حتى تأنى[٣٨] لـه ثلاثة أيام أو أربعة ٠

واتساقا مع نظريات طب الاطفال الحديث فان لبن الام هو المفضل عمـا سواهلتغذية الاطفال ٠ وفي هذا يقول البلدي[٣٩] :

« ان أوفق الاغذية للاطفال ولامهاتهم والومها وأشبهها بطبائع أبدانهم اللبن وأجود الالبان لهم لـبن أمهاتهم ٠ فالاخلق بلبن الام أن يكون أوفق الالبان كليا لسائر الاطفال ان لم يكن بها علة أو سبب يفسد اللبن ، فضلا عن الطفل وذلك أن الجنين ما دام في الرحم فانما يغتذي بغذاء وهو أقرب الاغذية الى ما جرت به عادته والومها له ٠ وقد تجد الطبيعة لم تقتصر على ان أعدت هذا الغذاء للطفل ، لكنها غرست في الاطفال مع ذلك أول الايام قوى غريزية في استعماله ٠ فانك ان أخذت الجنين حين يولد فأدخلت في فمه حلمة الثدي مص اللبن وابتلعه لوقته بغاية الشهوة ٠

وفي ملاءمة لبن الام للطفل نفع له ونفع لها في الرضاع منها وحفظ لصحته وصحتها اذا كان تولده غير منقطع عنها فخروجه بالرضاع مما ينفعها ويخفف بدنها (كتاب تدبير الحبالى) ص ١٨٥ ـ ١٨٦ ٠

ويثبت الطبيب محمود الحاج قاسم محمد محقق مخطوطة البلدي « بأن[٤٠] الرضاعة من الثدي وخاصة في الام تساعد على انكماش الرحم في الام ، وتقلل

---

(٣٧) مرجع سبق ذكره ص : ٦٢ ٠

(٣٨) تأنى من أنى الشيء آنيا اذا حان وأدرك ٠ وبلغ هذا أناه أي غايته ونضجه وادراكه ٠ (القاموس المحيط للفيروز آبادي) ج٤ ص ٣٠٢ ط : ٢ ٠
مصطفى البابي الحلبي ٠ مصر ١٩٥٢ م ـ ١٣٧١ هـ ٠

(٣٩) كتاب تدبير الحبالى ص : ١٨٥ ـ ١٨٦ ٠

(٤٠) مرجع سبق ذكره ص : ١٨٧ ٠

اصابتها بسرطان الثدي اضافة لتأكيد علماء النفس للاثـر النفسي الطيب للرضاعة من الثدي في الام والطفل كليهما وبخاصة الطفل » ·

ارضاع الطفل :

أطال أبو جعفر والبلدي في وصف المرضع وشروط اختيارها ان احتيج اليها من ناحية مزاجها وسنها وبدنها وأخلاقها ، وعن وقت الرضاعة ·

قال ابن الجزار انه[٤١] « ينبغي أن يرضع الطفل عقب الحمام لكن بعد أن تبدأ حركاته لئلا تعرض له تخمة فيتولد عنها في بدنه كيموس رديء · ولا ترضعه لبنا كثيرا في دفعة واحدة ، بل في دفعات قليلا قليلا اذا علمت أنه يحتاج الى اللبن · وقد ينتفع بالبكاء اليسير ولا سيما قبل شرب اللبن وهو جائع ، فان ذلك مما يبرد أعضاءه ويوسع له صدره ودبره » ·

وفي تقدير ما يجب أن ترضعه الطفل من اللبن يقول البلدي[٤٢] :

« ولكن مارضعه الطفل مرتين أو ثلاثة بالنهار على الامر الاكثر ومقدار معتدل لئلا تدفعه بطنه ولا تخرج منه ريح كثيرة ولا يصيبه فتور ولا كسل ولا طول نوم ولا تقلب وبكاء أو قيء ويبول بولا هو الى المائية أقرب · وليكن رضاعه في أول الامر قليلا ثم زد شيئا على تدريج وترتيب وذلك أن اللبن اذا أكثر في معدته أثقلها وانتفخت صرته وبر بدنه وكثر بكاؤه ولهبه » ·

وهذا التدريج يقره طب الاطفال الحديث ، لان الطفل في أيامه الاولى يحتاج الى النوم الاطول والى الرضاعة لمرات قليلة[٤٣] ·

وينبغي لدايته أن لا تضجره ولا تغمه بشيء وأن تجرد العناية لمضجعه وتدبيره وقد ينتفع بالبكاء اليسير ولا سيما قبل شرب اللبن وهو جائع ، فان ذلك مما يروض أعضاءه ويوسع صدره ويسخن مزاجه ودماغه ويحركه لدفع ما فيه من فضله بالمخاط والبزاق[٤٤] ·

---

(٤١) سياسة الصبيان وتدبيرهم ص : ٦٤ ـ ٦٥ ·

(٤٢) كتاب تدبير الحبالى ص : ٢٠١ ·

(٤٣) مرجع سبق ذكره ص : ٢٠١ ·

(٤٤) مرجع سبق ذكره ص ٢٠٧ ·

جلوس الطفل ومشيه وبكاؤه :

قال ابن الجزار انه[٤٥] « ينبغي أن يجلس الصبي على الارض ، اذا اشتد بدنه نعما ، وصلبت أعضاؤه وقوي على حركة الجلوس ، ويكلف المشي مرة بعد مرة ويقام أولا بجنب حائط ، ويحمل وقتا بعد وقت ٠ ولا يمكن من البكاء الكثير فانه اذا اكثر بكاؤه عرض له ابلمسيا (داء الصرع) فيجب أن يسكت ويحول بينه وبين البكاء مثل أن يحمل على الايدي حملا لينا أو يقرب أيضا الى الصبي مما قد اعتاده من الاشياء التي تطربه وتفرحه » ٠

وبالمقارنة بين ما أثبتناه عن الجزار بما سنورده عن البلدي سنجد تطابقا حرفيا يدعو لمزيد من التأمل والمناقشة :

يقول البلدي[٤٦] : « وينبغي أن تلهيه دايته اذا انهضم غذاؤه ولا تفارقه عند اللف والقمط الى أن يصلب بدنه وتقوى أعضاؤه ويجلس على الارض ٠ فاذا اشتد بدنه نعما وصلبت أعضاؤه وقويت وقوي على الحركة والجلوس فزد في تحريك أعضائه قليلا قليلا ورويدا رويدا ، وحله في الحز أبسط تحته نطما رقيقا ليكون اذا احتك عليه لا يؤلمه الحك يعني اذا بدأ ليقوم فينبغي أن تقيمه أولا الى جانب حائط ثم تناوله كرسيا مركبا على عجلة يستمسك بها ويتعلم المشي على رجليه باتباعه العجلة رويدا رويدا ٠ وينبغي أن تتوقى المرضع في تدبير الاطفال والصبيان وتربيتهم كل أمر يفزعهم وكل صوت جهير وكل منظر فظيع ولا تفزعهم بصوت ولا بمنظر وحبس كريه فان ذلك كله مما يدخل عليه الضرر ، فان فاجأه بعض ما ذكرناه ففزع منه أخرج الى غيره وسكن وهدىء ليطمئن بمنظر بعض أحبائه ومن يستانس بهم ويالفهم » ٠

وملاحظات البلدي بعد الانتباه الى توافقها جملة مع ما أورده أبي جعفر تتفق ونظرية الاشراط في علم النفس وتطبيقاتها التي بدأها الباحث السوفياتي «بافلوف وبخترف» بالحيوان وتتابعت على يد خلفائه لتصل الى الانسان وامكانية اشراطه على يد العالم الاميركي «سكنر» وخلفائه بالتعليم المبرمج ، ليتحرر من بعض مخاوفه ومزعجاته ٠

وعن قبول طبائع الصبيان للموسيقي والرياضة فالبلدي يرى[٤٧] « أن استعمال هاتين الصناعتين على ما ينبغي قادر على تهذيب النفوس ، والحواضن

---

(٤٥) سياسة الصبيان وتدبيرهم ص : ٦٨ ــ ٦٩ ٠

(٤٦) كتاب تدبير الحبالى ص : ٢٠٧ ــ ٢٠٨ ٠

(٤٧) مرجع سبق ذكره ص : ٢٠٨ ٠

قد لطفن في استعمال الحركة والرياضة في الاطفال بأتخاذهن المهود والاسرة وعلى أيديهن » .

سن المرضع وَخلقها وُخلقها وحسبها وجسدها :

ينقل ابن الجزار عن جالينوس في كتاب السياسة أن المرضع يجب[٤٨]« أن تكون شابة غير مسنة . والشابة تكون ابنة خمس وعشرين ، والكبيرة ابنة خمس وثلاثين سنة . وان كان وسطه كانت نافعة للصبي منفعة عظيمة وينبغي أن تكون حسنة الوجه وحسنة الخلق لا تكاد تغضب سريعا ، وتكون سليمة غير سقيمة . فانها ان كانت سقيمة انتقل سقمها الى الصبي ، كما يعرض ذلك من الارث من الآباء والاجداد » .

وفي صفة سن المرضع يقول البلدي[٤٩]: «وينبغي أن تكون المرضع وسطة السن لا حدثة جدا ولا مسنة جدا ، وأحمد ما يتخذ من المرضعات من كانت سنها بين الخمس وعشرين سنة الى خمس وثلاثين سنة . فاذا كانت المرضع نصفا ولا سيما ان اتفق أن يكون على قدر سن الام جاء منها كل موافقة للصبي ، والطفل لان اللبن يجود ويلائم الصبي ويغذيه غذاء كثيرا . وان أخلاق المرضعات نافعة لامزجة أبدانهن . وينبغي أن يتحرى ممن تختار منهن أن تكون سليمة من الامراض صحيحة الجسد معتدلة المزاج ليس بها شيء من الادواء والامراض ، لان يكون بالمرضع من مرض أو داء يلزم الذي رضع لبنها » . وتاكيد البلدي على سلامة المرضع من الامراض لاحتمال انتقال مرضها للطفل حقيقة علمية ذكرها أغلب من كتب عن رضاعة الطفل من الاطباء العرب .

في صفة اللبن وكيف ينبغي أن يكون :

قال أبو جعفر[٥٠] : « انه ينبغي أن يكون لبن المرضع للصبي معتدلا لا ثخينا ولا رقيقا ولا كثيرا ولا قليلا .. والفرق بين اللبن المذموم واللبن المحمود أن اللبن المحمود لذيذ الطعم ، أبيض اللون ، طيب الرائحة ، مستوفي القوام متوسط بين الخثورة والرقة . أما من كانت أحواله مضادة لهذه الاحوال فهو لبن رديء مذموم .

---

(٤٨) سياسة الصبيان وتدبيرهم ص : ٧٠ ـ ٧١ .

(٤٩) كتاب تدبير الحبالى ص : ١٨٨ ـ ١٨٩ .

(٥٠) سياسة الصبيان وتدبيرهم ص : ٧٣ ـ ٧٤ .

ويجرب اللبن بأن يؤخذ منه شيء فيصب على الظفر وينظر اليه ، فان كل لاصقا لا يسري علمت أنه فاضل ، وان سال منه مريعا أو بطيئا ، فاعلم أنه رديء لا خير فيه • وينبغي أن تستعمل المرضعة أغذية يسيرة ، وتجعل شربها الماء بقدر كثير لئلا يتجبن اللبن ، فيشتد بلعه على المولود ، وتشرب ماء العسل وشرابا رقيقا ممزوجا ، ولا تكثر من الشراب (الخمر) ، فان الشراب الكثير رديء للمرضعة وللصبي ، والشراب اليسير نافع لهما ، ولا يكون الشراب حلوا جدا ولا عتيقا جدا ، وتتجنب من الاغذية كل مالح أو حريف (ما يلدغ اللسان لحدة طعمه) أو عفص (المرارة التي يعسر معها الابتلاع) ومر وحامض ، وكريه الرائحة ، وتأكل من البقل خاصة الخس فانه عمود الخلط ، وهو يلائم الطفل ، وتأكل اللوز فانه يدر اللبن ومن أضر الاشياء لها وأردأها النعنع • والباذروج (الحبق القرنفلي)[٥١]لافسادهما اللبن وتمنع من الجماع بتة •

وفي امتحان اللبن الجيد والرديء وعلاماتهما يقول البلدي[٥٢] : « وأفضل المرضعات من كان لبنها جيدا وأفضل الالبان ماكان طيب الرائحة والطعم لذيذا أبيض اللون حسن المنظر مستوى القوام وسطا فيما بين الرقيق والغليظ وقد تحمد من اللبن أن يكون اذا حلبت منه وقطرته على الظفر من الابهام أو وجه المرآة ونظرت اليه في الضوء وميلت الظفر أو وجه المرآة لم يسل منه شيء بسرعة ولا ابطاء • فأما اللبن الرديء فما كان منه سخنا متجبنا مائلا الى الجمود والغلظ وكان رقيقا مائيا فهو رديء وكذلك ما كان من اللبن كمد اللون مختلف الاجزاء في قوامه أو لونه واذا ذقته وجدته مرا أو مالحا أو ظهر لك فيه طعم آخر من الطعوم الدائمة الرائحة•فمتى كان اللبن أغلظ مما ينبغي أو كان جامدا أو متجبنا ينبغي أن يستفرغ البدن في الادوية المسهلة للبلغم وتنقيته من الرطوبة وخاصة بالقيء• وأبلغ القيء ما كان بالاسكنبجين[٥٣]والماء الحار والعسل والماء المغلي فيه الشبث[٥٤] والعسل• ومما يرق اللبن الافراط في الحركة والرياضة والمواظبة على الاعمال والتعب بعد الطعام ، وقد يعين على ذلك تلطيف الغذاء والشراب والاسكنبجين بالغدوات ممزوجا بالماء الحار والبارد مزجا كثيرا أو الشراب الرقيق » •

---

(٥١) الباذروج هو الحبق القرنفلي (سياسة الصبيان ص : ١٤٦) •

(٥٢) كتاب تدبير الحبالى ص : ١٦٨ ــ ١٦٩ •

(٥٣) الاسكنبجين هو علك شجر شبيه بالقثاء في شكله ورائحته تقارب الحلتيت (سياسة الصبيان ص : ١٦٢) •

(٥٤) الشبت هو نبت كما الرازيانج (سياسة الصبيان ص : ١٦٦) •

في الوجع الحادث للصبيان في حين خروج الاسنان :

قال أبو جعفر[٥٥] : « انما تنبت الاسنان في الدرجة الثانية كما قال أبقراط ، وانما ذلك لان المولود يحتاج الى غذاء هو أغلظ من اللبن فتنبت الاسنان والصبي من سبعة أشهر ، ومنهم لاكثر من ذلك ، ومنهم من يبدأ انبات أسنانهم من أسفل فيكون ذلك امارة لنباتها من فوق بلا وجع ، فأما الاضراس فقد تنبت العليا والسفلى وكذلك الانياب • قال جالينوس : ان الاسنان اذا نبتت سريعا كان نباتها أيسر وأقل وجعا ، غير أنها تكون رديئة ضعيفة ، واذا نبتت بطيئة كان نباتها شاقا موجعا ، الا أنها تكون قوية شديدة » •

وفي ذكر الوقت الذي تنبت فيه أسنان الصبي وأسنان المولود يقول البلدي[٥٦] « اذا اتت على الصبي تسعة أشهر وربما تنبت لبعضهم في الشهر الخامس أو في العاشر وأسافل الاسنان التي تنبت قبل أعلاها • وهن أيسر خروجا والاضراس كمثل الاسنان التي تنبت عاجلا تكون سيرة والناب مفرقة ضعيفة •

ونبات الاسنان في الشتاء عسرة موجعة وفي الصيف مؤذية تحرك قروحا في اللثة وتهيج القيء والاخلاف والحميات • فاذا بلغ وقت نباتها فينبغي أن يتعهد الصبي بالحميم بالماء الحار وأن يكون طعامه يسيرا •

في السعال العارض للصبيان وعلاجه :

قال أبو جعفر[٥٧] « وقد يعرض للصبيان في الدرجة الاولى من أسنانهم سعال فيؤذيهم ، وانما يهيج ذلك فيهم ، لقرب عهدهم بالدفء في بطون أمهاتهم وخروجهم الى برد الهواء ، ولانه ليس لالسنتهم قوة على سد الحنجرة ، فيهيج السعال لبرد الهواء ووصوله الى حلوقهم وصدورهم • فاذا أردت علاجهم من السعال العارض لهم فينبغي أن لا تقابلهم الادوية القوية جدا • لان أبدانهم لا تقوى على ذلك لضعف في قواها ورخاوة لحمها ، لكن ينبغي لنا أن نعالجهم بالادوية التي تشبه الاغذية وتكون عذبة الطعم لئلا يكرهها الصبي قبل منفعته بها •

---

(٥٥) سياسة الصبيان وتدبيرهم ص : ١٠٦ •

(٥٦) كتاب تدبير الحبالى ص : ٢٠٨ ـ ٢٠٩ •

(٥٧) سياسة الصبيان وتدبيرهم ص : ١١١ ـ ١١٢ •

وقد ذكر جالينوس أن أسرع الادوية نجحا وأقدرها على العلة والالم ما أخذه العليل طوعا دون اكراه ٠ وقال اسحاق : يسقى الصبي اذا كانت به سعلة ، وهو ابن سنة ، وزن نصف درهم من خشخاش ، ونصف درهم كثيراء بيضاء ودرهم من قثاء مقشور ، يذاب هذا في ماء عشر حبات محنطا ، ثم يسقى الصبي ، وقد ألف يحيى لسعال الصبيان دواء جربته أنا :

يؤخذ زبيب منزوع العجم ويغلى في مغرفة جديدة ، واحرز عليه أن يحترق ثم ينزل الزبيب ويحرك حتى يبرد ثم يدق ويؤخذ منه جزء ومن الفانيذ جزء فيخلطان ويدقان جميعا ويطعم منه الصبي غدوة وعشية مثل (الجلوزة) ، ان شاء الله » ٠

وفي ذكر السعال العارض للصبيان يقول البلدي(٥٨) :

« ان أبقراط ذكر السعال في الامراض التي تعرض لهم بعد ولادتهم والى حين ابتداء انبات الاسنان ، وأكثر ما يعرض ذلك في الصبيان لرطوبة تنحدر الى صدورهم اما لكثرة ارضاعهم واما لبرد يلحق رؤوسهم ، وعلاج ذلك يكون بتقليل رضاع الطفل ومداومة حميمه ومرخه وصب الماء الحار على رأسه وصدره وتدبيره وحفظه من الهواء البارد لئلا يلحقه برد ، ويتعمد تليين طبعه واصلاح لبن مرضعته ، وان كان الطفل ممن يسقى شيئا فلا بأس بأن يسقى شراب العسل وشراب البنفسج وأن يذيب له ذلك في اللبن » ٠

في القيء والاختلاف العارض للصبيان :

قال أبو جعفر(٥٩) : « وقد يعرض للصبيان الاختلاف والقيء في الدرجة الاولى من أسنانهم ، وكذلك قال أبقراط ، والسبب في ذلك أن الصبيان ربما رغبوا في كثرة الرضاع لانهم لا يعرفون قدر ما ينفعهم منه فتكثر عليهم لعلة ذلك رطوبة اللبن ، فان طفا ووصل ذلك اللبن في معدته هيج ذلك قيئا ، واذا انحدر الى الامعاء هيج انطلاقا ٠ فينبغي اذا عرض للصبي قيء أن يسقى من شراب الرمان المتخذ بالنعنع ويسقى من شراب المبية على قدر احتماله ، ويؤخذ نعنع يابس فيدق وينخل وثم يعجن بدهن ورد ويطلى منه فم الصبي ومنخراه ، فانه يقطع القيء ٠ وتضمد معدته ببعض الضمادات المفرجة العطرية ، فان كان بالصبي مع القيء اختلاف ، فيسقى من رب الريباس

---

(٥٨) كتاب تدبير الحبالى ص : ٢٨٨ ـ ٢٨٩ ٠

(٥٩) سياسة الصبيان وتدبيرهم ص : ١١٧ ـ ١١٨ ٠

أو رب التفاح أو رب السفرجل أو رب الحصرم ، يسقى منه على قدر احتماله فرادي • أو يجعل مع ذلك مسك أو رامك أو طباشير ومصطكي ، ويسقى من أقراص الورد وأقراص الطباشير المعمولة ببذر الحماض وما يشبه ذلك ، فان كان به اسهال من غير قيء ، فينبغي أن تحسن طبيعته من خـارج ببعض الضمادات الحابسة للجوف : مثل أن يؤخذ الكمون فيدق ويذر على صوفة ويلزم البطن والانيسون وبزر الكرفس وشبث اذا خلط مع بذر الورد أو ما أشبه ذلك من الاشياء المجففة تنفع منه » •

ويضيف أبو جعفر سفوفا وأقراصا وضمادات ألفها للغشي والقيء نافعة للصبيان سريعة النجح •

وفي القيء العارض للصبيان ومداواته يقول البلدي[٦٠] :

« القيء من الامراض التي ذكر أبقراط أنها تعرض للاطفال فيما بين الولادة ونبات الاسنان وانما يعرض لهم ذلك اما لكثرة ما يتناولونه من اللبن ويزدردونه ، واما لرداءة اللبن وفساده في نفسه أو لضعف معدهم • واذا كان هذا سبب القيء في الصبيان فينبغي أن يقلل رضاعهم ويؤخر عن أوقاته ويكون ما يرضعونه دفعتين أو ثلاثة بالنهار والليلة • وتصلح ألبانهم وأغذيتهم وتقوى معدهم ويداوم حميمهم بالماء الحار عند خلو معدهم من اللبن • ويحملون على الايدي ويطاف بهم وان يطعموا شيئا من الورد المربى أو يضاف لهم في اللبن ويسقوه فانه نافع لهم • وكذلك ان أضيف لهم في اللبن شيء من الاينسون أو بزر الرازيانج[٦١] والمصطكي[٦٢] نفعهم • وقد ينفعهم أن تدلك وتمرخ عند خلوها وتدهن بدهن الناردين ودهن البان مع شيء من زعفران وشراب عتيق » •

وبالمقارنة نجد أن النص النظري عند أبي جعفر والبلدي مأخوذ عن أبقراط،وبعض المداواة ناشئة عن تجارب خاصة بكل منهما مع تشابه واضح في بعض الوصفات المعطاة •

في الحيات والدود التي تتولد في أمعاء الصبيان :

قال أبو جعفر[٦٣] : « ان الحيات والدود انما تتولد مع عفونة وليس تقع

---

(٦٠) كتاب تدبير الحبالى ص : ٢٩٣ •

(٦١) الرازيانج هو المسمى بالبسباس والشمرة (سياسة الصبيان وتدبيرهم ص : ١٥٧)•

(٦٢) المصطكي ويسمى العلك الرومي (سياسة الصبيان وتدبيرهم ص : ١٨٤) •

(٦٣) سياسة الصبيان وتدبيرهم ص : ١٢٤ ــ ١٢٥ •

العفونة وحدها في تولد هذه الحيوانات لكنها تحتاج أن تكون حرارة كثيرة ٠ وقد يفسد الغذاء كثيرا في المعدة والامعاء في الصبيان ، الا أن الحرارة في الصبي الصغير جدا ليس تقوى بعد أن تستحوذ على تلك المادة ٠ وأما من كان من الصبيان في الدرجة الثالثة من أسنانهم ففي بدنه من المادة التي يمكن أن تولد هذا الحيوان وفيها معها الحرارة التي تقوم على طبيخ تلك المادة حتى يعمل ذلك الحيوان ٠

ينبغي لنا أن نعرف أن الدود العريض الذي مثل دود الخل ، يتولد خاصة في أسفل المعاء الغليظة ، والذي يتولد في البطن ، المستدير الذي يعرف بالحيات ، أكثر ما يتولد في المعاء حتى انه ربما صعد الى المعدة ٠ وتولد هذا الجنس في الصبيان أكثر كثيرا من تولد الدود ٠ وينبغي اذا أردنا علاجهم من هذه الحيات أن تبدأ فنخرجها من البدن ، وانما يمكننا ذلك بعد أن نقتلها بالادوية المرة ، وذلك أنها ما دامت حية تشبثت بالامعاء فاذا ماتت خرجت مع البراز ٠ وقد تخرج أيضا مع البراز اذا سكنت فصارت في حال تكون فيها شبيهة بالميتة » ٠

وفي ضروب الدود والحيات التي تتولد في أمعاء الصبيان وعلاج ذلك يقول البلدي(٦٤) :

« ان ابقراط ذكر تولد الحيات والدود في الامراض التي تعرض للاطفال ما بين نبات الاسنان والانياب وبين القرب من نبات الشعر في العانة ٠

وقال جالينوس أما الحيات والدود فتولدها سببه بتولد سائر الحيوان الذي ليس تولده من بذر لكن من عفونة وليس تكفي العفونة وحدها في توليد هذا الحيوان لكنها تحتاج الى أن تكون معها حرارة كثيرة وقد تفسد الغذاء في المعدة والامعاء في الصبيان لان الحرارة في الصغير جدا ليس يقوى بعد أن يستحوذ على المادة وأما صاحب هذه السن ففي بدنه المادة التي يمكن معها تولد هذا الحيوان ٠ والدود وفيه معها الحرارة التي تقوى على تلك ٠ والدود هو حيوان دقيق يتولد خاصة في أسفل الامعاء الغليظة ٠ والمعروف بالحيات يتولد في أعلى الامعاء حتى انه ربما صعد الى المعدة وتولد هذا الجنس في الصبيان أكثر كثيرا من تولد الدود ٠

فأما الجنس الثالث من الحيوان المتولد في البطن وهو العريض الذي يكون كحب القرع فقليل ما يتولد في الصبيان وهذا الجنس أطولها وكثيرا ما تلبد في الامعاء كلها ٠

---

(٦٤) تدبير الحبالى ص : ٣٠٣ ـ ٣٠٥ ٠

ويضيف البـــلدي العلامـــات والعوارض التي تصيب الصبيـــان وطرق معالجتهم من أصناف الدود الثلاثة • سواء ما يؤخذ مضغا عن طريق الفم أو الدهون على الجسد •

الصبيان وعلم التربية (البيوغرافيا) :

قال أبو جعفر[٦٥] : « الصغير أسلس قيادة وأحسن مواتاة وقبولا ، وقد قال أبو مراس (أبو أراس) : (ان أكثر الناس انما أوتوا في سوء مذاهبهم من عادات الصبا اذا لم يتقدمهم تأديب واصلاح أخلاقهم وحسن سياستهم) • فلذلك أمرنا نحن أن يؤدب الصبيان وهم صغار • فمن عود ابنه الادب والافعال الحميدة والمذاهب الجميلة في الصغر حاز بذلك الفضيلة ونال المحبة والكرامة وبلغ غاية السعادة • ومن ترك ذلك وتخلى عن العناية به أداه ذلك الى عظيم النقص والخساسة •

وانا قد نرى من الناس من يعلم أن مذاهبه رديئة ولا يخفى عليه الطريق المحمود ويعسر عليه النزوع اليه لتقدم العادة المعتادة فيهم • وانما أصل العادة أن الانسان الى العادة أميل وعليها أحرص وبها أشد تمسكا • فان رايته جيدا فيه طبيعة جيدة وعاداته صالحة فانه لا تفارقه الخصال المحمودة الشريفة ، لانه طبع عليها من جهتين قويتين ، كما أن ذلك لا تفارقه الخصال المذمومة الدنيئة لانه طبع عليها من هاتين الجهتين ، أعني العادة والطبيعة ، مع أن بعض الحكماء قال : (العادة طبيعة ثانية) • وان المدح والذم يبلغان منه عند الاحسان أو الاساءة ما لا تبلغه العقوبة من غيره • فان كان الصبي قليل الحياء مستخفا للكرامة قليل الالفة محبا للكذب ، عسر تأديبا ، ولا بد لمن كان ذلك من ارغاب وتخويف عند الاساءة ثم يحقق ذلك بالضرب اذا لم ينجح التخويف •

وينبغي أن يتفقد الصبي في كلامه وقعوده بين الناس وحركته ونومه وقيامه ومطعمه ومشربه » •

وفي تدبير الصبيان عند قبولهم التعليم ومراعاة أمزجتهم وذكر الضرر الداخل عليهم من شراب الخمر • وفي اصلاح أخلاقهم ، يعقد البلدي عشرة أبواب امتزجت فيها التربية الخلقية بالجسدية بالنفسية مراعيا فيها من الصبيان ومزاجهم ومشاربهم عائدا ببعض الظواهر النفسية الى عوارض جسدية ينبغي التدقيق في أصولها ومنابعها • فملاجه وان اهتم بالظواهر فهو يسعى لاستكشاف في أصل العلة وجرثومتها • ويعطي للمربين دورا هاما في تقدير امكانية وقدرات

---

(٦٥) سياسة الصبيان وتدبيرهم ص : ١٣٤ ـ ١٣٨ •

وقابليات طفلهم وما يصلح له جسديا وعلميا ، اتفاقا مع أحدث نظريات التربية العلمية العملية ٠

يقول البلدي[٦٦] : « وراحة النفس من الاشياء العظيمة النفع الموافقة في حسن الحال للبدن ، فاذا أتت على الصبي اثنتا عشرة سنة فينبغي أن يندفع في ذلك الوقت الى معلمي النحو ومعلمي الهندسة والحساب ويروض نفسه وبدنه رياضة اضطرارية ٠ ومنذ انقضاء أربع عشرة سنة والى تمام احدى وعشرين سنة فان كان قصدك في الصبي أن تبلغ به الغاية القصوى من خصب البدن لان تقديرك فيه أن يكون جنديا أو صانعا لبعض ما يحتاج الى قوة وشدة الاعضاء فان عنايتك بفضائل نفسه التي تقوده الى علم من العلوم أو حكمة من الحكم تكون حينئذ مقصرة فان هذه السن هي السن التي تجب فيه استيفاء أمر الاخلاق ٠ وان كانت عنايتك بأمر بدن الصبي أقل وانما قصدك فيها أن تشتد أعضاؤه وتقوى ويكون بدنه صحيحا وكانت عنايتك وحرصك على جمال نفسه وتزيين النفس الناطقة ٠ فان الذي يحتاج اليه من التدبير في هذا الصبي ليس ما هو يحتاج اليه في ذلك الذي ذكر قبله ٠

وها هنا أيضا أنواع أخر ما يتصرف الناس من أصناف التصرف بجميع الصناعات التي ان رمنا تقديرها واحدا واحدا طال ٠ مما في بعضها رياضة كالفلاحة والتجارة وغيرها من سائر الاعمال والصنائع المشابهة لها ٠ وبعضها لا رياضة فيها فقد يجب على المتولي لتدبير الصبيان أن يستعمل في تدبير كل واحد من هؤلاء بحسب ما يكون من تقديره فيه مما يؤول الى حاله في تصرفه وما يراد له ، وأن يسلك في ذلك المسلك مع ما يقصده من تدبيره وحفظه لصحته » وعلينا أن نستذكر أن البلدي ركز على التعزيز بشقيه السلبي والايجابي لحسن سياسة الصبيان وتدبيرهم ٠

خاتمـــة :

وأهميـــة الكتابين ثاويـــة في أقسامهما التشخيصية العلاجية والتجريبية السريرية (الاكلينيكية) والنفسية والتربوية (البدغواجية) ، وريادتهما العلمية تحفزنا للاعتزاز بانجازات أمتنا العربية الاسلامية الحضارية ولنستشرف بعدها مستقبلا أكثر اشراقا لانساننا العربي وحريته ولتواصلنا بالحضارات الانسانية الابداعية المعاصرة ٠

---

(٦٦) تدبير الحبالى ص : ٢٢٠ ــ ٢٢٢١ ٠

المصادر والمراجع

١ ـ ابن ابي أصيبعة :
عيون الانباء في طبقات الاطباء • دار الحياة للنشر ـ بيروت ١٩٦٥ م •

٢ ـ ابن جلجـــل :
طبقات الاطبـاء والحكماء ـ مطبعة المعهـد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ـ القاهرة ١٩٥٥ م •

٣ ـ احمد بن الجزار القيرواني :
سياسة الصبيان وتدبيرهم ـ الدار التونسية للنشر ـ ١٩٦٨ م •

٤ ـ احمد بن محمد البلدي :
كتاب تدبير الحبالى والاطفال وحفظ صحتهم ومداواة الامراض العارضة لهم • دار الرشيد للنشر ـ بغداد ١٩٨٠ م •

٥ ـ اسماعيل باشا البغدادي :
هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين) • مكتبة المثنى طبعة بالاوفست عن طبعة استانبول ١٩٥٦ م •

٦ ـ تقي الدين احمد بن علي المقريزي :
اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا • دار التحرير للطبع والنشر • القاهرة ١٩٦٧ م •

٧ ـ حسن حسني عبد الوهاب :
فهرس مخطوط مكتبة ح• ح• عبد الوهاب • حوليات الجامعة التونسية ـ العدد السابع سنة ١٩٧٠م ـ المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ـ تونس •

٨ ـ خير الدين الزركلي :
الاعلام • دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٦٩ م •

٩ ـ سلمان قطـــاية :
احمد بن ابراهيم الجزار القيرواني ومؤلفاته • مجلة المورد العراقية ، المجلد التاسع • العدد الاول دار الجاحظ ـ بغداد ١٩٨٠ م •

١٠ـ شاذلي بو يحيى :
حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها • حوليات الجامعة التونسية ـ العدد الثاني ١٩٦٥ م ـ المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ـ تونس •

١١ـ عمـر فـروخ :
تاريخ الفكر العربي الى أيام ابن خلدون • دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٦٦ م •

١٢ـ تونس العربية الاسلامية :
شركة سيزامس للنشر ـ تونس ـ بدون تاريخ •

وظيفة العين عند الاطباء العرب

الدكتورة امل زاعور
كلية الطب ـ جامعة دمشق

لقد كتب الاساتذة الالمان في مطلع هذا القرن كتابا بدأوه في نهاية القرن الماضي في طب العيون . وقد كان هذا الكتاب عملا موسوعيا ضخما تناول العلوم الاساسية في طب العين كالتشريح وعلم الغرائز وعلم النسج وأدوية العين .. الخ ، كما تناول السريريات العينية وقد عرف هذا الكتاب باسم الاستاذين الكبيرين الذي يعود اليهما الفضل في اخراج هذه الفكرة الى حيز الوجود وهما «خريفة» و «سيه مش» وقد كان من جملة مؤلفي هذا الكتاب أستاذ جليل كان رئيسا للشعبة العينية في برلين وقد اشتهر بنشاطه العلمي في كثير من الحقول كما اشتهر بمعرفته للغات القديمة منها والحديثة (كالاغريقية واللاتينية) كما كان أستاذا شهد له الجميع بدقة الملاحظة والتأني اضافة الى ذلك ، فقد كان مؤرخا محققا لا تفوته ملاحظة الامور الصعبة في حقل تاريخ الطـــب .

وقد كان من نصيب « هيرش بيرغ » أنه طلب اليه أن يكتب الجزء المتعلق بتاريخ طب العيون في هذه الموسوعة الضخمة .

وقد بدأ الاستاذ « هيرش بيرغ » عمله بأن درس طب العيون عند قدماء المصريين وعند سكان بلاد ما بين النهرين القدماء . وقد استنتج من ذلك استنتاجات عظيمة على الرغم من قلة الوسائل المتوافرة آنذاك .

ثم انتقل بعد ذلك الى كتابه تاريخ طب العيون عند قدماء الاغريق والرومان والبيزنطيين وبعدئذ انتقل الى دراسة تاريخ طب العيون عند العرب ولقد دهش هذا الاستاذ بضخامة المادةالمكتوبة في حقل كتب التدريس الطبية في مجال الكحل (طب العيون عند العرب) كما دهش بالمستوى الرفيع الذي بلغه الطب العربي في هذا المجال الاختصاصي .

وقد مكنته معرفته للغاتوحسه منحيثهو مؤرخموهوب من تمييز كثير منالحقائق وساعده على ذلك اشتراك بعض كبار المستشرقين الالمان الذين أتقنوا اللغة العربية والذين ترجموا له كتب الطب العربية من لغتها الاصلية الى اللغـة

الالمانية فتتعرف على كثير من الكتب الموضوعة باللغة اللاتينية التي لم يذكر في متنها انها ترجمات لكتب عربية ٠

ونعني بهؤلاء المستشرقين الانشائيين « ليبرت » و « متينوخ » ٠

وقد قام هؤلاء الاساتذة الكبار بنقل الجزء المتعلق بأمراض العين من كتاب القانون الى اللغة الالمانية ٠ كما قاموا بترجمة أربعة كتب أخرى هامة هي تذكرة الكحالين لعلي بن عيسى (سنة ٤٠٠ هـ) والمنتخب في علاج أمراض العين لعمار بن علي الموصلي (سنة ٤٠٠ هـ) ٠ والكافي في الكحل لخليفة ابن أبي المحاسن الحلبي (القرن الثالث عشر الميلادي ، السابع الهجري) ٠

وكتاب نور العيون وجامع الفنون لصلاح الدين بن يوسف الحكال الحموي (القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي) ٠

واضافة الى هذه الاعمال الضخمة التي قام بها « هيرش بيرغ » وزملاؤه فقد كتب فصولا حول علم البصريات ووظائف العين عند أطباء العيون العرب ٠

وفي الربع الاول من هذا القرن ظهر باحث آخر هو الدكتور « ماير هوف » طبيب العيـــون الالماني اليهودي Meyerhof الذي مارس المهنـة في هامبورغ والقاهرة والذي كان له يد بيضاء على تاريخ الطب العربي بعامة وعلى تاريخ طب العيون بخاصة ٠

ولقد أتيح له من الكتب ما لم يتح لسلفه « هيرش بيرغ » فلقد عثر على كتابين لحنين بن اسحق (القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي) ، وهما :

١ ــ المقالات العشر في العين ٠

٢ ــ المسائل من العين ٠

كما قام بأعمال جليلة أخرى لا يتسع المجال هنا لذكرها وقد كتب « ماير هوف» أيضا أيضا مقالة في البصريات عند العرب ولاحظ ملاحظة فاتت «هيرش بيرغ» الذي يعترف له الجميع بالتأني والدقة الفائقة ٠ وهذه الملاحظة هي أحد موضوعات بحثنا هذا ونستميحكم عذرا اذا أطلنا في هذه المقدمة التي تبدو ضرورية لغير المطلعين على ما كتب باللغة الالمانية في موضوع تاريخ طب العيون العربي ٠

لقد كتب الرازي الذي عاش في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري)

كتبا كثيرة في الطب أرجو أن تسمحوا لنا بذكر بعضها مما يتعلق بوظيفة العـين :

١ ـ كتاب في معرفة تطريف الاجفان ·

٢ ـ كتاب في العلة التي من أجلها تضيق النواظر في النور وتتسع في الظلمة ·

٣ ـ كتاب في كيفيات الابصار ·

وتعلمون أن البيروني (الذي عاش بعد الرازي بقرن واحد) كتب قائمة بأسماء الكتب التي ألفها الرازي ·

وأنه أرسـل محاورا ابن سينا في أمور كثيرة تخص الرازي ولقد ذكر البيروني هذه الكتب وقد أوردنا أسماء هذه الكتب الثلاثة التي تهمنا في كتاب الفهرست لابن النديم ·

وقد ذكر أيضا ابن أبي أصيبعة الذي عاش في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ·

ونحن لا نعرف الا أسماء هذه الكتب ونجهل محتواها · الا أن ابن أبي أصيبعة كتب جملة هامة حينما ذكر (كتاب كيفيات الابصار) هذه الجملة تعني أن الابصار لا يكون بشعاع يخرج من العين وهذا يعني أن ابن أبي أصيبعة قرأ في هذا الكتاب ما معناه أن الرازي يعارض نظرية الشعاع التي قال بها بعض الاغريق · ودليلنا على ذلك أن أبي أصيبعة يذكر مباشرة أن الرازي في هذا الكتاب ينقض أقوالا لاقليدس ·

والمعروف أن اقليدس هو أحد أبرز أصحاب نظرية الشعاع الاغريق · وهذه النظرية كانت تقول : ان الابصار يتم بخروج الروح الباصر من الدماغ عبر العصب النوري (العصب البصري الآن) هذا العصب الذي يحتوي في داخله على قناة لذلك سموه العصبة الجوفاء وان هذا الروح الباصر يخرج من العين فيلاقي الجسم المبصر ثم يعود الى العين وينطبع الاحساس على الجسم البللوري الذي كان الاغريق يدعونه بالجليدية ، والرازي اذا ليعارض القائلين بنظرية الشعاع ·

ولقد مرت مدة من الزمن اعتقد الناس فيها أن ابن الهيثم (القرن الحادي عشر الميلادي) الخامس الهجري · هو أول العرب الذين نقضوا نظرية اقليدس ·

ثم تبين أن ابن سينا في كتاب القانون كان واضحا في معارضته لنظرية الشعاع .

ألا نرى هنا أن ابن سينا تأثر بالرازي .

اننا نستطيع هنا أن نقول : ان ابن سينا قد تأثر بالرازي كما نستطيع أن نقول : ان الرازي عني بوظيفة العين بدليل عناوين كتبه الثلاثة التي أشرنا اليها . والتي تحدثنا عن واحد منها أتيح لنا أن نطلع على وصف الاقدمين لبعض الافكار التي جاءت فيه فهل تتاح لنا قراءة جميع الافكار التي وردت في هذه الكتب والتي تتعلق بغرائز العين .

ان هذه الكتب الثلاثة ما تزال مفقودة مع الاسف والذي يحزننا كثيرا أن الاب بولس سباط قد رأى هذه الكتب في مكتبة خاصة في حلب في مطلع هذا القرن ونشر ذلك في كتابه الشهير (دليل مكتبات حلب الخاصة) .

ولكن أين هذه الكتب ؟ بل أين هذه المكتبات ؟ اننا نأمل أن يكون تجار المخطوطات العربية قد باعوا هذه الكتب الى أيد تقدر قيمتها لا الى أيد عدة أو جاهلة .

واذا كنا في مجال الحديث عن الرازي العظيم فانه ينبغي علينا أن نذكر له يدا بيضاء أخرى وهي معرفته لدلالة التفاعل الحدقي تجاه النور .

لقد عرف الاغريق ناقلين عن السريان والهنود عملية قدح الساد ولكنهم لم يميزوا بين الساد الذي اذا قدح نجحت العملية الجراحية وبين الساد الآخر الذي اذا قدح لم تنجح العملية الجراحية به . ولكن الرازي ومن بعده جميع أطباء العيون العرب اكتشفوا الفرق بين هذين النوعين من الساد . فالساد هو تكثف في بلورة العين يغلق الحدقة بأن يجعل الوسط الشفاف خلف الحدقة غير شفاف فاذا أزيلت البلورة افترض أن يعود الابصار الى العين ولكن بعض الحالات كان يزال فيها الساد وتظل العين عاجزة عن الابصار وقد عجز الاغريق عن معرفة أي العيون يمكن أن ينجح فيها العمل الجراحي وأي العيون يكون العمل الجراحي فيها محكوما عليه بالاخفاق .

وقد عرف العرب ذلك فالعين التي تحتفظ برؤيتها للنور وتعرف مصدره هي عين اذا قدحت تبرأ والعين التي تتفاعل حدقتها بالضياء فتضيق في النور وتتسع في الظلمة هي عين اذا قدحت تبرأ والعين التي لا تتمتع بهذه الصفة هي عين محكوم عليها بالعمى وعلى ذلك فان العرب ميزوا سلفا بين الاعـين

التي يجوز لهم أن يجروا لها عملا جراحيا وبين الاعين السيئة الحظ المحكوم عليها من قبل بالنهاية المظلمة ٠

ملاحظة :

رسالة البيروني في الكتب التي ألفها الرازي ٠

نشرها « روشكا » Ruska وترجمها « كروس » Kraus الى الالمانية ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وآله

وصف الظفرة في المصادر العربية

د. صلاح محمود غانم

كلية الطب ـ جامعة دمشق

السيد الرئيس .. السادة المؤتمرون ..

يحلو لكل باحث في تاريخ الطب أن يقف متمعنا في المرحلة الزمنية التي وصل فيها الطب الى أيدي العرب ، فأعملوا فيه تطويرا وتحسينا كبيرين ، نظرا لما يجد من شغف وهو يتلقى الاشراقات الطبية المضيئة ، ولما ينتابه من اهتمام وهو يطلع على الكنوز الطبية العلمية منها والعملية ، والتي ان طبق أكثرها ـ بعد التأكد منه في عالم الطب المعاصر ، لاحدث ثورات هائلة كفيلة بنقل الطب المعاصر الى مراحل جديدة سامية .

وانه لمن دواعي سعادتي واعتزازي أن أنال شرف المشاركة في هذا المؤتمر ، والمساهمة في تبادل الافكار ، والاطلاع على بعض الجوانب المشرقة من تاريخنا الطبي الثر . متمنيا للمؤتمر النجاح وتحقيق الغايات التي عقد من أجلها .

ايها السادة ،

لا جرم أن هناك ارتباطا وثيقا بين العلم والحضارة ، وبين العلم والسياسة . أقول ذلك لان موضوع بحثي يتعلق بأكثر من فترة زمنية في العصر العباسي ، شهد الطب خلالها قفزاته التي سمت به وشع ضوؤها حتى وصل الى عالمنا الراهن والتي ساهمت فيها الحضارة والسياسة بقسط وافر .

ويدور البحث حول مرض من أمراض الملتحمة ، وأعني به الظفرة ، وكيف تطورت النظرة اليها والى علاجها ، بدءا من القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي ، وحتى القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي ، أو من عصر

ابن اسحاق حتى عصر ابن سينا • ولقد شاركني في اعداد هذا البحث أخي الدكتور مؤنس محمود غانم من كلية الطب ـ جامعة دمشق •

« تطور الظفرة من ابن اسحق الى ابن سينا »

يقسم الطب في العصر العباسي الى قسمين رئيسين •• طب الائمة من آل محمد عليهم السلام ، والطب الذي استلمه العرب من غيرهم من الامم الاغريق والفرس خاصة فترجموه الى لغتهم العربية في مرحلة خاصة تسمى مرحلة النقل والترجمة ، امتدت بين عامي خمسين وسبعمائة وخمسين وتسعمائة ، وكان أبرز المترجمين فيها حنين بن اسحق ، ثم صاغوا الطب صياغة عربية ، ثم طوروه وزادوا عليه ، ووسموه بسمة العروبة والاسلام ، حتى غدا طبا عربيا صرفا يشار اليه بالبنان •

وستكون الظفرة المثال الذي نضربه لتطور الطب العربي في العصر العباسي من خلال استعراض لما كتبه عنها مشاهير الاطباء في فترة الدراسة وذلك من خلال كتبهم المحققة •

الظفرة : حالة تنكسية في النسج تحت الملتحمة تمتد الى القرنية بشكل نسيج حبيبي ذي أوعية وتأخذ شكلا مثلثيا ذروته نحو مركز القرنية تقع أنسي العين غالبا Pterygium •

حنين بن اسحق : من أعلام القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي في كتابه المقالات العشر في العين :

يقول حنين : « وأما الظفرة ، فهي زيادة من الملتحم عصبية ، وأول نباتها من المآق الاكبر ، ثم تبسط الى سواد وسط العين ، حتى اذا عظمت غطت الناظر ، ومنعت البصر ، ويقال لها « بتاريجون » ، وربما كان في العين منها اثنتان وثلاث وأربع » •

ابو بكر الرازي : من أعلام القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي في كتابه الحاوي الكبير :

الظفرة زيادة في الملتحم ، يبدأ نباتها على الاكثر في المآق الاكبر ، وربما امتدت على الملتحم كله حتى تبلغ القرني وتغطي الناظر • **قال جالينوس : الظفرة** منها صلب ومنها لين ، ومنها صفراء ، ومنها حمراء ، فما كان منها رخوة بيضاء فلتقطع بالحديد ، وما كان منها صلبة قاسية فلا تعرض لقطعها ، وما قطع منها فقطر في العين كمونا • ممضوغا مع الملح ، وضمدها بمح البيض ودهن ورد بقطن جديد يومين أو ثلاثة ، وليكثر فتحها ، ويقلبها صاحبها كثيرا

لئلا تلزق بالجفن ، ثم اكحلها بعد ثلاثة أيام بالباسليقون (كحل صنعه أبقراط معناه جالب السعادة) والاشياف الاخضر (مادته المفردات الصالحة للاكحال تحضر معا وتوضع على العين محكوكة بعد أن تجفف في الظل) والروشنائي (معناه جالب قوة البصر) ، ونحوه من الاكحال الحادة ، ليقطع أصلها ولا تعود .

من جامع الكحالين قال ابن الطلاووس : قطر للظفرة لبن امرأة مع كندر ، فان حزقت الضربة من الملتحم شيئا فامضغ كمونا وملحا ، واجعله في خرقة كتان واعصره فيها ، فان بقي أثر الدم غليظا فاطرح فيه الزرنيخ الاحمر مسحوقا في الماء ، ثم فتره حتى ينحل فيه ، وخذ ما صفا فقطره في العين .

من المقالة الرابعة عشرة من حلية البرء لجالينوس : قال : الظفرة ما دامت صغيرة تقطعها الادوية التي تجلو بمنزلة أدوية الجرب ، واذا صلبت وعظمت تعالج بالحديد ، للظفرة قلقنت ونوشادر يتخذ أشيافا ويكحل به فانه عجيب .

فليفريوس قال : اذا كانت الظفرة حمراء قريبة من العين أو خضراء ، فكمد العين بماء الملح ، ويستعمل دقيق الباقلي والافستين والزوفا والفوتنج ونحوها ، وقشور الفجل والزبيب بلا عجم ، وأما المزمنة السوداء فيصلح لها الخردل وضعفه لحم التين يضمد به .

بولس قال : وللظفرة غير المزمنة يؤخذ قلقديس (ملح كبريتي) وملح أندراني (ملح معدني) جزءان ، صمغ نصف جزء ، يتخذ شيافا بماء الاشق ويكحل به .

لي : شياف للظفرة اذا كان قد سكن وجعها وبقي أثرها : زرنيخ أصفر جزء ، أنزروت (صمغ شجرة بالهند) نصف جزء ، حجر الفلفل نصف جزء يعمل شيافا ويقطر في العين بماء الكزبرة .

علي بن عيسى : من أعلام القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي في كتابه تذكرة الكحالين :

وأما الظفرة : فهي زيادة عصبية في الصفاق الملتحم ينبت من المآق الاكبر ، وتبسط قليلا قليلا الى الحجاب القرني ، وربما تنبت من المآق الاصغر ، وربما تنبت من المآقين جميعا ، وهي ضارة بالعين لانها تمنعها من حركتها ، وربما انبسطت على الملتحم وحده ، وما كان منها رقيقا أبيض كانت سهلة البرء ، وما كان منها صلبا أحمر كانت بطيئة البرء .

المعالجة : ان كانت الظفرة في ابتدائها رقيقة فعالجها بالادوية الحادة التي تجلو مثل النحاس المحرق والنوشادر والقلقديس (ملح كبريتي) والملح أندراني

ومرارة الماعز ، وذكر جالينوس أن أصل السوس نافع لها ، ومما ينفع أيضا الظفرة واللحم الزائد : شياف قيصر ، وصفته : يؤخذ شاذنج (ضرب من الطين) مغسول اثني عشر درهما ، صمغ عربي ونحاس محرق من كل واحد ستة دراهم ، قلقطار محرق وزنجار من كل واحد درهمين ، تدق وتعجن بشراب أو بماء الرازيانج والباسليقون الكبير نافع ، وأنفع من هذه كلها الروشنائي ٠

صفة الروشنائي : يؤخذ شاذنج (ضرب من الطين) مغسول ، ونحاس محرق واقليميا الفضة ، وملح هندي ، وبورق أرمني ، وزنجار ودار فلفل من كل واحد أربعة دراهم ، فلفل أبيض وأسود وزبد البحر من كل واحد وزن خمسة دراهم ، صبر اسقوطري وسنبل الطيب وقرنفل من كل واحد أربعة دراهم ونصف ، وزنجبيل وليلج من كل واحد وزن درهمين ، زعفران (نبات يشبه زهر الباذنجان) ، نوشادر من كل واحد وزن نصف درهم ، دار صيني درهمين ، بليلة درهمين ، جملة الادوية سبعة عشر تدق وتنخل وتطحن ٠ ومما يذكر أنه قد جرب فوجد نافعا أن يؤخذ دهن لب حب القطن ، ويؤخذ خزف الغضار فيقشر عنه الغضار ويدق الباقي ، وتخلط بالدهن وتدلك به الظفرة في النهار دفعات فانها تذوب وتغني عن العلاج بالحديد ، ويجب أن يستعمل الدواء بعد دخول الحمام ليلين ، فان كانت قد كبرت وصلبت ومضى لها زمان فعالجها بالحديد ، وهو أن تأمر العليل باستفراغ البدن على العادة التي جرت ، ثم ينوم العليل ، وتأمر انسانا يفتح الجفنين ثم تعلقها في وسطها بصنارة وتمدها الى فوق ، فان أردت أن تردفها بصنارة ثانية وثالثة فافعل ، فان كانت غير ملتصقة التصاقا شديدا انجذبت الى فوق بسهولة ولم تتعب وقت سلخها ، فيجب أن تدخل تحتها المهت أو ريشة وتسلخها ، وان كانت ملتصقة شديدا فاقطع من جانبها برأس المقراض موضعا ليكون مدخلا للآلة التي تسلخ بها ، وادخل تحتها المهت واسلخها عن الملتحم برفق ، والريشة أسلم ولا يقصر ، وارفق بالغشاء القرني ان كانت عليه الى أن تحصل في المآق ، فاذا حصلت عند المآق الاكبر فاقطعها بالمقراض ، ولا تدع من الظفرة شيئا لانها ان بقي منها بقية عادت ثانية ، واحذر أن تستعصي على اللحمة التي في المآق فيعرض منها الرشح بل تقطع الظفرة فقط ، ويكون نبتدي بالقطع من ناحية المآق الاكبر بأن تدع المقراض على الانف ولا يقطع من مايل المآق والاصغر ٠

والفرق بين الظفرة واللحمة التي في المآق : ان الظفرة بيضاء صلبة عصبية ، واللحمة الحمراء لينة لحمية ، ثم تقطر في العين ماء الملح والكمون المضوغ وتشد عليها صفرة البيض مع دهن ورد ، ولا تكثر من الدهن فانه يرخي ، وتأمر العليل أن يكثر من تحريك العين وهي مشدودة لئلا يعرض التصاق ، فاذا كان من غد فحلها وقطر فيها ماء الملح والكمون ثانية ، فاذا جاز اليوم الثالث عالجت بسائر الادوية الحادة مع باسليقون والروشنائي وغيره ، فان عرض

ورم حاد استعملت ما يسكنه ، ويجب أن تعلم ان الظفرة ربما استمسكت بصفاق العين ، فاذا جذبتها انجذب الصفاق معها ، وان كان قطع كان منه خوف ، فالواجب أن لا تقطعه بل تقشط ما انقشط مما ليس بملتصق بالحجاب ، ثم تعالج الباقي بالادوية الحادة لتنقيته ، وتحتاج الى أن تعلم ان الغشاء الملتحم جسم صلب غضروفي لا تعلق به صنارة ، فان تعلقت الصنارة في لقط السبل ، أو قشط الظفرة بشيء لين فانه من المرض لا من الغشاء فاعلم ذلك ٠

ابن سينا : من أعلام القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي في كتابه : القانون في الطب :

الظفرة هي زيادة من الملتحم أو من الحجاب المحيط بالعين ، يبتدىء في اكثر الامر من الموق ويجري دائما على الملتحمة ، وربما غشت القرنية ونفذت عليها حتى تغطي الثقبة ، ومنها ما هو أصلب ، ومنها ما هو ألين ، وقد يكون أصفر اللون ، وقد يكون أحمر اللون ، وقد يكون كمد اللون ، ومن الظفرة ما مجاوراته للملتحمة مجاورة ملتزق ، وهو ينكشط بسرعة وبادنى تعليق ، ومنه ما مجاورته مجاورة اتحاد ، ويحتاج الى سلخ حسبما تعلم أنت ذلك ٠

المعالجات : أفضل علاجه الكشط بالحديد ، وخصوصا لما لان منه ، وأما الصلب فان كاشطه اذا لم يرفق أدى الى ضرر ويجب ان يشال بالصنارات ، فان تعلق سهل قرضه ، وان امتنع سلخ بشعره أو ابريشم ينفذ تحته بابرة أو بأصل ريشة لطيفة ، وانما يحتاج الى ذلك في موضع أو موضعين ، فان لم يغن احتيج الى سلخ لطيف بحديد غير حاد ، ويجب أن تستأصل ما أمكن من غير تعرض للحمة الموق فيعرض الدمعة (الرطوبة الدائمة في العين) واللون ويفرق بينهما ، واذا قطعت الظفرة فقطر في العين كمونا ممضوغا بملح ، ثم يتلافى لذعه بصفرة البيض ودهن الورد والبنفسج ، واذا لم يستعمل تقطير الكمون الممضوغ بالملح التزقت الملتحمة بالجفن ، ولذلك يجب أيضا أن يقلب المريض العين كل وقت ، ثم بعد ثلاثة أيام يستعمل الشيافات الحادة ليستأصل البقية ، وأما استعمال الادوية عليه فأمر لا كبير غناء له فيما غلظ من الظفرة ، ومع ذلك فانها لا تخلو من نكاية بالحدقة لحدتها ، فانها لا بد من أن تكون شديدة الجلاء مخلوطة بالمنفعة ، ومن الاكحال المجربة له شياف طرخماطيقون وقلطارين وشياف قيصر وباسليقون الحاد وروشنائي ودينارحون ، وهذه كلها مكتوبة في الاقرباذين، وقد جرب له أن يؤخذ من النحاس المحرق ومن القلقديس (ملح كبريتي مع زيت قليل) وملح أندراني (ملح معدني) من كل واحد جزء ، صمغ نصف جزء ، ويستف بالنحاس المحرق أو قلقند وقشور أصل الكبر ونوشادر ومرارة

التيس أو البقر مع عسل ، أو عسل وحده مع مرارة الماعز ومغناطيس وزنجار وحفرة واشق من كل واحد جزءان ، زعفران جزء للاوقية من ذلك قوطولي عسل ، وأيضا قلقند ونوشادر يتخذ منه كحل فانه عجيب •

ومما جرب للظفرة وهو يقرب من تاثير الكشط أن يؤخذ خزف من خزف الغضائر الصيني ويحك منه التفضير ويسحق سحقا ناعما ، وبعد ذلك يخلط بدهن حب القطن ويسحقان معا ، ثم يدخل ميل في جلد ويؤخذ به من الدواء ويحك به الظفرة دائما كل يوم مرارا فانه يرققها ويذهب بها ، ويجب أن يكب قبل استعمال الادوية على بخار الماء الحار حتى سيخن العين ويحمر الوجه ، أو يدخل الحمام ، وعندي أن يكب على بخار شراب مغلي ، أو يشرب قليلا من الشراب الممزوج ، ثم يحك به الظفرة ، وقد ينفع في الظفرة الخفيفة والغليظة أن يسحق الكندر وينقع في ماء حار حتى يأتي عليه ساعة ويصفى ويكتحل به ، وقد جربت أنا من كان به ظفرة غليظة حمراء متقادم سحق الكندر (كلمة فارسية تعادل اللبان بالعربية) القديم سحقا ناعما ، وصببت الماء الحار في الغاية على رأسه في الهاون ، ثم خلطت بدسبج الهاون معا خلطا بالغا حتى صار لون ذلك الى الاخضرار ، واستعملت فوجدته نافعا للغاية •

نتائج الدراسة

١ ـ لقد ظهر لنا جليا أن ثمة تطورا بينا قد طرأ على البحث في الظفرة كمرض من أمراض الملتحمة من القرن الثالث وحتى الخامس الهجريين ساهم به التطور العقلي العلمي العام عند العرب والمسلمين في تلك الفترة وتمثل ذلك بعرض المادة العلمية بأسلوب منهجي سليم وبعلاج الظفرة بمعالجات دقيقة تتناسب مع نوعها ووجودها سواء بالجراحة أو بالاعشاب أو بالادوية البسيطة أو المركبة •

٢ ـ **عند ابن اسحق** : لوحظ أن ابن اسحق قد مر على الظفرة مرور الكرام ولم يتطرق الى البحث في علاجها •

٣ ـ **عند الرازي** : ظهر واضحا أسلوب الرازي في التاليف الطبي : فهو يعرض أقوال أهم الاطباء عند الاغريق في الظفرة ثم يعرض رأيه الشخصي الناجم عن تجاربه وأبحاثه •

٤ ـ **عند علي بن عيسى** : لقد بدا لنا تركيز علي على علاج الظفرة واهتمامه الكبير بالاشيافات وعرضه لعناصرها حتى ان بعضها ـ وهو الروشنائي ـ وصل (في عناصره) الى سبعة عشر عنصرا اضافة الى العلاج الجراحي للظفرة حسب الاستطباب •

٥ ــ عند ابن سينا : أكثر ما يلفت النظر في بحثه الظفرة ، ذلك الاسلوب الخاص في التاليف الطبي من حيث ترابط الافكار وسهولة الاسلوب ودقة العلاج على تنوع أساليبه وأتيانه بالجديد في مجال الظفرة ٠

اقتراحــــات

اسمحوا لنا ــ أيها السادة ــ أن أقترح عليكم في هذا المؤتمر ما يلي :

١ ــ تشكيل لجنة من الباحثين تعمل للتأكد من صلاحية المواد المستعملة في معالجة الظفرة وسواها من الامراض التي عالجها العرب في عصورهم الذهبية ، واجراء مقارنة مع ما يقدم لذات الامراض من المعالجات الحديثة ، والوصول الى تعيين المدى التجاري الذي يمكن أن يصل اليه تطبيق الادوية التي اعتمدها علماؤنا في تعاملهم مع جملة الامراض بعد أن يتيقن من نفعها ٠

٢ ــ الاسراع في انجاز المخطوطات العربية الطبية والعلمية الاخرى من تحقيق ونشر والاستفادة منها قدر الامكان ٠

٣ ــ الاكثار من عقد المؤتمرات التي تبحث في شؤون تاريخ الطب العربي والاسلامي لما في ذلك من أهمية كبيرة في ربط الحاضر بكنوز الماضي ، وتأصيل الوجود القومي ، ورفد المستقبل العربي بعوامل القوة ودعائم العزة ٠ وركائز التحرر وحوافز التطور ٠

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

نظرات في حكة الملتحمة العينية

من ابن اسحق الى ابن النفيس

د. مؤنس غانم
كلية الطب ــ جامعة دمشق

السيد الرئيس .. السادة المؤتمرون .

لقد أعطى العرب للعالم حضارة عظيمة وتطورا باهرا ، وبقيت كتبهم تدرس حتى فترة قريبة من الزمن في جامعات العالم . ولا نبالغ في القول اذا أكدنا على أن العرب قد بزوا أقرانهم (في مجالات عدة) من الحضارات التي سبقتهم وعاصرتهم . واستطاعوا بحق أن يجعلوا نور علمهم يشع على مدى قرون عديدة من الزمن .

وسوف أحاول في هذه العجالة أن أبحث موضوعا من المواضيع التي برع العرب في مجالها حدا جعل « ماكس مايرهوف » يقول (لقد بلغ طب العيون عند العرب في القرنين الرابع والخامس الهجري مرتبة سامية تدعو الى الدهشة حقا) وهو موضوع الحكة العينية ، وأخصص منها في بحثي الطبقة الملتحمية من العين .

يقول حنين بن اسحاق في كتابه الشهير المقالات العشر في العين :

وأما الحكة فيقال لها باليونانية (فين سموس) وتلزمها هذه وتغلظ .

الاعراض : دمعة مالحة بورقية ، وحكة وحمرة في الاجفان والعين ، والقروح .

العلاج : تعالج بالحمام وصب الدهن ، وتعديل الغذاء .. وينفعها جميعا استعمال الادوية الحارة التي تجلب الدموع لانها تفرغ ما فيها من الرطوبة الرديئة وتجلب اليها رطوبة معتدلة ، فان كانت الحكة مع رطوبة فان دواء « ارسيلرامس » نافع لها .

أما الرازي فقد أورد في كتابه (الحاوي في الطب) ما يلي عن الحكة :

الحكة تعرض في الملتحم من فضلة بورقية مالحة ، وقد تعرض هذه العلة في الاجفان وقد ذكرناها أيضا هناك .

والحكة في العين بلا مادة تنصب اليها ، علاجها الحمام والادهان ، والتدبير المولد للدم الجيد الرطب ، وجميع الادوية التي تجري الدموع تذهب الحكة والجسأ والصلابة وترطب يبس العين ٠

في حين أن علي بن عيسى المعروف بعيسى الكحال يقول في كتابه (تذكرة الكحالين) : وأما الحكة فانها تعرض من فضلة مالحة بورقية صبت الى الملتحم وعلامته أنه يحدث في العين دمعة مالحة بورقية وحكة كأنها شيء يقرض الملتحم ، ولا سيما ما يلي المآق الاكبر ، وحمرة يسيرة في الاجفان ، وربما عرض من شدة الحكة قروح في الاجفان ٠

العلاج : ينبغي أولا أن تعدل الطبيعة وأن تأمر العليل بدخول الحمام وتلطف التدبير وتكحل العين بالشياف الاحمر الحاد والدارج وكل ما يجلب الدموع مثل الروشنائي والباسليقون وغيره ٠

ونختتم بما قاله ابن النفيس في كتابه مفتاح الشفاء الذي ما يزال مخطوطا ٠

اعلم ان الحكة اكال خفيف يعرض للملتحم فيحك استدعاء من الطبيعة لاستخراج المؤذي كما في الجرب ٠

الاسباب : قد يكون من فضلة بورقية ينصب الى الملتحم ٠

العلامات : دمعة وحكة ، كما يعرض من قرض الذباب ، وحمرة يسيرة في الاجفان ٠

المداواة : يجب أن يصلح غذاء المريض ويلين الطبع بما يصلح الاخلاط المحترقة ويدخل المريض الى الحمام ٠٠ واكحل العين بما يجلب الدمعة كالروشنايا والباسليقون وبرود الحصرم ٠ وتأمر العليل أن يأكل الاطعمة الدسمة والامراق الدهنية ، ويجتنب الاشياء الحريفة والمالحة ٠

والخلاصة من بحثنا هذا الذي كان قصيرا جدا ٠٠ لان الكثير من علمائنا العرب كابن سينا مثلا ـ الذي نحتفل هذا العام بمرور ألف سنة على ذكراه ـ قد ذكروا الحكة في الملتحمة مع الحكة الجفنية واعتبروهما موضوعاً واحدا ٠

ونلاحظ التشابه الكبير في وصف الحكة بين الاطباء العرب الذين ذكرتهم ونلاحظ أيضا الاهتمام البالغ للعرب في عصورهم الذهبية بالطب ودقائقه وتفصيلاته ٠

وهذا ما يجعلنا نعتقد جازمين أننا مقصرون نحو طبنا الحقيقي ٠٠ طبنا الذي يحوي في طياته كنوزا ثمينة تنتظر من يستفيد منها ، وثمارا يانعة تنتظر من يأتي اليها ليتغذى بها وينتعش ويسعد ٠

والسلام عليكم ٠

الروشنائي : كلمة يونانية معناها مقوي البصر ٠

الباسليقون : شياف صنعه أبقراط ٠

في كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم
لأحمد بن الجزار القيرواني

الدكتور
فاروق بن منصور
تونس

كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم للطبيب القيرواني الشهير أحمد بن الجزار صدر عن الدار التونسية للنشر سنة ١٩٦٨ م ويعود الفضل في تحقيقه وتقديمه للاستاذ الدكتور محمد الحبيب الهيلة عن نسخة مخطوطة تحفظ بمدينة البندقية بايطاليا .

ولد أبو جعفر بن ابراهيم المعروف بابن الجزار بالقيروان في حدود سنة ٣٥٣ هـ ـ ٨٩٥ م من عائلة وطيدة الصلة بالطب اذ كان أبوه وعمه يمتهنان هذه الصناعة . وأجمع المترجمون على أنه كان صاحب أخلاق رفيعة وعزة نفس لا يتزلف للملوك مفضلا مداوات عامة الناس على الانغلاق والتملق في بلاط الامراء فجعل من داره عيادة ومن سقيفتها صيدلية . ساهم بقسطه في اثراء دار الحكمة بالقيروان التي لعبت دورا هاما في ايصال العلوم الى أوربا عبر مدرسة ساليرنو Salerne فلا عجبا اذن أن نجد معظم مخطوطاته اليوم في المكتبات الاوروبية ولابن الجزار تآليف كثيرة في التاريخ والادب والفلسفة وخاصة في الطب والصيدلة حيث ترك ما يزيد عن الثلاثين كتابا لم يبق منها سوى (١٢) نذكر من بينها :

- الاعتماد في الادوية المفردة .
- طب المشائخ وحفظ صحتهم .
- كتاب في الكلى والمثانة .
- سياسة الصبيان وتدبيرهم .
- وزاد المسافر وهو أهم وأعظم كتبه الباقية على الاطلاق .

ولنعد الآن الى سياسة الصبيان وتدبيرهم ونسعى في تحليله من الناحية الفنيــة .

بعد المقدمة :

يدرس هذا المخطوط كما يدل على ذلك عنوانه موضوعين مرتبطين ببعضهما وان كانا مختلفين : سياسة الصبيان والعناية بهم من ناحية وتدبيرهم أي علاجهم من ناحية ثانية • ففي الباب الاول يبحث ابن الجزار في سياسة الاطفال Puericulture وكيف يجب العناية بهم فيتحدث عن قطع السرة وغسل الصبي ويصف بكل دقة الظروف التي يجب أن يحم فيها وكيفية مسكه وسكب الماء عليه ثم عن تنشيفه ولفه في خرق تكون لينة ورطبة بدون ضغط • ثم يتحدث عن الارضاع وكمية اللبن في كل مرة وعدد المرات في اليوم وطريقة اضجاعه وتسويته في المهد • ثم كيف يجب مداعبته واسكاته عند البكاء مع النظر في سبب ذلك • وكلها نصائح هامة أراد بها ابن الجزار حماية صحة المولود وتوازنه الجسمي والعقلي •

ثم يبحث المؤلف في الابواب الخمسة الموالية في صفات المرضعة الجسدية والنفسية واللبن الجيد منه والرديء ويتخلص بعد ذلك للحديث عن أسباب قلة اللبن وفساده ويصف علاج مختلف الحالات والادوية الصالحة لذلك •

ومن الباب السابع حتى الحادي والعشرين يستعرض مختلف الامراض التي تصيب الاطفال فيبدأ بتعريف المرض ووصف أعراضه بايجاز ثم يذكر الاسباب المباشرة للعلة ان وجدت لينتهي الى العلاج حيث يصف الادوية الملائمة وطريقة صنعها مع التحري في نسب الاوزان وتعداد مختلف المواد الاولية مختتما بطريقة الاستعمال فيذكر الكمية الواجب تناولها في كل مرة وعدد المرات ووقت تناولها مع تعيين مدة العلاج •

واعتمد ابن الجزار في تنظيم فصول هذا الكتاب على ترتيب أعضاء الجسم من أعلى الى أسفل مبتدئا بأمراض جلدة الرأس ومنتهيا الى أمراض المثانة • اما اذا استعرضنا مختلف الامراض الوارد ذكرها حسب الاختصاص تكون كالآتي :

١ ــ أمراض الجلدة : يبحث ابن الجزار في السعفة والرية والثواليل المتعلقة والخنازير والدمل •

٢ ــ أمراض الاعصاب : داء الصرع وتغير حجم الرأس والعطاس (وهو كما يفسره ابن الجزار ورم في الدماغ) •

٣ ــ أمراض الاذنين : السيلان الاذني •

٤ ــ أمراض العيون : انتفاخ العين وعلاج الحول •

٥ ــ أمراض الصدر : السعال وضيق التنفس والربو L'Asthme .

٦ ـ أمراض جهاز الهضم : القيء والاسهال وفي الطفيليات يتحدث عن الحيات والديدان التي تتولد في الامعاء ·

٧ ـ أمراض الفم : خروج الاسنان وأوجاعها قروح الفم المسمات بالقلاع ـ ورم الحلق ·

٨ ـ الاورام : ورم اليافوخ La Fontauelle وورم السرة ·

٩ ـ أمراض البول : الحصى المتولد في المثانة ·

١٠ ـ أمراض عامة : الاماق L'ascite .

ـ السهر والتفزع في النوم ·

ـ الاباء ·

ـ الحمى والرعاف ·

ثم يختتم ابن الجزار الكتاب بفصل تربوي فقد أوله من المخطوط مميزا فيه بين مختلف الطباع الاخلاقية مؤكدا ان العادة طبيعة ثانية ، وناصحا أن يعود الصبيان على فضائل الاخلاق منذ الصغر حتى لا يلازمهم الفساد الى سن يصعب معه العدول عنه · والملاحظ انه فقد من المخطوط الذي حقق هذا الكتاب نهاية الفصل العشرين وكامل الفصل الواحد والعشرين وبداية الفصل الثاني والعشرين · ومن الطبيعي ان نلاحظ أن كل ما في هذا الكتاب ليس من وضع ابن الجزار فهو يقول في مقدمته وبكل موضوعية انه جمع المتفرق من هذا العلم في مختلف الكتب ونظمه في مخطوطه ·

ثم انه لم ينسب لنفسه ما هو ليس له اذ يقول واضمنه (أي الكتاب) جميع ما علمت أن جالينوس قاله وأضيف الى ما أجمع ، وفعلا نجد هنا وهناك بعض أدوية وأخلاط من صنعه في حين ينسب البعض الآخر لغيره وهذا دليل على أمانته في النقل عمن سبقه · وهو لم يأخذ كل ما وجده مسلما بل يناقش ويعطي رأيه وقوله ·· وأنا لا آمر بالعلاج بمثل ذلك ·· أو ··

قال جالينوس وأنا أقول ·· أو ··

وهذا دواء عملته فحمدته ·· وفي باب الادوية لم يتناسى أنها أدوية موجهة الى الاطفال فيقول ينبغي أن نعالجهم بالادوية التي تشبه الاغذية وتكون عذبة الطعم لئلا ينكرها الصبي قبل منفعته بها · لذلك نجد السكر والعسل يدخلان في تركيب العديد من الادوية التي تتناول عن طريق الفم ·

وفي الحالات التي لا ينفع فيها أي دواء يركن الى الحيلة ومثال ذلك علاجه للحول اذ ينصح بأن يسوى موضع رأس الصبي في المهد ويجعل قريبا منه ومن الجانب المخالف للحول سراجا مضيئا ليقع النظر اليه ومثل هذه الطريقة تستعمل اليوم لنفس الغرض في علم تصويب النظر Orthopsie ويعترف طبيبنا بعجزه في مداوات بعض الحالات كقوله في صغر حجم الرأس ٠٠ انه خلقه فلذلك ليس فيه حيلة ولا الى علاجه سبيل ثم انه يبين في بعض المواضع كيف يحدث مفعول الدواء • ففي علاجه للديدان التي تتولد في الامعاء ٠٠ يقول : ينبغي لنا اذا أردنا علاجهم من هذه الحيات ان نبدأ فنخرجها عن البدن وانما يمكننا ذلك بعد أن نقتلها بالادوية المرة وذلك انها ما دامت حية تشبثت بالامعاء فاذا ماتت خرجت مع البراز وقد تخرج أيضا مع البراز اذا سكنت فصارت في حال تكون فيها شبيهة بالميتة ٠٠ ويوافق الطب في العصر الحديث مدى صحة هذا التفسير •

وفي باب تكون الحصى في المثانة أطال الحديث عن أسباب هذه الظاهرة فيردها الى عاملين :

الاول : وهو وجود مواد معينة تنحدر في البول الى المثانة •

والثاني : هو وجود حرارة غير عادية في المثانة ولعله يقصد بذلك ما نسميه اليوم بالالتهاب ثم انه يشير الى أن الحصى انما يكبر بتراكم الفواضل المنجرفة مع البول • والى من يريد مزيد البيان في هذا الباب أشار ابن الجزار الى كتاب آخر من وضعه يبحث في الكلى والمثانة توجد منه الآن نسخة مخطوطة باكسفورد• هذا وان المتصفح لكتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم هذا يدرك بسرعة بعض نقاط الضعف فمن ماخذ ابن الجزار انه يخلط بين المرض وأعراضه فتراه مثلا يفرد بابا كاملا للحديث عن السعال وكأنه هو الداء في حين أنه لا يعدو أن يكون مجرد علامة لامراض عديدة ومختلفة وما ينفع لعلاج أحدهما قد يفشل في الآخر • والشفاء التام لا يكون الا بعلاج السبب الحقيقي للمرض وليس بتسكين عوارضه وحتى في مجرى حديثه لم يول عناية كافية لذكر مختلف العلامات فكانت مشاهدات السريرية على غاية من الايجاز ملخصه في أسطر معدودات وفي بعض الاحيان يكتفي بذكر المرض فقط ومثال ذلك قوله : قد يعرض للصبيان في أعينهم انتفاخ ونتوء • وعلاج ذلك كذا وكذا ٠٠٠

ويفسر السيلان الاذني بأن الدماغ اذا ما كثرت رطوبته وهو يلقي منها الى الاذنين ولعل ذلك يرجع الى النقص الذي كان سائدا حينئذاك في الطب السريري بالنسبة لما أتت به العصور الموالية • هذا وفي بعض المواقع يبدو لنا تفسير ابن الجزار غامضا ففي شأن قروح الفم يقول : انما يعرض ذلك لان اللبن يخرج ويلدغ اللسان لأن فيه رطوبة نابية حارة واللثة لا تحتمل ملاقاة اللبن لها فيحدث فيها قرح ان هذا التفسير يبدو لنا اليوم غير منطقي اذا ما قسناه

بمعلومات عصرنا ولكنه قد أدى دوره في عهد كان فيه الطب يعتمد على نظرية الاخلاط الاربعة وكان أبو جعفر بن الجزار ككل أطباء زمانه يقول بهذه النظرية وبها يفسر مختلف الامراض ·

وبصفة عامة يبدو لنا صاحبنا في هذا الكتاب وكأنه يستفيد بالنظر الى المريض من بعيد فلا نجد الكشف الكامل بما فيه من لمس Polpation وقـــرع Percusion واستماع Auscultation ونبض والملاحظ أنه في كتابه زاد المسافر يذكر كشوفه بدقة متناهية ولعله أغفل ذلك عمدا في كتابه حتى يجعل منه مختصرا للعناية بالاطفال ومداواتهم ·

وحتي في هاته الحالة فاننا نفتقد الجراحة في هذا المخطوط عدى كلمة واحدة فقط منقولة عن جالينوس في مداواة حصى المثانة اذا ما حصرت البول فانه ينصح بالشق واستخراجها ·

ورغم كل ما يبدو لنا بمنظار عصرنا أنه من باب المآخذ والاغلاط فان ذلك لا ينقص من القيمة العلمية لهذا المخطوط الذي يبدو من أهم وأسبق الكتب التي وضعت في طب الاطفال ان لم يكن أهمها اذا ما تذكرنا انه وضع منذ ألف سنة خلت فاتحا بذلك باب الاختصاص في عهد كانت فيه للحضارة العربية والاسلامية اليد العليا في العلوم والمعارف ·

ولعل قيمة هذا الكتاب تعظم اذا ما وقعت دراسته من الناحية الصيدلية لمعرفة مدى صحة مختلف الوصفات العلاجية التي تفوق المائة والعشرين خاصة وان المواد الاولية موجودة حسب أوزانها فمن يدري لعل الباحث فيها ينفض الغبار عن أدوية مقبولة وصالحة ليومنا هذا ·

وشكرا على حسن انتباهكم ·

وصف الحول في المصادر العربية

د. نوال يحيى

أخصائية في علم تصويب البصر
(معالجة الحول وضعف البصر)

كلية الطب ـ جامعة دمشق

عرف الاغريق أن لكل عين ست عضلات تحرك المضلة ـ أربعة مستقيمات وعضلتان منحرفتان وهذه المعلومات تنطبق على معلوماتنا الحالية • ومعلومات الاغريق هذه لم تصل الينا مدونة في كتاب خاص بطب العيون لان كتب الاغريق في طب العيون فقدت فلم يبق منها الا ما اقتبسه العرب وأسندوه بأمانة الى أصحابه • وأهم هذه الاقتباسات أقدمها أي ماكتبه حنين بن اسحق في القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري) وقد أجرى « هيرشبرغ » الذي كتب في مطلع هذا القرن كتابه الشهير عن تاريخ طب العيون مقارنة بين النصوص الاغريقية المبعثرة في كتب الطب العامة الاغريقية التي بقيت وبين كتب حنين فتبين له أن ما كتبه حنين يتصف بالوضوح والاختصار والتسلسل المنطقي ، هذا على الرغم من أن «هيرشبرغ» لم يتح له أن يقرأ النص العربي لحنين بن اسحق مباشرة وان قرأ هذه النصوص مقتبسة في كتاب الحاوي في الطب للرازي • وحينما أتيح « لمايرهوف » في العشرينات من هذا القرن أن يحقق كتاب حنين على الاصل تبين له أن ما ينطبق على المعلومات الطبيةالعينية ينطبق أيضا على المعلومات التشريحية العينية كما تبين له الترجمة اللاتينية لكتاب حنين كانت مشوشة وغير دقيقة ولا تعطي فكرة حقيقية عن مدى وضوح الوصف في كتاب حنين بن اسحق (فهنالك فرق واضح بين الترجمة الى العربية عن الاغريقية والسريانية على يد حنين وزملائه في القرن التاسع الميلادي وبين الترجمة من العربية الى اللاتينية في القرن الحادي عشر) ـ (والذي ترجم كتاب صفير المقالات العشر في العينين اثنان) :

١ ـ ديمريوس •

٢ ـ قسطنطين الافريقي (أو قسطنطينوس) •

كان الاغريق والعرب في عصر حنين يعتقدون بوجود ثلاث عضلات خلف

العين وظيفتها أن تحفظ العضلة في مكانها حتى لا تبرز العين ولا تغور كما أن لها وظيفة أخرى هي أنها تمسك العصب البصري أو النور أو المجوف كما كانوا يسمونه ٠

فاذا ما تشنجت هذه العضلات الثلاث غارت العين وصارت حركتها محدودة واذا ما استرخت جحظت العين ، وهذه العضلات التي حسب هؤلاء انها عضلات مستقلة هي في الحقيقة مخروط العضلي الموجود فعلا خلف الحلقة والذي نعرف الآن أنه يرتكز على حلقة (ز٠ ن) في الخلف ويتفرع في الامام مشكلا العضلات المستقيمة وبنظرية الاسترخاء والتشنج هذه فسر الاغريق والعرب الجحوظ الناجم عن العضلات فقط وفسروا الجحوظ وكون حركة العين محدودة الناجم عن فلكمون خلف المقلة ، (أي التهاب النسيج الخلوي خلف المقلة) بأنه نتيجة استرخاء بعض هذه العضلات وتشنج بعضها الآخر ٠

كل هذا نجده على شكل اشارات مبهمة عند الاغريق ولكننا نجده على شكل نظرية واضحة ومتكاملة عند العرب كما نجد أن هذه النظرية تزداد وضوحا بمرور السنين فهي عند الرازي في القرن العاشر أوضح منها عند حنين في القرن الحادي عشر أوضح منها عند الرازي ٠ وعند ابن النفيس أشد ما تكون وضوحا في القرن الثالث عشر ولا سيما اذا أخذنا بالحسبان :

١ ــ علم التشريح المقارن ، لانه في بعض الحيوانات توجد هذه العضلة الاخرى خلف العين لتمسك العين ٠

٢ ــ معرفة أن النظرية من وجهة نظر علم الامراض (الباتالوجيا) ــ صحيحة لان هناك علاقة بين غؤور العين أو جحوظها أولا وكون حركتها العضلية محددة ثانيا ٠

٣ ــ معرفة وجهة نظر السريريات التي يسهل بها على الفاحص كشف الشلل الكامل في عضلة واحدة أو أكثر كما يظهر بالفحص السريري فرط مقوية العضلة المعاكسة في فعلها للعضلة المشلولة ٠ ان هذه النظرية التي تعبر عن دقة في الملاحظة استعملها العرب لتفسير الحول أيضا ولاحظوا الحالات التي تكون الاصابة فيها مقصورة على عضلة واحدة أو أكثر من عضلة كما لاحظوا حالات اصابة عين واحدة أو اصابة العينين معا ٠

ـ النصوص ـ

ورد في فردوس الحكمة لابي الحسن علي بن سهل الطبري صفحة (١٦٣) :

١ ــ لكل عين ست عضلات اثنتان منها في الجفن الاعلى وهما تحركان

العين واثنتان في الجفن الاسفل واثنتان في المآقين في مآق واحدة ، وأمراضها تنتج اما من تشنج واما من استرخاء ·

٢ ـ وفي المسائل في العين لحنين بن اسحق صفحة (٧٥) :

في كل عين تسع عضلات سوى العضل الذي في الجفن منها أربع في زوايا العين ، من ذلك واحدة من فوق تحرك العين الى الانف وواحدة في اللحاظ تحرك العين الى الصدغ ومنها عضلتان تديران العين وتعينان تلك العضلات الاربع ومنها ثلاث عضلات تضبط أصل العصبة النورية وتشيل العينين كلتيهما الى فوق ·

٣ ـ أما في القانون في الطب للشيخ الرئيس أبي علي الحسن بن علي ابن سينا (صفحة ٤٠) :

وأما العضل المحركة للمقلة فهي عضل ست · أربع منها في جوانبها الاربعة فوق المآقين وأسفلهما كل واحدة منها تحرك العين الى جهته وعضلتان الى التوريب وهما تحركان الى الاستدارة ووراء المقلة عضلة تدعم العصبة المجوفة التي لم يذكر شأنها بعد لتشابهها وما معها فيثقلها ومنعها من الاسترخاء المجحظ ويضبطها عند التحديق والعضلة قد عرض لاغشيتها الرباطية من التشعب وما شكك في أمرها فهي عند بعض المشرحين عضلة واحدة وعند بعضهم الآخر عضلتان وعند بعضهم ثلاث وعلى كل حال فرأسها رأس واحد ·

٤ ـ وفي المهذب في الكحل لابن النفيس مخطوط دمشق (صفحة ١٥٢) :

الحول قد يكون خلقيا وقد يكون عارضا عن تشنج أو عن استرخاء والتشنجي ان كان التشنج في عضلة واحدة جذبت المقل الى جهتها فكان ذلك حولا مفردا وان كان في عضلتين متجاورتين جذبتا المقلة الى جهتيها فمالت الى جهة بين الجهتين وكان من ذلك حول مركب · أما اذا تشنجت العضلات كلها فان المقلة تبقى ثابتة لا تتحرك ·

٥ ـ وفي نزهة الابصار للحريري الاشبيلي مخطوط صفحة (١٨٨) :

اسباب الحول :

يكون ذلك من استرخاء بعض العضل المحرك للمقلة فيميل عن تلك الجهة

وقد يكون عن يبوسة كما يعرض في الامراض الحادة وقد يكون عن تشنج بعض العضل فيميل المقلة • وليس كل عضل فان العضل الماسك للعين اذا تشنج يجعل العين مستقرة في الجوفة • بل العضلة المحركة اذا تشنجت كان ذلك سببا للحول وأكثر ما يحدث الحول بعض علل دماغية مثل الصدع والسدر وقرانيطس ونحو ذلك •

السلوك التناسلي والغرائز الجنسية في الحيوان عند الجاحظ

الدكتور محمد مروان السبع
كلية الزراعة ــ جامعة حلب

عندما نتصفح كتاب « الحيوان » للجاحظ يستوقفنا عمق البحث العلمي وشمولية الدراسة الميدانية المعتمدة على الملاحظات والخبرة الشخصية المدعمة بالحقائق العلمية الثابتة التي لا يتطرق اليها الشك والارتياب على كر الدهور والعصــور .

ولقد تستثير النفس وتشعرها بالاعجاب والاحترام لذلك العالم النحرير تلك المواءمة الوثيقة بين الوصف العام للحيوان وبين غرائزه السلوكية المختلفة سواء في التناسل أو المعيشة أو البحث عن المسكن أو التعامل مع الحيوانات الاخرى ولقد يمدنا كتاب « الحيوان » ــ الذي يعتبر موسوعة علمية قل نظيرها من حيث شمولها وغزارة مواضيعها وعمق أبحاثها ــ بكل صنوفَ الغريب في علم الغرائز والسلوك Instincts and Behavior ويزودنا بكل طريف مبدع في فطرة الحيوان وأسرار عالمه وما يكتنفه من غموض وابهام حتى لكأن الواحد منا عندما يطالع هذا السفر الضخم يستشعر أمامه حياة تموج بالحركة والغرائز وتتفاعل بالتناسل والاقتتال ، ويشاهد مسرحا حيا بكل أفانين الانانية والايثار والتضحية والافتراس والصداقة والعداء والحنان والبغض والسذاجة والخبث والوداعة واللؤم .

يقول الجاحظ في تعريفه للسلوك والغريزة عند الحيوان : « لقد أودع الله صدور سائر الحيوان من ضروب المعارف (وهي التي نسميها حاليا غرائز) وفطرها عليه من غريب الهدايات وسخر حناجرها من ضروب النغم الموزونة والاصوات الملحنة والمخارج الشجية والاغاني المطربة ، وكيف فتح لها باب المعرفة على قدر ما هيأ لها من الآلة ، وكيف أعطى لها كثيرا من الحس اللطيف والصنعة البديعة من غير تأديب وتثقيف ومن غير تقويم وتلقين ، ومن غير تدريب وتمرين فبلغت بعفوها وبمقدار قوى فطرتها من البديهة والارتجال ومن الابتداء والاقتضاب ما لا يقدر عليه حذاق رجال الرأي وفلاسفة علماء البشر ، فصار جملة الانسان الثاقب الحس الجامع القوي المتصرف في الوجوه المقدم في الامور يعجز عن عفو كثير منها . وهو ينظر الى ضروب ما يجيء

منها كما أعطيت العنكبوت والسرفة والنحل • ليعلم الانسان أن ذا العقل والتمكين والاستطاعة والتصريف وصاحب الفهم والمتبصر متى أحسن شيئا كان كل شيء دونه في الغموض • فلا الانسان جعل نفسه كذلك ولا شيء من الحيوان اختار ذلك • فأحسنت هذه الاجناس بلا تعلم ما يمتنع على الانسان وأن تعلم ، فصار لا يحاوله اذ كان لا يطمع فيه ولا يحسدها اذ لا يؤمل اللحاق به وسنحاول في هذه العجالة أن نستعرض نبذا من الغرائز الجنسية والسلوك التناسلي في الحيوان كما أفاض بها الجاحظ من خلال سطور سفره الخالد دون أن نتطرق الى الغرائز والسلوك الخاصة بالمعيشة والمسكن والبناء والهجرة وما الى ذلك •

ولعل موضوع التسافد في الحيوان من أكثر مواضيع علم الحياة الحيوانية تشويقا وغرابة • فهنالك جملة من الخصائص يتميز بها التلقيح بين أنواع من الحيوان تختلف عن نظيره في أنواع أخرى • والجاحظ هنا يسهب في وصف الغرائز الجنسية والسلوك التناسلي لدى أنواع الحيوان ويورد أمثلة وافرة لها •

ففي الكلاب : يصف الجاحظ تسافدها وزمانه أوقات الدفء والخصب ، وكيف تسوء أخلاق وطباع الكلاب عندما تلد لها جراء • ويقول « ان الكلب يبدأ بالنزو عندما يبلغ من العمر ستة أشهر والكلبة الانثى تحمل واحدا وستين يوما • ولا يبقى الجرو ولا يتربى اذا قصر عن ذلك • والانثى تصلح أن ينزى عليها بعد ستة أشهر والكلبة والمرأة وغير ذلك يكون أول نتاجها أصغر جثة وكذلك البيض اذا كان بكرا وكذلك ما يخرج منه من فروج أو فرخ • وذكور الكلاب تهيج قبل الاناث في السن • والاناث تهيج قبلها الى وقت حركتها ، وكلما تأخر وقت الحدث الى تمام الشباب كان أقوى لولده • والكلاب لا تريد السفاد عمرها كله بل الى وقت معلوم ، وهي تلقح الى أن تبلغ ثماني عشرة سنة • وربما ابتدرت الكلبة فبلغت العشرين والكلب يبدأ بالنزو عند شعوره ببوله • والكلبة تحمل من نزو واحد • والجرو اذا وضع يكون أعمى اثني عشر يوما ثم يبصر والكلبة تسفد بعد وضعها في الشهر الثاني ولا تسفد قبل ذلك • وزعم أن اناث الكلاب تحيض كل سبعة وعلامة ذلك ورم أشفارها ، ولا تقبل السفاد في ذلك الوقت بل في السبعة التي بعدها ليكون ذلك تمام أربعة عشر يوما • واناث الكلاب تلقي بعد وضع الجراء رطوبة بلغمية ويعتريها هزال كعامة الاناث • ولبنها يظهر في أطبائها قبل أن تضع بخمسة أيام • وهو يظهر ويجود اذا وضعت من ساعتها وقد تكون علامة مبلغ سفادها مثل ما يعرض للنساء من ارتفاع الثديين ومعرفة ذلك عسيرة • وقد تضع الكلبة اثني عشر جروا أحيانا ، وربما وضعت واحدا •

أما في الدجاج : فيتصف الديك بظاهرة تعدد الزوجات • وهو لا يميز واحدة من أخرى ، ولكنه غيور يدافع عن حريمه ضد أي ديك غريب • وهو يوسع هذه الدجاجات قمطا وسفادا • وليس لنطفته ريح نطفة الانسان • والديك سريع النزو سريع النزول ولا يكون نسل الا أن يسفد الدجاجة ديك •

والحمام والعصافير : ليس في الطير أكثر عدد سفاد من العصافير وخصا ذكور أجناس الطير يكون في أوان أول السفاد أعظم مخصية العصفور أعظم من خصية ما يساويه في الجثة مرتين • والحمام ترى من كسحه بذنبه وارتفاعه بصدره وضربه بجناحه ومن فرحه ومرحه بعد قمطه والفراغ من شهوته في الوقت الذي يفتر فيه أنكح الناس • وتلك الخصلة يفوق بها جميع الحيوان حتي الانسان المعروف بقوة شهوته ودوامها في جميع السنة • وأرغب الحيوان في التغزل والتمتع والتقبيل أفتر ما يكون اذا فرغ •

ويذكر الجاحظ أنه لم ير شيئا قط في رجل وامرأة الا وقد رأى مثله في الذكر والانثى في الحمام فهو يقول : « رأيت حمامة لا تريد الا زوجها وسيدها ورأيت حمامة لا تمنع شيئا من الذكورة • ورأيت امرأة لا تمنع يد لامس • ورأيت الحمامة لا تزيف الا بعد طرد شديد وكثرة طلب • ورأيت حمامة لها زوج وهي تمكن ذكرا آخر لا تعدوه ورأيت مثل ذلك في النساء • ورايتها لا تفعل ذلك الا وذكرها يطير أو يحضن • ورأيت الحمامة تقمط الحمام الذكور • ورأيت الحمامة تقمط الحمامة • ورأيت أخرى تقمط الاناث فقط ولا تدع انثى تقمطها • ورأيت ذكرا يقمطها ويدعها حتى تقمطه • ورأيت ذكرا يقمط الذكور وتقمطه ورأيت ذكرا يقمط الذكور ولا يدعها تقمطه • ورأيت حمامة تمكن كل حمام أرادها من ذكر أو انثى ولا تزاوج • ورأيتها تزاوج ولا تبيض وتبيض فيفسد بيضها • كالمرأة تتزوج وهي عاقر ورأيت ذكرا له انثييان وقد باضتا منه وهو يحضن مع هذه وتلك ويزق مع هذه وتلك •

انه لامر يدعو الى الدهشة والاعجاب معا عندما نستعرض هذا التفصيل الدقيق والملاحظات العميقة والخبرة العملية والممارسة الميدانية التي يضطلع بها الجاحظ والتي امضى وقتا طويلا ـ لا شك في ذلك ـ حتى يستوعبها ويكتنف أسرارها • غير أن هذه الحالات التي يوردها الجاحظ قليلة بالمقارنة مع القاعدة العامة الموجودة في غرائز التناسل عند الحمام ألا وهي الزواج الثابت بين الذكر والانثى • وهو دائم لا يخضع لفصل معين أن يتبدل مع انتهاء السنة كما في العصافير •

والحمام اذا قمط تنفش وتكبر ونفض ريشه وضرب بجناحه • وأما الاوز فانه اذا سفد أكثر من السباحة واعتراه في الماء من المرح ما يعتري الحمام

في الهولء . وليس التقبيل الا للحمام والانسان . ولا يدع ذلك ذكر الحمام الا بعد الهرم . واذا تسافدت اناث الحمام أيضا قبل بعضهن بعضا . ويقال انها تبيض عن ذلك ولا يكون عن ذلك البيض فراخ . (وهذا صحيح حقا لعدم وجود السائل المنوي أثناء السفاد والضروري لاخصاب البيضة ـ المؤلف) .

القبج : يوصف القبج الذكر بالقوة على السفاد كما يوصف الديك والحجل والعصفور . واذا شغلت القبجة بالحضن طلب الذكر مواضع بيضها يفسده . واذا قاتل بعض ذكورة القبج بعضا فالمغلوب منها مفسود والغالب سافد . وهذا يعرض للديكة ولذكور الدراريج .

الذباب : يتصف الذباب بطول سفاده . فالذكر يبقى على ظهر الذبابة الانثى ساعات طويلة . والفرد منها يصبح قادرا على السفاد بعد عدة أيام من فقسه من البيضة .

الخنازير : يتصف الخنزير باللواطة المفرطة . والخنزير الذكر يقاتل في زمن الهيج فلا يدع خنزيرا الا قتله ويدنو من الشجرة ويدلك جلده ثم يذهب الى الطين والحماة فيتلطخ به . وذكورة الخنازير تطرد الذكورة عن الاناث وربما قتل أحدهما صاحبه وربما هلكا جميعا . فاذا كان زمن هياج الخنازير تطأطيء رؤوسها وتحرك أذنابها تحريكا سريعا متتابعا وتتغير أصواتها اذا طلبت السفاد . واناث الخنازير تحمل من نزوة واحدة وربما كان من أكثر . واذا طلبت الذكر لم تنزع حتى تطاوع وتسامح وترخي أذنابها واذا فعلت ذلك تكتفي بنزوة واحدة . والخنزير ينزو اذا تم له ثمانية أشهر . والانثى تريد الذكر اذا تمت لها ستة أشهر . وأجود النزو أن يكون ذلك منه وهو ابن عشرة أشهر الى ثلاث سنين . (وهذا صحيح حقا اذ تصبح كفاءة النطاف عالية واخصابها مؤكد ـ المؤلف) . والخنزير مع ذلك أنسل الخلق لان الخنزيرة تضع عشرين خنوصا وهو مع كثرة أنساله من اقوى الفحول على السفاد وأطولها مكثا في سفاده . وقد تجتمع عدة ذكور لتسفد ذكرا حتى لا يبقى ذكر منهـا الا ويسفده . وقد يكون لهذا الذكر المسفود ميزة خاصة تقربه من الاناث .

وأما سفاد الحيات كما يرى عبارة عن ملاقاة الحية والتواء كل منهما على صاحبه حتى كأنهما زوج خيزران مفتول . وكثرة عدد مرات السفاد والمبالغة في الابطاء والدوام مع كثرة العدد لضروب الحيوان فالانسان يغلب هذه الاجناس لان ذلك دائم فيه في جميع الازمنة . فأما الابطاء في حال السفاد فللجمل والورل والذباب والخنازير فهذه فضيلة لذة لها . وأما كثرة العدد فللعصافير . (ويوصف الثور بانه سريع السفاد فانه متى أولج أنزل زرعه ثم نزل بسرعة ـ المؤلف) .

ولهيجان السنور والاتان والجمل أوقات معلومة (وهي أواخر الشتاء) وتتصف بأوصاف معينة عند تهيج الشبق عندها ، فيتغير الصوت وترتفع أذنابها وتطلب الذكور وتسترخي آذانها ٠

وأما ملكة النحل (اليعسوب) فانها تسفد مرة واحدة في حياتها خلال الرحلة الوحيدة التي تخرج فيها خارج مملكتها والتي تدعى بطيران الزفاف الملكي وأقوى الذكور في الطيران وفي قوة الاحتمال في السعي وراء الملكة هو الذي يفوز بتلقيحها وباقي الذكور تتساقط إثناء الطيران الزفافي الملكي اما لضعف احتمالها على الطيران واما لعجزها أو موتها أو ضلالها في الطريق ٠ والذكر الملقح للملكة يخر في مكان التلقيح صريعا ميتا ، لان أمعاؤه تخرج مع آلة السفاد التي تلصق بمؤخرة الملكة ٠ ونطاف الذكر تبقى مخصبة وفعالة وصالحة لانتاج النسل مدة طويلة تبلغ ٥ر١ ــ ٢ سنة (المؤلف) ٠

وفي الاغنام اذا عظمت الية النعجة خلال موسم السفاد فان الكبش يزيح اليتها بصدره بمقدار ما ينفرج من جانبها ثم يسفدها في أسرع من اللمح ، وفي زمن التسافد تتقاتل الثيران والكباش والتيوس وتتناطح في إقاطيعها وهي قبل ذلك الزمان متسالمة والجمل في تلك الحالات لا يدع جملا ولا انسانا يدنو من هجمته ومثل هذا يعرض للذئب والذئبة ٠ أما الاسد فليس ذلك من صفاتها لان بعضها يأوي الى بعض بل ينفرد كل واحد بلبوته ٠ واذا كان للذئبة الانثى جراء ساءت أخلاقها وكذلك اناث الخيل ٠

والعصافير فيها زواج وكذلك النعام وليس شيء من ذوات الاربع زواج ٠ وانما الزواج للتي تمشي على رجلين كالانسان والنعام والحجل والحمام والفتخ والشفتين لا يقمط غير انثاه وان هلكت الانثى لم يزاوج أبدا وكذلك الانثى ٠

وأكبر القضيب حجما في الحيوان قضيب الفيل وأصغره قضيب الظبي ٠ وقضيب البط لا يذكر ٠ وربما خرج التمساح الى الارض من الماء للسفاد ولحضن البيض فلا يكون على ظهر الارض شيء أذل منه ٠

واذا اغتلم الفيل قتل الفيلة والفيالين وكل من لقيه ولم يقم له شيء حتى لا يكون لسواسه هم الا الهرب والا الاحتيال لانفسهم ٠ واذا اغتلم الفيل وصال وغضب وخمط خلاه الفيالون والرواض فربما عاد وحشيا ٠ وخصية الفيل لاحقة بكليته لا ترى ٠ ولذلك يكون سريع السفاد ٠ واذا تصعب الفيل وكان في حدثان ما اقتطعوه من الوحش فانهم ينزون عليه فيلا مثله ، ويحتالون له في ذلك فما أكثر ما يجدونه بعد ذلك قد لان ٠

فأما صدق الحس فان الفيل يفوق في ذلك جميع الحيوان وهو والجمل سواء اذا علما ٠ لان الانثى اذا لقحت لم يعاودها للضراب فهذه فضيلة مذكورة في حس الجمل وقد شاركه الفيل فيها ٠

وقد يحصل تسافد بين أنواع حيوانية مختلفة ولا تنتج نسلا ٠ فقد يكوم (يلقح) الانسان الداية بشهوة منهما جميعاً ولا يكون تلاقح كما اتفقنا في المسافدة ٠

وتتسافد السباع والظلف والحافر أو المخلب وهي قائمة ٠ أما الجمل فلا بد أن تكون طروقته باركة والتمساح والانسان يتبطنان الانثى عند الجماع ٠

وبعد أليس هذا العرض الموجز الرائع لغرائز الحيوان الجنسية وسلوكه التناسلي دليل قاطع وشاهد دامغ على سعة أطلاع الجاحظ وعمق دراسته لعالم الحيوان ٠ واننا لنقر لهذا العالم المبدع بالاحترام ونكن له مزيجا من الدهشة والاعجاب أن قدم هذه المعلومات الغزيرة ضمن اطار أدبي رفيع وطراز لغوي شيق فهو بحق استنادا الى ما عرضنا من نبذ عن هذه الغرائز وأخرى جمة لم نتعرض لها في بحثنا هذا أستاذ علم الغرائز الاول في عالم الحيوان ٠ واننا لنتساءل كم أمضى من الوقت وهو يتأمل ويلاحظ ويسأل ويطالع حتى أطاق استيعاب كل هذه النماذج المتباينة والاشكال المتغايرة من السلوك والغرائز في عالم الحيوان ؟ !

تقدم الطب البيطري في العصر الاسلامي

د. عبد الرزاق السمير

كلية الطب البيطري ـ جامعة البعث

اهتم المسلمون بالطب البيطري اهتماما كبيرا حتى أدى في النهاية الى استخدام الحيوان في علاج الانسان كالعالم رشيد الدين الصوري في القرن الثالث الميلادي حيث ذكر (٤٤) دواء من أصل حيواني . واذا ذكرنا بعضا من المؤلفات التي تفيدنا أن الطب البيطري قد استحوذ كثيرا من الدراسة وجدنا في مؤلفات الجاحظ ، واخوان الصفا ـ حيث درس عدد الحواس في كل حيوان . أما العلامة ابن سينا فقد خصص قسما لدراسة نفسية الحيوان وفي هذا المقال سوف نبحث بعض الدراسات التي قدمها الجاحظ في كتابه الحيوان .

لقد جاء في أحد أبواب الجزء الاول عن خصاء الدواب حيث ذكر آدم ابن سليمان عن الشعبي قال قرأت كتاب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى سعد ينهي عن حذف أذناب الخيل وأعرافها وخصائصها ويأمره أن يجري من راس المائتين وهو أربعة فراسخ . كما ذكر سفيان الثوري عن عاصم بن عبد الله ابن عمر ، أن عمر (رضي الله تعالى عنه) كان ينهي عن خصاء البهائم ويقول : هل الامتاء الا للذكور . هذا في حين أن بعض المسلمين لا يسمحون بخصاء الحيوانات فنرى في كتاب الجاحظ منهم من سمح بخصيها حيث روى ابو جرير ، عن عمار بن أبي عمار ، أن ابن عباس قال في قوله تعالى (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) قال هو الخصاء . وأبو جرير عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس ، مثله . وأبو داود النخعي عن محمد بن سعيد ، عن عبادة بن نسي ، عن ابراهيم ابن محيريز قال : كان أحب الخيل الى سلف المسلمين في عهد عمر وعثمان ومعاوية رضي الله تعالى عنهم ، الخصيان ، فانها أخفى للكمين والطلائع ، وأبقى على الجهد . وقال أبو جرير عن أيوب عن ابن سيرين انه لم يكن يرى بأسا بالخصاء ويقول لو تركت الفحولة لاكل بعضها بعضا . ومعمر ويونس عن الحسن انه لم يكن يرى بأسا بخصاء الدواب . وسفيان بن عيينه عن ابن طاووس عن أبيه أنه خصى بعيرا .

وتكلم في كتابه أيضا عن أجناس مختلفة من الحيوانات • حيث قال :ـ

وزعموا أن السمع ، ولد الذئب ، من الضبع • ويزعمون ان السمع كالحية لا تعرف العلل ولا تموت حتف أنفها ، ولا تموت الا بعرض يعرض لها • ويزعمون أن لا يعدو شيء كعدو السمع ، وانه أسرع من الريح والطير وقال ابن حنظلة يصف فرسه :

فاعص العواذل وارم الليل في عرض بذي شبيب يقاسي ليله خببا
كالسمع لم ينقب البيطار سرته ولم يدجه ولم يغمز له عصبا

وزعموا أن ولد الذئب من الكلبة ، الديسم • وروى بشار بن برد في ديسم العنزي أنه قال :ـ

أديسم يا ابن الذئب من نسل زارع أتروي هجائي سادرا غير مقصر

وزراع : اسم الكلب • يقال للكلاب أولاد زراع •

قال : وتتولد أيضا كلاب سلوقية من ثعالب وكلاب •

قال : وبين الحيوان الذي يسمى باليونانية طاعويس ، وبين الكلب تحدث هذه الكلاب الهندية •

وأيضا ذكر عن مساوىء ومحاسن الكلاب •

وقال صاحب الديك ويشبه عود الماشية في الجرة ، ورجوعها في الفرث تطحنه وتسيغه الرجوع في القيء ، وقد زعمتم أن جرة البعير من قيء الكلاب لطول غيوبها في الجوف وانقلابها الى طباع الزبل ، وانه أنتن من الثلط ، وانما مثل الجرة مثل الريق الذي ذكره ابن أحمر فقال :

هذا الثناء ، واجدى ان يصاحبه وقد يداوم ريق الطامع الامل

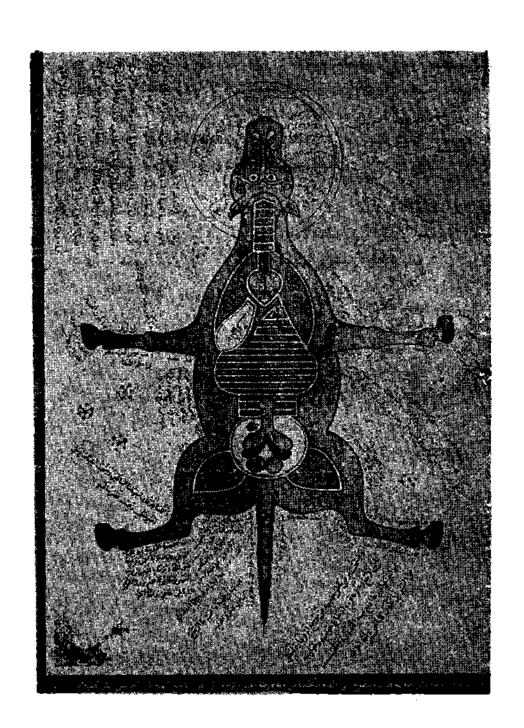
وذكر أيضا في هذا الباب كثير من الحيوانات مثل الحبارى والاغنام والثيران • حيث قسم الاغنام الى ضأن ومعز والبقر الى قسمين أحدهما الجواميس •

أما في الجزء الثالث :

فقد ذكر الجمل ومحاسنه وأيضا ذكر الحمام ومنافعه ورعاية الصغار عنده وبعض خواصه اذا وضعت البيض في ذلك المكان فلا يزالان يتعاقبان الحضن

ويتعاورانه حتى اذا بلغ ذلك البيض مداه وانتهت أيامه وتم ميقاته الذي وظفه خالقه ، ودبره صاحبه ، انصدع البيض عن الفرخ وخرج عاري الجلد صغير الجناح قليل الحيلة ، منسد الحلقوم فعيناه على خلاصة من بيضه وترويحه من ضيق هوانه وهما يعلمان ان الفرخين لا تتسع حلوقهما وحواصلهما للغذاء ،
فلا يكون لهما عند ذلك ، هم الا أن ينفخا في حلوقهما الريح لتتسع الحوصلة بعد التحامها وتنفتق بعد ارتتاقها ، ثم يعلمان ان الفرخ وان اتسعت الحوصلة شيئا انه لا يحتمل في أول غذائه أن يزق بالطعم فيزق عند ذلك اللعاب المختلط بقواهما وقوى الطعم ، وهم يسمون ذلك اللعاب اللباء ٠

وذكروا أيضا من بعض الحالات المرضية التي تصيب الحمام من تقيؤ ٠
أما في الابواب الاخرى من كتاب الحيوان للجاحظ فقد يذكر جميع الحيوانات وما هي فائدتها بالنسبة للتربية ٠ وكذلك نفعها بالنسبة للانسان ٠



اقتراح خاص بعلم الفلك

د. عبد الرحيم بدر ـ الاردن

لا ريب أن البحث في التراث العربي عن الاعمال الايجابية التي قدمها العرب في مختلف العلوم هو واجب مقدس على كل عربي . وأظن أن هذا الواجب هو الذي دفع الحاضرين الكرام الى حضور هذا المؤتمر .

واذا كان البحث في العلوم المختلفة يقتصر على ما قدمه العرب في المجالات المتنوعة منها ، فان علم الفلك ، بطبيعته لا يكتفي بهذا القدر من البحث . فهو يتميز عن غيره من العلوم بظاهرة فريدة ، وهي اعتماده على أسماء النجوم ، وهي أسماء أعلام ، مجال الترجمة والتصرف فيها محدود جدا .

علم الفلك الحديث عند الغرب :

ان علم الفلك الحديث يعتمد على الاطالس الفلكية كما يعتمد علم الجغرافيا على الاطالس الجغرافية . ومن يلق نظرة على خارطة حديثة للسماء بلغة أجنبية ، فسيدهشه أن يرى كثرة الاسماء العربية فيها . سيجد مثلا :ـ

aldebaran, Deneb, Vega, Rigel, Saiph, genah, Mizar, Alioth, Alphard, Alnitak, Arneb, Suhail, Dubhe, Deneb Algedi.

وسيجد غير ذلك الكثير الكثير .

ان العلماء الضالعين في الفلك الآن ، في بحوثهم العلمية ، يسمون النجوم بالاحرف اليونانية أو الارقام . ولكن وسيلة الدخول الى علم الفلك ، وفي الكتابة للجماهير عنه ، لا تكون الا باستعمال الاسماء الخاصة التي تحملها هذه النجوم . فهي الخطوة الاولى التي يتعرف بها الدارس على السماء .

وأغلب أسماء النجوم في الفلك الغربي الحديث هي عربية أو مشتقة من العربية بشكل من الاشكال . الفلك الحديث في الغرب يستعمل هذه الاسماء ونحن ضائعون .

الفلك الحديث عند العرب :

ان الثقافة الفلكية في العالم العربي اليوم ـ على ما أعرف ـ تقتصر على بعض الكتابات النظرية ، معظمها مترجم ، خالية من الرصد والراصدين .

والكتب المؤلفة في الواقع تكاد تنحصر فيما كان يكتبه الدكتور فؤاد صروف قبل عقود ٠

أما في العقود الثلاثة الاخيرة ، فعلى الرغم من ظهور بعض الكتب القيمة مثل (الكون العجيب) للمرحوم قدري حافظ طوقان ، من سلسلة (اقرأ) لدار المعارف ، وكتاب (بدائع السماء) لجيرالد هوكنز ، قمت بترجمته لمؤسسة فرانكلين ، وكتاب (قصة المادة السبرنية والكون) من تأليف البير دكروك وترجمة الاستاذ وجيه السمان ــ أقول ــ على الرغم من ظهور أمثال هذه الكتب القيمة ، الا أن الانتشار الواسع كان من حظ بعض الكتب التي كان لها أثر سيء على الفلك في العالم العربي ، مثل (النظرية النسبية) للدكتور مصطفى محمود ، نشرته دار روز اليوسف وكان قد نشر على حلقات متسلسلة في مجلة صباح الخير وكتاب (الكون والثقوب السوداء) لرؤوف وصفي وزهير الكرمي ، نشرته دار عالم المعرفة التي يصدرها المجلس الوطني الكويتي للثقافة والفنون والآداب ٠ وسبب انتشار هذه الكتب وأمثالها راجع الى شهرة دور النشر التي قامت بنشرها ٠ (انظر ملحق هذا المقال تحت عنوان حظ الفلك العاثر عند العرب المعاصرين) ٠

غير أن المستقبل يبشر بالخير ٠ فهناك من صنعوا المراقب أو اشتروها وبدؤوا يرصدون بها ٠ وكتاب « دليل السماء والنجوم » يطبع الآن في العراق ، وهو سيسهل عمل الراصدين ٠ ومن المنتظر ان يتزايد عدد الفلكيين الهواة بعد صدوره وأن تزيد الدراسات والبحوث والارصاد الفلكية تبعا لذلك ٠

غير أن الخطوات الاولية في هذا المضمار ، سواء ما كان منها في الرصد أو في الدراسات والبحوث النظرية ، حائرة في اللغة التي تستعملها ٠ فالراصدون والباحثون يستعملون عادة الكتب والخرائط الاجنبية وما فيها من مصطلحات وأسماء ٠ والفلك العربي غير معروف عند أغلبهم ٠ واذا وجد كتب تتحدث عنه ، فانها تطرق الموضوع كتراث ولا تربط بينه وبين ممارسة الفلك ٠

ان كتب الفلك الحديث في اللغة العربية لم تستقر على ترجمة واحدة لكلمة Constellation ٠ فقد عرفها الفلكيون العرب على أنها (كوكبة) ، بينما هي الآن في بعض الكتب مجموعة نجومية ، وفي كتب أخرى صورة نجومية ٠ وبالمثل فان الكتب الحديثة تقول عن Star, étoile نجما ، وكان الفلكيون العرب يسمونها (كوكبا ثابتا) ٠ ويقول أحد مترجمي الفلك عن (ألفا الدب الاكبر) وهو نجم عرفه العرب باسم (الدبة) ، بأنه نجم (الدبهي) ، وذلك لان الاسم بالاجنبية Dubhe يوحي بذلك ٠

خلاصة القول ، أن الفلك الآن في اللغة العربية يفتقر الى مرجع يوحد بين المصطلحات والاسماء ، ولهذا نجد أن الذين يكتبون فيه ضائعون ٠

مثل من كتاب رصين :

أصدرت وزارة الثقافة والارشاد القومي في سورية كتابا فلكيا ، اسمه « قصة المادة السبرنية والكون » من تأليف ألبر دكروك وترجمة العالم المعروف وجيه السمان ٠ والكتاب على مستوى علمي راق ، لان كل ما فيه يدل على أن المؤلف والمترجم يفهمان الفيزياء الفلكية فهما صحيحا ، ويستطيع المترجم أن ينقل لنا الافكار العلمية بوضوح وبلغة عربية سليمة ٠

ولكن المترجم على مقدار ما هو ضليع في العلم وفي اللغة العربية ، نجده يصطدم بالحقيقة الواقعية ، وهي عدم وجود مصطلحات أو أسماء فلكية موحدة ٠

ولنأخذ على ذلك مثلا من الصفحة ٥٦ من الكتاب ٠

انه يترجم كلمة Constellation كوكبة ، حين يتكلم عن (كوكبة) الجبار ٠ وهو هنا يستعمل الكلمة التي وضعها الفلكيون العرب ٠ ولكننا اذا قفزنا عن فقرة وجئنا الى التالية نجده يقول (الصورة النجمية) ٠ بينما أستعمل أنا في كتابي دليل السماء كلمة (مجموعة) ٠ وهكذا يحتار أي كاتب في الفلك أي كلمة يختـار ٠

ويقول في الفقرة نفسها حين يتحدث عن (مجموعة الاسد) ــ الصورة النجمية المسماة (الليث) ٠ وكلمة الليث لم أجدها في الصوفي (صور الكواكب الثمانية والاربعين) ولا في البيروني (القانون المسعودي) ٠ و (الاسد) هي الكلمة الوحيدة التي كانت دارجة في الفلك العربي وهي التي استعملتها في (دليل السماء) ٠

وحين يحاول الاستاذ وجيه السمان أن يعطي نجوم (الاسد) رموزا بالحروف ، يترجم الاحرف فيقول :ــ

لان النجم (هـ = ع) يبعد أكثر من ١٦٠٠ سنة ضوئية ، بينما يبعد (د = δ) بقدر ٨٥ سنة ضوئية ٠

أنا شخصيا لا أفضل طريقة ترجمة الاحرف اليونانية ، وانما أوثر أن أذكر الحرف باسمه الذي ينطق فيه ٠ وهذا ما فعلت في (دليل السماء) وهي الطريقة نفسها التي يتبعها الفلكيون الاجانب في كتاباتهم ٠

ولكي أعرف هذين النجمين بالذات أقول (ابسلون الاسد) و (دلتا) الاسـد ٠

ولن أعرف هذين النجمين بالحروف التي يستعملها الصوفي في كتابه (صور الكواكب) ، فهي عنده تدل على أرقام وستبعث مزيدا من التشويش في ذهن القارىء ٠

وفي الفقرة نفسها يقول الاستاذ السمان ٠٠ ولا يبعد نجم قتب الليث (وقد كان خطأ مطبعيا فكتبت قنب بالنون) ومنه يبدأ الذيل ، الا ٤٣ سنة ضوئية ٠

والمقصود بنجم قتب الاسد هو نجم الصرفة الذي على الذيل ٠ وهذا النجم هو أحد منازل القمر (المنزل الثاني عشر) ٠ وقد قال عنه الصوفي أيضا (القنب) بالنون ، ويبدو أنه خطأ مطبعي أيضا ، لان كتاب (أسماء النجوم ـ هنكلي ألن) يذكر القتب بأنها أحد الاسماء التي أطلقت على الصرفة ، ولا يأتي لذكر القنب اطلاقا ٠

وفي قاموس المنجد أن القنب مخلب الليث ، بينما القتب هو أحشاؤه ٠ ونحن نتكلم عن ذنبه ، والاخير أقرب الى الذنب ٠

وفي الخارطة (٧) من الكتاب ، صفحة ٦٤ ، نرى (سحابتا ماجلان) وهما السديمان المجاوران لمجرتنا ٠ اني في (دليل السماء) أسميها سديمين بدلا من سحابتين ٠

وفي الصفحة المقابلة ٦٥ ، شكل ٨ ، نرى (شعور برنيكي) ، وهي التي أسميها أنا (ضفيرة برنيس) بينما عرفها العرب باسم (الهلبة) ٠

وفي الشكل ١٠ صفحة ١٢٨ تجده يرسم لنا نجمين كتب على أحدهما (الشعرى) وكتب على الآخر (الغميصاء) ٠ وهذان النجمان في الواقع هما الشعريان ٠ الشمالية منها تسمى (الشعرى الغميصاء) أو (الشعرى الشامية) والجنوبية منهما تسمى الشعرى (العبور) أو (الشعرى اليمانية) ٠

وليس ذلك فقط ، بل ان هناك اختلافا بيني وبين الاستاذ السمان في مصطلحات في مواضع أخرى من الكتاب ٠

فهو يتحدث عن سرعة الفرار (صفحة ٩٠) من الجاذبية ، بينما أسميها في (بدائع السماء) وفي مقالاتي (سرعة الافلات) ٠

وهناك شرح طويل له ص ٢٥٢ عن (التكتلات الكروية) ، وهي التي سميتها في كتاباتي (العناقيد الكروية) ٠

ان هذه بعض أمثلة اقتطفتها من كتاب لعالم ضليع هو الاستاذ وجيـه السمان ، وكلنا يعرف دقته في العلم وتمكنه منه ، ولكنه يأتي بأسماء ومصطلحات تختلف عما فعلت ٠ وقد يكتب آخرون ويأتون بأسماء ومصطلحات تختلف عنا نحن الاثنين ٠ وتكون النتيجة هي ضياع القارىء العربي بين هذا التباين الكبير في أسماء أشياء لا تحتاج الى أكثر من اسم واحد ٠

فاذا رأينا عالما جليلا كالاستاذ السمان يأتي بكلمات جديدة (كالليث) وباصطلاحات جديدة (كاستعمال حروف الابجدية العربية للدلالة على الحروف اليونانية) ويذكر أسماء غير كاملة للنجوم (كالشعري للدلالة على الشعري العبور والغميصاء للدلالة على الشعرى الغميصاء) ، فما ذلك الا لافتقار اللغة العربية الى مرجع يضع الامور في نصابها ٠

البحوث القائمة الان لهذا الغرض :

ان مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي ــ الرباط ، يبذل جهدا مشكورا في الوصول الى مصطلحات موحدة لمدلولات معينة في مختلف ميادين العلوم ٠ وهو يصدر مجلة « اللسان العربي » ومعاجم مختلفة في هذا الشأن ٠ ولا شك أن رئيس تحريرها الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله يستحق الشكر على هذا الجهد المجيد ٠

وقد صدر في العدد الخامس عشر من « اللسان العربي » ثلاثة معاجم فلكية ٠ أحدها (وهو غير كامل) وضعه الاستاذ محمد بن زيان تحت عنوان « مصطلحات فلكية » ، وفيه شيء كثير من الجهد والتعب ومراعاة الدقة ٠ لقيه حتى حرف (H) . ٠ والقسم الاول منه ، حرف (A) وجزء من حرف (B) كان قد نشر في المجلد الرابع عشر من اللسان العربي ، الجزء الثاني سنة ١٩٧٦ م ٠

ومن ينظر الى معجم بن زيان نظرة اجمالية ، يجد من الانسب أن يطلق عليه اسم قاموس ٠ فهو يورد الكلمة ويورد عدة معان لها ٠ والمصطلح للكلمة الواحدة لا يتعدد ٠ فكلمة Aberration يضع أمامها ثلاث كلمات ــ زيغ ــ زيغان ــ انزياغ فلكي ٠ فأيها المصطلح ؟ الواقع أني في كتاباتي ، وفي قاموس « بدائع السماء » قد استعملت الكلمة الوسطى ــ زيغان ٠ وكان علي أن أهمل الكلمتين الاخريين لكي لا يحدث هناك تشويش في ذهن القارىء ٠

وفي المعجم شروح جيدة ولطيفة عن بعض الكلمات ، كان من الممكن ان تكون أكثر من ذلك نرجو أن يزيدها الاستاذ بن زيان عندما ينتهي من اعداده .

أما المعجمان الآخران ، فقد أقرهما المؤتمر الثالث للتعريب ، كما تقول المجلة . أحدهما تحت عنوان « الفلك » والثاني تحت عنوان « مصطلحات الفلك للتعليم العالي » . وهما معجمان غريبان حقا . انهما لا يساويان ما بذل فيهما من تعب . فقد سلقا سلقا لتقديمهما الى المؤتمر ، الذي يبدو أنه لم يكن فيه عضو واحد يهوى الفلك هواية جادة .

ففي كليهما نجد التالي :ـ

الدبران	Aldebaran
الغـول	Algol
الطائر	Altair

وفي معجم المصطلحات يضع (بيتا برشاوس) بالقرب من الغول . وهذا يدلنا على الاقل أن هذا النجم هو من مجموعة برشاوس . ولا يستفيد الطالب شيئا من الكلمات الاخرى ، فهي مجرد وضع الحروف الافرنجية بحروف عربية . فالدبران والطائر هل هما سدم أم مجرات أم نجوم ؟ واذا كانت نجوما ، فمن أي مجموعة ؟

وعلى هذا المنوال يسير المعجمان .

ولكي لا يكون نقدي نقدا هداما ، أقول ـ لو كنت الذي وضع هذه الكلمات وأردت أن أفسرها وأعرف القارىء بها ، لكتبت ما يلي :ـ

الدبران ـ ألفا الثور ، وهو نير كوكبة الثور . من القدر الاول ، أحمر اللون . سمته العرب الدبران لانه يدبر الثريا ، أي يشرق بعدها ويغيب بعدها . أحسن تقدير لبعده ٦٨ سنة ضوئية .

الغول ـ بيتا برشاوس أو رأس الغول . نموذج للمتغيرات الخاسفة الدورية . يتكون من نجمين يدوران حول بعضهما ، أحدهما أشد لمعانا من الآخر . وفي أثناء الدوران ، حين يأتي المظلم أمام اللامع ، يحجب ضوء اللامع عنا ، فيخفت النور الآتي منه . قطر النجم المظلم ١٤٥٠٠٠٠ ميلا ، وقطر اللامع ١٢٥٠٠٠٠ ميلا . كتلة اللامع ثلث كتلة الشمس . المسافة الفاصلة

بين النجمين ٣٠٠٠٠٠٠٠ ميلا · البعد عنا ١٠٥ سنة ضوئية · التغير يبدو للعين المجردة · والدورة كلها تستغرق ٢ يوما و٢٠ ساعة و٤٩ دقيقة ، وهي المدة التي يدور فيها كل من النجمين حول المركز المشترك ·

الطائر ــ ألفا العقاب ، وهو نير مجموعة العقاب · من القدر الاول · سمته العرب النسر الطائر · يبعد عنا ١٦ سنة ضوئية · وهو أحد رؤوس مثلث الصيف الشهير · الرأسان الآخران هما النسر الواقع وذنب الدجاجة ·

معلومات كهذه يجب أن ترد في معجم فلكي ، والا فلن يكون معجما ذا فائدة ·

خلافات بيني وبين هذه المعاجم :

هناك خلافات بيني وبين هذه المعاجم في اصطلاحات استعملها يجب ذكرها ·

لقد تعودت أن أستعمل كلمة (مجموعة) ترجمة لكلمة Constellation . ولكن العرب كانوا يستعملون (كوكبة) · والواقع أني لم أكن قد اطلعت على كلمة كوكبة الا بعد أن كنت قد سرت شوطا طويلا في الكتابة · وقد كانت كل دراساتي في البداية بلغة أجنبية · وحين قام الدكتور بول كونيتش بتصحيح كتابي دليل السماء ، كتب لي أنه يفضل استعمال كلمة كوكبة بدلا من مجموعة ·

وفي كتاب بدائع السماء وفي دليل السماء أطلقت اسم (مجموعة الصياد) على (كوكبة الجبار) · وعندما راجع الدكتور فؤاد صروف الكتاب الاول منهما ، سألني عن السبب ، فأخبرته أن كلمة الجبار تستعمل في أكثر من موضع في الفلك العربي · فالعرب قالت عن الكلب الاكبر (كلب الجبار) وعن برشاوس (برشاوس الجبار) ، ولهذا فضلت استعمال كلمة الصياد وهي ترجمة Orion الاجنبية ·

أما كلمة برشاوس ، فقد ذكرها الصوفي والبيروني والبيروني برشاوش ــ الشين معجمة في الحرفين · وهي تكتب باللغة الانجليزية برساوس ، بالسين غير المعجمة في الحرفين · قد يبدو هذا موقف مساومة مني ، ولكن لا مرجع في اللغة العربية يمكن أن أستند اليه ·

كلمات هامة لا تذكرها هذه المعاجم :

ان كلمة مثل astrology يذكرها الاستاذ بن زيان في معجمه ويشرحها شرحا جيدا · ومن الضروري ذكرها في كل معجم فلكي ليعرف القارىء أنها

تدل على التنجيم الذي لا يعتبر علما ، ولكي يفرق بين الفلك والتنجيم • أما المعجمان الآخران فلا يذكرانها •

وكلمة مثل Black - holes ومعناها الثقوب السوداء لا تذكرها المعاجم الثلاثة • فقد كان الحديث عنها دائرا منذ مطلع السبعينات ، والدلائل الاخيرة تدل على وجودها • ومن هنا يحق لنا أن نعتب على الاستاذ بن زيان لاهمالها •

أما كلمتا Quasar و Pulsar فلا تستطيع أن نحاسبه على عدم ذكرهما لان معجمه المطبوع لم يصل الى حرفي Q و P . ولنا أمل أن نراه يفسرهما عندما ينشر بقية المعجم • غير أن المعجمين الآخرين لا يأتيان لهما بذكر •

وأشباه النجوم هو الاسم الذي أطلقته على Quaseers حين كتبت عنها لما اكتشفت في أوائل الستينات ، وذلك في مقال نشرته مجلة الافق الجديد سنة ١٩٦٤ م • وشبه النجم لا يزال لغزا فلكيا غامضا حتى الآن ، وقد كان اكتشافه بداية اكتشافات فلكية محيرة ، جعلت الفلكيين يذهلون لغرابة الكون ويعجزون عن تفسير كثير من ظواهره • والاسم الاجنبي Quasars هو اختصار للكلمة الطويـلة Quasi stellar Radio sources .

أما النابضات Pulsars فقد قمت بتسميتها بهذا الاسم في السنة التي أعلن فيها عن هذا الاكتشاف • وكان ذلك في مقال نشرته في مجلة البيان الكويتية سنة ١٩٦٨ م • والنابضات هـي نجوم نيوترونية كثيفة جـدا ، انضغطت فيها الذرات الى درجة أن دخل الالكترون في النواة • ويقدر وزن السنتمتر المكعب من النجم النيوتروني مائتي طن • وهي من المحيرات الفلكية في السنوات العشر الاخيرة ، التي انتهت باكتشاف (أو على الاصح بالاستنتاج القطعي) الثقوب السوداء •

ان هذه الاكتشافات المحيرة لعلماء الفلك لا يمكن التغاضي عنها في أي معجم فلكي مهما صغر •

مستوى المعجمين اللذين أقرهما المؤتمر الثالث للتعريب :

في مكتبتي قاموسان انجليزي عربي • أحدهما القاموس العصري لالياس انطون الياس ، والآخر قاموس النهضة لاسماعيل مظهر • وقد قارنت الفائدة الفلكية التي يمكن أن أحصل عليها منهما ، فوجدت أنهما اكثر نفعا من المعجمين السابقين • على الاقل تعرف منهما أن (الدبران) هو نجم في مجموعة الثور ، أو هو نير الثور • وفي نهاية القاموس العصري تسع صفحات عن الاسماء والمصطلحات الفلكية قد يستفيد منها المرء شيئا •

وتجد في معجم مصطلحات الفلك للتعليم العالي أربع كلمات تبتديء ب AL ٠ هي الدبران والغول والطائر والردف ٠ بينما نجد في القاموس العصري ٣١ كلمة تبتديء بهذين الحرفين ، AL . وفي قاموس النهضة نجد ٣٨ كلمة ٠

نظرة في معجم الاستاذ محمد بن زيان :

انه معجم متعوب عليه ٠ يمكن أن يكون أساسا لمعجم يقره مؤتمر التعريب المقبل ٠ غير أننا نرجو من الاستاذ بن زيان أن يراجع بعض الحقائق العلمية الواردة فيه ويصححها ٠

ومن الامثلة على ما يدعو للتصحيح نورد ما يلي :ـ

ابسلون الدب الاكبر ـ هي (الجون) أو (الالية) وليس (العيوق) ٠

الكلمة ٣٥ ـ العنقود Cluster يجب شرح هذه الكلمة بالتفصيل وذكر الفرق بين العناقيد المجرية والعناقيد الكروية ٠

الكلمة ١١٦ ـ Ara هي المجمرة كما سمتها العرب وليس المذبح ٠

الكلمة ١٢٣ ـ اسم المجموعة هو الميزان فقط ٠ أما الكفتان فجزء منه ، وليس صحيحا أن تطلق اسم الكفتين على الميزان كله ٠

الكلمة ٢٢٠ ـ اسم المجموعة هو ممسك الاعنة فقط ٠ وقد يسمى العنان أيضا كما يقول الصوفي ٠ والعيوق هو النجم النير فيه ، وليس اسما يطلق على المجموعة كلها ٠

الكلمة ٢٨٨ ـ الاسم الوحيد لها هو (الدلفين) عند الصوفي والبيروني ، وقد استعملته في « دليل السماء » و (الصليب) يطلق على النجوم الاربعة ـ الفا وبيتا وجاما ودلتا فقط ، وليس على كل المجموعة ٠

الكلمة ٣٤٠ Ecliptic هي دائرة البروج ، وليس هناك اصطلاح آخر ٠ كذا في الصوفي والبيروني ٠

أظن أن هذه المعاجم هي التي صدرت بشأن الفلك حديثا في العالم العربي ٠ ولست أدري اذا كانت هناك مجهودات أخرى ٠ على أية حال ، فان أمامنا قضية أخرى ، قد يحتار فيها حتى واضعوا المعاجم أنفسهم ٠

مشكلة أخرى :

ان هناك أسماء عربية على الخرائط الاجنبية الحديثة لم يضعها العرب · لقد وضعها المترجمون الذين ترجموا الاسماء من العربية الى اللاتينية · فما هو موقفنا منها ؟

ولنضرب مثلا :

النجم الاوسط من ذنب الدب الاكبر سمته العرب (العناق) · وعندما كان « سكاليجر » يترجم هذا الاسم ، لم تعجبه كلمة العناق · ولما كان ضليعا في اللغة العربية ، ولما كان يدرك أن اللغة العربية هي لغة العلم الوحيدة في ذلك الزمان على الاقل ، فقد اختار اسما آخر هو المئزر · وتلفظ باللاتينية ميزار · ولكي لا يلتبس القارىء في معناها فسره لنا وقال انها الثوب الذي يلف به الانسان وسطه · فالكلمة اذن عربية قحة · وقد درجت الآن في الاطالس الفلكية الحديثة فاصبحت كلها تكتبها (ميزار) · فهل نقول عنها (مئزرا) .أو (عناقا) ؟

وبالمثل غير « سكاليجر » اسم النجم الآخر المجاور له القريب من الدب ، وكان اسمه (الجون) فلم تعجبه هذه الكلمة وغيرها الى (الالية) · ولكي لا تلتبس على القارىء ، قال انها الدهن في مؤخرة الخروف · وأصبح اسمها الدارج الآن في الاجنبية Alioth · فأي الكلمتين نستعمل ؟ الالية أم الجون ؟

مقدمة الاقتراح :

علم الفلك الحديث في العالم العربي هو علم جديد خام · وقد أخذ يثبت أركانه بين المثقفين ، لكن على أساس مستمد من الحضارة الغربية · وحيث أنه مليء جدا بفيض من الاسماء والمصطلحات العربية التي تبدو ظاهرة جلية في الفلك الغربي الحديث نفسه ، فان هناك خوفا من أن تترجم هذه الاسماء والمصطلحات العربية الاصل الى اللغة العربية بشكل يبتعد بها عن شكلها المعروف في التراث ·

والابحاث الجارية حاليا لا تكفي · فهي مجرد محاولات مشكورة · فالمعجم الموثوق به يجب أن يضعه علماء خبيرون في التراث العربي وخبيرون في مواقع النجوم · ولا أعرف مكانا يتيسر فيه وجود هؤلاء العلماء غير معهد التراث العربـي ·

الاقتراح :

أرى أن تؤسس لجنة لهذا الغرض ، تكون على اتصال وثيق مع مكتب تنسيق

التعريب ، أو مرتبطة بهذا المكتب بشكل من الاشكال ، لكي تتم الاستفادة من جهود المتعاونين معه • وان تضم هذه اللجنة الخبراء في هذا المجال ، أمثال : الدكتور « بول كونيتش » والدكتور « إدوارد كنيدي » والدكتور « ريتشارد لورش » • وأن تكون مهمتها كما يلي :ـ

١ ـ وضع معجم فلكي باللغة العربية على مستوى عال ، يكون مرجعا موثوقا به عند الفلكيين العرب ، الهواة منهم والمحترفين •

٢ ـ يجري الترتيب مع مكتب تنسيق التعريب في الرباط ويتفق معه ، عند عقد مؤتمرات التعريب ، اذا كانت ستعرض على هذه المؤتمرات معاجم فلكية ، أن تحول هذه المعاجم ، قبل عرضها على المؤتمر ، الى هذه اللجنة ، لتدرسها وتقرها وتجري ما يستلزم من تعديلات •

٣ ـ يكون من اختصاص هذه اللجنة مراجعة أي كتاب يصدر باللغة العربية عن الفلك ، وتصبح الاسماء والمصطلحات الواردة فيه بحسب الخطة الموجودة لديها • وهذا بالطبع ، اذا طلب مؤلف الكتاب أو ناشره ذلك • ويحق للناشر أو المؤلف أو المترجم أن يكتب على غلاف الكتاب انه من مراجعة معهد التراث العلمي العربي أو الجمعية السورية لتاريخ العلوم عند العرب او أي مؤسسة أخرى تكون هذه اللجنة تابعة لها • ويجب أن يدل ما يكتب على نوع المراجعة ، فاذا كانت للاسماء والمصطلحات الفلكية وحدها يجب أن يدل ما يكتب على نوع المراجعة ، فاذا كانت للاسماء ولمصطلحات الفلكية وحدها يجب أن ينص على ذلك ، فلا تكون مسؤولة عن الحقائق العلمية مثلا • وقد يكون ذكر هذا على غلاف الكتاب دافعا للقراء على شرائه لانه يرفع من قيمته العلمية في نظرهم • ويجب بالطبع أن تحدد المدة التي سيمكث فيها الكتاب عند اللجنة المراجعة ، لان بقاءه مدة طويلة تجعل الناشرين والكتاب يملون هذه العملية ويصرفون النظر عنهـا •

هذه هي فكرتي لتدارك الفوضى القائمة في الفلك الناشىء والسعي الى ربطه بالتراث العربي •

والله من وراء القصد •

اهمية تطبيق ابن الهيثم لقوانين الانعكاس
على جرم القمر

د. صالح عمر

في « مقالة في ضوء القمر » يتعرض ابن الهيثم لكيفية اشراق ضوء القمر على الارض . وهذه المقالة مهمة من ناحيتين : أولا من ناحية الطريقة التي اتبعها ابن الهيثم لاكتشاف هذه الكيفية والتي طبق فيها قوانين فيزيائية على الاجرام العليا تطبيقا رائدا .

ثانيا ، من ناحية النتائج التي توصل اليها ابن الهيثم عن طبيعة سطح القمر بالرغم من الطريقة غير المباشرة التي أدت الى تلك النتائج . كانت طبيعة الاجرام العلوية تحدد تحديدا فلسفيا بحسب نظرة أرسطو التي فصلت الكون الى حيزين مختلفين اختلافا مطلقا : عالم الكون والفساد أو عالم ما تحت القمر ، وهو عالم دائم التغير مكون من العناصر الاولية الاربعة ، والعالم العلوي أو ما فوق القمر الذي يتميز عن العالم السفلي بأنه مكون من عنصر خامس يختلف اختلافا جوهريا عن العناصر الاربعة الارضية .

في رأي فلاسفة الطبيعة الارسطويين وغيرهم كان سطح القمر ، بحسب طبيعة المادة التي تكونه ، كرويا مصقولا كالمرآة الكروية المصقولة ، اذا فضوؤه ينعكس الى الارض كما ينعكس الضوء من المرآة المصقولة ، أي طبقا لقوانين الانعكاس . أما ابن الهيثم فانه بأساليب تعتمد على البرهان الهندسي والمشاهدة بأن قوانين الانعكاس لا تنطبق على كيفية استمداد القمر لنوره من الشمس واشراقه على الارض ، اذا سطحه ليس مصقولا كسطح المرآة .

وما يوحيه ابن الهيثم عن طبيعة سطح القمر في هذه المقالة ويعود فيؤكده صراحة في مقالة لاحقة ، وهي « في مائية الاثر الذي في وجه القمر » ، هو أنه كثيف « وان جوهر القمر مخالف لجوهرجميع الكواكب الباقية » . وفي هذا تشكيك ضمني على الاقل للتصور الارسطوي للكون الذي ينفصم فيه عالم ما تحت القمر عن عالم ما فوق القمر .

الاسماء العربية للنبات والتي لتنت واستعملت
أسماء علمية يتعارف عليها علماء النبات في الارض

الدكتور
محمد نذير سنكري (١)

للنباتات أسماء وألقاب وأنساب وطبقات في القرب والبعد عن بعضها البعض ، وقد تعارف على هذه علماء النبات متبعين في ذلك مبادىء في التصنيف والتقسيم وأسسا للتسمية وطرقا في صياغة الالقاب ٠ وهم يتفقون على ذلك عبر الابحاث والمؤتمرات في بلاد الغرب منذ « لينيوس » ، العالم النباتي السويدي المشهور ٠ وقد ضمن أولئك العلماء تلك الاسماء والالقاب والانساب والطبقات في مصنفاتهم وموسوعاتهم ، يعرفونها ولو اختلفت لغاتهم وألوانهم وشعوبهم يعرفونها رغم اختلاف الاسماء المحلية لها وتفاوتها أحيانا من قرية الى أخرى ٠ واذا ما لفظ ذلك الاسم المعين تداعى الى أذهان أولئك المتخصصين شكل معين لذلك النبات الذي يدل عليه ذلك الاسم ، لا يختلفون عليه ٠ واذا ما أعطي لهم وسئلوا أن يستعملوا الطرائق النباتية لتصنيفه وصلوا الى نفس الاسم ولو اختلفت اصقاعهم ولغاتهم ٠ أما العلم الذي يضم بين دفتيه أصول تصنيف وتسمية النباتات فيطلق عليه اسم علم التقسيم النباتي Plant Taxonomy . ولقد عرف العالمان البريطانيان (David and Heywood, 1963) هذا العلم بأنه العلم الذي يدرس التصنيف بما في ذلك قواعده ومبادئه وطرقه وقوانينه ٠ ويعتمد هذا التقسيم في الواقع على ترتيب النباتات تبعا لتشابهها واختلافها النباتي في وحدات أقرب ما تكون الى الوحدات الطبيعية ذات العلاقات القرابية بين بعضها والبعض الآخر ٠ وتسمى هذه الوحدات بتسميات نباتية خاصة عن طريق تطبيق أسس معينة عالمية International Rules .

ويتألف نظام الانساب العالمي للنبات هذا The Taxonomic Hierarchy من مراتب قد تزيد أو تنقص تتراوح ما بين ٨ و ٢٣ مرتبة تبعا لمدى كثرة الاختلاف والتباين والتمايز في المجموعة أو قلته ٠ ويمكن سلسلة نظام الانساب هذا عبر الجدول التالي : والذي سيورد باللغات العربية واللاتينية والانكليزية ، والذي ستورد فيه أيضا النهايات الاصطلاحية الخاصة ، والتي تدل على تلك المراتب ٠

---

١ ـ جامعة حلب والمركز العربي لدراسات المناطق الجافة والاراضي القاحلة بدمشق ٠

جدول رقم (١)

النظام الطبقي التقسيمي العلمي والنهايات الدالة

(الالقاب لكل طبقة)

باللغة العربية	الطبقـــة باللاتينية	بالانكليزية	النهاية التي يجب اضافتها
المملكة النباتية	Regnum Vegetabile	Plant Kingdom	ae
قسم	Divisio	Division	phyta
تحت قسم	Subdivisio	Subdivision	phytina
صف	Clasis	Glass	opsida
تحت صف	Subclasis	Subclass	idae
رتبة	Ordo	Order	ales
تحت رتبة	Subordo	Suborder	ineae
فصيلة	Familia	Family	aceae
تحت فصيلة	Sulgmilia	Sulfamily	oideae
عشيرة	Tribus	Tribe	eae
تحت عشيرة	Subtribus	Subtribe	inae
جنس	Genus	Genus	تتبع النوع
تحت جنس	Subgenus	Subgenus	★
قطاع	Sectio	Section	★
تحت قطاع	Subectio	Subsection	★
سلسلة	Series	Series	★
تحت سلسلة	Subspecies	Subseries	★
نوع	Species	Species	تتبع الجنس
تحت نوع	Subseries	Subspecies	★
صنف	Varietas	Variety	★
تحت صنف	Subvarietas	Subvariety	★
طراز	Forma	Form	★
تحت طراز	Subforma	Subform	★

أما المجموعات النباتية الباقية والتي تمت الاشارة اليها في الجدول بالنجوم فليس لها نهاية معينة ، انما يوضع لها اختصار الاصطلاح فقط وذلك بعد الطبقة التي تعظمها مباشرة ، فالاختصار .Sec تدل على قطاع والاختصار .Var تدل على صنف •

وقد يبدو لاول وهلة أن على النباتي استعمال كل مراتب نظام الانساب هذا للدلالة على نوع أو صنف نباتي معين ، والواقع أن هذا النظام يفتح المجال للدراسات التفصيلية حيث توجد المجموعات القرابية المعقدة ، وان اختيار عدد المراتب المساعدة (غير الاساسية) اذن يعتمد على مدى تعقيد وغنى المجموعة النباتية موضوع الدراسة •

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : هل عرف العرب وهم المشهورون بالاهتمام بأنسابهم وأنساب خيولهم أنساب النبات وانتماء بعضها على سبيل المثال الى مجموعة أكبر فأكبر ؟ • والجواب على هذا السؤال نعم ، الا أن المراتب التي عرفوها هي المراتب الاساسية المعروفة اليوم بالفصائل والاجناس والانواع والضروب • وقد يعلل ذلك بأن المجموعات النباتية للمناطق الصحراوية والجافة بسيطة ، اي أن هذه المجموعات النباتية Flora ممثلة بعدد كبير نسبيا من الفصائل Families ، الا أن كل فصيلة على حدة ممثلة بعدد قليل من الاجناس والانواع ، ما عدا بعض الفصائل شديدة التخصص بالمناطق الجافة والملحية • ومن هذه المجموعات مجموعة نباتات الحمض التي تضم أنواعا هامة تنتمي في مجموعها للفصيلة المعروفة بالزربيحية (الرمرامية) Chenopodiaceae . ومن هذه الانواع الرمث(١) والنيتون والقطف والرويثة والغضى والرغل والروثا والغذام والعراد والفرس والخذراف والضمران والطحماء والحاذ والمجرم والعثنان والخريزي والمنظوان والاخريط والخريط والعجواء والشعران والفولان والقصقاص والقضقاض والاشنان والحرض والثليث والدعاع والسوادة • ومن هذه المجموعات أيضا مجموعة نباتات المرار التي تضم أنواعا جفافية وصحراوية تنتمي الى الفصيلة المركبة *Compositae* مثل الشيح والقيصوم والقويصيمة والمرار واليمرور والجثجاث ، ثم مجموعة الكحليات مثل الكحل والكحلاء والكحيلاء والغبشاء والزريقاء والكحالة التي تنتمي الى الفصيلة الكحلية Boraginaceae ، ثم مجموعة الحرف التي تضم الشقارى والصفارى واليهق

١ ــ تراجع الاسماء اللاتينية لهذه الانواع في الكتاب الذي نشره الكاتب تحت عنوان : بيئات ونباتات ومراعي المناطق الجافة وشديدة الجفاف السورية ، المطبوع بجامعة حلب في عام ١٩٧٧م وكذلك في المجلد الثالث عشر والسادس عشر من مجلة اللسان العربي التي تصدر في المغرب •

والاسليح والغريراء والغراء والنجمة والخفج والخافج • وتنتمي كل هذه الخرف الى الفصيلة المعروفة باسم الفصيلة الصليبية Cruciferae . ومن هذه المجموعات أيضا مجموعة الدهامين Geraniaceae والتي تضم الدهماء والدمنة والقرنوة • كما عرف العرب مجموعات أخرى مثل مجموعة البقل ومجموعة الزباد ومجموعة العضاه ومجموعة الخلة ، الخ • • •

كما طور العرب نظاما خاصا للتسمية يلاحظه من عاش في البوادي العربية فيعرف الاعرابالنبات باسمين، الاسم الاول اسم عام والثاني اسم متخصص، ف : *Salsola vermiculata* هي الحمض الروثا و *Achillea fragrantissina* هو المرار القيصوم •

أما تحت نظام التسمية الثنائية Binomial Nomenclature ، الحديث والذي نتلمس آثاره عند أعراب البادية ، وفي المراجع العربية القديمة ، فيعطى كل نبات اسمين متلازمين ، يشير الاول اسم الجنس Genus ، (وهو بحد ذاته كلمة عربية) ، بينما يشير الثاني الى اسم النوع • ويرتبط تطبيق هذا النظام باسم العالم النباتي السويدي « لينه Linnaeus » •

وتسمية النبات فن وعلم ، وقد لا تخلو التسمية من فكاهة أحيانا ، وقد تكون هذه وصفية Descriptive فنبات عباد الشمس (دوار الشمس) *Helianthus annus* قد اشتق اسمه من الكلمة اللاتينية Hel والتي تعني شمس وكذلك annus والتي تعني حولي ، أما البرسيم *Trifolium* فقد اشتق اسم الجنس فيه من صفة شكلية بارزة اذ أن Tres تعني ثلاثة وان Folium تعني ورقة ، وفي هذا اشارة الى أن جنس البرسيم يمتلك أوراقا ثلاثية مركبة • ومن مصادر الاشتقاق لاسم الجنس الاسماء الجغرافية أو التاريخية للمواطن التي وجد فيها النبات • فالفصة (الفصفصة أو القت أو البرسيم الحجازي) قد تم اشتقاق اسم جنسها اللاتيني *Medicago* من Media وهي احدى الممالك القديمة في ايران / أما الجراز *Adenium* فقد تم اشتقاق اسم جنسه اللاتيني من عدن في اليمن • بل قد تم اشتقاق اسم الجنس أحيانا من أسماء بعض الملكات الشهيرات في التاريخ ، فنبات *Zenobia* قد تم اشتقاقه من اسم ملكة تدمر العربية الزباء ، أما جنس الشيح فقد تم اشتقاق اسمه من أرتبيز احدى ملكات الموصل في التاريخ القديم • كما وقد يشتق اسم الجنس النباتي من كلمة لاتينية كانت تدل على النبات في الماضي ، كما هو الحال بالنسبة لاجناس الشعير *Hordeum* وحشيشة الشيلم *Lolium* ، والشوفان (الخرطال) *Avena* ، والكتان *Linum* . كما تم اشتقاق كثير من أسماء أجناس النبات من اللغة العربية ومن هذه ما يلي : أبو طيلون *Abutilon* ، والارى *Aerva* الذي هو نبات من نباتات جزيرة العرب المشهورة والتي قد تستعمل

ثمارها لحشو الوسائد ، والالوى (الصبر) Aloe الذي هو من أشهر النباتات الطبية لجزيرة سوقطرة وجنوب الجزيرة العربية ، والحاج (العاقول) Alhagi والذي هو من النباتات الشوكية التي تنتشر في المناطق الجافة حيث يرتفع منسوب الماء الارضي ، والكاكنج Alkekengia الذي هو من أشجار الصمغ ، والاروم (اللوف) Arum الذي هو من نباتات الشام البرية المعمرة ، والقصب Cadaba الذي هو من أشجار اليمن ، أو القات ، وان كانت كلمة القات Catha أصلا حبشية(١) ، والقاقلي Cakile ، والقنب Cannabis الذي هو من نباتات الالياف اللحائية المشهورة ، والقبار (الكبر أو الشفلح) Capparis والقلقاس Colocasia وهو من الخضار المعروفة ، والقسط Costus والذي هو من أعواد الطيب ، والكمون Cuminum وهو من التوابل المعروفة ، والكراكم Curcuma ، والقهوة Coffea وهي شجرة البن المعروفة في اليمن ، والكشوت (كشوثي) Cuscuta وهو نبات طفيلي من فصيلة المحموديات ، والدامية (الغلقي) Daemia والتي هي من أشهر النباتات السامة في جزيرة العرب ، والدوم (Hyphaene) Douma وهو من نخيل تهامة ، والارساء (السوسن) Iris ، والياسمين Jasminum والليفاء (اللوف) Luffa وهي النبات القرعي المفترش الذي تستخرج من ثمرته ليفة تستعمل في الاستحمام ، والمروة (السرح) Maerua ، والموز Musa ، والنرجس (العبهر) Narcissus ، والصندل Santalum والزعفران Safranum (Crocus) والاسقيل (العنصل) Scilla والقرطم Carthamus وهو المحصول الزيتي والتلويني المعروف ، والصفيراء Sophora ، والسبانخ Spinacia ، وقصب السكر Saccharum ، والسنى Senna (Cassia) التي تحدث نباتاته الاسهال الشديد في الانسان ، والسوادة Suaeda التي تدل أنواعها على ملوحة التربة ، والتمر الهندي (الحمر) Tamarindus الذي تستعمل ثماره لتحضير المشروب المنعش المعروف ، والترفاس (الكماة) Terfezia ، والصلة Zilla وهو نوع صليبي شوكي يدل على تدهور المراعي الرملية في شمال جزيرة العرب ، والزنجبيل Zingiber وهو من النباتات الطبية ، والاشنة Usnaea .

ولم يقتصر دخول الاسماء العربية الى أسماء الجنس في النبات ، بل تعداها الى كثير من أسماء الانواع ، ومن أسماء هذه الانواع ما يلي :

السيال Acacia seyal والعرفط Acacia orfata ، والعشق Acacia asak وهم من نباتات العضاة في جزيرة العرب ، والقفل Amyris kafal واللبخ

---

١ ـ تم استيراد القات للزراعة في اليمن عام ١٣٦٩ للميلاد من قبل سلطان اليمن الذي أرسل بعثات للاستيراد النباتي من افريقيا والهند .

والعنسلم *Albizia lebbek* وهي شجرة قرنية والفوفل *Arecafaufel* والليمون *Alyssum anamense* . وقد حار أساتذة البساتين *Citrus limon* العرب في جامعاتنا العربية وفي قرننا العشرين في تسمية نوع الحمضيات فمنهم من سماه الليمون البلدي ومنهم *Citrus aurantifolia* أي *Citrus lumia* من سماه الليمون المالح ، وسماه آخرون الليمون البنزهير ، وغاب عن أذهانهم أن اسم النوع العلمي *Citrus lumia* قد جاء من كلمة لوميا العربية بل وان كلمة Lime - الانكليزية تدل على النوع أيضا قد جاءت كلمة ليم العربية . أو ليس في هذا عبرة لأهمية احياء تراثنا العلمي النباتي العربي . ومن أسماء الانواع المشتقة من اللغة العربية الكافور *Cinaamomum camphora* والمقل *Commiphora mukul* وعسل المر *Commiphora Myrrah* ، والزعرور *Cratagus azorolus* ، والغرف *Cordia gharaf* الذي هو من أشجار جبال عسير واليمن ، والحارة *Diplotaxis hara* وهي من نباتات البوادي العربية الخشنة التي لا تصلح للرعي ، واللبلاب *Dolichos lablab* والذي هو عبارة عن نبات قرني معترش يزرع في مصر وجزيرة العرب ، والعمقى *Euphorbia amac* وهو النبات اللبيني الذي يشبه الصباريات العملاقة ويوجد في جبال اليمن والذي وجد حديثا أنه يصلح لانتاج نوع من النفط النباتي ، والجلاب *Impomaea jalaps* ، والكبابة *Piper cubeba* وهي من النباتات الطبية ، والقراصية *Prunus cerassus* وهي فاكهة تختلط فيها الحموضة بالحلاوة اشتهرت بها مدينة حلب في التاريخ وخلدت عبر بعض الاغاني ، والمحلب *Prunus mahaleb* الذي هو من أصول الكرز وتطعم عليه في القطر السوري أصناف الكرز الجيدة ، والحرمل *Ganum hermala* وهو من أعشاب المناطق الجافة العربية تمتد من الشام حتى الطائف وصنعاء ومكيريس في جزيرة العرب وهو يوجد أيضا في كل أقطار المغرب العربي ، وهو يستعمل أحيانا في بعض الاغراض الطبية ، والريباس *Rheum ribes* ، والصفصاف *Salex safsaj* والسودة *Salsola soda* والفو *Valeriana phu* وهو من الادوية القديمة التي كانت تستعمل لوجع الجنب وداء الثعلب ..

وبالاضافة الى هاتيك وهذه فان هناك نباتات قد أخذت اسم الجنس واسم النوع من اللغة العربية كما هو الحال بالنسبة للرتم *Retame raetam* : كما أن بعض النباتات الاخرى قد أعطي اسم نوع عربي للدلالة على رائحة جميلة زنبقية ، كما هو الحال لنبات الفل (الياسمين الزنبقي) *Jasminum sambac* .. بل ان هناك بعض الكلمات الاندلسية مثل شوبر التي دخلت أيضا التسمية العلمية للنبات كما يلاحظ ذلك بالنسبة لنوع البلوط الفليني *Quercus suber* الذي ينتشر في المناطق الساحلية للمغرب والاندلس . كما ونسب علماء النبات التقسيمي كثيرا من النباتات الى جزيرة العرب آخذة اسم النوع « عربي »

arabica كما هو الحال بالنسبة للنفل العربي *Medicago arabica* ، أو القطن السوري كالقيقب السوري *Acer syriacum* ، أو الى القطر المصري مثل الخبازي المصريـة *Malva aegeptiae* ، أو الى بعض الصحارى العربية كما هو الحال بالنسبة للقبأ السينائي *Poa sinaica* . كما نسبت بعض النباتات الى بعض المدن العربية الهامة مثل *Aristida meccana* والتي نسبت الى مكة المكرمة ، والقفعاء القاهرية *Astragalus kahericus* التي نسبت الى مدينة القاهرة ، والصنوبر الحلبي *Pinus halepensis* والذي نسب الى حلب ، والبرسيم الاسكندري (المصري) *Trifolium alexandrium* والذي نسب الى الاسكندرية ٠ كما نسبت بعض النباتات الى بعض الانهار العربية كما هو الحال بالنسبة للحـور الفراتـي *Populus euphratica* أو بالنسبة للطرفـاء النيليـة *Tamarix nilotica* .

ومن أوائل العلماء النباتيين الذين أدخلوا الكلمات العربية في التسمية العلمية للنبات كان العالم « فورسكال Forskal » الذي كان أحد أعضاء البعثة العلمية الدانمركية التي وفدت ، بناء على توصيات ملك الدنمرك فرودويك الخامس، برئاسة «ينبوهر» الى اليمن في ١٧٦٢ م ٠٠ ولم يعد «فورسكال» من تلك الرحلة حيث قضى نحبه في مدينة يريم اليمنية(١) في ١١ تموز (يوليو) ١٧٦٣ م ٠ وقام « كارستن » بنشر أعماله بعد ذلك باثني عشر عاما ٠ وفي نهاية القرن التاسع عشر (١٨٨٩ م) قام « شوينفورث » بمتابعة الاهتمام بالانواع النباتية العربية وألف كتابا أسماه الاسماء العربية لنباتات مصر والجزائر واليمن طبع في برلين عام ١٩١٢ م ٠ وقد تتابعت البعثات بعد ذلك ٠

ان التراث العلمي النباتي لجزيرة العرب زاخر ، والاسماء العربية لاسماء النباتات كثيرة تحتاج من المحققين العرب الهمة والدأب للكشف عن كنوز علمية وتعريبية في غاية الاهمية للاجيال العلمية القادمة ٠ وعلى علماء النبات العرب ومدرسي علوم النبات أن يصروا على استعمال الاسم العلمي للنبات والمشتق من أصل عربي ، فهذا أدعى للاصالة أن تظهر وللتراث أن يحفظ ، وان حاول بعض المتعصبين من علماء النبات اليوم التخلص من هذه الاسماء رغم مخالفته لما أقرته المؤتمرات الدولية للتقسيم النباتي ٠

---

١ ـ تعتبر منطقة يريم والمناطق الممتدة بينها وبين تعز في اليمن من المناطق الغنية بالانواع النباتية ٠


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الفهرس

التقديـــم ١١

معلومات عامة عن المؤتمر ١٣

المشاركون في المؤتمر ١٦

كلمات حفل الافتتاح ١٩

كلمة رئيس جامعة حلب **الدكتور محمد علي حورية** ٢١

كلمة مدير معهد التراث العلمي العربي ورئيس الجمعية السورية لتاريخ العلوم **الدكتور خالد الماغوط** ٢٥

كلمة الباحثين المشاركين **الدكتور عبد الكريم شحادة** ٢٧

توصيــات المــؤتمر ٢٩

الابحــاث ٣١

الابحاث المتعلقة بالقرن الخامس عشر الهجري ٣٣

جذور التقويم الهجري في ذكرى القرن الخامس عشر الهجري **الدكتور محمد التونجي** ٣٥

واجباتنا التربوية والعلمية في القرن الخامس عشر الهجري **الاستاذ فريد جحا** ٤٤

التمويه والخداع الحربي في هجرة الرسول العربي **الاستاذ محمد علي خياطة** ٥٧

بعض الادوات المستخدمة لمعرفة جهة القبلة **الدكتور ريتشارد لورش** ٧٣

دور العرب في اغناء الحضارة **الدكتور شاكر مطلق** ٧٩

هدي النبوة لتصحيح الاخطاء الشائعة في المداواة الشعبية **الدكتور محمود ناظم النسيمي** ٨٣

الابحاث التي تدور حول ابن سينا ٨٩

ابن سينا واثر الطب العربي في الصين **الدكتور محمد التونجي** ٩١

دفع المضار الكلية عن الابدان الانسانية
دفع الغطاء عن احدى رسائل ابن سينا الطبية **الدكتور محمد زهير البابا** ٩٩

جولة في آفاق ابن سينا **الدكتور عارف تامر** ١١٣

علم النفس السينوي وأثره في الادب العربي **الدكتور فايز الداية** ١٢٥
ابن سينا رائد الطب النفسي **الاستاذ صلاح الدين الخالدي** ١٤٥
ابن سينا الطبيب **الدكتور عبد الكريم شحادة** ١٥٧
لمحات حول الحياة والمعرفة عند ابن سينا **الصيدلي كمال شحادة** ١٦٢
ابن سينا فخر العرب وعبقري الاسلام **الاستاذ محمد فؤاد عينتابي** ١٨٦
سيرة ابن سينا **الاستاذ محمود فاخوري** ١٩٩
الاراجيز الطبية **الدكتور سلمان قطاية** ٢١٢
الافكار النفسية والتربوية عند ابن سينا **الاستاذ حسن ملا عثمان** ٢٢٥
اوطان ابن سينا ولسانه وايمانه **الدكتور محمود ناظم نسيمي** ٢٣٧
الابحـــاث العامـــة ٢٥٤
نهاية الافكار ونزهة الابصار لعبد الله بن قاسم الحريري الاشبيلي البغدادي **الدكتور حسان الامام** ٢٥٥
البيمارستان في حلب ودوره في تقدم العلوم الطبية عند العرب **الاستاذ محمود حريتاني** ٢٦١
سياسة الحبالى والاطفال والصبيان وتدبيرهم وحفظ صحتهم بين أحمد بن الجزار القيرواني واحمد بن محمد البلدي العراقي **الاستاذ حسين عمر حمادة** ٢٦٩
وظيفة العين عند الاطباء العرب **الدكتورة أمل زاعور** ٢٩٣
وصف الظفرة في المصادر العربية **الدكتور صلاح محمود غانم** ٢٩٩
نظرات في حكة الملتحمة العينية من ابن اسحق الى ابن النفيس **الدكتور مؤنس غانم** ٣٠٦
في كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم لاحمد بن الجزار القيرواني **الدكتور فاروق بن منصور** ٣٠٩
وصف الحول في المصادر العربية **الدكتورة نوال يحيى** ٣١٥
السلوك التناسلي والغرائز الجنسية في الحيوان عند الجاحظ **الدكتور محمد مروان السبع** ٣١٩
تقدم الطب البيطري في العصر الاسلامي **الدكتور عبد الرزاق السمير** ٣٢٥
اقتراح خاص بعلم الفلك **الدكتور عبد الرحيم بدر** ٣٢٩
اهمية تطبيق ابن سينا لقوانين الانعكاس على جرم القمر **الدكتور صالح عمر** ٣٤١
الاسماء العربية للنبات والتي لتنت واستعملت اسماء علمية يتعارف عليها علماء النبات في الارض **الدكتور محمد نذير سنكري** ٣٤٣